

DT

102

T3

B3

1950

Badawī, Ahmad Ahmad.

Riḥā'ah al-Taḥtāwī.

# رفاعة الطهطاوي بك

”أحد أركان النهضة العلمية العربية. بل بامتحان في مصر“  
”عمر طوسون“

تأليف

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

”نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للمجمع فؤاد الأول للغة العربية في المسابقة الأدبية سنة ١٩٥٠“

الناشر

لجنة البيان العربي

١٩٥٠

مطبعة لجنة البيان العربي

١ شارع مصطفى باشا كامل - لا طو على



شيدان و الصنعة الخلف

٩٤٨، ١

٢٠٠٠

لعمري

لعمري

37243

لعمري

لعمري

لعمري

لعمري

## مقتطف

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والتسلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين ، وآله وصحبه ومن اقتدى بهم إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن رفاعة الطهطاوى رجل جدير أن توضع حياته موضع التمثل والافتداء ، فهي حياة ذات رسالة ، بذلها صاحبها عن رضا وطيب نفس ، في خدمة أبناء وطنه ، لم يدع أباً أهله له ثقافته خير مصر إلا بذل جهده فيه ، ففضى عمره المبارك بين تربية جيل حمل على أكتافه عبء نشر الثقافة ، ونقل إلى المربية ذخائر الغرب المكنونة ؛ أو تأليف كتب أنارت الطريق للنهضة ، وتناولت مشكلات العصر سياسية واجتماعية ، بمقل حصيف وقلم رزين ، أو ترجمة لمعالم فرنسا وأدبها ، أو إرشاد تلاميذه إلى أفضل طرق التعريب وأقومها ، أو توجيه صحفي يربى الأمة تربية اجتماعية سالحة ، فهو أحد أركان النهضة المصرية ، ونحن اليوم ننعم بتلك الثمار التي غرس بذورها ذلك العالم المخلص ، والوطني الصادق الثابر ما

أحمد أحمد بدوى

## عصر رفاة

كانت مصر قبل الحملة الفرنسية ، تقطع في نوم عميق ، قد لفها ظلام الجهل ، وشملت حياتها مضطربة ، هوت بها إلى الحضيض . فقد كانت تابعة للدولة العثمانية تبعية اسمية ، أما السلطة الفعلية فكانت في أيدي أمراء المماليك الذين لم يتركوا لولاة الدولة نفوذاً ، وكان كل منهم استدرار الأموال ، لا يبالون بما يقاسيه الشعب من الضنك والحن والأرزاء ، وأخذ هؤلاء الأمراء يتنازعون أمراً بينهم ، كل يريد الانفراد بالسلطان فأنحطت البلاد في جميع نواحي الحياة ، إدارة ، زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، وكاد معصباح العلم ينطفئ ، لولا شعاع ضئيل كان ينبعث من الأزهر ، وقد قل سكان مصر ، حتى صاروا أقل من ثلاثة ملايين<sup>(١)</sup> .

فلما جاء نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨ م ( ١٢١٣ هـ ) جاء معه بعثة علمية مكونة من طائفة ممتازة من العلماء ، عكفوا على دراسة مصر ، وأخذوا في نشر أسباب الدنية بها ، وأقام الفرنسيون في القاهرة مدرستين ، لتعليم أبنائهم المولودين بمصر ، وجريدتين فرنسيتين ، ومسرحاً للتمثيل ، وبنوا أماكن للأرصاد الفلكية والرياضيات ، والنقش ، والرسم ، في حارة الناصرية ، ورسموا بعض بيوت الأمراء ، واستخدموها لهذا الغرض ، وجعلوا بيت أحدهم مكتبة للمطالعة ، يحضر إليها من يريد المطالعة منهم ، فإذا جاء أحد المصريين رغبوا به ، وأطلعوه على ما أراد من الكتب ، وجلبوا إلى مكتبهم هذه كتباً عربية كثيرة ، وأفردوا داراً للكيمياء ، وكانوا يجرون أمام الأهالي بعض التحارب التي تدهشهم ، ويظنونها سحراً<sup>(٢)</sup> .

غير أن قدم الحملة لم تستقر في مصر ، فعادت من حيث أنت سنة ١٨٠١ م ( ١٢١٦ هـ ) ، وهي السنة التي ولد فيها رفاة .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ و ١١ .



كان من الممكن أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبل مقدم هذه الحملة ،  
لولا أن قيض الله لمصر رجلاً ، رأى آثار هذه الحملة ، وأدرك الفرق بين ما عليه  
مصر من تأخر وضعف ، وبين ما عليه أمة كفرنسا من تقدم وقوة ، وآمن بأن  
سر قوة الأمم الأوربية إنما هو العلم ، وبأن في المصريين استعداداً للرقى  
والنهوض ، إذا وجدوا قيادة حازمة مخلصه ، يشهد لهم بذلك ما كان عليه أجدادهم  
من حضارة ومدنية ، فصمم هذا الماهر العظيم على أن يأخذ بيد تلك البلاد ، حتى  
يصل بها إلى مكانة تناسب ماضيها ، وتجارى بها تلك الأمم القوية المتفوقة .

عنى محمد على بتنظيم جيش قوى يذود به عن ملكه ، ثم رأى أن يكون  
جيلاً يساعده على النهوض بمختلف مرافق البلاد ، فأقام المدارس المختلفة لتربية  
هذا الجيل ؛ فأنشأ مدرسة الطب البشرى ، والطب البيطرى ، والصيدلة ،  
ومدارس المحاسبة ، والإدارة الملكية والألسن ، ومدارس للزراعة ، ومدرسة  
المهندسخانة ، ومدارس صناعية ، ومدرسة الكيمياء والمعادن ، ومدارس  
حربية وبحرية متنوعة ، وكان يقوم في بعض هذه المدارس أساتذة من الأجانب  
الذين لا يحسنون لغة البلاد ، فكان يقوم بينهم وبين تلامذتهم مترجمون ، يترجمون  
إلى العربية ما يلقى الأساتذة بلغاتهم ، ثم رأى أن يرسل بعثات إلى أوروبا بتخصص  
أفرادها في الدراسات المختلفة ، حتى ينهضوا إذا رجعوا بعلم تعليم هذه المواد  
وترجمة كتبها إلى اللغة العربية ، والإشراف على نواحي النشاط الذى يرتبط بها  
تخصصوا فيه ، وسهر محمد على ، على أعضاء بعثاته ، فكان يقرأ ما يصل إليه من  
تقاريرهم ، ويشجعهم إذا أحسنوا ، ويؤنبهم إذا أهملوا ، فلما عادوا ووجه جهدهم  
إلى ترجمة الكتب التى تخصصوا في فنونها ، فوجدت نهضة مباركة في ترجمة علوم  
الغرب إلى اللغة العربية ، واتجهت العناية إلى ترجمة العلوم المختلفة ، ولم تنتج إلى  
ترجمة الأدب ، سدا الحاجات المدارس المختلفة الناشئة في ذلك العصر ، وأنشأ محمد على  
مطبعة ، تطبع هذه الكتب التى يقوم بترجمتها رجال هذه البعثات وتلامذتهم ، كما  
أنشأ الوقائع المصرية ، أولى الصحف الرسمية في الشرق العربى ، يذيع فيها أخبار

مصر والعالم الخارجى . وفكر محمد على فى نشر التربية الشعبية ولكنه لم يعش حتى يحقق فكرته .

غير أن هذه النهضة العلمية المباركة قد أهمل أمرها فى عهد عباس وسعيد ، فألقى معظم هذه المدارس ، كما أغلق سعيد ديوان المدارس ، وأصاب التعليم فى عصر هذين الوالدين نكسة إلى الورا ، فلما جاء إسماعيل ترسم خطا جدده ، وعزم على أن يحقق أمله فى النهضة السريعة الشاملة ، فأعاد فتح المدارس المغلقة ، وأنشأ غيرها ، وكثرت فى أيامه المطابع والصحف .

ولم تقف الحركة العلمية فى هذا العهد عند حد ترجمة الكتب الغربية ، بل عمدت أيضاً إلى نشر التراث العربى القديم ، فطبعت مطبعة بولاق كثيراً من الكتب القديمة فى التاريخ ، والأدب ، وعلوم اللغة ، والدين ، وبذلك وصل محمد على ، بين ماضى الأمة وحاضرها من ناحية ، وألقى عليها أضواء المعارف الحديثة من ناحية أخرى .

أما من الناحية السياسية فلم تنقطع صلة مصر بالخلافة العثمانية انقطاعاً تاماً ، طوال هذا العصر الذى عاش فيه رفاعة ، وإن كانت هذه الصلة لم تحل بين الولاة وبين المشروعات الإصلاحية والعمرانية التى أرادوها لمصر .

ومن الناحية الاجتماعية والصحية ، كانت البلاد تعيش كما يعيش أهل القرون الوسطى ، فى تأخر اجتماعى وصحى ، حاول محمد على وإسماعيل جهدهما أن يخرجوا الوطن منه إلى نود العصر الحديث .

طهطا

عقدنا لهذا هذا الفصل ، لأنها مستقط رأسه من ناحية ، ولأنه كان دائماً الحنين إليها من ناحية أخرى ، شديد القرح بما يشالها من تقدم ، وما تظفر به من مظاهر الحضارة ، يزورها بين آن وآن ، وفى أول عهده بطلب العلم كان يدرس بمجامعها عندما يعود إليها فى العطلة ، كما كان يقوم بالتدريس فى الجامع أيضاً فى شهر



رمضان على عدة أهل هذه البلدة ، وظل على تلك العادة عمره فكان إذا توجّه إلى  
بلده للزيارة وصلة الأرحام اجتمع عليه بمسجد حده أي القسم الخيم العفير من  
العلماء والأفاضل ، وألقى عليهم دروساً في التفسير ، مع السهولة في التعبير<sup>(١)</sup> ؛  
وقد أفاد رفعة كثيراً من أهل طهطا ، ومهد لهم سبيل العلم والدراسة ، فكانوا  
مدينين له بما نعموا فيه من خير .

قال علي مبارك<sup>(٢)</sup> . « طهطا من مهملتين بينهما هاء ، وفي الآخر  
ألف لينة ، هكذا يستعمله العلماء في كتبهم سيما وحديثاً ، ويستعمله أئمة  
والعلماء أيضاً في كلامهم بالحاء المهملة بدل الهاء . وهو اسم لمدينة شهيرة بمديرية  
حررا في غربي البحر الأعظم نحو نصف ساعة ، وهي رأس القسم الذي على  
مديرية سيوط ، وبها قاضي ولاية ، وصطية ، وحكيم ، ومهندس ، وكان يحتمها  
البحرية ( ورشة أفنة ) مسعة ، يبيع أكثرها للأهل من المرحوم سعيد ساء ،  
ونبي في محلها قصور ، وفي بعضها ديوان القسم ، و ( التمرات ) جميع وارمه ،  
وكان في شمالها غربي قصر متسع للحكومة كانت تزل فيه ( السناحق )  
مساكرها ، يبيع أكثره ، وحمل حبات وعصارات للرب . ومنازل ، وكان  
حواليها نلال سبعة أربع من العرب محمد علي . وبني الآن محلها قصور مشيدة  
ومنازل ، وحبات . وفسار . وأصفيها من أعظم ثنية من الصعيد ، لا أن  
حاراسها ضيقة ، ذات اعوجاج ... وفيها أغلب أنواع المصانع الصغيرة وغيرها ،  
وأكثر أهلها تزار لاسية في لعال ... وفيها أكثر من الخوامم المشتهر العاصم  
ذات المزار ، وأشهرها وأعظمها مسجد سيدي أبي القسم الحسيني ( حدر رفعة )  
وأكثرها يقرأ فيه دروس العلم ... « فهي مدينة علمية ، دينية ، تجارية ، وفي  
الخطط الجديدة ذكر كثير من علماء هذه المدينة .

كان رفاعة يحب هذه المدينة ، ونحن إليهم كما ذكرنا ، وقد عثر عن ذلك في  
مقدمته الوطنية المصرية ، إذ قال فيها : « حب الوطن من الإيمان ، ومن

(١) حلية برنس ص ٢٧ .

(٢) المصطلح الحديث ص ١٣ من ٥١ و ٥٢ .

طبع الأحرار إحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محبوب ،  
ومنشؤه مألوف به مرغوب ، ولأرضك حرمة وطها ، كما لو الدنك حقّ لنها ،  
والكريم لا يحفو أرضاً بها قوائله ، ولا دنس داراً فيها قتاله ، فإنّ ، وإن البستني  
المحروسة بها ، ورفعت لي بين أمثالي عما ، وكأنت أم الوطن العام ، ووليّة الآلاء  
والإنعام ، وأحبها حباً حمداً ، لأنها ولية النعمى :

وقعت فيها الأرض محاوراً كرام السحيا والبحور الطواميا  
فلارت أشوق إلى وطني المصومى ونشوق ، ونطلع إلى أحباره السارة  
ونعرف ، ولا أساوى بقطعة الحصنة سواها ، في القيام بالحقوق وإكرام مثواها :  
مدارل لست أهوى غيرها ، سقيت حياً بعم ، وحققت بالتحقيات  
وأمنحها رمة بعد زمن الزبارة ، وأحدد فيها من هبات الحكومة المارة ،  
وأبدل في محنتها التقيس ، لتحصيل الأراضي للزراع والفرس ، وافتخر بها كما  
افتخر عصم بالنفس ، وأشدّ قول الحافظ كمال الدين الأدهوى .

أحن إلى أرض التميميد وأهله	وزداد وجدى حين تبدو قبائها
وتذكرها في مهجة الليل مهجى	فتجربى دموء إذ يريد التهاها
وما صعب يوماً على ملّة	وشاهدتها إلا وهانت صفاها
بلادها كانت الشباب مساعدي	على نيل آمال عزيز طلالها
مواطن أهلى ثم محبى وجيرى	وأول أرض من جلدى ترابها

فتوهى لي من نعم الله الحريه ، ومن هبات ولّى النعم الواقعة الجليلة ، منجى  
ورقة حديدية ، وصمّ الطريقة إلى التليده ، مهدا النذر المعمور ، ليكمل الخط الموقور  
فكانت هذه المحلة ، سببا لتجديد الرحلة ، وسبب عن هذه الصلة والإنعام ،  
صله الأقرب والأرحام <sup>(١)</sup> . وحسباً كان يمضى إلى المدينة في رمضان ، ومعه  
كتبه يؤلف ويترجم . كما قال : « فأحدث في أثناء رمضان المعظم كتابي باليمن ،  
لأرض في ديارى ربح الليث في العرين ، وأجمع الخواص مشتغلا بما في يدي »



من الترجمة والتأليف ، مع آداب الدعاء ، لولى النعم فى هذا الشهر الشريف <sup>(١)</sup> .  
 وها هو ذا يحدثنا عما نال طهطا من التقدم فى عصر إسماعيل فرحاً مسيحياً إذ  
 يقول : « قد شاهدت طهطا كأمثالها من البلدان ، رادت من العمران بقدر الثلثين ،  
 وبالب فى ظلّ العدل من المتاع والعين ما تقرّ به العين ، يروق الناظر ما تحدّد فى  
 نواحيها من القصور الشامخة ، وما تشيد فى نواحيها من القصباب المادحة ،  
 والحانات السامية ، والمارل العاية ، وحلها بشاييك الحديد والبلور والقرار ، التى  
 كانت لا تدرك بالحقيقة إلاّ على نوع من المحار ، والماساحد العاية المناثر ، والجوامع  
 الباهية المنابر ، لا سيما جامع القطب الرّبّانى ، والفرد الصمدانى ، الذى تنور  
 أسرارها فى مطالع تلك الآفاق باسم ، دى المقام الحسى سيدى أبى القاسم ، وكذلك  
 الهيكل المرتفعة ... والحدائق المثمرة والسابن ، وسواق الحديد المكنة للماء  
 المين ، وحمام لطيف بياهى حمام مطوش باشا بالإسكندرية ، عبر الحمامات المبرلية ،  
 و ( السراية ) المسمية ، الى بين طهطا وساحلها . حدثتها الهبة ، ومما يلاحظ فى  
 هذا البندر ، مما يستحق أن يسطر ، أنّ بها قنصلية تجارية ، عليها راية ورساوية ، .  
 فاطر إلى كمال الائتلاف بمد العور ، وروال الاختلاف باعتدال الأمور ، وهى فى  
 درجة المار والانتهاج ، أعمر وأمهى من سوهاج ، بل أحسن من حرّاح ، لو كانت  
 مسيحة الأرحاء ، وكذلك أيضاً أرحام أحناس التجار على موردتها المستمد  
 واقتسامهم مع أهلها طيب العيش والمكسب ، والمادة أن ما نمو من الأراضي  
 ويحص ، ينتجع إليه فحطان ويعرب ، فراه إليها من كلّ حدب ينسلون ، وفيما  
 حولها من البلدان والقرى ينسلون ، لا سيما أن ما حولها من النواحي التى ليست  
 سنادر ، فإنّ التمتع بهناء العيش فيها ليس سادر ، بل سكاد القرى أن تنافس  
 الأمصار ، فقد رأيت فى هذا المصر ما لم تر مثله فى سائر الأعصار ، حيث تعال  
 فيها الأسىة الحديدية ، وتعال فى تحصيل الأمتعة البعيسة المحيدة ، وتربيت دورها  
 بالتحائف الابتهاجية ، واللطائف الافرحية ، فلا تجد هذه القرى شيخاً أو عمدة ،  
 إلاّ وعنده لحسن القرى الأدوات والعدة <sup>(٢)</sup> . »

وأنت ترى من هذا الوصف ، كيف بن بعض مظاهر المدينة العربية ود تعلمت  
في عصر إسماعيل ، حتى غزت القرى ، ولم تقف عند عاصمة البلاد .

أما أساء طهطا الذين تعلموا في عصر رفاعة (١) فجميعهم سبب نعمتهم السيد  
رفاعة بك ، فبه أدخلهم الكتائب أول إقامتها ، ثم أدخلهم المدارس ، فترتبوا  
بها ، فكان منهم حملة من مستحدي المرى رباب الرتب في مصر وغيرها مثل  
أحمد بك عبيد أحد قضاة مجلس (الحقانية) سابقاً ، وعبد الجليل بك أحد رجال  
المعية الخديوية سابقاً (٢) ، وكان بعض أساء طهطا يقوم بالتدريس معه في  
مدرسة الألسن ، كاشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوى ، مما يدل على حب رفاعة  
العميل لمدينته وآب مدينته .

ولعل أكثر أملاكه كانت بالقرب من تلك المدينة كما استكثر فيها من شراء  
المقار —

### نسبه

هو السيد رفاعة بن إدوى بن على بن .. بن إسماعيل ، ويرجع مؤرخوه نسبه من  
حياة نبيه إلى الحسن بن وطمة هراء ، بنت سيدنا رسول الله (٣) ، ومن ناحية  
أمه وطمة بنت إسماعيل أحمد عمر على بن لأصغر الخرجية (٤) ؛ ويظهر أن أسرته  
ود استوسست طهطا منذ أمه بعيد ، وكبر من عرف من أجداده في تلك المدينة  
أو قسم الحمسى ، أمه أويد ، طهطا صتاً ، وفرد في جامع عرف به بعد أشهر  
حوامها (٥) ، ومن أنى القسم الحدر كثير من الأشراف الذين أصبحوا أكابر  
المدة ، وتوارثوا الصدارة فيها عدة أجيال ، وكان لهم فيها منازل مشيدة ،

(١) حطط الحديفة ج ١٣ ص ٥٦

(٢) حله لمن ص ١ .

(٣) حصص أجدده ج ١٣ ص ٥٣

(٤) لأصغر هه

ومصنف ، ولهم مراتب من بيت اسد واسمة<sup>(١)</sup> . وقد أسار ربيعة إلى هذا  
السب في قوله :

حسنى السلالة هسنى بطوطا معشري وبها مهادي<sup>(٢)</sup>

وقد نولى بعض أفراد أسرته منصب القضاء ، قال في كتاب مناهج الألباب  
المصرية<sup>(٣)</sup> : « وما يسمى ذكره هذا بالناسبة أن من من الله سبحانه وتعالى على  
عائلتنا بطوطا أن اجتمع فيها مع منصب نقابة الأشراف التي هي في رل في بيتنا إلى  
الآن منصب قضاء الولاية في كثير من نسلنا . وكنت أسمع من أسلافنا أن من  
درية جدنا أبي القاسم اعطيتني من نقابة بحروسة مصر ولايات شرمسة ،  
وحطى عند موتها بالمراتب السيفة ، حتى وفيت الآن على كتاب يسمى در دفع  
الإصر في قصة مصر للسحاوي صاحب الصود الالامع ، ترجم فيه لاثين من  
أفارسا توليا قضاء مصر بالمدف » . ونقل ربيعة ترجمة هذين العاصيين ، كما ذكر  
من شهر من أسرته بالعلم أو التقوى ، ولأسر التي خرجت من أسرته ، وولت  
أبيار وأسيوط ومنفلوط وبعض بلاد مديرية حرس .

أما البيت الأنصاري في الدمة فقد توارث العلم أحمالا عدة ، وكان آله ممن  
اشتغوا بالتأليف والدرس<sup>(٤)</sup> ، ولعل ذلك كان تسامح صهط فقد كان أكثرها  
يدرس فيه العلم يومئذ<sup>(٥)</sup> — كما ذكر — عند صاحب حلية الزمن<sup>(٦)</sup> بعض  
أحوال رفاة من العلماء ، مثل الشيخ أبي الحسن الأنصاري الذي نظم من لمهج  
واقطر ، وله تجميعات لقصائد البرعي ، وجميع فراج الأنصاري الذي تلقى  
العلم في الأزهر ، وكتب تقريرات على شرح الرمى في فقه الشافعية ، و الشيخ محمد  
الأنصاري ، وكان أمين الفتوى لشيخة الأزهر في عهد الشيخ حسن العطار .

(١) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥١ .

(٢) مناهج الألباب المصرية ص ٢٦٦ .

(٣) ص ٧٦٣ وما بينها .

(٤) و (٥) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥١ .

(٦) ص ٣ وما بعدها .

ذلك ما يذكره المؤرخون من نسبه ، وهو — إن صح — حدير بعثل هذا  
الرجل الذي قدم لملاذه أهل الخدمات وإن لم يصح فقد حشد لنفسه في تاريخ  
ملاذه اسماً من أشرف الأسماء ، يتلأأ حوله النور والضياء .

## نشأته الأولى

ولد رفاعة في طهطا سنة ١٢١٦ هـ <sup>(١)</sup> (١٨٠١ م) في يوم وشهر لم أستطع  
تحديدهما ، وقد أزعج أحد أحواله ، وهو عبد العزيز الأنصاري عام ولادته في شطر  
بيت إذ قال :

على باب له السعد اسم <sup>(٢)</sup> سنة ١٢١٦ .  
٩ ١ ١٦٥ ٣٥ ٥ ١١٠

مما يشعر به شجاع لأسره بهذا الوليد ، وربما كان ذلك ناشئاً من أنه كان وحيد  
والده ، فإن مؤرخيه لا يدكرون له إخوة ، ولا أخوات .

وكانت ولده يوم رفق به ، يتمتع بشيء من الثروة والرخاء ، حتى إذا أحد  
ما كان أيديهم والأشراف من الالتزامات عض الفقر بأنياه رب الأسرة <sup>(٣)</sup> ،  
وصطر إلى الرحيل عن مدينته ، والالتجاء إلى أوطان له ، بقدر لهم بيت أبي قطنة ،  
كأوا يقيمون « تمشة البيدة » القرية من حرجا ، وكأوا من دوى السار والمجد ،  
ولهم شهره بصعيد مصر <sup>(٤)</sup> ؛ وهناك حفظ أكثر القرآن الشريف <sup>(٥)</sup> ؛ ولكن  
ظهر أن انقراض الأسرة قصت إلى مدينته ، ومكث فيها ملياً ، ثم إلى مدينة  
فرسوط <sup>(٦)</sup> ، ولا أدري ماذا كان يعمل والده في تلك المدن ، وربما كان يشتغل

(١) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥١ .

(٢) حقه اسم من ٢٨ .

(٣) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٣ .

(٤) حلية الرمن ص ٣ .

(٥) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٣ .

(٦) حقه الرمن ص ٣ .



بالتجارة كنهطم أهل بلده ، غير أن هذا الثقل يوحى إلينا بأن العيش لم يكن ممتهدا  
أمام هذه الأسرة . ولما توفى والده عاد إلى مسقط رأسه <sup>(١)</sup> ، حيث تولى تربته  
أخواله ، فتم حفظ القرآن الكريم <sup>(٢)</sup> ، وعى بينهم حفظ ( كما كان متصفا في  
ذلك العصر ) كثيرا من المتون المتداولة تمهيدا لدراستها ، وأحد يتلقى مبادئ  
العلوم ، فقرأ عليهم بعض الكتب في الفقه والحج <sup>(٣)</sup> ، وتعلم ذلك للقدوم إلى  
القاهرة لتلقى العلم في الأزهر .

## في الأزهر

( جاء رفاعة إلى القاهرة ، ولم يسبق لها طويلا حتى مضى طلب العلم في الأزهر ،  
وسنة تهاجر السادسة عشرة سنة ١٢٣٢هـ <sup>(١)</sup> ( ١٨١٧ م ) ، ولما كان مقدمه في  
منتصف السنة الأهرية <sup>(٢)</sup> ، لم يسبق في دروسه على مذهب منتظم ، بل حصر دروسا  
متنوعة في كتب متنوعة <sup>(٣)</sup> ولم يكن يستطيع في مبدأ أمره أن يفهم جميع  
ما يقوله المدرس ، أو يقرأ الكتب التي كان يلقى منها ، ولهذا لم يحضر في أول  
مقدمه إلا القليل من العلم <sup>(٤)</sup> . ومع ذلك رأى أن يعيد الناس عما حصل ، ثم إن  
عاد في العطلة الأولى إلى بلده حتى أتى بها بعض الدروس <sup>(٥)</sup> ، فعاد إلى الأزهر  
في السنة الثانية تلقى الدروس في نظام ، وكان ذا عزيمة قوية ، وصبر على الطاعة  
والدرس ، وحب للعلم والتحصيل ، وتبار على دراسة الكتب المعدة أصولا للعلوم  
الأهرية يومئذ ، أحدها عن أعلام شيوخ عصره ، كاشيخ اعصالي المتوفى سنة

(١) المخطوط الجديد ج ١٣ ص ٥٣ .

(٢) عليه ترصص ص ٣ .

(٣) المخطوط الجديد ج ١٣ ص ٥٣ .

(٤) عصر محمد علي ص ٤٧٢ .

(٥) عليه الرمن ص ٤ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

١٢٣٦ قد لارمه مدة ، وفراً عليه صحيح البخارى ، وكالشيخ حسن القوسى المتوفى سنة ١٢٥٦ ، وقد تولى مشيخة الجامع الأزهر رغم كفاف بصره ، فقرأ عليه كتاب جمع الحوامع فى أصول الفقه ، وكتاب مشارق الأنوار فى الحديث ، وكالشيخ الذمهورى شيخ الأزهر أخصاً درس عليه شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ودرس كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندرى على الشيخ البخارى المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ ، ويعسر الجلالين على عبد العلى الدمياطلى المتوفى بمكة المشرفة كما لارم الشيخ ابراهيم الماحورى الذى تولى بها بعد مشيخة الجامع الأزهر وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، وحدث عنه شرح الأشموني وتفسير الجلالين أيضاً ، ودرس معنى اللبب وجمع الحوامع فى الأمور مره أخرى على شيخ المالكية الشيخ محمد حبيش المتوفى سنة ١٢٦٩ هـ ، وحضر شرح ابن عقيل على الشيخ الذمهورى المتوفى سنة ١٢٨٦ (١)

وكان أعظم أسانده ثراً وبه وفى توجيه حياته الشيخ حسن العطار (٢) المتوفى

#### (١) يسير ساقى عنه

(٢) ولد بأفامه ذات اسم صغير به حسن ، ثم تسمى ، فقرأ القرآن فى مدة سيرة وحده فى حصوله على كبر شيخ كالأمر وحسن ، وعلمه مدي هله وعمل «الأسفريات» و«الأسفريات» فى مصر فى عصره فى عصره كجمعية من عصره ، ثم عاد واصل بمصنفه فأخذ عنهم من علوم عصره ، وذهبهم للعلم بحرية ، وكان يقول : لا بد أن تنظر أحوالها وتحدد بها من انظر ما ليس بها . وتعبت مما وصفت به الأمة لفرسه من المعارف ويوم مع كنه كتب ونحوه ، وقرأ للمفسرين ، ثم رحل إلى الشام ، وأقام بدمشق روم ، ورجع ، ورجع فى مصر ورجل إلى بلاد روم ، فأكتبه كل ذلك خبره وساع أمه وبعد طر ، واصل فى جمع مرسل حانه بعد ويسعد ، وإمتاز بالتفوق فى الأدب وقوته ، وعدم فى علوم عصره ، هو رده عن شجرة فى كتب مايج لأليات المصرية ( من ٢٧٥ ) . كان به مشارف فى كبر من هذه علومه حتى فى علوم جبرته ، بعد وحد خطه هو من حسنة على كتب تقويم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة ... وله هوامش أيضاً وحدثها بأكثر سورخ وعلى طبقات الأطباء وغيرها ، وكان يطلع دائماً على الكتب بعرض من تورخ وغيرها ، وكان له ولوع شديد سائر المعارف بشيرة . وروووه شعرا يشع شعر أهل عصره . و«عدي مصر» الطلاء بما لديه من المعارف ، وتولى يدرس فى الأزهر . وكان محمد بن بخله وعصه ، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ وله باب عدة فى الأدب ككتاب إله عطار سى طبع بمصر مراراً . وجمع ديوان ابن سهل لإسرى وبه وطبع سنة ١٢٧٩ وله فى علوم معروفة وحشة على شرح الأزهرية

في دي القعدة سنة ١٢٥٠ وقد اصل به رفاعة منذ دخل الجامع الأزهر ، وأحبه الشيخ لما آتسه فيه من الدكا ، وحب العلم ، فقر به منه ، وأحاصه رعايته ، وكان يشترك معه في الاطلاع على الكتب العربية التي لم تتداولها أيدي علماء الأزهر <sup>(١)</sup> ، وكثيراً ما كان رفاعة تردّد على بيت الشيخ ، ليتفق معه التاريخ والحجراتية والأدب ، وطالما كان التلميذ يسمع أستاذة بعض شعره ونثره ، فيرداد الشيخ حباً لتلميذه ، ومنحى التمهيد في افتقاء أثر أستاذة ، فأحب مد بشأته اليوم المصرية ، ومن إلى الأدب واعترف من مبالغه ، وكتبه تخلص لإبرر ، وهو أول كتب ألقه بعد تحرّجه في الأزهر يدل على سعة اطلاعه في الأدب وأحده منه ينسب وافي ، وسوف نشر فصل الشيخ حسن الخطار على ما يدره رفاعة

فصلى رفاعة في الأزهر رها ، ثم في سوا <sup>(٢)</sup> ، كان فيها مرجع حوالة ، يحل لهم ما يخص عليهم ، وكانت أستاذة شقون بفهمه وحووده فريحتة وسلامة دوقه <sup>(٣)</sup> ، فسطع نجمه في الأزهر ، وعلاقده ، ولم نعه من الاستمرار في دراسته ما كان يحيط به يومئذ من اعتراف واقعة ، بل كانت والدته تسمي عليه سبع بعض ما تنقى لها من الحلي والمقدار <sup>(٤)</sup> ، وكان هو يسمي على الحلي بإعطاء درس كل يوم لحسين بك نحل المرحوم مطور على ، وإلقاء بعض الدروس بالمدرسة التي أنشأها بغيره محمد لاطو عني <sup>(٥)</sup> ، وظهر أنه فصلي العامين الأخيرين من الأعوام الثمانية مدرساً بالجامع الأزهر <sup>(٦)</sup> ، فاه فبهما شدرس كتب شفي في الحديث والمطلق

== وفيه في ثلاثة حاشية على سه حده ، وفيه آف أخرى في لاصول والمضي والمهسة والطب والشرع راجع بجمه في كتب احصه حده ح ٤٨ و راج آدبه الآله للعه عرسه ح ٤٨ و ٢٢٢ وك - جوهر في ر - لارهر من ١٣٨ وعصر محمد عني من ٤٧٢ وفي لادب حده من ٣٠

(١) احصه حده ح ١٣ من ٥٤

(٢) مشاهير شرق من ١٨

(٣) حبه رمن من ٩

(٤) مشاهير شرق من ١٨

(٥) حبه رمن من ٩

(٦) الخطط الجديد ح ١٣ من ٥٣

والبيان والبدع والعروض وغير ذلك<sup>(١)</sup> ، وهما بدت ميزة من ميراثه القوية ، وهي قدرته على التعليم ، وشعور طلبته بحادية تدفعهم إلى الأحدث عنه ، والاستفادة منه ، فنصت دروسه بالحلم الفخر منهم ، لما امتار به من روعة الإلقاء ، وجمال الأسلوب ، وسهولة العبارة ، والدقة في القول ، والقدرة « على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، بحيث يفهم دروسه الكبير والصغير ، بلا مشقة ولا تعب ، ولا كد ولا نصب ؛ ولكنه كان إذا أراد أن يعوض في المعنى الدقيقة ، ويعترض ويحجب ، ويحطى ، وبصوت ، ويجمع العروج لأصولها ، والأشياء لمداركها ، لم يكذب بملء فيه أن يفهم ما يلقه إلا الأسمى الذي الدهن »<sup>(٢)</sup> .

وكان — كما ذكرنا — يتردد على مدينته في الحين بعد الحين ، ويلقى بمصر الدروس بجامع جده أبي القاسم ، ويقال : إنه درس يلهه شرح المنوى بحاشية الأمر على السارصدي في البلاغة ، وقرأ في شهر رمضان في «مصر السنين على عادة عماء هذه البلدة — درساً حافلاً ، وشرح فيه سورة القدر بشرح الأمير عليها ، واجتمع في هذا الدرس عماء المدسة من أحواله وغيرهم ، وأعجبوا به لحسن إلقائه<sup>(٣)</sup> ؛ ولست أدري أين قرأ كتاب المعجم الوخير في أحاديث الرسول المرير ، أي الأرمهر أم في طهطا ؟ وقد كان حاله الشيخ فراح الإصاري بحلس عنده في أوقات تدرسه ، ويشكره وتبني عليه ، ويقول له : لله درك يابن الأخت ، لقد بلغت في العلم درجة الأعلام ، ولت بمساعدة اللغة مرتبة تقف دون وصفها الأعلام<sup>(٤)</sup> .

(١) حلية الزمن ص ٥ .

(٢) و(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع السابق ص ٧ .



## إمام في الجيش

و ظهر أن صيق العرش دفعه إلى التحول عن اتعلم في الأهر<sup>(١)</sup> ، فمبتن سنة ١٢٤٠ هـ ( ١٨٢٤ م ) واعطاً وإسمًا لإحدى فرق الجيش المصري النظامي ، الذي أسسه محمد علي ، ولحسن حظّه كان قائداً الفرقتين اللتين اتصل بهما من أعظم قواد الجيش المصري في عصر محمد علي ، وهم حسن بك المناسرلي ، وأحمد بك المسكلي<sup>(٢)</sup> ، وكان لا تنسبه بالجيش أثر كبر في نفسه ، بقول الأستاذ الزاوي بك متحدثاً عن هذا الأثر : « انتقل ( رفاعة ) من شبه الأهر ، إلى يثة حديدية وهي الجيش النظامي ، ويعتقد أن هذا الانتقال قد أحدث تطوراً في حياته ، وفي سريره ، ودهشتته ، لأنه بدأ يتفصل بالحياة العسكرية ، وذهب نظاماً لا عهد له به من قبل ، وعيشة فتحت ذهنه إلى واقع حديده من الجناد والتفكير ، ولا بد أن تكون الحياة العسكرية التي اتصل بها عن كثب ، قد أودته بما فيها من احترام للأصنام ، وتقدير لارايه ، ولاف لأوصاعه ، وبحسب ما قاله عن سمار و كفاف في سبيل الوطن ، ومواجهة للأخطار ، مما عرس في نفسه روح وطنية و اشجاعة والإقدام » .

« و يلاحظ لما أن هذه المبادئ قد انطبعت إلى حد كبر في نفس المتروحم ؛ فقد عاش طوال عمره ذا ألفة وإياء ، بكره الدل ، ولا يقيم على العقيم ، محباً للبلاده ، يبدل في سبيلها راحتته ، ووقته وعمه ودكاكه ، وعش كدبت محباً للطعام في كل عمل تولاه ، في تلقى الملوام ، وفي التأييد والتعزيب ، وفي حسن تنظيم المعاهد التي تولى إدارتها<sup>(٣)</sup> » .

وطبّل الشيخ رفاعة في منصب الإمامة من سنة ١٢٤٠ هـ إلى شعبان من السنة التالية<sup>(٤)</sup> ، حين فتح له طريق المجد ، وهيئت له أسباب السوء ، ومهدت

(١) حبه برمن ص ٧

(٢) عصر محمد علي ص ٧٤

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المرجع نفسه

أمامه السبل لخدمة بلاده أحل الخدمات ، ذلك أن المغفور له محمد علي باشا ، أراد أن يرسل بعثة كبرى<sup>(١)</sup> إلى فرنسا ، تدرس هناك ما البلاد في حاجة إليه من حقوق ، وسياسة ، وطب ، وحراثة ، وتربيع طبيعي ، وكيمياء ، وفنون حربية ، وبحرية ، وزراعة ، وحيل ( ميكانيكا ) وغير ذلك ، وأراد أن يختار لهم من علماء الأزهر من يدكرهم بالدين ، ويعظمهم ويرشدهم ، ويؤتمهم في الصلاة ، فطلب محمد علي من الشيخ حسن<sup>(٢)</sup> المطار « أن ينتخب من علماء الأزهر إماماً للبعثة يرى فيه الأهلية والأيافة وحنان الشيخ رعاة لتلك الوظيفة<sup>(٣)</sup> » ويقول الأستاذ الرافعي<sup>(٤)</sup> : بن ثلاثة أئمة آخرين كانوا مع رعاة ، وإنهم لم يتجاوزوا حدود وطبقهم ، ولم يدرسوا العلم في فرنسا كما درسه رعاة ، ولكنهم رجعا إلى أئمتهم البعثة<sup>(٥)</sup> فلم يجد منهم غير رعاة إماماً ، أما الثلاثة الآخرون فشيوخ من أئمتهم البعثة ذهبوا للتخصص والدراسة ، ولم يله فدا وكل إليهم أيضاً أمر

(١) كان عدد أعضاء هذه بعثة أربعين رجلاً ، كان شيخ رعاة إمامها ، وأحمد أفندي ابن أخى مصطفى أفندي بحار ، وكل خرج بعثة ، ثم أُلحق بهم غيرهم ، كما عاد معهم أصعب صحبه ، أو أصعب سعادته ( راجع كتاب حداث لغوية للأمر عمر موسى من ١٢ و من ٢٧ ) وقد وكل أمر لاسرف على هذه بعثة الأستاذ جومار Jomard وهو من بواب الفرنسيين ومن كبار مهندسيهم ، وكان من علماء حملة فرنسا في مصر مع بالون واشترك في تأليف كتابها عيسى ( وصف مصر ) ، وله في هذا الكتاب مباحث وسعة وأرب فيه إقامته في مصر فلم يسها ، وكان يرغب في أن يقيم ثقافة بلاده في وادي النيل ، ولما عرف فيه محمد علي ذلك وكل إليه أمر لإشراف على بعثته ، وقد أحسن جومار في ذلك إخلاصاً استحق عليه أن يرسل به محمد علي رسالة شكر يقول له فيها « شكراً لك يا صديق مصر العامل بمحمد وإخلاص معها ، حتى كأنك تراس رسالتى في قدس البلاد التي جعلني الله على رأسها ، إذ لم تنقطع عن إظهار ولائك مائة مائة ، وهى تلك الجهود مضى إلى ساسها في مرقب لتلاميذ الذين أرسلتهم إلى وطنك ... »

راجع كتاب البعثات العلمية من ٧ و ١١ والرسالة البعثة إلى جومار بتمامها من ٨ .

(٢) لم يكن فنونى مشيخة الأزهر يومئذ ، لا كما بهم من كلام الأستاذ الرافعي بك ، ولكنه كان وثق حلة محمد علي كاستاذ راجع حجة في تاريخ الأزهر من ٩٠ وكبير المؤهر من ١٣٨ .

(٣) المخطط التوفيقية ج ١٣ من ٥٤

(٤) عصر محمد علي من ٢٧٦

(٥) راجع سابق من ٤٥٧ .

وعظ الطلبة وإرشادهم إلى حب دراستهم ما أرسلوا من أحواله . ولعل الأستاذ  
الرافعي استنبط ذلك من قول السيد صالح محمدي بك<sup>(١)</sup> : كان صاحب الترجمة  
رئيس من تميّن من أفصل المعاء نوعاً هؤلاء الأنخاب ، وهدايتهم إلى طريق  
الرشاد والصواب . « ورثنا كان هناك وعظ سواه ، ولم تحفظ أسماؤهم ، لأنهم  
لم يقيدوا كرفاعة بين أعضاء البعثة .

لم يكن رفاعة رداً مرسل إلى فرنسا صفتة طائفة ، وإنما كان إماماً للبعثة ، ولم  
يكن مطلوباً منه أن يدرس علوم المرسين وعظمتهم ، بل كان يكفيه أن يقوم  
بالإمامة لأعضاء البعثة وعظمتهم وإرشادهم ، ولكنه ، وقد رأى أمامه باب العلم  
مفتوحاً على مصراعيه ، لم يلبث أن أخذ في الدراسة التي أحدى فيها أعضاء البعثة ، ولم  
يترك الفرصة تفلت من يده ، ولم يلبث أن أخذ كما حدثوا ، فكتبه احتجاده عصواً  
في البعثة ، وآنس فيه الشرف عليها ذكاء ومثيرة فتمهده بالإرشاد ، وسدّد خطاه  
حتى نهل من الثقافة الأجنبية بأوفى نصيب .

## في باريس

عاد رفاعة وصحبه القاهرة عصر يوم الجمعة ، الثامن من شعبان سنة إحدى  
وأربعين ومائتين وألف هجرية<sup>(٢)</sup> ، وانحدروا في النيل إلى الإسكندرية ؟ وظلوا  
بها حياً ، ومنها امتطوا في الخامس من رمضان سنة حرب فرسية قطعت بهم  
البحر الأبيض إلى مرسيليا في ثلاثة وثلاثين يوماً<sup>(٣)</sup> ، فنزلوا الثغر العربي في  
شوال من ذلك العام ( يولية سنة ١٨٢٦ م ) .

وأدرك رفاعة أن محمد علي إنما أرسل البعثة للدراسة ، ونقل علوم الغرب إلى

(١) حلية الزمن ص ٩ .

(٢) تخليص الأبرير ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢ .

مصر ، فأراد أن يحقق هذا العزم ، ولا يضيع وقتاً ، فبدأ تعلم اللغة الفرنسية في مرسيل ، عرف تبهجي في نحو ثلاثين يوماً<sup>(١)</sup> ، ثم لما ذهب هو وأعضاء البعثة إلى باريس ، اتبعوا مبهجاً وصفه ربيعة بقوله<sup>(٢)</sup> «لمز» ثم لما ذهبنا إلى باريس ، مكثنا جميعاً في بيت واحد ، وانتدب في القراءة ، فكانت أشغالنا مرتبة على هذا الغريب ، وهو أن يكتب قراء في صباح كتب أربع ساعات ، ثم بعد الغداء تستلم درس كتابة ومحطات ومحاور باللغة الفرنسية ، ثم بعد ظهر درس رسم ، ثم درس نحو فرساوي . وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة وفي مساء الأمر كما نأخذ في الخط درسين ، متى في معرفة الكتابة الفرنسية ، ثم بعد ذلك كما نأخذ كل يوم درس ، ثم يهي الأمر إلى أن نتمتع الخط ، ونقطع عما سواه الخط ، ونأخذ بحساب وهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها ، حتى سهل الله علينا بالرحوع ومكثنا جميعاً في بيت واحد دون سعة ، قرأ معاً في اللغة الفرنسية ، وفي هذه الفصول متمسكة ، ولكن لم يحصل لنا عظيم منزلة إلا بحزاد عمدة المحو الفرنسية ، ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة ، كل اثنين أو ثلاثة أو وحدهم في مكتب مع أولاد الفرنسية ، وفي بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في طير الأكل والشرب والسكنى والتعليم<sup>(٣)</sup> ويظهر أنه سكن بعد أن خرج من منزل الجماعة في بيت الأستاذ شواله الذي تولى أمر تعليمه<sup>(٤)</sup> .

ولما كان في مدينتي عزمه في دراسة اللغة الفرنسية ، ورغبة في التمتع فيها ، فبعد عموماً في البعثة لدراسة الترجمة ، وفيه بعد العلم لأول لمقدمه إلى باريس ، وكان يدرس<sup>(٥)</sup> فيه يوسف أحوط<sup>(٦)</sup> = شرح ربيعة في الترجمة ، ولم يكبد

(١) المرجع السابق ص ١٤٧

(٢) المرجع نفسه

(٣) راجع بعض لأبرز من ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٦

(٤) راجع مقدمه ص ١٥٥

(٥) وقد تمصر مقدمه من أن مصري وأما سورته . وبرز مصر مع المجلس الفرنسي

في ريدده ، ودرس في مرسيل ، وعن مدرسة اللغة العربية في مدرسة لويس لأكثر الثانوية

وعمن «موت» «ساحو» «رئيس» «مصرية» «لوي» (راجع حركة ترجمة مصر ص ٤٩)



سقى العام حتى ترجم قصيدة لأستاده غويي : « Lyre Barbe » وسماها نظم المقود في كسر المقود . وكان هذه الترجمة تحية غصية من سيد معترف بالحق . لأستاذ عام محض<sup>(١)</sup> . كما شرع في عمل أكثر من ذلك صدوقه وهو أن يترجم إلى العربية كتاب مبادئ الهندسة Elements de geometrie مؤلفه ليچندر Legendre وكان قد آتم منه يومئذ فصلين<sup>(٢)</sup> . تقول ناشر علم المقود : « وقد مسيو ب دودي دوريه P. Dondoy - Dupré Fils « عضو جمعية الأسوية : « وإن مثل هذا المحاج الماهر الذي ظهر له أسيراهه في أقل من عام هو من على دكا ، التليذ وإحلاص العلم معاً<sup>(٣)</sup> » .

ولما امتحن رفاعة بعد عام من مقدمه إلى فرنسا ، وكان أعدب الامتحان ومدره على أمانة غريبة صغر تفسيره منجبه . ومث إليه الأستاذ جومر مكافؤه في كتاب رحله ( الخرسس ) في بلاد اليونان . وهي غلا سمة محذات جيدة التجليذ ، موهبة بالذهب تصحب هذا . مکتوب ناي زحمه : « أول يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٢٧ من الميلاد .

قد صرت مستحقاً لمديته أمانة المرساوية . بسبب ما لي حصنته فيها ، و ( بالمره ) في شهر ، في الامتحان العام الأخير . ومعد حولي أن أهني نفسي برسالي لك هذه الهدية ، من طرف لأفندي بقصر ، دليلاً على اهتمامك في التعلیم . ولا شك أن ولي أمانة سر ، من أحرر أن اجتهدك وتمرة تعلك ، يكافئان المصدر العظيم إلى بصرها عليك . في رمتك وتعليمك ، وعليك مني السلام ، مصححاً بأودته<sup>(٤)</sup> » . سم

وفي ٢٨ فبراير ، وأول مارس سنة ١٨٢٨ جمع أعضاء البعثة في مكان واحد لاختبارهم اختصاراً عام ، في وقت واحد ، وحضر هذا الامتحان جمهور كبير من أعيان البلد كالقضاة ، وأساتذة جامعة باريس ، وأعضاء المجمع العلمي ، ورجال الجيش ،

(١) راجع كلمة سر رسم المقود .

(٢) و (٣) المصدر نفسه .

(٤) مجلس الارمن من ١٦٣ .

وكثير من فاضل الأحاب ، وكان الامتحان تحت رئاسة محافظ ولاية السين<sup>(١)</sup> .  
وامتحان الطلبة جميعاً في موضوع واحد يؤدونه في وقت معين ، وكان  
موضوع الامتحان في اللغة افرسية هو الإشاء والتحليل النطقى ، والإعراب  
النحوى ، أما امتحان الرياضة فكان في مسائل مختلفة من علم الحساب والحر  
والهندسة . وفي النهاية امتحنوا في الرسم . وقد أعطيت لهم ساعة فقط لامتحان  
اللغة ، وساعة ورع لامتحان الرياضة<sup>(٢)</sup> . وأسئلة الرياضة سهله على تلاميذ متقدمين ،  
ولكنها اتحت لهم مراعاة قوتهم ، ولأهمهم إنما دخلوا عرفهم منذ شهر واحد  
تقريباً ، ونقص الزمن الذى أعطى لهم فى الامتحان . وعند نهاية الامتحان قدم  
كل تلميذ حلة أوراق يتبع منها حسن الخط وصحة الإملاء ، فى وقت واحد .  
وبعد ذلك أدوا الامتحان الشفوى الذى دام يومين . وعندما سئل الشيخ رفاعه :  
ما هو الامتحان ؟ أحب : بالامتحان بكرم المرء أو بهان . وفى النهاية وصفت  
الدرجات ، وأعطيت المكافآت لأوائل المالحين<sup>(٣)</sup> ؛ وكان رفاعه ممن طعروا  
مكافأة فى هذا الامتحان أيضاً ، فمات إليه الأستاذ جومار مكافأة : كتاب الأبنس  
المفيد للطلاب المستعبد ، وجامع الشذور من مطوم ومنور ، للمشرق المعروف  
سلفستر دى سامى Silvestre De Sacy ، وأرسل إليه كتاباً يشبه الكتاب  
السابق ، يشى عليه فيه لتقدمه ونجاحه<sup>(٤)</sup> .

وكان رفاعه حريصاً ، بعد أن خلب منه ومن رفقاءه كتابة تقرير عن  
دراسهم — على أن يكتب كل شهر بياناً لجميع ماقرأه وما تعلمه فى ذلك الشهر ،  
وبه فتح عليه اسمون ، ليثبت به إلى ولى السهم ، وما هو ذا الأستاذ جومار يرسل  
إليه رسالة يحثه فيها على أن يدا بطلب على ذلك ، ويحتم تلك الرسالة بقوله : « ولا يحى  
على اجتهدك ، ولا أجهل قدر ثمره تحصيلك ، فأطلب منك أن تدا بطلب على توفية  
الحقوق التى كلفت بها ، واعلم وتيقن محبتى لك<sup>(٥)</sup> » .

(١) العثات العسة من ١٢ و ١٣ .

(٢) المرجع سابق من ١٤ .

(٣) المرجع سابق من ١٥ و ١٦ .

(٤) خبيص الإبرير من ١٦٤ .

(٥) المرجع سابق من ١٥٢ .

ولم يكن الأستاذ حومار يكف عن إعجابه برعاة والتسؤل به يستقل باهر يخدم فيه بلاده ، وينفع أمته ، كتب مرة عنه : « ومن أمتاروا من بين هؤلاء الشبان الشيخ رعاة الذي أرسل ليحضر من الترجمة ، وأعد لهذه الوظيفة في بلاده ، حتى إذا رجع إليها أطلع ترجماته الجمهور المصري على « آيينا العلمية ، وأدنى منه ثمرات آدابنا وعلومنا ، وقد ابتدأ هذا الشيخ يقوم بتحقيق مقاصد حكومته ، فترجم من الفرنسية كتاب مبادئ العلوم المعنوية ، وأرسله إلى مصر ليطلع فيها ، وترجم أيضاً تفويهاً سنة ١٢٤٤ هجرية ، وصممه لمصر وسورية ، وفيه فوائد كبرى لها ، ولا سيما إذا نشر سوما ، ولشيخ رعاة هذا رجل متعلم ، فهو لا بد أن ينجح في ترجمة الكتب التاريخية ، وسائر التأليف الأخرى <sup>(١)</sup> » . وما تحدث عن الفروع التي تخصص فيها الطلبة ، وجاء دور الحديث عن الرحمة قال : « وقد ذكرنا ما للشيخ رعاة فيه من التفوق ، وهو المختص به ، وبما قول بالاحشية من هذا القول : إنه سيكون من الذين يعمون مصر فيما بعد أعظم مسعة <sup>(٢)</sup> » .

ولا غرابة أن يظهر رعاة بهذا التقدير ، فقد أظهر من العبرة على دراسته والحديث فيها ، ما دفع أستاذ الدائم السيد شواليه أن يشهد له بقوله : « وما يسمى التنبيه عليه أن غيره مسيو الشيخ رعاة ندهت به إلى أن أدته إلى أن شمله مدة مدولة في الليل سبب عنه ضعف في عييه السار ، حتى احتاج إلى الحكم الذي نهاه عن مطاردة الليل ، ولكن لم يمتثل لحوف موسى تقدمه ، ولم رأى أن الأحسن في سراع تعليمه أن يشتري الكتب اللازمة له غير ما سمح به ( الميرى ) ، وأن يأخذ معها آخر غير معلم ( الميرى ) أنهن حرراً أعطي من ( مهيته ) المدة به في شراء كتب ، وفي معلم <sup>(٣)</sup> مكث معه أكثر من سنة ، وكان يعطيه الدرس في الحقة التي لا يقرأ معي فيها <sup>(٤)</sup> » .

وقد ترك لنا رعاة بياناً مفصلاً عما قرأه من الكتب في باريس <sup>(٥)</sup> ، فرأيناه

(١) كتاب العامة من ٢١

(٢) المرجع السابق من ٢٥ .

(٣) لعله الأستاذ لومفري رجع نخدس الأثر من ١٥٨

(٤) المرجع السابق من ١٦٦ .

(٥) المرجع السابق من ١٥٨

قد درس قواعد اللغة الفرنسية ، في كتب كثيرة منها كتاب لومند ، « واشتمل  
 بالإعراب الجوى ، والإعراب المطلق ، معنى تصيق الكلام على قواعد النحو  
 وقواعد المنطق ، وبالإيملاء والإشياء والقراءه ، ولا زال على ذلك ثلاث سنين <sup>(١)</sup> .  
 ودرس كثيراً من كتب التاريخ : فقرأ كتاب ستر فلاسفة اليونان ، وكتاباً  
 مختصراً في التاريخ العام ، شتمل على سيرة قدماء المصريين والعراقيين وأهل الشام  
 واليونان . قدماء الحكماء . ملوك الهندود ، وفي آخره سده مختصرة في علم  
 ( الميثولوجيا ) من علم جاهلية اليونان وخرافاتهم ، وقرأ كتاباً يسمى لطائف  
 التاريخ تقدم من وصف وحكايات ونوادر ، وكتاباً يسمى سيرة أخلاق الأمم وعوائدهم  
 وآدابهم ، وكتاباً في مهنة لدولة الرومانية واقراءتها ، وكتاب رحلة أنجرسيس  
 الأصغر إلى بلاد اليونان ، وكتاب سيفغورفي التاريخ العام ، وسيرة نابليون ، وكتاباً  
 في علم التواريخ والأنساب ، وكتاب حركات الدنيا ، ورحلة صنعها بعض المسافرين  
 في الدولة العثمانية ، ورحلته في بلاد الجزائر <sup>(٢)</sup> .

وفي الحساب قرأ كتاب Bazout ، في الهندسة المقلات الأربع الأول من  
 كتاب لو حنجره <sup>(٣)</sup> ، وفي الجغرافيا قرأ وحده ومع أساتذته كتاباً  
 في الجغرافيا الطبيعية والطبيعية والارضية والسياسية ، ومعجماً للبلدان ، وجزءاً  
 كثيراً من جغرافيا ملصرون <sup>(٤)</sup> . وفي عدة كتب في علم المنطق ،  
 وكتاباً صغيراً في المعادن وترجمه ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب منها مجموع نونل  
<sup>(٥)</sup> ، وعده مواضع من ديوان فولتر <sup>(٦)</sup> وديوان راسين <sup>(٧)</sup> Rasine  
 وديوان روسو <sup>(٨)</sup> Rousseau خصوصاً رسائله العارسية <sup>(٩)</sup> Les Lettres  
 Persanes التي تعرف بها الفرق بين آداب الإفرنج والعجم ، وهي أشبه بغيران

(١) المرجع نفسه .

(٢) مجلس الامتحان ١٥٩

(٣) مرجع نفسه

(٤) المرجع نفسه .

(٥) لعله Jean François Michel القنوي الفرنسي ( ١٧٥٥ — ١٨٤١ ) راجع

دموس لأروس . صغير سن ١٥٦٦

بين الآداب الغربية والشرقية ، وقرأ وحده مراسلات وخيرية صنعها سسر فيلد  
 Conte Chesterfield لتربية ولده وتعليمه ، وكثيراً من انتقادات الفرنسية ،  
 وقرأ كثيراً في المحلات العامة يومية وشهرية ، وصحف الأخبار والسياسة اليومية ،  
 قال رفاة : « وكنت متولعاً بها أية مواعيد وسبب استغنى على فهم اللغة  
 امرساوية <sup>(١)</sup> ، وورأت في حقوق طبيعته مع منعه تركي Bu lamar ،  
 وترجمته ، وفهمته فهم جيد ، وهذا من عذر عن التحسين والتقبيح العقليين  
 يتبعه الإفراخ أساساً لأحكام السياسة منه عدم شرعية ، وورأت أيضاً مع  
 مسيو شواليه حرايب من كتب سمي : روح شرئع ( La Force des Loix )  
 مؤلفه شهير بين العرب وية فمنه موسكيو Montesquieu ، وهو أشبه بمران  
 بين المذاهب الشرعية والسياسية ، وسمي في التحسين والتقبيح العقليين ، ونقب  
 عندهم باسم حديدن الإلهي ، كما أن ابن خلدون يقارنه عندهم أيضاً بمسكيو  
 الشرق أي مسكيو الإسلام ، وورأت هذا في هذا المعنى كما سمي عقد  
 الناس والاجتماع الإنساني ( Le Contrat Social ) مؤلفه يقارنه روسو  
 وهو عظيم في معناه ، وورأت في عنده تاريخ الفلسفة الشامل على مذاهبهم  
 وعقائدهم وحكمتهم ومواعيدهم ، وورأت عنه مجلد غيسة في معجم الفلسفة Die  
 L'annuaire Philosophique للجواحة وية وعده غير في كتب فلسفة  
 فديان Candillac ، أي غير فيه مدقق رسحو <sup>(٢)</sup> »

X وورأت في في صغرة ربة صغيرة مع مسيو وية ، من غير مراض لعمليات ،  
 وورأت في في العسكرية من كتب سمي عنيات ص صان عظيم ، مع مسيو شواليه  
 مائة صفحة وترجمتها <sup>(٣)</sup> .

و نحن ترى من ذلك سعة الثقافة التي صغر بها ، في مدى زهد ، حسن مسيب  
 وتنوعها ، هذا إلى جانب ما بدنه من جهد موفق وغيره محمود في الترجمة « التي  
 هي صنعة المختاره » <sup>(٤)</sup> .

(١) تخلص الأمر من ١٦٠

(٢) و (٣) الرجوع السابق هذه .

(٤) من شهادة أستاذه شواليه كتاب حسن الأمر من ١٦٦



وقد ترجم في أثناء إقامته اثني عشر مترجماً ، بعضها مما وراه مع أساتذته ،  
منها كتب كاملة ، وبعضها سدات صغيرة الحجم ، وهي :

- ١ — كتاب أصول المعادن .
- ٢ — كتاب دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدهم .
- ٣ — مقدمة جغرافية طبيعية .
- ٤ — أصول الحقوق الطبيعية التي سنها العرف أصلاً لأحكامهم .
- ٥ — سدة من تاريخ إسكندر الأكبر مأخوذة من تاريخ القدماء .
- ٦ — تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة العه الأستاذ حوسر لصر والشام ، متصفاً  
شدرات علمية وتدريبية .

٧ — قطعة من كتاب ملطون في الجغرافة .

٨ — سدة في علم هيئة الدنيا .

٩ — سدة في اليتولوجيا بمعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم .

١٠ — سدة في علم مياسة الصحة .

١١ — قطعة من علميات ضابطان عظم .

١٢ — ثلاث مقالات من كتاب لجندر في علم الهندسة <sup>(١)</sup> .

وذلك عدا شدرات بعضها في كتب تخطيط الإبر ، كترجمة دستور  
فرنس <sup>(٢)</sup> ، ومقال سياسي عن حرب الدولة العثمانية للروسيا سنة ١٨٢٨ <sup>(٣)</sup> ،  
ومقال عن التاريخ <sup>(٤)</sup> ، وعدة رسائل وقريرات <sup>(٥)</sup> ، وعدا نظم المقود في كسر  
المود أيضاً ، وما كان ترجمه من الصحف من « مسائل عمية وسياسية » <sup>(٦)</sup> .  
ولما كان تخصصه راعة في الترجمة كان امتحانه الأخير فيها ، فجمع له الأستاذ

(١) تجدص الإبر من ١٦٤

(٢) من ٧٤

(٣) من ١٦١ .

(٤) من ٥٠٧

(٥) رجع تجدص لأبر من ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٦ و ١٥٢ و ١٦٤ و ١٥٧ ورعا

كاتب ترجمه ذلك عقب عودته من فرنس

(٦) المصدر السابق من ١٦١

جوز مجلساً حصره عدة من المشهورين من بينهم وزير التعليمات السقولى (١)  
رئيس الامتحان ، وكان القصد بعقد هذا المجلس معرفة قوته فى صناعة الترجمة التى  
اشتغل بها مدة مكثه فى فرنسا ، ولما التأم المجلس فرى فيه دهران ، الدفر الأول  
بشتمل على اثنى عشرة ترجمة من اللغة العرسية إلى العربية ترجمها رفاعه منذ سنة ،  
وعد ذكرها ، والدفر الثانى بشتمل على رحلته وذكر سفره ، ثم أحصر له عدة  
تأليف مطبوعة فى بولاق ، فترجم منها — كما فى رفاعه فى وصفه لهذا الامتحان  
الأخير — مواضع سرعة إلى اللغة العرساوية ، « ثم فرأ بالعرساوى مواضع ،  
منها ما هو صغير ، ومنها ما هو كبير فى كاربطة Gazette ( صحيفة ) مصر المطبوعة  
فى بولاق ( بريد الوقائع المصرية ) ، ثم بحث معه فى ترجمة العمليات العسكرية  
الترجمة له ، فكان بعض الحاصرين بيده الأصل العرساوى ، واشبع بيده الترجمة ،  
ثم إنه يترجم العربية « سرعة إلى العرساوية فإذ لا كتابة ، يتنازل عما به الترجمة  
مع عبارة الأصل ، وقد تخلص على وجه حسن من هذا الامتحان ، فادى المبارات  
حقها من غير تعبير فى معنى لأصل المترجم ، ولكن ربما أحوحه اصطلاح اللغة  
العربية أن يصح مجزأً بديل محذوً آخر ، من غير حيل فى معنى إيراد ، مثلاً فى تشبيه  
أصل علم العسكرية بمعدن مشتع يستخرج منه كبد ، غير العسرة قوله : العسكرية  
بمح عظيم يستخرج منه الدرر ، وقد اعترض عنه فى الامتحان ، بأنه فى بعض  
الأحيان قد لا يكون فى ترجمه مطابقة «امة بين المترجم والمترجم عنه ، وأنه ربما  
كرر ، وربما ترجم الحمله بحمل ، والكلمة بحمله ، ولكن من غير أن يقع فى  
الخط ، بل هو دائماً يحفظ على روح المعنى لأصلى ، وقد عرف الشيخ الآن أنه  
إذا أراد أن يترجم كتب علومه ، فلا بد له أن ترك التنطيع ، وعلمه أن يترجم  
عند الحاجة تعبيراً مناسباً بمقصود ، وقد امتحن فى كتاب آخر ، وهو مقدمة  
القاموس العام المتعلقة بالجغرافيا الطبيعية ، وهذا الكتاب ترجم هو إلى العربية ،  
ولما كان وقت ترجمة هذا الكتاب ، لم يصل إلى درجته الآن فى اللغة العرساوية ،  
كانت ترجمته دون ترجمة الكتاب الذى بحث معه فيه فسه ، وكان عيه أنه لم يحافظ

(١) لعله يريد الوزير العرس الروسى .

على تاديه غيره الأصل لجميع أطرافها . وحتى كل حال فلم يصر في المعنى شيئاً ، بل طرخته في الترجمة كـ كتاب مؤسسة . ففرق أهل الهندس حرمين تقدم التلميد المذكور ، ومحمض على أنه يمكنه ان يقع في دولته بأن يترجم الكتب المهمة المحتاج إليها في شرايعهم والرغوب في تكثيرها في البلاد المتقدمة <sup>(١)</sup> .

هذا يحسن أن توجه النظر إلى ما فعله السيد صاحب الخمدى بك <sup>(٢)</sup> ، من أنه لم يحتفل وهو مدرس بمكة لمدرسة محسن انشيط بها ، إما لشروعه في تحصيلها وهو كبير ، وبما لا يسهل عليه عن هديب بطقه بها ، بالاهتمام على الترجمة منها إلى العربية . ويمكن أن أرادة قد تحدث عن هذا العيب ، وهو يصف لنا امتحانه ، مع صراحته في عدم ما وجد من متحسين عليه ، فعمل ذلك كان في مبدأ تعلمه ، أما بعد مكثه مدرساً في تلك المدرسة ، ودرسته حتى رأى أن يتقدمه بمرعين فقد اعجى ذلك امره ، ولم آت عليه في مقابلة لمدرسية إلا نادراً لا يكاد يذكر ، مثل إظهاره للتأخر في كلمة Institut ويقول أسططوط <sup>(٣)</sup> مع أنها لا ينطق بها .

وتمضي رفاعة في دراسة لغة الهندسية وادرسها ، ومكثه ذلك من عهد الموارث بيه ، وبين لغة مدرسة حيد ، وبين أديهم ، وبلاعتهم وفواعدهم حيث آخر ، ودرس هذه اللغة في مدرسة . فمرفق <sup>(٤)</sup> المدرسة الهندسية وهي من الإله بحية المستحدثة ، وهو لسان عربي في هذه المدرسة ، ثم كمل من اللغة اللطيفية ، وأصعب إليه شيء من لغة نيوية الهندية ، ودرس من لغة الصقالية وغيرها ، ثم حين رجع الهندسوية في العلوم تصادى كتاب علوم من لغات أهلها <sup>(٥)</sup> .

وأما رفاعة وهو في باريس كتب له تعيين الإبر ، وأتمه بعد عودته إلى مصر . ولسب أدرى إن كان مطبوعته في الهندسة قد وضعه في درس أو قل دهانه إليها .

(١) حصص لأبر من ١٦٥

(٢) حلة أدم من ١٠

(٣) حصص لأبر من ١٥٠

(٤) مرجع سابق من ٥٩

وظفر رقاعة — فصلا عن إيجاب أسادته ومرسديه . إيجاب من انصل  
بهم من علماء فرنسا ، ومهم المستشرق المعروف سلفستردى ساسي<sup>(١)</sup> ، ادى رأى  
أن مسيو رقاعة « أحسن حروف رسة مده يافته في فرنسا ، وأنه اكتسب فيها  
معارف عظيمة ، وتمكن من كل التمكن . حتى ناهل لأن يكون نافعاً في  
بلادهم ... وله عدى مرارة عظيمة ، وبحجة حسيمة<sup>(٢)</sup> » . ومهم المستشرق  
كوسين دى برسوال<sup>(٣)</sup> Cossin de Perceval الذى تبنى كتاب رحلته  
ثم ج . ح . فى بعض الرسائل التى أرسلها إليه أحب دؤد عرسون ، بل تبنى  
حبه له وبخا به<sup>(٤)</sup> .

وطهر أن لأخلاق السد رقاعة أثرأ فى هذا الإيجاب ، فصلا عن مواهه  
وعلمه ، وقد شهد له بكرم حتى أسفده أسد شوليه . ، فى عشره ثلاث  
سنوات وصفاً ، فقال عنه . « لم رسة لا سب رسة . سواء فى رسة ،  
أو فى سلوكه الملاءم من الحكمة ولاحرالس . وحسن حبه وابن عرسكنه<sup>(٥)</sup> »  
كما روى أنه كان متمسكا بدينه هات . ول سيد صاب محدى ث : « وولى من  
أثن به ممن كانوا معه سارس : به كان دوى الفرائض والسار ، ولم تأكل  
مما يدكر اسم الله عليه ، وواط على ملاوه قبال<sup>(٦)</sup> »

(١) مستشرق فرنسى ودى . من ١٧٥٨٨ . وتوفى سنة ١٨٢٨ وكان ح . من اللغات  
أوربية لأمة وإسبانية وإيطالية وإسبانية أصيلة فى أدب اللغى وصور ،  
وقد أحب لغته فدرسها حتى أصف ، وحصل كمال فى لغته ، وكان أسد لغته العربية  
فى مدرسة لغات شرقية ، وحصل وشروجره كبر من كتب لأدب العرب . (راجع ترجمه  
وأثره ويحدج له فى كتاب : المستشرقون ، ص ٣٧ وحسن لار . من ٦٢ إلى ٦٥ )

(٢) من رساله أرسلها به فى . من سنة ١٨٢١ . من ١٥٢ حدى لار

(٣) مستشرق ود سنة ١٧٥٩ وتوفى سنة ١٨٢٥ . من رسة عربية وكتب .  
مجموعات من كتب ملكه . ثم ورجه كثير من كتب العربية (راجع أعماله  
كتاب : المستشرقون ص ٣٦ )

(٤) حدى الاررس من ١٥٧ و ١٥٨

(٥) من رساله لأساد من ١٦٦ حدى لار

(٦) حله ارس من ١٠



أعجب السيد رفاعة أول ما أعجب سطوة الفرح<sup>(١)</sup>، وحسن عاداتهم في تناول الطعام على الموائد، واليوم على الأسر<sup>(٢)</sup> ورش العرق والميادين بالماء في الحر وطقها<sup>(٣)</sup>، ورأي الدارسين يتصفعون «بداء العقل، ودقة الفهم، وعوض دهمهم في الموصف، ويسوا... يملكون باطنية إلى الجول والعدة، وليسوا أسراء التنديد أصلاً، بل يحسون دائماً معرفة نسل النشء والاستدلال عليه، حتى إن عامتهم أيضاً يعرفون القراء والكتبة، يدخلون مع غيرهم في الأمور العميقة، كل إنسان على قدر حاله، فليست المواقم بهذه البلاد من قبيل الأنعام كمواقم أكثر البلاد المتردد، وسائر العلوم والفنون والصنائع مدونة في الكتب، حتى الصنائع الدقيقة، فيحتاج الحاشي للصراحة إلى معرفة القراءة والكتابة لإتقان صنفته وكل صاحب فن من الممنون يحب أن يتدعى فيه شيئاً لم يسبق به، أو يكمل ما ابتدعه غيره، ومما يعجب على ذلك، زيادة عن المكسب، حب الرياء والسمعة ودواء الذكر<sup>(٤)</sup>، وأعجب فيهم ثباتهم على مبادئهم، فأراؤهم في السياسات لا تتغير، كل واحد يدوم على مذهبه ويؤيده مدة عمره، ومع أنهم يحسون أوطانهم يميلون إلى الأسفار، فقد يكتفون حيناً من الزمن طويلاً، طوافين بين الشرق والغرب، وقد يلقون أنفسهم في المهالك لمنحة يعود إلى وطنهم<sup>(٥)</sup>، «ومن أوصافهم توفيتهم علناً بالحقائق الواجبة عليهم، وعدم إهمالهم أشغالهم أبداً، فإنهم لا يكونون من الأشغال سواء أمتي والفقير<sup>(٦)</sup>»، «ومن المراكز في أذهانهم محبة المكسب والشفقة به، وصرف المهمة إليه بالكلية،

- (١) تخلف الأثر ص ٢٧.
- (٢) المرجع السابق ص ٣٣ و ٣٤.
- (٣) المرجع السابق ص ٥٠.
- (٤) مرجع السابق ص ٥٢.
- (٥) مرجع السابق ص ٥٣.
- (٦) مرجع السابق ص ٥٤.

ومدح المهمة والحركة ، ودم الكسل والتواني ... وسواء في عمدة الأشغال العظيم  
والحقير<sup>(١)</sup> ، وهم « يحرصون على الأموال ويسلكون سبيل الحرص راعين أنه  
يزيد في الأرزاق<sup>(٢)</sup> » ، « ومن جملة أسباب عبي الفرساوية أنهم يعرفون التوفير ،  
وتدبير المصاريف ، حتى أنهم دونه ، وحملوه عمداً متعمداً من تدبير الأمور الملكية ،  
ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل المني<sup>(٣)</sup> » وهم لا يميلون إلى الإحسان العردي ،  
ولكنهم يشتون له الملاحى ، وحميات الإحسان<sup>(٤)</sup> ، ولذلك « ربما تراهم يهرون  
السائل ويردونه خائفاً ، راعين أنه لا يسعى السؤال أداً ، لأنه إذا كان السائل  
قدراً على الشغل فلا حاجة إلى السؤال ، وإن كان عجزاً فمديه نادراً ستأب  
وبحوا<sup>(٥)</sup> » .

ومن أهم ما مجده في فرسا نظمها السياسة ، القدمة على مبادئ الدستور ،  
ولشفه هذه المادى . ترجم في كتاب رحلته ، دستور فرسا ، وعلى عليه ، وسوف  
يعقد فصلاً خاصاً لأرائه السياسية .

وأعجبه كذلك توحيه للعدل في حكومتهم ، وتمسكهم بالقوانين ، ونفرتهم  
من الظلم والتشوي<sup>(٦)</sup> .

وأحسن ما يبنى أن يمدح به أهل فرسا هو عنايتهم الكرى بالعلم ،  
ولوعهم بالمعارف ، حتى تمت العلوم وتنوعت فروعها نوعاً يتحسر السيد رعاة  
على أن لا وجود له في مصر ، وقد أطل الحديث في كتابه عن أنواع العلوم  
ووسائل تيسيرها للراغبين ، وعن المكاتب المنتشرة ، والمطابع التي لا تهدأ ،  
وكثرة اهتمام الفرسيين بقراءة الكتب ، وشفهم وأسهم بها ، ومن وسائل  
تيسير العلم في باريس « أوض القراءة » ، أو حلوات القراءة ، فيذهب الإنسان فيها

(١) نخلص الأبرير من ١٢٣

(٢) المرجع السابق من ١٢٦

(٣) المرجع السابق من ١٢٧ .

(٤) المرجع السابق من ١٢٠ وما يليها .

(٥) المرجع السابق ١٢٢ .

(٦) المرجع السابق من ١٨٢

و يدفع مدراً معلوماً ، وقرأ سائر ( الخرافات ) و غيرها من الكتب ، و استأجر  
 منها ما يحتاجه من الكتب ، و أحده عدة ، و رجع ، و مما سهر العقول في باريس  
 دكاكين الكتبية ، و خاناتهم . و خرافات الكتب ، و فيها من المنحارات الرائجة ،  
 و كثرة المطابع و كثرة التأليف التي تصعب كل سنة ، و فيها من حصرها . . .  
 و لا تغرسة عديدة في باريس ، و لا يخرج من المطبعة كتب معدومة المطبع (١) .  
 و قد تعمل السيد رفاعة في درسه الحية العقيمة الفرنسية ، عن كتب ؛ و يعرف  
 المدارس الفرنسية ، و مجمع العلماء ، و وصف أعمال هذه الجامعة و أثرها في الحية  
 العسكرية (٢) و أصلها في الحديث عن حرس الكتب و ما يحويه (٣) .

و انجبت كذلك طاهر الحسار لمدونة من ، و وارج ، و حوسب للمعدرة (٤)

أما رايه في المرد الفرنسية في عصره ، فيرى في السطور ما يحل الفساد  
 طبيعته ، و إنما شأنا صلاح و هو د من الحرية لسلطة أو طائلة ، و قد حرك  
 في بلاد فرنسا ، أن الأمة سمولى حتى قوت بساء . و انصبوب إلى الرتبة الوسطى  
 من الناس ، دون ساء الأعيان و الرتب . و ساء هذين المرتبتين يقع عندهم التشبه  
 كثيراً ، و منهمون في العام (٥) . و يعمل رايه في ذلك فيقول : « في فرنسا  
 الفرنسية دواء العروس ، و منهمون من هي بعد ذلك ، و هو الأعد ، لاسبيلاء  
 من العشق في فرنسا على قوت عاب الحسد كوراً و دثا ، و عشقه معتل ،  
 لأنهم لا يصدقون بأنه يكون لغير ذلك ، بل أنه و . تقع من الشاب والشابة ،  
 فيمقته ارواج (٦) .

و السيد رفاعة يرى وجود المرأة الفرنسية في المجتمع . مكسبه حملاً ، و تنموه نساً  
 و بهجة ، قال بعد أن تحدث عن في مد رلهم من و ن تحمیل و ترخوف . « ثم

(١) مرجع سابق ص ١٤٥ و رجع يدس ١ و ١٠٢ و ٨٦ و ٨٨

(٢) مرجع سابق ص ١٣٨ و ١٣٩

(٣) مرجع سابق ص ١٣٤

(٤) مرجع سابق ص ٨٥ و ٣٤ و ٣٥

(٥) المرجع السابق ص ٢١٣

(٦) مرجع سابق ص ٨٩

إن جميع هذه التحف يكمل الأسس بها محصور سيده الميت ، أى أن روحه صاحبه  
التي تحيى الصيوف أصالة ، وروحها يحييهم بالتسوية <sup>(١)</sup> .

ولكن إعجابه بعمرسالم لم يحل بينه وبين أن يبدى ألمه لما رآه في باريس من  
العواشش والبدع والاحتلالات <sup>(٢)</sup> « وقال أيضاً : « ومن عقائدهم القبيحة قولهم :  
إن عقول حكمائهم وطوائفيهم أعظم من عقول الأنبياء ، وأدركي منها ، ولهم كثير  
من العقائد الشنيعة ، كإبكار بعضهم القساء ، واتقذر ، مع أن من الحكم : العقل  
من يصدق بالقضاء ، ويأخذ بالحرم في سائر الأشياء ، وإن كان لا يدنى للسان  
أن يحيل الأشياء على المقادير ، أو يحتج بها قبل الوقوع ، فإن من الأمثال التي  
سارت بها الركبان : من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير <sup>(٣)</sup> . والواقع  
أنه لا فرق في النتيجة بين ما يعرضه رفاة ، من أنه لا سنى أن تحيل على المقادير  
أو تحتج بها ، وبين عقيدة العرسيين ، وربما كان هذا هو الذي أشار إليه ( كارا  
دى فو ) ، بقوله : « رعم تقوى هذا الكاتب الأسمى وعقيدته ، قد فهم الفلسفة  
العرسية للقرن الثامن عشر ، واطلع تأثرها المؤمنة بامتثل ، بطاء ، ربما كان  
أكثر مما ينبغي <sup>(٤)</sup> » .

أما رأى رفاة في موقف الباريسيين من الدين فقد أحبه في قوله : « أكثر  
أهل هذه المدرسة إيماناً من دين النصرانية الاسم فقط ، حيث لا يتحمل دمه ،  
ولا غيره له عليه ، بل هو من الفرق المحسنة والمفتحة بالعقل ، أو فرفة من  
الإباحيين الذين يقولون : إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، وإذا دكر له  
دين الإسلام في مقابلة غيره من الأديان ، أثنى على سائرهما ، من حيث إنها كلتاهما تأمر  
بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وإذا دكر له في مقابلة العلوم الطبيعية قال : « إنه  
لا يصدق شئ مما في كتب أهل السكتات ، لحروجه عن الأمور الطبيعية <sup>(٥)</sup> » ،

(١) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٧ .

(٤) Les Penseurs de L'Islam. V. P. 243

(٥) تحاييس الأبريز ص ١٩



« وهم لا يصدقون بما لا يوافق العادة »<sup>(١)</sup> ، وقال في موضع آخر : « إن المرساوية على الإطلاق ليس لهم من دين الصراية غير الاسم ... فلا يفتنون بما حرّمه دينهم أو واحده أو نحو ذلك ، في أيام الصيام في باريس ، لا تقطع أكل اللحم في سائر البيوت إلا ما ندر ، كمنص القسوس ، وبيت ملك الفرنسيين القديم ، وأما باقي أهل المدينة فإنهم يستهزئون بذلك ، ولا يعمّونه أبدأ ، ويقولون : إن سائر تعسّفات الأدبّان التي لا تعرف حكمتها ، من البدع والأوهام ، ولا تمطّم القسوس في هذه البلاد إلا في الكنائس ، عند من يذهب إليهم ، ولا يسأل عنهم أبدأ »<sup>(٢)</sup> . وقد وافقه المستشرق ( دى ساسي ) في بعض هذه الآراء التي عرضها في رحلته ، ويوفى نتحدث عن ذلك في الفصل الذي سنعقده لكتب تحليل الإبرير .

ومما ذكره ، يبدو أن رفاة لم يذهب إلى باريس ، ليمش في صومعة يدرس فيها العلم ، ولكنه انشغل هذه العرمة ، وأمن النظر في كل ما مرّ أمام عييه ، وعمل في الحياة الفرنسية من جميع نواحيها : سياسية ، وعلمية ، واجتماعية .

## عودته

وعاد رفاة باريس في رمضان سنة ١٢٤٦ هـ<sup>(٣)</sup> ( أواخر سنة ١٨٣١ م<sup>(٤)</sup> ) وعند وصوله إلى الإسكندرية خطى عقدة المغفور له : إبراهيم باشا ، وسأله عن بيت آبائه بطهطا ، وكان لإبراهيم باشا معرفة بهم ، فأسع الأمير عطمه على القادم الجديد ؛ ولما وصل رفاة إلى القاهرة ، سعد بمقابلة محدّد مصر محمد علي باشا ، ورأى من تشجيعه له وعطمه عليه ، ما قوى فيه الأمل في مستقبل مزدهر ، وعيش سعيد<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق ص ٢٤

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٤) لغت طبعه ص ٤٦ .

(٥) الخصر الجديد ج ١٣ ص ٥٤ .

وتحدث رفاة في رسالة له إلى جومار ، عن حسن استقبال العلماء له بعد عودته ، وعن قراءة شيخ الإسلام لرسائله في وصف رحلته ، وعن عزم الشيخ على رجا ، انوال أن يطبع الرسالة ، ويحب إلى المسلمين التمرن في طلب العلم ، من أجل منفعة بني وطنهم<sup>(١)</sup> .

وصحتم أن يخدم بلاده ، لترجمة كتب الجغرافيا والتاريخ<sup>(٢)</sup> ، ولعله كان يرى أن النهضة العلمية في مصر ، يجب أن يكون من أسسها ترجمة العلوم ، ونقل المعارف من لغات الأمم الناهضة ، كما سعى العباسيون بذلك ، عندما سوا مهنتهم العلمية ، في عصر الرشيد والمأمون ، وكانت مصر يومئذ في أشد الحاجة حقاً إلى الترجمة ، لنقل العلوم الأوربية إلى لغة البلاد .

### ✓ في مدرسة الطب<sup>(\*)</sup>

عاد رفاة إلى وطنه ، يحمل في يده ما ترجمه وهو في باريس ، وفي الأخرى ماصره به من شهادات تطلق عما وصل إليه من العلوم والمعرفة ، ومنها شهادة من أستاذه شواليه ، كلها إحلال وإكمار<sup>(٣)</sup> ؛ فأراد محمد علي الانتفاع به في مدرسة الطب ، التي افتتحت في آخر شهر من سنة ١٢٤٢ هـ قرية أبي رجيل ، برئاسة كلوت بك الشهير<sup>(٤)</sup> .

ذلك أنه كان من المتعذر يومئذ العثور على تلاميذ يعرفون اللغة الأخصية ، فلم يكن ثمت بد من أن تدرس لهم علوم الطب باللغة العربية التي لا يعرفون غيرها ، ولما كان الأساتذة لا يعرفون اللغة العربية ، كان لابد من وسيلة لنقل دروس هؤلاء الأساتذة إلى اللغة العربية<sup>(٥)</sup> فتمت لذلك مترجمون يتقنون معارف الأساتذة

(١) محمد شفيق عربال من ف .

(٢) تخلص الإبرير من ٢٠٨ .

(\*) حياتها ونسبها كتاب تعليم في عصر محمد علي من ٢٥١ .

(٣) تجد ترجمة هذه لشهادة كتاب تخلص الإبرير من ١٦٦ .

(٤) حجة البر من ١٠ .

(٥) التعليم في عصر محمد علي من ٢٥٥ .

إلى الطلبة ، وكان رئيس الترجمين بالمدرسة سورياً ، يدعى يوحنا عنجوري<sup>(١)</sup> ، فلما عين رفاعه بالمدرسة اختبره ، فوجده كفئاً<sup>(٢)</sup> .

وبلى حسب عمل رفاعه في الترجمة ، عهد إليه بتدريس الترجمة لعشرين تلميذاً في المدرسة العرسية الملحقة بمدرسة الطب ، ليتلقى فيها تلاميذ الطب اللغة العرسية . إلى حسب ما يدرسون من علوم ، حتى يتمكنوا بعد تخرجهم ، من متابعة دراستهم ، قراءة المؤلفات التي تصدر في أوربا<sup>(٣)</sup> .

ووبكل إليه أيضاً إدارة المدرسة التحضيرية للطب ، والقيام على شئونها ، وكانت تعرف باسم مدرسة المارستان ، ومدة الدراسة بها ثلاث سنين ، يتعلم التلاميذ فيها مبادئ الحساب ، والهندسة ، ووصف الكون ، والتاريخ الطبيعي ، والتاريخ القديم والحديث ، والمطوبى ، ولما احتج في هذه المدرسة الانتحاق بمدرسة الطب<sup>(٤)</sup> .

ويظهر أن عمله بمدرسة الطب لم يكن الترجمة حسب ، بل كان يقوم بتدريس بعض المواد ، كما يفهم ذلك من حديث محمد علي المقل باشا<sup>(٥)</sup> .

وبقال : به رجم رسالة طبية ، وهو يعمل بمدرسة الطب ، ومما لا ريب فيه أن عمله بهذه المدرسة مترجماً . هو الذي هيا له القدرة على ترجمة مثل هذه الرسالة ، وعلى الإشراف على تلاميذه ، وهم يترجمون بعض كتب الطب كما سري ، كما أن إلمه السابق بترجمة سده في الصحة وهو بباريس ، سهّل له عمله في مدرسة الطب .

### في مدرسة المدفعية(\*)

وفي سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م ) انتقل من العمل بمدرسة الطب ، إلى مدرسة

(١) آثاره وشيء عنه بكتاب حركة الترجمة بحصر من ٥٨ .

(٢) حلية الزمن من ١٢ .

(٣) التلم في عصر محمد علي من ٢٥٥ .

(٤) المرجع السابق من ٢٨٨ .

(٥) حلية الزمن من ١١ .

(\*) راجع في حياتها ونظامها كتاب التعليم في عصر محمد علي من ٤٠٧ .

المدفعية (الطوبخية) بطرته ، وعهد إليه ترجمة العلوم الهندسية والعلوم الحربية<sup>(١)</sup> ، بدلا من المستشرق الشاب ( كنج ) Kenig<sup>(٢)</sup> ، ورغمما كان من مرتاحات تعيينه في هذا المنصب ، ما دام به من ترجمة بعض فصول من كتاب الحندر ، وكتاب عمليات صباط<sup>(٣)</sup> ] وكان تلك المدرسة مطبعة تقوم ما يعر به رفاة ، وقد ترجم وهو تلك المدرسة رسالة في الهندسة ، كانت مما يدرس في المدرسة الحربية بسان سير بفرنسا .

مكث رفاة تلك المدرسة مدة عامين ، من سنة ١٢٤٩ إلى سنة ١٢٥١ هـ<sup>(٤)</sup> ( ١٨٣٣ - ١٨٣٥ م )<sup>(٥)</sup> ، وفي أثناء ذلك وقع وباء بالقاهرة سنة ١٢٥٠ ، فسافر رفاة إلى طهطا ، وسها ترجم في ستن يوما محمداً من حفرافية ملطرون ، وعود به إلى القاهرة ، وقدمه إلى محمد علي باشا ، فسر به ، وأعجب عقدرته ، وكافاه مكافأة مالية ومعنوية<sup>(٦)</sup> .

ويظهر أن رفاة لم يكن راصياً عن مقامه تلك المدرسة ، التي كان يرأسها أستاذ إسباني يدعى سـ كورا De Seguera ، والظاهر أن ما أنصف به هذا المدير من حدة الطمع وحشونة الخلق<sup>(٧)</sup> ، كان له أثره في مغور روعة منه ، وربما كان كره المدير للفرسيين<sup>(٨)</sup> ، قد دفعه كذلك إلى كراهة الثقافة الفرنسية ، والمثقفين بها .

وقد أعق روعة من العمل تلك المدرسة<sup>(٩)</sup> ، وبيط به بصره مكتبة المدرسة التحضيرية بالقصر العيني ، وكانت مكتبة ضخمة ، تحتوي على خمسة عشر ألف

(١) عصر محمد علي ص ٢٨٥

(٢) تعليم في عصر محمد علي ص ٩٠ و ترجمه وأعماله كذب حركة ص ٤٧ .

(٣) راجع ص ٢٦ .

(٤) حلة الزمن ص ١٥

(٥) عهد الصادق حسين .

(٦) حلة الزمن ص ١٣ .

(٧) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٤١٥ .

(٨) المرجع منه .

(٩) المرجع منه .



مجلد ، معظمها بالعربية والإيطالية<sup>(١)</sup> ، ورياسة فرقة تلامذة الجغرافية بهنده المدرسة<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن القصر العيني قد خصص بعد لمدرسة الطب<sup>(٣)</sup> . ولكن مدته هناك لم تطل ، بل نقل إلى عمل حله اسمه ، وهو عمله في مدرسة الألسن .

## في مدرسة الألسن

كان عصر محمد علي عصر ترجمة أكثر منه عصر تأليف ، فقد كان محتاجاً إلى أن يعرف علوم العرب وآدابه ونظمه وطرائقه في معالجة شئون الحرب والزراعة والصناعة ووسائل العمران<sup>(٤)</sup> ، ولذا كان محمد علي يرى أن أول واجب على أعضاء المئمة ترجمة كتب العلوم التي درسوها في أوروبا ، فكان أول عمل يسند إليهم ، إمدادهم بالكتب ، والتسيه عليهم بسرعة ترجمتها<sup>(٥)</sup> ، وكانت الحكومة تعلق على أعمال الترجمة أهمية كبرى ، لكي تظهر بأكثر عدد من الكتب الترجمة في أقل زمن ، حتى أصبحت الترجمة تشغل الموظفين عن أعمالهم . ثم ظهر أن بعض المترجمين لم يكن لهم من حدود اللغات الأجنبية والعربية ، والقدرة على التحرير والكتابة ، ما يمكنهم من ترجمة ما عهد به إليهم ترجمة صحيحة<sup>(٦)</sup> . فدعا ذلك إلى التفكير في حل يخفض عن أعضاء المئمة هذا العبء ، ويضمن وجود طبقة من العلماء والأدباء في الآداب العربية وفي آداب اللغات الأجنبية ، ليصطلحوا بمهمة تعريب الكتب الفرنسية ، وليكونوا صلة بين الثقافة العربية والعربية ، وينهضوا بالأداة الحكومية فيما يمهدهم به إليهم من المناصب<sup>(٧)</sup> ، فعرض رغبة على

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٢) حليه برمن ص ١٥ .

(٣) محمد صادق حبيب .

(٤) تاريخ تعليم في عصر محمد علي ص ٢٢٩ .

(٥) حركة ترجمة ص ٢٦ .

(٦) حركة ترجمة ص ٢٧ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٨ وعصر محمد علي ص ٤٨٦ .

محمد علي أن يؤسس مدرسة ألسن ، يمكن أن يؤدي للوطن هذه الخدمات ، ويستغنى بها عن الدّخيل<sup>(١)</sup> ، فأوصى الأمير إليه . وعهد إليه باختيار تلاميذها « مناصفة من القسمين البحري والقبلي ممن قرأ وبكتب ، شرط أن يكون التلميذ صحيح النية ، وسه ما بين أربع عشرة سنة إلى ثمان عشرة ... وقد تقرر إرسال رفاة ومعه حكيم ، لاستقاء التلامذة المطلوبين<sup>(٢)</sup> » . واختار لها رفاة التلاميذ من مدارس الأرباب والأقاليم ومن طلبة الأهر ، فبلغ عددهم في بداية عهدهما حسين تليداً<sup>(٣)</sup> ، وحمل مقرّها ( ناسراي ) المعروفة بيت ( الدفتر دار ) بحجّ الأرسكية حيث فندق ( شرد ) الآن ، وكانت بحوار قصر محمد بك الألبى الذي سكنه من بعده بونابرت ثم محمد علي<sup>(٤)</sup> .

ولم تحتفظ المدرسة بعدد تلاميذها الأول ، بل زادوا إلى مائة وحسين ، وفي سنة ١٨٤١ قرّرت لجنة تنظيم المدارس أن يكون عدد تلاميذها ستين تليداً ، وظلت محتفظة بنحو هذا العدد حتى نهاية عصر محمد علي<sup>(٥)</sup> .

كاتب المدرسة عندما أنشئت في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥١<sup>(٦)</sup> ( ١٨٣٥ م ) تسمى مدرسة الترجمين ، ثم عبر اسمها فصار مدرسة الألسن<sup>(٧)</sup> ؛ ولما وصفت فوابين التعليم سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧ م أصبح العرص منها تخرج مترجمين ، وإمداد المدارس الخصوصية الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية ، حتى إذا تخرجوا في هذه المدارس ، كانوا على معرفة بالعلم الذي يترجمون فيه ، واللغة التي يترجمون منها . فهي مدرسة تتراوح بين أن تكون مدرسة تجهيزية ومدرسة خصوصية ، ولمكنها لم تكن إلا لتخريج المترجمين والمدرسين<sup>(٨)</sup> ، فلما كانت سنة

(١) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٤ .

(٢) حركة الترجمة ص ٢٩ .

(٣) عصر محمد علي ص ٤٨٦ .

(٤) التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٣١ .

(٦) نظم الآلي في السلوك ص ٢٧٢ .

(٧) التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٠ . وحركة الترجمة ص ٢٩ .

(٨) التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣١ .

١٨٤١ رأت اللجنة المكلفة ببحث نظم التعليم أن لوأنح سنة ١٨٣٦ تحمل معها مدرسة تجهيزية تعدّ للتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية ، وتنبههم لمدارس الخصوصية الأخرى ، على أن تكون هي نفسها أيضاً مدرسة خصوصية ، ولاحظت أيضاً أن مدرسة الألسن لم تكن بإعداد تلامذة لمدارس الخصوصية ، ومضت في تخرج المترجمين ، إلا أن هؤلاء المترجمين مهما سکن قدرهم على ترجمة كتب التاريخ والقانون والجغرافية والعلوم الأخرى التي لا تحوى مصطلحات فنية كثيرة ، كانوا بلا شك عجزين عن ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضيات ؛ لهذا رأب اللجنة إعادة المدرسة التجهيزية وإعطائها مدرسة الألسن ، على أن يدرس تلامذتها اللغة الفرنسية منذ التحاقهم بها ، حتى إذا التحقوا بحدى المدارس الخصوصية كانوا متمكين من ترجمة المتنون التي تخصصوا فيها <sup>(١)</sup> ؛ واحترق للتدريس بهذه المدرسة من تخرجوا في مدرسة الألسن <sup>(٢)</sup> .

ومدة الدراسة بمدرسة الألسن خمس سنين ، قد تراد إلى سب ، وكان يدرس بها اللغات الفرنسية والعربية والتركية والروسية والإيطالية ، والهندسة ، والجبر ، والحساب ، والتاريخ ، والجغرافية ، ودرست اللغة الإنجليزية بها حيناً ، وقرأ التلاميذ قصصاً وكتباً في قواعد اللغة الإنجليزية . ولكن العناية كانت مصروفة إلى حسن القيام على تدريس اللغة الفرنسية والعربية ، وكان التلاميذ يقرءون فيها كتباً في النحو والبيان والمديح والعروض والأدب ، والراجح أن دراسة اللغة التركية لم يمن بها عناية كافية في مدرسة الألسن <sup>(٣)</sup> .

وقد ألحق بهذه المدرسة سنة ١٨٤١ المدرسة التجهيزية كما ذكرنا ، وأشيء (م لا ترجمة) ألحق بالمدرسة ، وسوف نفرده بإياها . وفي نحو سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) أشيء بمدرسة الألسن قسم لدراسة الإدارة الملكية العمومية ؛ ليعمل حريجه في المديرات والمصالح ، وبعد ذلك بعامين أشيء بها قسم آخر لدراسة

(١) حركة الترجمة ص ٣١ .

(٢) المخطط الجديدة ج ١٣ ص ٥٤ .

(٣) حركة الترجمة ص ٣١ — ٣٢ والتعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٢ وعصر محمد

علي ص ٤٧٦ .

الإدارة الزراعية الخصوصية . وفي أواخر سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م) نشئ بها قسم لدراسة العلوم العقهية ، ويتلقى تلامذته دروساً في الفقه على مذهب أبي حنيفة ، حتى إذا تخرجوا عيّنوا قضاة بالأوليم <sup>(١)</sup> ، وصمّت إليها مدرسة محاسبة ثصاً <sup>(٢)</sup>

وهكذا كانت مدرسة الألسن وملحقاتها أشبه ما تكون بكلّيات الآداب والحقوق والتجارة معاً . كما كان بها مخزن عام يمدّ المدارس بما تحتاج إليه من أدوات وملابس ، ودار صغيره للآثار ، وتخزين للكتب الأحسية <sup>(٣)</sup> .

ومند أسّئت مدرسة الألسن « دخل المرور على الشيخ رفعة الذي ذهب فيما تقدم إلى باريس ، وحصل المون ، ونعمها على وفق المطوب — رئاسة هذه المدرسة الجديدة <sup>(٤)</sup> » ، كما أسّدت إليه إداره هذه الأقسام المختلفة ، وكان رفاعة فصلاً عن إدارته للمدرسة فيأ ، من ناحية توزيع التلاميذ على الفرق المدرسية ، وتوزيع المواد الدراسية والمدرسين — صرّ المدرسة ، شرف على شئونها الإدارية ، من ناحية اصسط ورئاسة عمل المدرسة <sup>(٥)</sup> ؛ وكان يشرف على مراعاة الكتب التي يترجمها تلامذته وإصلاحها ، ويتولى التدريس فيها نفسه ، وبماونه طائفة من حبره المصريين والأجانب ، ذكر بعضهم على باشا مبارك <sup>(٦)</sup> .

وبدل رفاعة كل ما يملك من جهدي ، عداد هذا الخيل وتربيته وثقيقه ، وأظهر حلياً على العمل ودأماً ، قال عنه على مبارك : « وكان دأبه في مدرسة الألسن ، وفيما اختاره للتلاميذ من الكتب التي أراد ترجمتها منهم ، وفي تأليفاته وتراجمه خصوصاً ، أنه لا يقف في ذلك في اليوم والميله على ، من محدود ، فكان رغماً عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء ، أو عند ثلث الليل الأخير ، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه في درس اللغة أو فنون الإدارة والشرائع الإسلامية والقوانين

(١) التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٦

(٢) محمد الصادق حسين .

(٣) تاريخ التعليم في مصر ج ١ ص ٥٧ .

(٤) الوقائع المصرية العدد ٥٩٠ الصادر في يوم الأحد ٨ ربيع ثاني سنة ١٢٥١

(٥) التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٤ .

(٦) المخطط الجديدة ج ١٣ ص ٥٤ .

الأحسية ، وله في الأول محاميع لم تطع ، وكذلك كان دأبه معهم في تدريس كتب فنون الأدب المالية ، بحيث أمسى جميعهم في الإشباعات بظاً وثراً ، أطروفة مصرهم وتحملة عصرهم ، ومع ذلك كان هو شخصه لا يفر عن الاشتغال بالترجمة أو التأليف <sup>(١)</sup> .

وفصلاً عن ذلك كله أحيل عليه بمقتضى مكاتب الأقاليم عموماً ، وتفتيش مدارس الحائقاء وأبي رعل <sup>(٢)</sup> ، وكان يرأس كل عام لجنة امتحان تلاميذ مكاتب (المبتدیان) بالأقاليم ، فيسافر في الليل إليها ، ويمتحن تلاميذها ، ويأني بالمتفوقين منهم إلى المدرسة التجهيرية <sup>(٣)</sup> ، ورياده على ذلك أسمد إليه تحرير الوقائع المصرية سنة ١٢٥٧ هـ <sup>(٤)</sup> ، فكان مرهقاً بالعمل أليماً رهاق ، ولذلك عتب له ديوان المدارس مدرساً فرسياً يعاونه على إدارة المدرسة والتفتيش على الدروس وأمانة المكتبة <sup>(٥)</sup> . أما تلاميذ رفاة مدرسة الألسن فكانوا يمرتنون على ترجمة الكتب وهم لا يرالون بالمدرسة ، رياده على المواد الدراسية التي يتفوقونها <sup>(٦)</sup> ، ويقوم بإصلاح ما تترجمون أسانديهم ومدير مدرستهم رفاة ، ثم تطع ، وبقروها المدرسون والتلاميذ <sup>(٧)</sup> .

وخرجت أول فرقة من المدرسة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٩ م) <sup>(٧)</sup> ، وفي هذا العام وقف رفاة كمادته خطيباً ، يقدم أول ثمار مدرسته ، وكانوا نحو عشرين طالباً ، فقال من خطبة طويلة : « بدت مدرسة الألسن كالفرقة في وجه الأزكية ، وامتازت بالأعمال السنية ، تنسقت تلامذتها في العيوم المحدث عن الأصل والفرع ،

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) انظر في عصر محمد علي من ٣٣٤

(٤) تاريخ الوقائع المصرية من ٤٥

(٥) التعلم في مصر من ٣٣٤

(٦) حركة الترجمة من ٣٢ .

(٧) التعلم في مصر من ٣٣٣ .

(٨) في المرجع السابق أن أول فريق مخرج في المدرسة كان سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)

ولكن ما رجعا إلى حطب رفاة رأيا حصه في امتحان أول فرقة تخرجت كانت سنة ١٢٥٦

(راجع كتاب هم الدر في سلوك من ٢٧٥ ومن ٢٧٩) .



وتبعث في الفهوم العقل والشرع ، وإن تجبروا بقواعد الملتزمين ، فقد تحيروا  
 إلى فئة العقائد الشرعية ، وأصهروا من العناية التامة ، ما هو متردد في السنة  
 الخاصة والعامة ، وخرج منهم إلى الخدم في اصباح الأميرية نحو عشرين ، طهروا  
 لمهارتهم بالرتب الهية ، وظهر ثمراتهم في تعريب بعض كتب عظام ، تمت طبعا  
 أو شرفت التمام <sup>(١)</sup> « ومن تلك الحطة ... تظهر البيعة كافية شافية ،  
 مستكملة وافية ، حتى يظهر للحاصرين أن هذه السنة التي هي ميعاد أول فرقة  
 آخرها فيها ما وعدنا به ، بمد بدل ما في الطاعة من الشقة ، ولا يحق أن أصل تصديما  
 لإبشاء هذه المدرسة ، حب يصلح الصع إلى الوطن ، الذي حبه من الإيمان ، وتقليل  
 التعرّب في بلاد أوربا حيث لا يتيسر لكلّ إنسان ، والصبح في الخدمة ، الحضرة  
 ولي العمة ... فإن خدمة مصر ، فريضة العصر ، دار هجرة أمهم ، المروة لكل  
 شهم ، من حير ما أفنى به السب واقتن ، واعتنى به واقضاء دخرة لأرمن ، بل  
 هو فرض على من كان من بينها ، أو مسوحت فيها ، جعلنا الله بآزني ، ومن أهل  
 العقوق ربّين ... <sup>(٢)</sup> »

وكان بعض المتخرجين في هذه المدرسة يمين بها مدرسا للفرنسية أو العربية ،  
 فيحسون محل أساتذتهم ، ولا شيء ، فلم الترجمة في أوائل سنة ١٢٥٨ هـ ( ١٨٤١ م )  
 الحق به هؤلاء المتخرجون ، وما كانوا يمتحون الرتبة ، إلا بعد أن يترجم كل منهم  
 كتابا ، يحور الرّضاء السامى ، وحيثما يطلون بالمدرسة بعد تخرجهم « تحت الطلب » ،  
 فإذا احتاحت مدرسة أو مصلحة إلى أحد هم استدعته ، وسمحته الرتبة ومرتبها <sup>(٣)</sup> .

كانت مدرسة الألسن ملتقى ثقافة الشرق والغرب ، تجمع بين دراسة ما عرفته  
 مصر من اللغة والفقه والأدب ، في كتب زهرية يدرسها رجال الأهر ، وبين  
 دراسة اللغة الأحتنية والأدب والنحو والقصاص والتاريخ العربى ، حتى إذا طفر  
 التلاميذ بنصيب موفور من هاتين الثقافتين ، مصوا يبقون إلى بنى وطهم الثقافة  
 الغربية ، ممثلة في تلك الكتب التي ترجموها ، في كل فن وعلم بمهارة وصدق ، يهتدون

(١) نظم الدر في السلوك ص ٢٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٣) تعليم في مصر ص ٣٣٦ .

سور مثلهم الأعي وأستاذهم رفاعه ؛ ول عيه قدرى يشا . « وبأنفسهم ، وبالكف  
العصبة التي ترجوها ساعدوا على نشر أفكار الرقي ، والمدينة بين أهل البلاد ،  
وانتفعت بهم الحكومة ، في المناصب الإدارية العالية ، وفي وظائف الترجمة ، ومهم  
من انقطعوا للتعليم ، وبمعمل محمود ، تعلم آلاف من أهل البلاد العربية  
أو الإنجليزية ، أو الإيطالية<sup>(١)</sup> .

وأعلت الطن أنه شرح لامتية العرب ، واحتصر معاهد التنصيص ، في ذلك  
المعهد ، الذي كان فيه مديراً لمدرسة الألسن ، كما ألف يومئذ كتاباً في المذهب  
الأربعة انتفع به تلامذة قسم الفقه بهذه المدرسة<sup>(٢)</sup> .

وحصل رفاعه ناهماً بأعماله الثقال في مدرسة الألسن وما تبعها ، حتى أوائل  
عصر عيس الأول ، حيث نقلت من الأركية إلى الناصرية ، ثم أقيمت المدرسة  
في المحرم سنة ١٢٦٦ هـ<sup>(٣)</sup> ( بوفتر سنة ١٨٤٩ م ) حيث عين رفاعه بك ناظراً  
لمدرسة ابتدائية في الخرطوم ، وبهذا انتهت حياة ذلك المعهد الحليل ، الذي كان  
أكبر معهد لنشر الثقافة في مصر<sup>(٤)</sup> .

## قلم الترجمة

أنهت نسبة مد يشا ، مدرسة الألسن ، إلى أن تجمع المتخرجين فيها في قلم  
واحد ، على أن سكل الإشراف ألقى على ما ترجوا من كتب إلى أساتذة مختصين ،  
لكي تكون التراجم مضبوطة مستوفية حقها من الصحة ، سليمة من الخطأ ، ذلك  
أن ترجمة كتب العلوم والعنون لسب مقصورة على معرفة اللغة حسب ، بل تتوقف

(١) محمد الصادق حسن .

(٢) حلية الرمن ص ٢٦ .

(٣) في تقويم سكل ( محمد لأول من حرره ) ص ٢٨ ) أن يراها كان في رجب  
سنة ١٢٦٧ وأكثر الكتب على ما ذكرنا .

(٤) تاريخ التعليم في مصر عصر عباس وسعيد ص ٥٨ .

(٥) التعليم في مصر محمد على ص ٣٣٧ وعصر محمد ص ٤٨٦ .

أيضاً على الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه ، وشكل هذا القلم سنة ١٢٥٨ هـ ( ١٨٤١ م ) ، وألحق بمدرسة الألسن تحت إدارة مديره رفاة بك (١) ، وحمل أربعة أقلام : القلم الأول قد ترجمه الكتب المتعلقة بالعلوم الرياضية ، وصنف (البكباشي) محمد بيومي أحدى رؤس هذا قسم ، والقلم الثاني قلم ترجمه كتب العلوم الطبية والطبيعة ورئيسه (اليورباني) مصطفى واطي أحدى ، وهو من مدرستي مدرسة الطب الشري ، والقلم الثالث قد ترجمه كتب الأدبيات كالترجيح والقصص والقوانين والجغرافيا ، وحمل رئيسه الملازم الأول خليفة محمود أحدى وهو من مدرستي مدرسة الألسن ، (أما قلم الرابع) فهو قلم ترجمه التركية ، وقد نصب مينا س أحدى المترجم ديوان المدارس رئيساً له (٢) .

ولما كان قلم الترجمة ملحقاً بمدرسة الألسن ، كان ديوان المدارس يتبعه في كل ما يختص بالقلم وموظفيه إلى رفاة بك مدير المدرسة ، وفي مهنة كل عام ، تراجع أعمال القلم لجنة امتحان تلاميذ المدرسة تسمى : أتم ترجمه الكتب في مواعييدها في مدة جيدة ، لتثبت الجيد ، ونقص من صرت المهمل ، وأعطى ما كان يترجم في هذا القلم من الفرنسية إلى العربية ، وبعضها من الفرنسية إلى التركية ، وكان ديوان المدارس يرسل إلى بطار المدارس الخصوصية ، طلب منهم في كل عام بياناً عما حد من المؤلفات ، في المواد التي تدرس بمدارسهم ، فإذا رأى رفاة بك ترجمتها هي أو غيرها ، ورعها على المترجمين إن كانت تلك الكتب بالكتابة الفرنسية الملحقه بمدرسة الألسن ، وإلا بعث في طلبها من أوروبا (٣) .

\* وقد أعيد تنظيم قلم الترجمة في ذي القعدة سنة ١٢٦٤ هـ (أكتوبر سنة ١٨٤٨ م) وأصبح يتألف من قلمين ، أحدهما لترجمة العربية تحت إشراف رفاة ، والآخر للتركية تحت إشراف كياي بك الذي عين صراً فلي الترجمة ، وشرف في الواقع تحرير التنظيم ، في العدد رقم ١٣٧ الصادر في يوم الاثنين المذكور ٢٦ ذي القعدة

(١) المرجعان السابقان الأول من ٣٤٠ والثاني من ٤٨٧

(٢) التعليم في عصر محمد علي ٣٤١ .

(٣) المرحم السابق من ٣٤٢ و ٣٤٣ .

سنة ١٢٦٤ هـ : لما كانت ترجمة الكتب المرعوية ، التي شتمل على القوايين والترايب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرساوية إلى التركية والعربية ، وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية (١) وفصية مسلمة عند أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين في السنة الإفرنجي والتركي والعربي واجتماعهم في محل واحد ، وقسمهم إلى قسمي ترجمة ، وضمهم إلى بطارية حصرة أمير اللواء ، كالي بك ، وكيل ديوان التفتيش ، العريد في فن الترجمة ، المشهور بالسلاسة والبلاغة ، حصل فتح القمين كما ذكر ، وقد تعين حصرة رفاعة بك ، أمير شلاي ، الذي كان ناظر مدرسة الألسن ، التابعة إلى ديوان المدارس ، ناظراً على قسم الترجمة العربي ، في ممينة حصرة الأمير المومي إليه .

ولكن هذا التنظيم الجديد لم يستمر طويلاً ، فقد ألقى فلم الترجمة في السنوات الأولى من حكم عباس<sup>(١)</sup> ، بعد أن ظل يمد المدارس بما تحتاج إليه من الكتب العربية ، فقد كان ذلك من المهام الملقاة على عاتقه .

## في السودان

بعد إلغاء مدرسة الألسن ، استقر الرأي على إنشاء مدرسة في السودان ، « إقادة لآولاد أهلها ، والمستوطنين بها من حريم الجبل ، فيمتازوا باكتساب العلوم والمعارف » ، على أن يقلل ويقيّد فيها مائتان وخمسون علامة<sup>(٢)</sup> ، على أن يكون مقرها الخرطوم ، واختار عباس رفاعة ناظراً لها ، بحجة أنه « ملم بأصول المدارس ، ليسبقها كما ينبغي ، وينبسطها نظاماً حسناً » وعهد إليه باختيار المدرسين من بين الرجال الأكفاء<sup>(٣)</sup> .

لا عار على رعة عباس في أن ينشئ مدرسة أو مدارس في السودان ،

(١) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ تنظيم في مصر ، عهد عباس وسعد ص ١١٤ .

(٣) المرجع نفسه

فذلك واجب على الأمر ، أما أن يحتار لطارة هذه المدرسة الابتدائية ، رجلاً من  
أكبر رجال العلم في مصر ، بل كثرهم ، فذلك موضع الدهشة والمرابة ،  
وقد استقبل رفاة هذا الاختيار بالسخط والامتناع ، عما منه بأن هذا السب  
الطاهري لاختياره ، لم يكن إلا تعله يقصد بها إبعاده عن مصر ، وبأن الدافع  
الحقيقي إنما هم أوائلك الوشاة ، الذين أصمى إليهم عباس ، كما أشار إلى ذلك رفاة  
في قصيدة شكواه وهو بالسودان ، إذ يقول :

وما حلت العير يريد دنى ولا يصني لأخصام لداد  
لديه سمواً بالسنة حداد فكيف صني لألسنة حداد ١٩  
مهاويل العصائل حادعوى وهل في حربهم يكبو جوادى  
وزخرف قولهم إذ موتهوه على تزييفه نادى المنادى  
همل من صيرفى المعنى بصير صحيح الانتفاء والانتفاء<sup>(١)</sup>

ولست أدري من هؤلاء الوشاة ؟ ولا ماتك الوشاة التي نقلوها إلى أذن  
عباس ، وقد حر مؤرخوه في تلميل ذلك ؛ فمن قائل<sup>(٢)</sup> : « بلوح لى أن لكتابه :  
تخليص الإبر سبباً متصل سعيه ، د لا يحى أنه طبع للمرة الثانية سنة ١٢٦٥ هـ ،  
أى في أوائل عهد عباس باشا ، والكتاب يحوى آراء ومبادئ لا يرغب فيها  
الحاكم المستبد ، وعباس باشا الأول كان في طبعه مستنداً عشوما ، فلا بد أن  
الوشاة قد لغتوا نظره إلى ما في كتاب رفاة لك ، مما لا يروق لعباس ، فرأى  
أن سمده إلى الخرطوم ، ليكون السودان مسي له ، ولا غرامة في ذلك ، فهو أن  
الكتاب ظهر في تركيا على عهد السلطان عبد الحميد ، لكان من المحقق أن يكون  
سبباً في هلاك صاحبه ، فمن الحائر أن يكون عباس باشا ، قد رأى في رفاة وأمثال  
رفاة إلى السودان ، ليمعدهم وسعد أفكارهم وثقاتهم عن مصر ، وأحمد لمعهم صورة  
طاهرة وهي إنشاء مدرسة بالخرطوم » . ويرى بعض الباحثين في ذلك إصبع على  
مبارك الذى عاد من أوروبا مليئاً بالأطماع ، والذي كان يعس على رفاة ما أصاب

(١) ساهج الألباب المصرية ص ٢٦٨ .

(٢) عبد الرحمن الراعى لك — عصر محمد على ص ٤٨٩ .



من مكة ، وقد قرب عباس إليه على مبارك ، وأبعد رفاعة إلى السودان ، فلما حلفه سعيد قرب إليه رفعة ، وأبعد على مبارك إلى القرم ، كما يحتمل أن رفاعة قد لقي معارضة ، من بعض المشايخ المتعصبين ، الذين رعا عدوه متطعلا على ميدانهم في دراسة الشريعة والفقه ، ومن هذا كله تجمع الحق على رفاعة ، والكيد له ولمدرسته <sup>(١)</sup> . ويرى بعضهم <sup>(٢)</sup> « أن البيت الحاكم منشق على نفسه ، إذا تقرب أحد إلى بعضه ، عصب عليه بعضه الآخر ، يرصى محمد على باشا و، راهيم باشا عن رفعة الطمطاوى ، وإذا جاء عباس عصب عليه ، وأخرجته من إداره مدرسة الألس ، وعينه ناظراً لمدرسة ابتدائية نشأت في الخرطوم ، ويرعى عباس الأول عن على مبارك ويقر به إليه ، ويمهد إليه في تنفيذ أمور كثيرة ، وإذا جاء سعيد باشا عصب على على مبارك ، وأعاد رفاعة وقر به إليه . » ويقول بعضهم <sup>(٣)</sup> : « لم تتسع صدر الحكومة للعناء أمثال رفاعة ، ولقد طالما صفت بالعناء صدور الحكومات الفاسدة ، والزحال الجملة » ؛ وم يفسح رفعة في كتبه عن سب هذا النقي ، ولكنه أشار بإشارة خفية إلى سر ذلك في قوله : « وفي سنة ١٢٦٧ كتب سافر إلى السودان ، سمي بعض الأصرار ، بصبر مستتر ، بوسيلة بطاره مدرسة الخرطوم ، فلبثت نحو الأربع سنين بلا طائل ، وتوفى نصف من جمعيتي من ( الخوارج ) المصريين <sup>(٤)</sup> ، وأشار في قصيدته إلى رعمهم أن عمله في مدارسهم عقم ، فحجهم بأنه إذا كان عقياً في مصر ، فإذا جنوه وقد أبعد إلى السودان .

فباس مدارسى فالوا : عقيم بمصر . فما السبيحة في معادى  
كان رفعة إذا يشمر ، وهو في السودان ، بأنه منى لا مبعوث لشعر العلم  
والعرفان ، وكان مما يريد أنه هناك أن حو السودان أودى بالكثير ممن كانوا  
في صحبته ، وأنه لم يصحب معه أهله وبنيه ، فكان دائم التفكير فيهم ، شديد الحنين  
ليهم ، لتحليل انتباههم وقد صار يبعده الماء وغماً ، فيقول :

(١) تاريخ التعميم في مصر ج ١ ص ٥٨

(٢) الدكتور أحمد أمين بن — رعمه الإصلاح ص ١٩١

(٣) محمد الصادق حسنى

(٤) مباحث لسان المصرية ص ٢٦٥

وشرح الحال منه نصي صدرى      ولا بحصيه طرسى أو مدادى  
وحسى فتكها نصيف صهى      كأن وطيفى لسر الحداد  
وود فارقت أطفلاً صمّاراً      طلعها دون عودى واعتيادى  
أفكر فيهم سرّاً وجهرّاً      ولا سمى بيطى ولا رهدى  
وعدت بهجى بالنأى عنهم      بلوعة مهجّة ذات انقاد  
أزيد وصالحهم ، والدهر يأتى      مواصلى ، وبطمع فى عادى  
وطالت مدة التغريب عنهم      ولا عم لدى سوى الكساد

ومع ذلك قابل رفاعه هذا « المقدور » بالحد والصر ، وأحد يخاسب نفسه على ما قدّم لبلاده ، ليرى : أهناك هموة افروها ، أو حطية احرحها ، فيجد أنه قد فوّلت حسنة بالإساءة ، وحمّله بالكران ، وأنت تحس بخسائه نفسه فى مقدمة كتابه : مواقع الأفلاك إذ يقول : « قد عدت مائة الحكومة المصرية العاتقة على سائر الأمصار ، فى عصر الدّنة المحمدية الممونة السامى على سائر الأعصار ، بوطيعة تربية التلاميذ مدة مديدة ، وسبب عديدة ، صارده وعلينا وتعديلاً وتقويماً ، وترتيباً وتنظيماً ، وتخرج من نظارات تعليمى من المتعلمين ، رجال لهم فى مصر السبق وميدان المعارف وسيع مجال ، وفى صقاعة اثر واطم ، أبهر بديهة وأهوى روية وأرهى ارتحال ، وحماة صموف لا يبارون فى بصال ولا سجال ، وعزّاب لتعليمهم من المرساوية المؤلفات الجلّة ، وصحّحت لهم مترجمات الكتب المهمة ، من كل كتاب عظيم النافع ، وتوفّق حسن تمثيلها فى مطبعة الحكومة وطبعها ، ومالت طباع الجميع إلى مطبوع دوفها وطبعها ، وسارت بها الركان فى سائر البلدان ، وحدابها الحادى فى كل وادى ، وقصدها انقصاد كأنها قصائد حسنة ، وكان رمى إلى ذلك مصروفاً ، وديدى بذلك معروفاً ، بحارة لأمر الزمن على تحسب حال الوطن ، الذى جبته من شعب الإيمان ، وفى مدة نحو الثلاثين سنة ، لم يحصل لهمتى فتور ولا قصور :

فإذا ملكك مجد ، فإنم ستطع      فاحمد بوسعك كله أن تنفعا

وإعما فقط ، لما توجّهت بالقضاء واتدر ، إلى بلاد السودان ، وليس مما فضاء

الله مفتر ، أقت رهة خامد الحممة ، جامد القرمحة في هذه الممة ، حتى كاد أن  
يتنقى سمير الإقليم العائر بحره وسمومه ، وسلعى فيل السودان الكاسر لمخرطومه ،  
ومع ذلك فكنت في الوقت الحاضر مصداق قول الشاعر :

فا أنا للأيام غير محارب أصاحبها مستبشراً متهللاً  
فإن كان حظي راحماً كنت راحماً وإن كان حظي أعملاً كنت أعملاً  
فا تسليت هناك لا تعرب بك ، وتقرب الرجا بدور الأفلاك ، وقلت  
لقلبي : إن تعرب تلياك ، بكل من في حماك <sup>(١)</sup> .

وقد صدق صدر رفاعة بهذه الدربة الطويلة ، فأشأ قصيدة ، رسم المرحوم  
حسن باشا كتحدا مصر <sup>(٢)</sup> « رجا شلى من أوحد تلك الأحوال » ، وفي تلك  
القصيدة يتلهف على العودة إلى مصر فيقول :

وعاية مطلقى عودى لأهلى وو من دون راحلة وراة  
ومصرى صاع مند اشتد حظى وهون الخطب عند الإشتداد <sup>(٣)</sup>  
ولكن لم تيسر إرسال هذه القصيدة ، فمضى يحمس قصيدة نبوية يتوسل  
فيها بالرسول أن يردّه إلى وطنه <sup>(٤)</sup> .

كان على رفاعة سبأ في أنه لم ير من السودان سوى الفاحية المظمة ، فصور  
لنا في هذه القصيدة بثته الطبيعية والاجتماعية مبيحة مردولة .

ولاريد : أن ماهساه رفاعة في إنشاء مدرسة الخرطوم ، في بيثة لم تعرف الدراسة  
النظامية من قبل ، وما عناه من المتاعب في تأسيسها ، له أثره في هذا الحكم .  
والدليل على أن رفاعة كان في نظريته تلك متأثراً بعصبه وعاطفته أنه عندما  
أبدى رأيه في السودان وهو هادى ، غير ثر ، يخالف ذلك الرأى ؛ فهو في كتابه  
مناهج الألباب المصرية الذى كتبه في عهد إسماعيل يشيد « بقول أهلها للتمدن  
الحقيقى ، لدقة أدهانهم ، فإن أكثرهم قائل عمريه ، لاسيما الجمعيين والشاقية وغيرهم  
فإن اشتغالهم بما ألفوه من العلوم الشرعية شغل رغبة واحتداد ، ولهم مأثر عطية في

(١) مواقع الأفلاك ص ٣

(٢) مصب يشه مصب وزير باشا

(٣) مناهج الألباب المصرية ص ٢٦٥

(٤) سجل قصيدة الشكوى وتحميس القصيدة النبوية في فصل شعره .

حسن التعلم والتعليم ، حتى إن الملة إذا كان بها عالم شهير ، يرسل إليه من البلاد  
الأجنبية للمجاورة ، من طلبة العلم المدد الكثير والحلم العفيع ، فيعيبه أهل بلده  
على ذلك ، بتورع المجاورين على البيوت بقدر الاستطاعة ، فكل إنسان من الأهالي  
يخصه الواحد أو الاثنان ، فيقومون بشئونهم مدة التعلم والتعليم <sup>(١)</sup> . ويقول :  
« وعلم على الظن أنه يمكن ، بحال انتقدمات العصرية ، بحسب الحكومة المصرية ،  
في أطراف وأكناف تلك البلاد ، التي هي إلى الآن لم تحمل فراها عن نوع التقدم في  
الحضارة ، مع مساعدة الوارد والمتردد إليها في هذه الأيام ، لقصد الزيادة أو التحارة ،  
فإنها أقرب للتمدن من أقاليم أمريقة بكثير ، وجميع أهلها ما عدا بعض الحبال ،  
لسانهم عربي فصيح ، حيث إن حلمهم من سل العرب المتحضرة القضايل قديماً ،  
يحفظون أحسابهم وأسابهم ، وفهم كمال الاستعداد ، وذكاء العظيمة ، وإنما  
يحتاجون في حصول المطوب إلى اطمئنان النفوس وأليف النفوس ، من حكام  
أرباب صداقة وعفاف ، وعدل وإصاف ، لا يحملهم الطامع الديوية على محض  
الانتقام إلى الأمور الدنيوية ، بل توحد القاطنة أجمعاً في لأهالي المتأصلين » <sup>(٢)</sup> .  
وهو بذلك يرسم الطريق للنهوض بالسودان وأهله ، وقول في موضع آخر :  
« فمضى رأت من السودان وسائل الوخامة والسقامة ، ودخلت أمها بحسن الإدارة  
في دائرة الاستقامة ، صارت هي ودار مصر في الممار كاتوأمين ، وفي إنباع الإعمار  
صنوين ، حتى ينشد لسان حالها :

نحن عصمان ضحماً عاطف الواحد جميعاً في الحب ضمً انطق  
في جيب الزمان منك ومنى غراء كوكبية الانفلاق <sup>(٣)</sup>  
أولا ترى في هذا القول حديثاً عن الوحدة التي يهملونها ولها وادي النيل .  
ورأى أن « فتح المدارس الخمسة من انتقاء الحكومة الإسلامية الباهرة ،  
وكذلك إرساله إسماعيل بك الملكي باطر المهندسخانة والرصدخانه إلى سواكن ...

(١) المرجع السابق ص ٢٦٢

(٢) منهاج الألباب المصرية ص ٢٦٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٠

مع بعض المهندسين والرُسامين . لتعيين الطرق الحديدية المرمع على إسمائها بالأقاليم السودانية ، وإرسالية بعض أرباب المعارف الإنكليزية في سنة ١٢٨٦ هـ ، لاستكشاف منابع النيل ، وإعطاء ملحوظات جيرية ، لكلِّ هذا وأمثاله دلائل قاطعة على أن السودان سيحتل عن قريب بالوسائل المأمعة <sup>(١)</sup> .

تلك آراء رعاة الحقيقة في السودان ، وستمداد أهله للرفق وإكساب ألوان الحصار ، حتى مسح مصر والسودان وحده شأن مدينتهما في هذا الوادي المرير . ووا أن الحكومة المصرية فكرت حديثاً في شرا تعليم بالسودان ، منذ تلك المصور العبدية ، فنشأت المدارس ، واحترت لها مدرّسات غير هؤلاء الذين كانوا يعتقدون أنهم معيون ، لكن المدة قد اشتمت عوده في تلك الديار ، وسار السودان مع شقيقته مصر في سبل التقدم والرفاهية ، وربما كان قد تمير بحرى التاريخ . وبعد ، قد كان معبر مدرسة الخرطوم ؟ احتار رعاة مدرّسى مدرسته ، ومضى بهم إلى السودان ، وكان عليه « لا عير عن مراقبة لمعلمين ، وتذكيرهم ، وأن يحمل الطلبة موسم اهتمامهم ، فحملهم على السعى والاختار بيكسوا المعروف وتقدموا <sup>(٢)</sup> » ؛ ولكن رعاة بقصى في السودان عيين ، من غير أن يرسل أخباراً عن مدرسة الخرطوم ؛ فأرسل إليه ديوان المدارس بسأله « عما صار في بحر هذه المدة من التلاميذ ، وبيان ما اكتسبوه التلامذة من العلوم ، وما مقدار عددهم ، وبيان درجات كل منهم أيضاً <sup>(٣)</sup> » ؛ وأجاب رعاة بأن أغلب التلامذة الذين جموا بالمدرسة هربوا « تعرفة أهاليهم بالجمال المستعمدة ، وفصلا عن ذلك أنهم « ناس علاط العقول » . أما المعلمون فقد توفي الله ثلاثة منهم إلى رحمة ، وأما مهمات المدرسة كإطرايش وعبرها ، فقد استولى عليها حكمدار السودان ، وورثها على فرق الجيش ، والخلصة أن المدرسة ، كما وضعها رعاة ، في رسالة منه في غرة شعبان سنة ١٢٦٨ هـ صارت « اسم يد بن حليم » . وربما أراد بذلك أن يفتع أول الأمر بمصر ، أن يعدلوا عن الاستمرار في تحربة فتح المدرسة .

(١) مناهج الألباب المصرية من ٢٨٠ .

(٢) تاريخ تعليم في مصر : عصر مدس وسعد من ١١٥ .

(٣) المرجع السابق من ١١٨ .



فيعود إلى مصر ، ولكنَّ عباساً أصراً على الاستمرار ، وكتب في ٢١ رمضان سنة ١٢٦٨ هـ رسالة إلى إسماعيل حى باشا ( حاكم دار ) الأقاليم السودانية يقول له فيها : وصل إلى ممسا وعلما في هذين اليومين ، أن المدرسة المقرَّر تأسيسها وإنشاؤها في بلدة الخرطوم ، لتعليم وتعلِّم أولاد الناس وصبيانهم أهل فتحها إلى الآن ، وحيث إن رفاعة بك ، الذى تعيَّن ناظراً للمدرسة المذكورة ، وأستاداً أوَّل لها توجَّه إلى بلدة الخرطوم ، ووصل إليها من مدَّة مديدة ، فأمول أن تبادروا بفتح المدرسة على حسب ما تقتضيه إرادتنا ، وبباشروا تعليم وتعلِّم الصبيان أولاد الأهالى بلا تأخير وهال ، كما هو مسطور فى درابتمكم ، وقد حرَّرت لكم لإجراء إنجازه <sup>(١)</sup> » وكتب ديوان المدارس إلى رفاعة يدعوه إلى بذل المهمة والاجتهاد ، وأن يفيد الديوان بكل ما يتصل بالمدرسة <sup>(٢)</sup> .

ولما رأى رفاعة أن لا أمل فى العودة ، بدأ بعمل محذ ، قال رفاعة : « وفى آخر الأمر ، سطمت المدرسة نحو تسعة شهور ، وتعلَّم فيها التلاميذ من أساء المصريين القاطنين هناك طرفاً من النحو والحساب والهندسة وحسن الخط <sup>(٣)</sup> » . وكان تلاميذ المدرسة واحداً وثلاثين ، وبعد شهر ونصف رادوا تسعة ، بفعل جهود حكامدار السودان ، وتوسَّع رفاعة فى عشرة منهم التعلُّق على أقرانهم ، « تخمسم بقراءة القرآن وحفظه ، وبعراة الأحرومية ، وحفظ مفردات ، وحمل تركية ، وحط اثنت والحساب ، ليكونوا قرناً مقدَّمين على أقرانهم ، وقلاهوا بالمدرسة <sup>(٤)</sup> » .

وعقد امتحان التلاميذ فى سنة ١٢٧٠ هـ فى اجتماع حافل ، حضره حكامدار السودان ، ورئيس مجلس الدعاوى ، وبعض الأعيان والعلماء والمعد والقاصى ، وأرسل جدول الامتحانات إلى القاهرة ، وطلبت كتب وأدوات جديدة ، غير أن عباساً مات فجأة ، وتولى سعد فى شوال سنة ١٢٧٠ هـ ( يولية سنة ١٨٥٤م )

(١) تقويم النيل ص ٥٠ .

(٢) تاريخ التعليم فى مصر : عصر عباس وسعيد ص ١١٥ .

(٣) منهاج الأتلاب المصرية ص ٢٨٠ .

(٤) تاريخ التعليم فى مصر : عصر عباس وسعيد ص ١٢٢ .

ولم يحص على تولىه سبعة أيام حتى أصدر أمره بإلغاء الدرسة ، وفعل رفاعة مسرعاً ، إلى مصر ، واستقبل تلامذته عودته بالعطلة والبهجة ، وهناك أحدهم وهو السيد صالح مجدى بك ، بقصيدة طويلة بدأها بقوله :

إذا جاء بصر الله وانشرح الصدر      وأشرق من أفق العلوم لنا البدر  
وفيها يقول :

عشرى لنا بالهاشمي رفعة      أبي العزم ، من يحيا به النظم والنثر  
وباقونا من حيث حل ركابه      باحتنا ، من بعد ما مستنا الضر  
وباسعد أنباء العلوم بسيد      حليل ، في الكون فتخر العجر  
ونما هو إلا من سلالة معشر      هم السادة الأخيار ، والأنجم الزهر  
هو ابن رسول الله ، أكرم مرسل      وأعظم محقق له الفتح والنصر  
هو اللودعي الأسمى ، دوحة العلا      هو السيد الموصوف ، والخبر والبحر  
هو الكبر للعرفان ، والكهف للهدى      هو الحل ، والمعروف ، والخير ، والبر  
هو الجوهر الفرد ، الأمير الذي له      أباد على الأيام ليس لها حصر  
هو الفاصل الحرير ، والكامل المسمى      له بالدكا والفضل قد شهدت مصر  
فلا زال للعرفان فيما يسوسه      ويطوى بساط الجهل ما طلع العجر<sup>(١)</sup>

هذا ، ورغم الاضطراب وعدم الاستقرار الذي كان فيه رفاعة ، تعلم طائفة من الشبان ، تولوا مهمة التدريس في مدارس التي أنشأها بالسودان الحكومة الإسلامية ، كما تعلم فقهاء الخرطوم ، ممن كانوا معه من الشايخ القراء ، تحويد القرآن الشريف ، وعلم القراءات ، حتى صاروا مهريين في ذلك<sup>(٢)</sup> .

أما الأثر العظيم الباقي لهذه الرحلة ، فهو أنه — رعة منه في التسلية — عرّب كتاب Les Aventures de Telemaque ، وهو كتاب صغيم يقع في نحو ثمانمائة صفحة ، وربما يكون قد ترجم هناك كتباً أخرى غير هذا الكتاب<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان صالح مجدى بك ص ١٧٤ .

(٢) مناهج الألياب المصرية ص ٢٨٠ .

(٣) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٥ .

## في عهد سعيد

عاد رفاعة إلى القاهرة ، والتقى بصديقه آدم باشا ، الذي عيّنه سعيد معقشاً عاماً للمهمات والمدارس <sup>(١)</sup> ، وكان هذان الرجلان يستقدان مهمة ، ويعتشان أملاً في أن يحدّدا عهد ازدهار الحركة التعليمية ، كما كانت في عهد محمد علي ، وأرمعا على أن ينهضوا بشر التعليم اشمى في البلاد ، فقد رأيا أن مهمة الأمة الحقيقية تتطلب شر هذا النوع من التعليم ، الذي لم يساعد الظروف محمد علي على شره ، وقد قال رفاعة نفسه في هذا الصدد : « وأما تربية الأهل ، وإدخال المعارف في أفراد مراتب الرعية ، على اختلاف درجاتهم ، والتسوية بين الأعيان والرعا في مادة التعليم الأهل ، فلم نساعد القادير على كمال الالتفات إليه ، وقصى ، من تكميله ، بحسب رحمة الله عليه » ، فقام آدم ورفاعة بوضع مشروع « مكاتب النلة » لتعليم أبناء الشعب وتربيتهم <sup>(٢)</sup> ، واقترح تعيين رفاعة بك ناظراً عاماً على هذه المكاتب ، وأن يحق به مترجمون لإتمام ترجمة كتاب الجغرافية للطبوع ، الذي تمت ترجمة أجزاء منه ، في عهد محمد علي ، وعمره من الكتب الصالحة <sup>(٣)</sup> وقصى رفاعة عما بعد عودته من الخرطوم يدعو لمشروعه الجديد ، وهو إنشاء المكاتب الأهلية ، وتحتى بمدح سعيد في قصائد طويلة ، يذكر فيها أعمال محمد علي ، عسى أن يقتدى بها سعيد ، ومعنى تحليلها بالأطلس المعبس ، والجلد الثمين ، ويرفعها إلى اعماق — وكان آدم باشا قد عيّن في هذا المنصب بعد إلغاء ديوان المدارس ، فبرومها هذا بدوره إلى الوالى <sup>(٤)</sup> . ولكن سعيداً لم ينفذ المشروع ، فقد كانت شغله حينئذ أمور يراها أهم من مشروع رفاعة وأدم ؛ كقماء السويس ، وأخيش ، واقفلة السعيدية ،

(١) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد من ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق من ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق من ١٨٠ .

(٤) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد من ١٩٣ .

وعبرها<sup>(١)</sup> ، ولما طال مقام رفاة بلا عمل يوكل إليه ، حتى « ضاق به العيش »  
 التمس أن يقيد بدبوان المحافظة أو آفة جهة أخرى ، ليقوم بترجمة الكتب النافعة ،  
 فألحقه أدهم بحب رياسته عصفوا و مترجماً في مجلس المحافظة<sup>(٢)</sup> ، ثم جعل بمد شهر<sup>(٣)</sup>  
 باطراً ثانياً ( أى وكيلاً ) للمدرسة الحربية التي كانت بالحوض المرصود تحت نظارة  
 سليمان باشا العيساوى<sup>(٤)</sup> ، ثم اتجه الرأى إلى أن يجعل من هذه المدرسة بواء  
 لمدرسة جديدة ، تحتفظ من المدرسة الأولى نصفها العسكرية ، ويتجه التعليم فيها  
 وجهة مدنية ، لإكثار من دراسة اللغات والأدبيات والرياضة ، إلى جانب التعليم  
 العسكري العام<sup>(٥)</sup> ، ونكون كافيه للعلوم الأدبية ، وفيه بالفنون المدنية<sup>(٦)</sup> ،  
 وكان من الطبع أن يتجه الرأى العام إلى اختيار رجل له حيرة بمثل هذا النوع  
 من التعليم ، ليرأس هذه المدرسة ، فاختير رفاة بك لرئاستها ، واحتررت القلمة  
 ميكائلاً لها ، وأنشئت في دى القعدة سنة ١٢٧٧ هـ ( بوليه سنة ١٨٥٦ م<sup>(٧)</sup> ) ، وأقبل  
 رفاة على عمله الجديد بمهمة فورية ، يريد أن يحدد به مدرسته القديمة :  
 مدرسة الأسن ، فبدل مهمته في ذلك ، واحتهد في أن يرتب لها من الأنظمة  
 ما يحسد الأهلين إليها ، واختار لها من المدرسين كل من له به ثقة من أهل العلم  
 والمعرفة التامة ، المتدربين على علوم العلوم ، وذاتها ، ومن الموظفين دوى الاجتهاد  
 ما فيه الكفاية ، وأدارها بإداره حذرة ، حتى صهرت بحاية بلامدتها واستفادتهم  
 استفاده جيدة في أقرب وقت<sup>(٨)</sup> ، وظهر في هذه المدرسة أثر مدارس محمد عى ،  
 مدرسين فيها ما كان يدرس في تلك المدارس<sup>(٩)</sup> ، وأفلحت المدرسة في جذب

(١) المرجع السابق ص ١٨١

(٢) مرجع نفسه

(٣) حصة برمن ص ١٥

(٤) حصة اخديده ج ١٣ ص ٥٥

(٥) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٦) لخصط اخديده ج ١٣ ص ٥٥ .

(٧) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ١٩٥ .

(٨) حصة اخديده ج ١٣ ص ٥٥

(٩) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ٢٠٣

حواطر الأهليين إليها ، فكثر طلبها ، لحق أساتذتها ، حتى اضطرت رفاة بك إلى أن تتجاوز العدد المقرر لها من ثلاثين إلى ثلاثمائة ، وارتاح سعيد إلى تقدم المدرسة ، وفدّر جهود مصرها ، وأمر عليه برتبة الممر ، بعد إنشاء المدرسة بثلاثة أعوام <sup>(١)</sup> .

وأراد رفاة أن يجعل من تلك المدرسة ما كان لمدرسة الألسن من قبل ، مركز الثقافة المدنية في مصر ، فجعل فيها فرقة للحاسبة <sup>(٢)</sup> ، وفي صفر سنة ١٢٧٤ هـ صدر أمر إلى رفاة بك بتخصيص ٤٣ مبيداً ، ليتدبروا الكتلة والإشياء وغيرها وألحق بها فداً لترجيح ، وصمغ على رأسه أحد تلامذته اقدماء السيد صالح مجدى . بل قيل إن رفاة كان يجمع إلى هذا ، نظاره مدرسته الهندسة المدنية والعمارة ، وتفتيش مصلحة الأسبعية <sup>(٣)</sup> . وهذا يفسر قول دور الحويرى الذى أحصرته الحكومة في عهد اسماعيل بيدر من جهة تعليم في مصر ، و طرح بشأن تحصيلها ما يريد — في كتابه التعليم العام في مصر ( ص ٢١٥ ) . إن سعيداً باشا جمع ما بقى من مدارس الحكومة القليلة في القلعة ، تحت إدارة رفاة بك <sup>(٤)</sup> .

وفي أثناء نظاره رفاة للمدرسة الحربية بالقلعة ، كان دائم الاتصال بالمدرسة الحربية بالإسكندرية ، فكان يزورها من حين لآخر ، ليدرس أحوالها ، ويمتحن تلامذتها ، وكان لهذا أثره في المقرب بين مستوى الدراسة في المدرستين <sup>(٥)</sup> .

ولكن نشاط رفاة الخم ، قد اضطرب إلى المطلة مرة أخرى ، فقد أُلغيت المدرسة الحربية في أوئل سنة ١٢٧٨ هـ ( أغسطس سنة ١٨٦١ م ) بعد أن عمرت خمس سنين وشهرين <sup>(٦)</sup> ، وكادت توتى أربك الثمرات .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن عناية رفاة قد اتجهت في عصر سعيد إلى نشر

(١) المرجع السابق ص ٢٠٣ و ٢٠٤

(٢) التعليم في مصر ص ١٦

(٣) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ١٩٨

(٤) المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٥) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ٢١٩ .

(٦) التعليم في مصر — القسم الخامس — ملخصات ص ٥١ .



الكتب العربية القديمة ، ول على مبارك باشا<sup>(١)</sup> : « ولرعته في شر العلوم وسعة دائرتها ، وجه عموم النفع بها ، استدعى مع بعض أمراء الحكومة المصرية من المرحوم سعيد باشا ، وكان له ميل إلى الترحم رحمه الله ، صدور الأمر بطبع جملة كتب عربية على طرف الحكومة عم الانتفاع بها في الأزهر وغيره ، منها تفسير الفخر الرازي ، ومعاهد التفسير ، وحراة الأدب ، والمقامات الحريية ، وغير ذلك من الكتب التي كانت عديدة الوجود في ذلك الوقت قطعت » وكان مما طبع أيضاً مقدمة ابن خلدون<sup>(٢)</sup> ، فساهم رفاعة بذلك في نشر التراث القديم ، وإحياء عهد العربية العاصر .

## في أيام إسماعيل

ظل رفاعة مد ، مع المدرسة الحربية مدير مكتب إلى عهد إسماعيل باشا<sup>(٣)</sup> ، الذي بدأت عيادته بالتعليم وتحديد المدارس منذ الأيام الأولى من حكمه ، وطل يوالى ملك الحركة بالرعاية والتأييد حول أيامه<sup>(٤)</sup> ، ولم يكن يستطيع أن يستغنى عن الأدمعة المعكودة التي مهتت بالتعليم في عصر حده ، أو تخرجت في مدارس ، وقد وجد في رفاعة ، وأدم ، وعلى مبارك ، وغيرهم أصدق الأعوان في إقامة دعائم ما يريده للتعليم من تقدم وازدهار<sup>(٥)</sup> .

ولما كان رفاعة ممن يرى ضرورة نشر التعليم الشعبي بإشياء المكاتب للتعليم الابتدائي كما أسلفنا ، وأحب إسماعيل باشا ديوان المدارس بعد أن ألغاه سعيد ، وأقام أدم نائب مديراً للمدارس — عين رفاعة عضواً في (قومسيون الديوان) الذي يجتمع كل يوم ، للنظر فيما يخص عمله لافتتاح المدارس الجديدة ، وما فتحت استغنى

(١) الخطط الجديدة ج ١٣ ص ٥٥ .

(٢) تاريخ التعليم في مصر : عصر عباس وسعيد ص ١٩٨ بالهامش .

(٣) عصر محمد علي ص ٤٩٣ .

(٤) تاريخ التعليم في مصر : عصر إسماعيل ص ٩ .

(٥) المرجع السابق ص ١٣ .

عن هذا القومسيون<sup>(١)</sup>، كما كان عضواً في (القومسيون) المؤلف من بعض كبار الموظفين والأعيان والعلماء، للسطر في تنظيم المكاتب الأهلية، وقد دعى هذا القومسيون للاجتماع في ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ هـ، للنظر في لأئحة على مبارك التي وضعها لهذا التعليم الشعبي، ورفع نتيجة بحثه إلى المجلس الخصوصي تمهيداً لاستصدار أمر الخديو، وقد انتهت مهمة هذا القومسيون بانتهاء العرض الذي شكل من أجله<sup>(٢)</sup>، ولكن على باشا مبارك رأى أن تنظيم المكاتب الأهلية يقتضي تشكيل (قومسيون) دائم بديوان المدارس، لينظر في جميع المسائل الخاصة بهذه المكاتب، وأهمها تقارير المفتشين واقتراحاتهم، وكان يهدى إلى روعة رئاسة مجلس المكاتب الأهلية، «المتتصلي بمقاده للسطر في حال المدارس والمكاتب الأهلية، وإدخالهم تحت رابطة حسنة كما مرعوب الخديو»؛ ولهذا طلب إليه مدير الديوان أن يخصص في كل يوم إلى مقرر عمله بالديوان<sup>(٣)</sup>. كما أنه كان يعين في بعض اللجان لوضع حدان ما يشاء من المدارس<sup>(٤)</sup>. وهكذا كان روعة مصوته في هذه اللجان موحهاً للتعليم في مصر في عصر إسماعيل.

ولما أشق في هذا العهد قلم الترجمة بديوان المدارس حوالى سنة ١٨٦٣ م<sup>(٥)</sup>، على مثال القلم الذي كان في أيام محمد علي، اختير رفاعة له ناظراً، فكان يشرف على ما يقوم القلم بترجمته ومراجحته<sup>(٦)</sup>، وأحيل إلى رفاعة يكترجم الكتب العسكرية التي كانت المدارس الحربية في حاجة إليها<sup>(٧)</sup>، كما أشرف رفاعة على ترجمة بعض أعداد النخبة العسكرية المصرية، *Revue Militaire Egyptienne* لما أنشأها طهورها في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥ م).

وبلى حسب عمل رفاعة في قلم الترجمة و (قومسيون) ديوان المعارف، قام بدور

(١) المرجع السابق ص ١٢١

(٢) المرجع السابق ص ٥١ و ١٥٣

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤

(٤) المرجع السابق ص ٦٤٨

(٥) عصر محمد علي ص ٤٩٣

(٦) تاريخ التعليم في مصر — عصر إسماعيل ص ١٤٣

(٧) المرجع السابق ص ٦٢٤

كبير في تعليم تدريس اللغة العربية بالمدارس ، فكان يتمتع الفقهاء والشيوخ ،  
ليختار منهم الأكفاء لوظائف التدريس ، ويوزع المدارس ليتفقد أعمالهم ، ويحتر  
كفاياتهم ، ويضع يدياً يكتب اللغة العربية الصالحة للتدريس لكل مدرسة ، وطرق  
تدريسها ، والقواعد التي ينبغي على المعلمين اتباعها بالنسبة لسن التلامذة ومدة  
الدروس <sup>(١)</sup> ، وكان رفاعة بك يرى أن مدرسي اللغة العربية من الأزهر يجب أن  
يسهجو في التعليم مباح حديثه ، وأن يسبقوا علوماً جديدة ، ويدرسوا أساليب  
في التربية الحديثة ، تؤهلهم لعمل القيام بعملهم في المدارس الحكومية ، وكان  
سعى مات مبارك بشاركه هذا الرأي ، وذلك هو ما حفره في إنشاء مدرسة دار العلوم ،  
لتنهض بهذا الواجب <sup>(٢)</sup> .

ومعلا عن ذلك ، كان رفاعة شرف على كثير من الامتحانات والحفلات التي  
تُعقد في المدارس الأجنبية والمصرية ، فشهد امتحان المدرسة العيسدية ، وحظ في  
حملة <sup>(٣)</sup> ، وكتب سناً في روضة المدارس <sup>(٤)</sup> ، عم عليه مدرسة الإخوان Les  
Frores ، في دمشق ، وفي يتعلق بالتعليم والتطبيقات ، وتوصيح ما حصل في موسمه  
السوى لتوزيع الكائنات ، ولعل آخر امتحان رأسه ، هو ذلك الذي أقيم في  
مدرسة أسوط في رجب سنة ١٢٨٨ هـ ، وكانت حطته فيه آخر حصته <sup>(٥)</sup> .  
وما شئت صحيفة روضة المدارس سنة ١٢٨٧ هـ ( ١٨٧٠ م ) وضعت تحت  
مقدرة رفاعة بك ، الذي ظلّ عاملاً في كل هذه المناصب إلى أن توفي سنة ١٢٩٠ هـ  
( ١٨٧٣ م ) .

كان رفاعة قد حوّل السنين ، عندما عاد إلى العمل في حكومة إسمايل ، ولكن  
هذه السنين المشرقة الأخيرة من عمره ، كانت سعى عمل مثمر ، وفي تقديده من مناصب  
وهي أحرجه من كتب ألغها أو ترجمها ، ومن مقالات وقصائد دتجها ، فل الأستاذ

(١) المرجع السابق ص ١٤٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٨٤ .

(٣) راجع محله روضة المدارس — سنة ذوى عدد السادس .

(٤) سنة ذوى ، عدد عشر

(٥) روضة المدارس — السنة الثانية العدد ١٦ .

محمد الصادق حسين<sup>(١)</sup> : وآثاره في هذه الشجيرة تدل على علم باصع ، وشايط  
دهى عمر مألوف في الحو المصرى

## عمله الصحفي

★ رأى رفاعة الصحف في باريس ، وسماها النداء اليومية ، وم سكن تلك  
التدأكر معروفة لديه في مصر ، فإن الوقائع المصرية ولدت وهو عاش عن وطنه ،  
ولذا أراد أن شرحتها ، سقربها إلى ذهن قارئه فقال<sup>(٢)</sup> : « ورقت تطبع كل  
يوم ، وتذكر كل ما وصل إليه عندى في ذلك اليوم ، وتشر في المدينة ، وتباع  
أسار الناس ، وأسار أكابر باريس يرتوونها كل يوم ، وكذلك أسار القهوى » ،  
« صحف رفاعة ما تتمتع به الصحف في فرنسا ، من الحرية تامة في بدء الرأى  
« فهذه الجرائد مآدون فيها أسار أهل فرنسا أن تقول ما يحظر له ، وأن  
تستحسن وتستقبح ما تراه حسناً أو قبيحاً ، وأن تقول رأياً في تدبير الدولة ،  
فإنها حرية تامة نصر نديك ، فيه تحكم عليها ، وطبعت بين يدى القاصى<sup>(٣)</sup> »  
والصحف التى في فرنسا يومئذ حرية ، « فكل جماعة لها في رأياها مذهب كل  
يوم يقويه ، وتحميه وثؤسه<sup>(٤)</sup> » ، وهى « مختلفة الأنواع والأصناف : فمنها ما هو  
معد لذكر أخبار داخل مملكة فرنسا وخارجها ، ومنها ما هو مخصوص بأمور  
المملكة فقط ، وما هو لأممالات ، وما هو لطب ، ولكل علم على حدة ،  
و ( الجرائد ) الواحد يطبع منه عالم للبيع خمسة وعشرون ألف نسخة ، وكل  
( جرائد ) تكثر نسخه على حسب رغبة الناس ، وأرباب ( الجرائد ) يعرفون  
الأخبار الغربية قبل عرهم ، لأن لهم مراسلات مع سائر البلاد ، وهم في الواقع  
كخطباء الأمة ، يتعرضون لمدح وادم ، ولاستحسان ولاستقبح ، والتحسين  
والتقبيح ، والإغراء والتجدير ، إلى غير ذلك<sup>(٥)</sup> » .

(١) السياسة الأسبوعية ١٤٤٤

(٢) حدى لإبرير ١٤٤٤ .

(٣) و (٤) و (٥) تخليص لإبرير ١٤٤٤

وهذه التذاكر اليومية يقرّ رفاة عما لها من الأثر والعائدة ، فهي « من الأشياء التي يستفيد منها الإنسان كثير فوائد الشارده »<sup>(١)</sup> ، والإنسان يعرف منها سائر الأضرار المتجددة سواء كانت داخلية أو خارجية ، أي داخل المملكة أو خارجها ... وقد تتضمن أخباراً تشوّف نفس الإنسان إلى العلم بها ، على أنه ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق ، أو سيئات مفيدة ، أو بصائح نافعة سواء كانت صادرة من الجليل أو الحقير ، لأنه قد يخطر ببال الحقير ما لا يخطر ببال العظيم ... ومن فوائده أن الإنسان إذا فعل فعلاً عظيماً أو رديئاً ، وكان من الأمور المهمة كتبه أهل (الخرابال) ليكون معلوماً للخاص والعام ، لترعيب صاحب العمل الطيب ، وردع صاحب العمل الخشن ، وكذا إذا كان الإنسان مطلوباً من إنسان ، كتب مطلقته في هذه الأوراق ، فيطلع عليها الخاص والعام ، فيعرف قصة المطوم والضالم ، من عمر عدول عما وقع فيها ، ولا سديل ، ويصل إلى محل الحكم ، ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة فيكون مثل هذا الأمر عمرة لمن يعتبر<sup>(٢)</sup> .

✱ ولم بأحد رفاة على الصحافة الفرنسية سوى كدسها ، حتى إنه قال : « ولا يوجد في الدنيا أكذب من (الخرابال) أبداً خصوصاً عند الفرنسيين »<sup>(٣)</sup> . تلك حال الصحافة الفرنسية عندما ذهب رفاة إلى باريس ، ولا ريب أن وضعه لها في كتاب رحلته دلّ على توفه أن يحد لها نصيراً في مصر .

وفي أثناء إعرابه عن وطنه ( ١٢٤١ - ١٢٤٦ هـ ) فكر محمد علي باشا في إنشاء وقائع المصرية ، واعتبارها جريدة الحكومة الرسمية ، فأصدر أمره بتهيئة الوسائل لنشر هذه الجريدة « كما أنه كتب إلى المديرين ، ورؤساء الدواوين بطلب حلاصة خصوصية عن الوقائع التي تحصل بالجهات ، وإرسالها إلى قلم الوقائع الذي صار إنشاءه بتاريخ ١٥ رجب سنة ١٢٤٤ هـ لطبعها وتوزيعها على الدواين الملكية والمحادية ، وتحصيل ما يقرر على ذلك من الرسوم »<sup>(٤)</sup> . وقد عني محمد علي

(١) محمد إبراهيم ص ١٤٤

(٢) خلدن إبراهيم ص ٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٤

(٤) تاريخ الوقائع المصرية ص ١٥



بصحيافته أيما عناية ، واحتهد في نورعها بحث تصحيح مقروءة في أكثر البينات  
 المصرية ، ورعى أموالها ، واستتحت عماله على مرافقها وحمايتها ، ورقب نفسه  
 صلاحية الشر فيها ، وأخذ يشهر رأيه في أدق مسائلها وأهونها<sup>(١)</sup> ، وكانت عناية  
 بها تدفعها أغراض كثيرة ، فقد كان حريصاً على شر أوامره فيها ، وأن يكون  
 مكاناً حصياً لمدحه والثناء عليه ، وكان يوغر بالقلات التي من شأنها أن تشيد  
 بجهد من جهوده الكثيرة<sup>(٢)</sup> ؛ وكان النظام الإداري الذي وضعه الوالي سنة ١٨٢٦  
 من أهم الأسباب التي حدث بمحمد علي أن يطبع لمصريين صحيفة تعرفهم على  
 « الحال والزمان » ، كما تلت طرهم « إلى الأمور الدقيقة الحاصلة من مصالح  
 الزراعة والحراثة ، وباقي أنواع الصنائع التي باستعمالها يتأتى الرخاء واليسير<sup>(٣)</sup> » .  
 وصدر العدد الأول من الوقائع المصرية في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٤ هـ  
 ( ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٨ م )<sup>(٤)</sup> ، وصدرت الوقائع بالتمتين : التركية والعربية ،  
 وعين لتحرير اللغة التركية وإدارتها سامي أمدى<sup>(٥)</sup> ، واحتلف الكتاب فيمن  
 أشرف على تحرير القسم العربي فيها ، ومن سبب إليه ذلك رفعة الطهطاوي ،  
 وذلك غير صحيح ، لأنه لم يكن يوم إصدارها مصر ، بل كان في المئة باريس .  
 وحدث بعد عودة رفاعة أن كان محمد علي شديد الرعة في وضع خطة سديدة  
 تضمن صدور الوقائع على الوجه الأكمل ، كما هي الحال في صحافة الأمم الأخرى ،  
 فأصدر أمره بوجوب تحقيق هذه العاية ، فاجتمع المسئولون ، وأرسل ديوان  
 المدارس — وكان هو المشرف على الوقائع المصرية يومئذ — في دى القعدة سنة  
 ١٢٥٧ هـ ( ١١ يناير سنة ١٨٤٢ م ) إلى ديوان المعاونة صورة القرار بشأن طبع  
 الوقائع ونشرها ، وهذا هو القرار : « إن العرض من طبع الوقائع إنما هو لنشر  
 الأحبار الحديثة على الناس ، حتى يستفيد منها كل إنسان ، ولا يجب الاكتفاء  
 بنشر أخبار مصر محض ، وقد أصبح من اللازم بصافة سد لحوادث الخارجية

(١) المرجع السابق ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٩

في الحريدة حتى تقلها الناس رعة وشوى ، ويشتاؤون قراءتها ، فالأخبار تسقط قيمتها إذا تقدم عهدا ، ولذلك وحب الحصول على الأخبار أولا فاولا ، وشرها على الجمهور ، ولما كان في بعض الأخبار الأحتنية أشياء لا يليق شرها فقد قرر تغييرها ، وعدم شر المواد الغير مناسبة وشر الحوادث الدخلية والخارجية الملائية بالمر والمتنظر فائدة منها .

المكتبة

« وحيث إن شر مثل هذه الأخبار شوق على قراءة الجرائد الى شر في الخارج ، ويستوح أن يكون الوظائف مشرف على رتب الحريدة وتنظيمها لما بالمتبين ، وعلى ذلك فقد قرر بحسب أعمال ترجمة المواد المدونة من الجرائد الأجنبية ، وعلاوة بعض قطع أدبية من الكتب لأدنة ، وانتخاب أخبار الملكية ورتب الحريدة المصرية ، بصفة عامة على حصة السمح (رهف) امدي باطر مدرسة الألسن ، لوحود مترجمين جعريين ، في هذه المدرسة ، وبذلك يفرق المواد التي يستحق النشر ، ونحو المواضيع التي يستدرج بالحريدة يحصره أدهم بك مدير المدارس ، وحيث إن حصره الشيخ (رفاعي) سيمع أسول الحريدة بحسب اللغة العربية ، فتدخل أعمال فراع الترجمة في باب حسن دون الإحلال بالأصل العربي ، وتنظيم المواد على حسب النظام التركي على حصره حسين امدي ، باطر الطامة العامة ، على أن هذا تشكيل من اختصاص وظيفته بصفة أصمية . »

« أما الحوادث الخارجية ، وإن كانت تنشر في الحريدة ، إلا أن الأخبار المصرية ستكون المادة الأساسية ، وسيمكن نشر الأخبار المصرية في كل أسبوع ، إذا ما وردت التقارير في الوقت المناسب من ديوان المعاونة ، وديوان الجهادية ، والديوان الحديوي ، والإسكندرية ، ولأقاليم ، إلى ديوان المدارس ، وفي حالة عدم ورودها في الوقت المناسب ، يكلف على لبيب امدي معاون ديوان المدارس والترحيم العربي للدهاب إلى الدواوين لإحضار الأخبار ، وأن تنقل بعض أخبار مناسبة من حريده استاسول . وحيث إن الحوادث الأحتنية معتاد تقديمها إلى الباب العالي بعد ترجمتها إلى لغة التركية فيكلف البث المرحم بانتخاب المناسب

منها ، وإرسال صورها إلى ديوان المدارس وهذه الطريقة تمكن نشر الجريدة أسبوعياً<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك نرى نهج الوقائع المصرية في عهدها الجديد ، ونرى عمل رفاعة في هذا العهد ، وأنه ترجمة المواد المناسبة من الجرائد الأجنبية ، واختيار مص قطع أدبية من الكتب الأدبية ، واختيار أخبار المسكية ، وريب الجريدة المصرية صفة عامة . وكان الطهطاوي أحد المصريين بهذا المنصب ، فالرجل واسع الثقافة كبير الاطلاع ، أسند الترجمة في الديار المصرية يومئذ ، وقد استطاع رفاعة أن يؤثر في الصحيفة بشخصيته القوية ، فأحدث اللغة العربية مكان الصدارة في الصحيفة بدل اللغة التركية<sup>(٢)</sup> ، وأراد رفاعة أن يغير اسمها باسم « مطهر أخبار مصرية » ، وأقر الشورى هذا الاسم ، غير أن محمد علي لم يجره ، وبقت الوقائع باسمها الأول المعروفة به إلى الآن<sup>(٣)</sup> . ومضى رفاعة يحرر الأصل العربي ، ويرتب الجريدة بصفة عامة ، يماونه في ذلك المترجمون من رجال مدرسة الألسن<sup>(٤)</sup> ، وبذل جهده في رعاية الصحيفة ، واستعان بقشة من المحررين . أهمهم أحمد فارس الشدياق ، والسيد شهاب الدين تلميذ المطار ومساعدته<sup>(٥)</sup> .

وفي هذا العهد نرى الجريدة قد سطت سطياً جديداً ، بحيث أصبحت تصدر كل أسبوع ، وعين مكان لبيها وتغن لها ، وللاشراك السوي فيها ، وأغلب قراءها سياستها الجديدة في التحرير والتنوير ؛ فنشتمل على الأخبار المسكية داخلية وخارجية ، صناعية ، وتجارية ، عمية ، وأدبية ، واحترمت لغة البلاد ، كما ذكرنا ، وبوبت نبويماً يسوق الأهم فيه المهم ، واسقلت فخاه من توافه الأخبار والحوادث ، والافتتاحيات الثقيلة المشوّة مديحاً وثناء اللوال ، بمرر وغير مرر ، إلى

(١) تاريخ الوقائع المصرية ص ٤٢ وما بعدها

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٤) لمرجع نفسه .

(٥) لمرجع سابق ص ٤٩ .

موضوعات رئيسية لها خطرهما ، فقد حمل المقالة الرئيسية في العدد رقم (٦٢٣) حديثاً لم يعرفه قارى الوثائق من قبل ، تحت عنوان تمهيد ، وكتب رفاة تحت هذا العنوان حديثاً عن السياسة والسياسيين ، وظم الحكم من ديمقراطية واستبدادية ، والرد على ما رعى الأحباب من استقداد حكام الشرق<sup>(١)</sup> ، وبعد هذا المقال أول موضوع من نوعه في تاريخ الوثائق المصرية<sup>(٢)</sup> ، ورتت الوقائع بمهددها ، تحدثت في صحتها سطوراً لشر منه علاقة بالأدب ، ولكن لم نشر حديثاً غير مقاله التقدم ، بل أعادت داعة مافلوه في ارضى ، فقدت شيئاً مما فيه ان خلدون في صناعة الأدب ، كما نشرت بعض شعر المعاصرين<sup>(٣)</sup> ، ولكن بعد سنة ١٢٥٨ هـ عادت انعة العربية إلى السار ، وانركية إلى اليمن ، وكان هذا إيذاناً بانحلال الحيدية ؛ فقد أهمل بعض وادى النشاط ، فلم يعد نرى أدباً أو شعراً وإنما ملائها موضوعات أخرى ، كشر الأخبار الرسمية أو الداخلية بأمر الوالى ، حيث أمر نالاً يكتب في اوقاته شئ ، ينعصر بالسياسة ، بل يحب انحصارها في أخبار ما يحفر من البرع ، وما يث من الجسور و مسطر ، وفي أساء العزل والصب ، وكذلك أبناء السفن التي من الخارج<sup>(٤)</sup> ، ورأساً فيها كثيراً من الترجمة عن الصحف الأوربية عامة ، والعربية خاصة ، ولولا نقدها عن هذه الصحف العربية لهانت قيمتها ، يدان هذه الصحف عدتها بالطرائف التي كانت نشر في (حرال) باريس ، المسمى بالدبا (Journal des Debats) .

وظل رفاة مشرفاً على تحرير الوثائق المصرية إلى سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م)<sup>(٥)</sup> ، ووقف نشاطه فيها في عهد عباس .

وهذا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا لم يحقق رفاة أطباعه وآمانه في الصحافة ، فينهض بها حتى تصل إلى مستوى الصحافة الأوربية ، ولم يصرف عن الحطة التي

(١) تاريخ الوثائق المصرية ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤

(٥) حلية الزمن ص ١٥ .

كان قد انتهجها في أول عهده بالوقائع ، فيسأل لموضوعات السياسية والاجتماعية ، ولعل الحواب عن ذلك مجده في عمل رفاة بمدرسة الألسن ، وهذا العمل الذي استغرق جهده ووقته ؛ فقد كان مرهقاً بالعمل كما ذكرنا ، ورغم أن رفاة الوقت قد حان لإنشاء مثل الصحف الفرنسية ؛ لأن الجمهور لم تكن درجته العلمية تسمح بأن تنشر له صحف يومية ، ولعل في الحلة السيسية لمصر سنة ١٨٨٥ م بمصر لنا انصراف رفاة عن تناول الموضوعات السياسية .

ولم بعد رفاة إلى العمل الصحفي في عهد عباس وسعيد ، حتى إذا جاء إسماعيل ، وكان مدير المدارس على مبارك باشا ، أنشأ في روضة المدارس وأسند نظارتها إلى رفاة ، وكان على مبارك يرى رفاة أحد الناس بأن تسند إليه هذه النظارة فقد قال : « لكان حظه روضة مث (طبر) فم الدرجة ديوان المدارس هو المشار إليه بين أرباب المعارف بالبنان ، ولعزف بدرجة فده الرفيعة كل إنسان ، ناسب أن تحمل هذه الصحيفة تحت نظارته ، لتحتل من معلوماته بالدر الثمين ، وينشر عليها ، فيتلقاه محب المعارف باليمن (١) » ، كما أسندت مباشرة تحريرها ، وترتب مقالاتها إلى ولده على فهمي رفاة ، مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن ، واتحدت المحلة شمارها هذين البيتين :

نعم العلم واقرأ      تحز نغار النبوة  
فالله قال ليحيى      « خذ الكتاب بقوة »

وكتب افتتاحية المحلة روضة في أول عدد صدر منها ، في يوم السبت ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ هـ ، ( ١٨٧٠ م ) ، وفي هذه الافتتاحية التي بدأها بحمد الله ، والصلاة على رسوله في عبارة مصنوعة مسجوعة ، ككل أجرائها ، أخذ يثنى على إسماعيل باشا وجهوده في إحياء العلوم وبناء المدارس ، وهل مدتها رسالة الروضة : « وإن حل مرعوب ديوان المدارس المصرية ، اعتمداً على مساعده العناية الخديوية ، بعميم العلوم وتعميم المعارف ، وانتشار العمون وإكثار الصدقات ، ومداولها بين جميع أبناء الوطن ، وسويتهم في الورود على مستند هذا الشرع الحسن . وبار



الوسائل المعبية على جلب قطافها بدون كبير مشقة ، وإحراز الوسائط المسهلة  
لجلب أطرافها ولو بكثير بركة ... فقد أبرر في هذه الأيام السعيدة ، لحرصه دائماً  
على إبداء كل طريقة من المحاسن ونبيلة ، تقتضى الإرادة الحديدية الممثلة بالهمة  
العلمية المباركية . صحيفة نمون باسم روضة المدارس على هيئة مجموعة ، بتقيد في  
حريتها أى مدة علمية من المواد النعائس ، بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة ،  
والوسائل الناصلة والمفرعة ، أقرب - ولا لمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذاً لمن  
يعانيها من قرب الفهم والعميد ، بقلم سهل العارضة واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة  
عبر حوشية ، ولا متحشمة لصعب التراكيب ، ومعان رحيحة تنحدر في سلك  
مستحسن الأساليب ، وإافية نكال التهذيب ... ولا تكلف فيه التعبير بما يستلزم  
الاستعصاء والإباء ، مما كان حارياً على ألسنة العرب العرباء ، حيث لا يحتاج العموم  
إليه ، ولا يتوقف تدوين العلوم عليه ، فإن إدراك من ظهورها بهذه الصورة هو أن  
تكشف للعامة مخدّرات العلم ، وترفع حجبها المستورة ، ... وعلى الخصوص بين  
أساء المدارس المستطبلين بطلانها بوارفة ، المتمتعين في ساحتها بأحرل نعمة ،  
وأحرل عارفة ، فإنها تكون مأسسة لهم ولغيرهم نعم نعمة ، وأعظم وقماً ، بما اطول  
عنه من بشر الفوائد العلمية العارفة ، وذكر حوامع الكلم الحكيمه الرائقة ،  
ورفاق الصلوة المصريين ، ودقائق العلماء الداصين ، حتى تنسج دائرة منقولهم  
ومنقولهم ، وتغتنى من روائع العلوم ، وخواهر العلوم حقيقه عقولهم ، مع ما يريد  
في رعائهم ، وسفهم على إردباد اهتمامهم إدا ، علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله  
المستحسنة ، ويشهر من أشعاله اسأثره على الأئدة والألسنة ، سيقيد بهذه الصحيفة ،  
تلمسه أبهى أقاصد شريفة ، وذكر فيها اسمه وحليته ورسمه ، فترداد حينئذ  
رعته ، وتقوى على عطاء الأمور حمته ... وقد نرأه صحيفتنا هذه مما سوى  
ما يحسن بشر فائدة علمية ، ومحمد ثرية ، مما يقع عليه الاحتيار ، ولا صرر فيه  
ولا صرار ، فليس من وصافها بقييد الأحوال السياسية الوقتية ، والأعمال الرأسية  
والإدارية ... ومما شهر فصل هذه الصحيفة وعلى قدرها ... أن سعادة مدير  
المدارس جعلها مدحوظة نظراً بطارته .. وقد تكفل لها عدة من العلماء الأساتذة ،

والفصلاء الجهابذة ، بمداها برسائل مؤلفة جديدة ، وبمد مصنعة معينة ، من  
فنون وعلوم مختلفة ، ومساهمات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة ،  
وبعض تراجم من لغات أجنبية ، وإحراجها في قالب سهل من أساليب العربية ،  
ومما كل منهم برسم عضو تأسيسى .

ومن هؤلاء الأعضاء ، عبد الله فكرى بك ، الذى أحيل عليه العلوم العربية  
والفنون الأدبية ، وروكش ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم وحسن بالتاريخ ،  
وإسماعيل العلى بك وعهد إليه بالفلك ، ومحمد فدى أفندى وحسن بالحجرات  
والأحلاق والمقائد ، وأحمد أفندى سا وعهد إليه بيان المواد النبوية ، والشيخ  
عثمان مدوح ، وطلب منه إمداد المحبة بقرايب النوازل والفضائح والأخبار والأحاديث  
والنكتات . وأحيل على مباشر تحريرها الكلام على عروسة مصر القاهرة ، وذكر  
أحطاطها وشوارعها ، وأحيلت كافة العلوم الرياضية على ( حوارج ) المدارس  
الملكية ، وما يرد منها فى المقابل ، بذكر باسم صاحبه ، حتى لا يضيع عمل عامل<sup>(١)</sup> .  
ومن ضم إلى أعضاء تحريرها بعد إنشائها ، السيد صالح محمى بك وكيل ديوان  
المدارس<sup>(٢)</sup> ، والشيخ حسونه المواوى الحقيق مدرس على الفقه والكلام بمدرسة  
الإدارة والألسن<sup>(٣)</sup> ، ومن ذلك ترى اسبح العظم الذى وصف الروضة لتحقيقه .  
ومست المحبة بنشر مقالات جماعية وتاريخية واجتماعية وصحية ومسائل رياضية ،  
ومقامات أدبية ، وأخباراً علمية ، ومدرسية ، وفصفاً وفقهاً ، وعلم كلام ، وتربية ،  
ورعاية وحساباً وهندسة ، وتداركاً ومنطقاً ولعبة ونحواً وكيمياء ، وشعراً فى نهضة  
الحديث وأحواله ، وبعض الروايات التمثيلية ، والخطب التى كانت تلى فى امتحانات  
المدارس ، وأمدتها بعض الأجانب بمقالات ترجمت بأفلام رحل فم الترجمة ،  
ومدرسى اللغة الفرنسية بالمدارس ، كما كانت تنشر المقالات المترجمة من الإنجليزية  
والفرنسية ، وملخص كثير من الدروس التى كانت تلى بدار العلوم .  
والروضة تقدم المقال بمقدمة مسجوعة ، تلي مضمونه أحياناً ، وتلى على كانه

(١) راجع افتتاحية العدد الأول للمجلة .

(٢) مجلة روضة المدارس — السنة الأولى — العدد الثانى .

(٣) المصدر السابق — العدد العاشر .

حينئذ آخر ، وكانت المقالات الأدبية بها تسبح تسبح المقامات ، وتسمى باسمها ، فتصدر بعنوان : مقامة حليلة .

ولم تقتصر الروضة على نشر المقالات ، بل ألحق بها منذ العدد الأول كتبت ألفت لها ، ووسعت بحيث ألحق كل قسم بعدد ، ككتابت حقائق الأبحار في أوصاف البحار ، لمي مبارك باشا ، وكتابت آثار الأفكار ومنتشور الأرهار ، لعمد الله فكري ، وهو كاسمه مختارات من كتب الأدب ، وكتابت الصحة التامة والمنفعة العامة ، لمحمد بدر مدرس الأمراض الدطنية بالدرسة الطبية ، وكتابت المباحث البليات فيما يتعلق بالسات ، وكتابت مهجة الطالب في علم الكواكب ، وكتابت السمكات ونبات ( التيارات ) ، إلى غير ذلك من كتب رراعة وصحة وحساب .

وكل ما نشر في روضة المدارس كان بالعربية المصحى إلا رواية تمثيلية هي الفصح المصوب للحكيم المصوب ، من تأليف محمد افندي عثمان المترجم بديوان الحمادية ، فإنها كانت بالعامية<sup>(١)</sup> وافقت المحلة مع رسالة رفاعة ، التي ترى إلى بداعة العلم وتقرب سبله للمصريين ، كما عودت الطلبة الطالعة والبحث ، وفتح صحائفها للمبشرين منهم نشر أبحاثهم شجعهم ، واستحثهم مهمهم على البحث وبذل الجهود المستقلة عن دروسهم .

وكان ديوان مدارس يسمح كل واحد من الطلاب الثلاثة الأول في كل فرقة بالمدارس ، الأعداد التي تصدر من الروضة ، ولقيت الصحيفة من الطلاب من الإقبال الشديد على قراءتها والسكينة فيها ، ما جعل الديوان على أن يأمر بأن « التلاميذ لا يستمعون بمواد ( آخرى ) في وقت الدروس ، ولا في كفايته ما لم تكن في أوقات المسحة أو حرج عن المدرسة<sup>(٢)</sup> » وكانت تصدر مرتين في الشهر ، ويطبع من كل عدد منها ٣٥٠ نسخة ، ثم زيدت إلى ٧٠٠ نسخة<sup>(٣)</sup> ، وحمل الاستراك فيها ٧٧ قرشا وست ناراب بالقاهرة ، و ٨٢ قرشا في داخل القطر ، و ٩٠ قرشا في خارجه<sup>(٤)</sup> .

(١) بحه روضة المدارس — سه ثمة — لعدد ثالث

(٢) تاريخ تعليم في مصر ، عصر إسماعيل من ١٥٤ .

(٣) صدر السابق فيه .

(٤) انظر العدد الأول من الروضة .

وكان الديوان حريصاً على توزيع أعداد الروضة ، فكان يرسل بعض أعدادها إلى مدارس ، ليشتريها المدرسون ، مهنياً إلى « الحذر من عدم إيراد أى نسخة من الروضة » ، ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموطعين بديوان المدارس والمكاتب الأهلية ، ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشاً في الشهر ؛ وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعداداً من روضة المدارس إلى أعيان البلاد ، ليقوموا بتوزيعها .

ولم يقف رعاة في عمله بالروضة عند حد التوجيه والتطهير ، بل ساءم في تحريرها : فقدمه كتب افقة حينها ، وأثنى بعض أعدادها بعض مقالاته ، وفي العدد الثاني للسنة الأولى مقال له عنوانه : في اسمه تعالى ( المصور ) ، وانصافه به حقيقة ، وانصاف غيره به مجازاً . وفي العدد الثالث مقال عنوانه : نقاء حسن الذكر باستخدام الفكر ، وفي هذا المقال يرى أن استخدام الفكر يؤدي إلى استنباط الصالح من الأمور ، فيجوز ذكر صاحبه في ليس . وفي العدد الرابع مقال له ترجم فيه كسرى أو شروان ، وقد اقتبس هذه الترجمة من مواضع متفرقة . والمقال مطوّل استغرق نشره عدة أعداد ، وفي العدد السابع عشر مقال له اسمه : إحسان السيرة : خلاص السيرة ، وفيه يرسم لراغب المثالية اخلاقية طريقاً يصل به إلى السمو . وفي العدد التاسع عشر مقال له ، عنوانه : البهجة المسكينة في ركة الأركنية ، بدءاً عما قبل في المرك من الشهر ، ثم تحدثت عن مخرج ركة الأركنية ، وكيف بدأت سنة ٨٨٠ هـ على يد المعز الأتابكي أركن من الظاهري الذي سدد إليه ، وكيف انتهى أمرها بأن صارت مستأجرة عظيم .

كل هذا قد نشره رعاة في السنة الأولى ، وبعضى السنة الثانية من غير أن ينشر رعاة شيئاً من المقالات ، ولعله شغل في ذلك الوقت بتأليف بعض كتبه ، ولعل آخر مقال كتبه رعاة ، هو ذلك الذي نشره بالروضة في آخر دي القعدة سنة ١٢٨٩ بالعدد الثاني والعشرين من السنة الثالثة ، كتبه على لسان المدارس الملكية والمكاتب الأهلية ، بمناسبة نشره الشريف الحديو بالحضور لديوان المعارف ، وتوزيع المكافآت تحت ظل رعايته .

وسجل رفاة في روضة المدارس بقرآنه ، فيه بيان لما عليه مدرسة الإخوان Les frères بالخرنق في يتعلق بالتعليمات والتطبيقات ، وتوصيح ما حصل في موسمها السنوي لتوزيع المكافآت . كما سجلت روضة المدارس بعض خطبه كتلك التي ألقاها في امتحان المدرسة العميدية ، المنشورة بالعدد الثالث من السنة الأولى ، وكذلك التي ألقاها في امتحان مدرسة أسيوط سنة ١٢٨٨ هـ ، وهي منشورة بالعدد السادس عشر من السنة الثانية .

وبشر ردة بالروضة كذلك فصلاً ، مدح بواحدة<sup>(١)</sup> توفيقاً ، وهماً بواحدة<sup>(٢)</sup> بسعيد بختان بخله ، براهيم ، وهماً بثالثة<sup>(٣)</sup> الحديو بجمال العام المحرق ، وأراح عفتوغة<sup>(٤)</sup> قصده تولية حسين باسا ولد إسماعيل ، نظارة ديوان المدارس المسكية ، والأوقاف المصرية ، والأشغال العمومية .

وأداع فيها رسالة مطوطة هي رسالة<sup>(٥)</sup> المدع المتقررة في الشيع المتعبرة ، والحق بها بعض مؤلفاته ، كقولها الوحي الذي دعاه القول السديد في الاجتهاد والتقليد<sup>(٦)</sup> . وفي السنة الثالثة بدأ بنشر كتابه : نهاية الإبحار في سيرة ساكن الحجاز ، ومات رفاة ، ولم يتم نشره ، فاستمر النشر بعد وفاته .

وكان آخر عدد ظهر عليه اسم رفاة ، هو العدد السادس من السنة الرابعة ، الصادر في يوم الاثنين عية ربيع الأول سنة ١٢٩٠ هـ ، وعلى العدد السابع اسم والده على فهمي ، وكانما غرّ على الروضة أن تنسى باطرها الأول ، فكتب على علاف العدد الحادي والعشرين لسنة الرابعة هذه العبارة : تحت إدارة باطر قلم الروضة ومطبوعات البار على بك فهمي بخر رفاة بك . فكانها توحى بدوام صلتها بمحامها الأول .

(١) عدد ١٠ من السنة الأولى

(٢) العدد الأول من سنة ١٢٨٩ هـ .

(٣) العدد الأول من السنة الثالثة

(٤) العدد الثاني عشر من السنة الثالثة .

(٥) نشرها إحياء من العدد الثالث عشر من السنة الأولى .

(٦) نشره ملحقاً بالعدد السادس من السنة الأولى .



## وفاته وراثؤه

في يوم الثلاثاء، غرة ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ (٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ م<sup>(١)</sup>) توفي رفاعة، بعد حصة وسبعين عاماً قضاه في جهد طويل مشمر، ساعده على النجاح فيه أمه - كما قال بهيمه السيد صالح عدي بك<sup>(٢)</sup> - عاش صحيح البنية، قوى الأعصاب، معتد المراجع، إلى أن اعترته البركة الفاتية التي يصيب الكهول، ونؤدى بهم إلى الهلاك بعد الجحول، فتخلص منها أوّل مرّة، ثم عاوده ثاني كرتة، فنج منها لمسحة في أحله، ثم أدركته في الدومة الثانية، فلارم الفراش، ولم تنفك عنه حتى مات.

وقد ودّعته مصر وداعاً حافلاً، حديراً رحل عاش طول حياته لخدمتها والعمل على الهوض بها، وبعثته أوفدته امصرية مسجلة هذا الوداع الحافل فقلت: «قدم على رب كريم، بالؤمنين روف رحيم، الحبيب الذي ماضى بحبه، وودّع تودع العراق محبة، إلا من بعد أن ركن من نصاب دكانه ركه الإلهي، إلى أن ارتق سيرة الطباقي، وملأت شهرته الآفاق... المرحوم رفاعة بك عدي، الذي عن الإطبات، بماله من حليل المعو - وجيل الألقاب - . ثم شيع حذارته من منزله الذي بطريق شبرا من لم يدعوا لار في الطريق فترا ولا شراً، من حصراب العلماء، الأفاضل، ورجال المدارس الأمثل، والأمراء العظام، والأعيان الكرام، وحسبه سعى حصرة مولا، شيع الجامع الأزهر، مفتي الديار المصرية المشكور هو ومن تبعه من أكابر العلماء، حرام الله حراً وأحرل لهم الأحرور... ولحصرة الحجاب المبجل (سمادتلو) مسننار اندارس والأوف والأشغال من السعي ذلك، ما يستدل به على عني همته للمعومة في الأقطار والمالك، فإنه أصدر أمره الأكيد، إلى الجميع الذين في دائرة مسشاريته بالمادرة إلى التشيع، فشيعه أولئك المعطاء، إلى مدفنه الذي بستان العلماء، مدفن رحمه الله، وأحسن مثواه، وأحرل فراه،

(١) حلية الزمن ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨.

وشكر سعى الساعين ، وعوض الناس أجمعين خيراً فيه <sup>(١)</sup> .

ورثاه محمد عثمان أحد تلامذته بمدرسة الأسن -- بقصيدة نشرتها الوقائع المصرية في عدد نميه ، ومطلعها :

يفادونا من زحج انتفاعه      ويمنع من لا يحق امتناعه  
ومنها :

وما الدأمر إلا المدو المين	إذا شام حرقاً أحد انتفاعه
وأقسم لا نال إلا الكرام	وأهل المعاف ، وأهل القناعه
تجرمه واحداً واحداً	وما كان قبل فيهم شعاعه
فيا ليتهُ مالٌ للملم يوماً	وأبقى إلى طالبيهِ رفاعه
هام ، تمكن من كل فن	ويمكن في كل علم راعه
ومبتدع زان منه ابتداع	ومخترع قد أجاد اختراعه
له منطق للملا سلم	ومعقوله يستحق اتباعه
وحافظة كل قيد	من العلم شتاً أمنا ضياعه
فيلد الصبر إذا قسسه	معيد النبال كثير الضاعه
حوى الملم والحلم والملك ،	والعدالة والطرف ثم الشجاعه
وأوسع في الحمد حتى انتهى	وأقن في كل من صناعه
ودعاه في التوب رعباً ولم	نكن نلغ اليأس يوماً وداعه
وهوى من العمر فينا سيباً	فلم تك من لطمها غير ساعه
لقد كان باعاً لا ساري	لحياء عيت ، وحيث قناعه
ورثه مصححه واسل	بحسب حلد يديم اصطجاعه

ورثاه نعيده أيضاً السيد صالح محدي بك بقصيدة طويلة يقول فيها :

كيف السيل إلى دفع الملمات	عن أنفس الناس من ماض ومن آت
رفاعة عالم الديبا ، وواحدتها	وحير من كان برجي للملمات
وبحرها الرأحر الحارارى ناودية	فيها دوام انتفاع للبريات

(١) الوقائع المصرية عدد ٥١٠ سادر يوم الثلاثاء ٨ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ  
(٣ يونيو سنة ١٨٧٣ م) .

وطودها في علوم ليس يلحقه . متا بمضارها سباق عاب  
لا أوحش الله بعد الأنس أدبية كانت مصابيحها منه منيرات  
فإنه كان حراً، عن مدائح مدائح وكان مجلسه في كل آونة  
وكان يعمو عن الحاني ولو كثرت وكانت يفرح بالجاني، ويفرمه  
لما قضى نجبته ماتت لفرقة والأرض قد عمتها في يوم مصرعة  
وروحه قائمتها الحور مد قصت وكان لما توارى بالصرح رثي  
وحوله من نى الزهراء حدثه وفي ربيع عدا محدي، وورحه

٧٥١ ٤٤ ٣٩ ٤٥٦ سنة ١٢٩٠ (١)

كما رثاه أيضاً بقصيدة أخرى لم تقف بها إلا على المطلع وهو :

كيف النجاة وأحكام الميمات من دوسها مصيب الشرفيات  
وعلى شطر التاريخ وهو رفاعة زاده أهى نجات  
٧٥١ ١٧ ٦٦ ٤٥٦ سنة ١٢٩٠ (٢)

أما مجلة روضة المدارس فقد نقل عنه فيها نى الوقائع لوالده ، وصدره - هذه  
الكلمة : « إلى ليحرسى أن أهل من عدد التوابع المصرية الأخير ، ما كشته حصره  
محررها الأستاذ الشهير : بيداً به فاه والذى روعة بك رافع ، طاب نراه ، وحمل  
الجنة متقلبه ومثواه ، وحيث كانت دعوى الأسف على فقده لاشاعله لى عن القيام  
بمحقوقه الواجبة على من بعده ، كان ليس فى وسمى الآن ، إلا الدعاء له بالرحمة  
والرصوان (٣) » .

وهو وفاته أرحاء العالم العربى ، ونكاه تلاميذه الروحانيون الذين هموا

(١) حلية الزمن ص ٣٠ .

(٢) ديوان محدي بك ص ٤٥ .

(٣) روضة المدارس - المنة الرابعة - العدد السابع .

كتبه واتفقوا بها ، هورد باسم ولده علي فهمي رفاة ، رسالتان : إحداهما من دمشق ، كتبها السيد محمد طاهر ، والثانية من السيد محمد صالح الدمشقي . وشعرهما ابن رفاة ، في العدد التاسع للسنة الرابعة من مجلة درويزة المدارس ، وحاء في الأولى بعد مقدمة : « ألا إن بعض الخطب أهون من بعض ، كما أن بعضها أضر وأمن ، ولا كخطب ورد حتره إلى الشام ... فإنه انخرجت به الأفتدة ، ولا يلتام ما كالم الكلام ، وهمت له عيون العيون فكانت هو قطر هام ، وذلك وفاة جامع أشقات المعابر ، المتعبد بعبات محاسن الأوائل والأواخر ، صدر الزمان وعرة الفصل وانبيا ، وسوع الخود والإحسان ... ثم إن لنا كتب تلميذاً بحسب المعنى للعلامة الذي استؤثر به ، بسب مطالعي أكثر كتبه التي هي مكر الزمان ، ونتيجة التحقيق والإيقان ، واستعدت منها فوائد دونها الفرائد ، ومعارف ، ينفذ فيها التليد والطارف ، ولاسم عباراته تلخ صدر قارئها ببرد اليقين ، وشي صدور قوم مؤمنين ، نادرت بظم ألب فيما ببعض حقه فقلت :

مصائب له صمّ الخيال تصدّع	وأحشاء كل الخلق منه تقطّع
ألم فأصابع ، في القلب حربة	وشدة أحزان ، وفي العين أدمع
يقول لنا أن نخرج الدمع بالدماء	ومنزيمه إذ نهيم وبجزع
هو أسماه الشمس يحجب ضوءه	ويسهل الصافي عن الورد يجمع
ألا كل خطب بعد دا الخطب هي	وبس الحزن بعد دا الحزن موقع
تحير فيه الموب أخذ عصره	ولعبت في المر الكرام تولع
رعاة أعى الناس غسلاً ومحمداً	وأشرف أهل الفصل طراً وأرفع
وعرهم عما وحملاً وقطة	وأوراهم في المحمد رداً وأروع
وأمصاهم في نصر دين محمد	حساماً ، وأسمى من يفيد ونعم

هو الشمس ، شمس العلم والفضل والهدى

هو البحر منه الروض والنوح يجرع

هو الصقع الحرير ، أفصح ناطق	وأبدع من يبدى البدع فيسمع
تأليفه لم يبصر الطرّف مثلها	بها عن سواها للأفصل مفع

مطالعها يحظى بياض روضه لأنواع أندر المعارف بجمع  
وشهرته في الشام كالشمس في الضحى

وفي غيرها كالدر إذ يتشمع  
أنا على بعد من الذر به فأعينا تسكبه ، والقلب موح  
ألا ليت شعري من يعترى به وقد شارك في ذا الدائم الناس أجمع  
وجاء في الثانية وهي رثاء لرفعة وسيرة لاسه على : « وفقنا الله سبحانه وإياك  
لنصر في هذا الخط الذي آلم كل قلب ، وروح ماء الميؤن ، وحرك من الحق  
السكون ، وهرم حيش الاستطبار ، فأزال من الأطواد الوعر ، وفاص بحر الدموع  
ممروحة بالدم .. كيف لا وهو فقد الجاهم الذي تقف عن بيل علاه الحوم ، كما  
يقف عن حصر منافع الأفلاء والمهموم ، العلامة الذي اتفقت على فصله جميع الأمم ،  
وسلم بتقدمه عماء العرب والمجم ، رفاعة المجد والفصل والمهدي ، بحر المعارف  
والجود والذي ... » . وممن رثاه مصطفى أطلاكي الحلبي تقييده مطلقا :  
أما لطرف المجد دام ودافع على وحنه العليا ، هم وهامع  
وقال فيها مشيراً إلى نجل الفقيه على فهمي :

وكادت تميز الأرض لو لم تكن لها له حلف يحبي المآثر بارع<sup>(١)</sup>  
وليس في هذه المراتى صدق التمر عما بشمر به أصحابها من الألم ، وما  
يصمرونه لرفاعة من التقدير لعله ومؤلفاته ، وما كان له من قدر في العالم العربي ،  
وما حلفه من أسى في القلوب ، ودكري حية بين الماطفين بالصاد .

## صفاته

وصفه تقييده صالح محدي لك بقوله : « كان قصير القامة ، عظيم الهمة ،  
واسع الحبين ، متناسب الأعضاء ، أسمر اللون ، وكان كائن عطاء في لثمة الرء ،  
وكان صحيح البنية ، قوى الأعصاب<sup>(٢)</sup> » ، وإذا أنت تأملت صورته رأيت عيني

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر من ٩ .

(٢) حلة الزمن من ٢٧ .



واسعتين لها نظرة هادئة حائلة ، وشتان مطبقتان مصمتتان .

أما صفاته الخلقية فمن أظهرها الصبر ، والثابته ، وقوة العزيمة ، ويتجلى ذلك في دأبه على العمل كئيباً ، حتى حقق أماله من النبوع في اللغة العربية ، والتعمق فيها ، وفيما يدكره له مؤرخوه من استعراق في العمل بالليل والنهار بغير راحة ، لينهض منها مهمة شاملة ، وليحقق أهدافها ، وليقوم بشئ الأعباء التي ألقى على كاهله ؛ وسدو صدره أيضاً في انتظاره الطويل بالسودان ، رغم نحره بالقيام فيه ، واعتقاده أنه كان مبعداً عن وطنه ممياً ، وتجلي هذه الصفات أيضاً في استكبابه على الترجمة حتى عزت في الوقت اقتدير المجلد الحجيم ، وفي رده في اليوم ، وإسهما في التآلف والترجم <sup>(١)</sup> ، ونولا تلك الحلال الماددة ، ما استطاع أن يترجم هو وتلاميذه ذلك لعدد اشكاز من الكتب ، ولا أن يؤلف هذه المؤلفات الكثيرة الواسعة ، ولا أن يساهم وقد أرى على السنين في الترجمة والتأليف والإدارة والإشراف كما رأينا .

ويتصل تلك الصفات صفة الإقدام والخبراء وثبات العزم والحزم ، تلك التي نرى آثارها في نهوضه عما يوكل إليه من الشروعات ، والسبر بها إلى مدارج النجاح والعلاج . ووصفه نديده بالدهاء ، وربما كان يقصد بذلك الصبر على ما يكره حتى يظفر بما يحب .

ومن صفاته كذلك إياؤه وشمه ، وربما كان ذلك من العوامل التي لم تهضبه إلى منصب الوزارة ، ولم تفتح أمامه الطريق إلى رتبة اباشوية ، ولا بعض من هذا الإباء تلك القصائد والأناشيد التي رفعها إلى ممدوحيه ، من حكام الأسرة المالكة ، فإنه ما كان يستجدي بها ، وإنما دفعه إليها عرفان بالجميل ، أسداه إليه محمد علي ، وإعجاب بآثره وعزيماته ، وكانت مدائح في نبيه إشادة بمجد مؤسس أسرته ، وحديثاً عن مصر ومحمد مصر وحشها لاسل ، وما تروى إليه البلاد من إعادة مصر بحيد ، ولذا كان يسمى بعضها قصائد وطنية مصرية .

ومن أظهر صفاته حبه لوصفه حملاً مشوّه الإعجاب بمناصبه ، والأمل في مستقبله ، وكتبه وشعره بقبضان هذا الحب العميق ، فهو يؤلف كتبه ؛ « لما كان من

الواحد على كل عضو من أعضاء الوطن ، أن يعين الجمعية ، بقدر الاستطاعة ،  
 وببذل ما عنده من رأس مال الصناعة ، للمهمة وطه العمومية ، وينصح لنيل هذه  
 ما في وسعهم من المعلومات<sup>(١)</sup> ، وذكر رفاة في كتاب المصاحح مقدمة في ذكر  
 هذا الوطن ، وما قاله في شأن ندسه أرباب العطن<sup>(٢)</sup> ، قال فيها : « وإرادة التمدن  
 للوطن لا تنشأ إلا عن حبه من أهل العطن ، كما رغب فيه الشرع ؛ ففي الحديث  
 حب الوطن من الإيمان ، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . « تمسّر  
 الله البلاد بحبّ الأوطان<sup>(٣)</sup> » ، « وحسب المؤمن حبّ الوطن أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة علامطبة ، واستقل الكعبة ، وقال :  
 « والله لأعلم أبك أحب بلد الله إلى ... وتولا أن أهلك أحر حوى منك لا حرج »  
 « وبالجملة تحبّ الوطن على عظم الحب ، وكرم الأدب ، نهى عنوان ، وهو  
 فصيلة حيلة ، لا يؤدي حق الوفاء بها إلا من حر الشاغل النبيلة<sup>(٤)</sup> » ، ويرى  
 مصر حديره بالحبّ لخصبها وحبيرها<sup>(٥)</sup> ، ونسبها بلد العلم والحكمة من قديم الدهر  
 وحديثه ، ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا الدنيا بتدبيرهم ، وحكمتهم  
 وعنونهم ، وصنائعهم ، ولم تزل إلى الآن يسير إليها طلبة العلم ، وأصحاب المهام من  
 سائر الأقطار ، لتحصيل درجة السكال<sup>(٦)</sup> » ، ويرى رفاة أن هذه الوطنية هي  
 التي تدفع أبناء الوطن إلى العمل بكلّ قواهم على النهوض به إلى أسمى اندرا<sup>(٧)</sup> ،  
 وقد أنهى رفاة الكتاب بحاتمة فيهما بحبّ للوطن الشريف على أمته<sup>(٨)</sup>  
 وذكر رفاة عدة فصول في كتاب المرشد لأمن ، تحدث في واحد منها عن

(١) مصاحح الألباب لصره ص ٤

(٢) ص ٧

(٣) ص ١٠

(٤) المرجع السابق ص ١٥

(٥) ص ١٦

(٦) ص ١٧

(٧) ص ١٨

(٨) ص ٣٤٨

تدين الوطن ، وأن أعظم أسماه التربية والتعليم واستكمال المعارف <sup>(١)</sup> ، وفي آخر  
 مما يحب على أبناء الوطن للادهم <sup>(٢)</sup> ، تحدث فيه عن وجوب اتحاد الكلمة بين  
 أهل الوطن « لأن الله سبحانه وتعالى إنما أعدهم لتعاون على إصلاح وطنهم ، وأن  
 يكون بعضهم بالنسبة إلى بعض ، كأعضاء العائلة الواحدة ، فكان الوطن إنما هو  
 منزل آبائهم وأمهاتهم ومحل صراهم ، فليكن أيضاً محلاً للسعادة المشتركة بينهم »  
 وفي هذا الفصل يقول : « هوطني انحصر في حب الوطن بقدي وطنه بجميع منافع  
 نفسه ، ويخدمه بدل جميع ما يثقل ، ويصديه روحه ، ويدفع عنه كل من تعرض  
 له بصره ، كما يدفع الوالد عن ولده الشر ، فيسعى أن تكون بيته أماناً الوطن  
 دائماً متوحدة في حق وطنهم إلى العصبلة والشرف ، ولا يرتكون شيئاً مما يحل  
 بحقوق أوطانهم وإخوانهم . . . فصفة الوطنية لا تستدعي فقط أن يطلب الإنسان  
 حقوقه الواجبة له على الوطن ، بل يجب عليه أيضاً أن يؤدي الحقوق التي للوطن  
 عليه » ، وبصرى المثل بالأمة الرومانية التي سادت الدنيا عندما كانت الوطنية  
 متمثلة في نفوس بنيها ، فيقول : « فمن هذا فهم أن أمة الرومانيين كانت متشعبة  
 بحب وطنها ، ولهذا تسلطت على بلاد الدنيا بأسرها ، ولما اسلخت عنها صفة  
 الوطنية حصل العشل بين أعضاء هذه الأمة ، وفقد حلفها ، وانحل عقد نظامها <sup>(٣)</sup> » .

وللهذه الوطنية عرب بشيد قريش القوي <sup>(٤)</sup> ، ليظهر في الأمة العربية ما حواه  
 هذا الشيد من المواطنف الوطنية الكريمة .

أما قصائده الوطنية فتعبر تلك العاطفة القوية الصادقة ، وسوف نعرض  
 لهذه القصائد بالتفصيل ، عند الحديث على شعره .

ولحنه لهذا الوطن عني تاريخه ، وألف فيه ما يعد من أوائل ما ألف في تاريخ  
 مصر .

ومن صفات رفاعة حبه إيمالي الأمور ، وعشقه المحمد وسامي المثل ، « فن العار

(١) ص ٩٠ .

(٢) ص ٩٣ .

(٣) المرشد لأمن ص ٩٥ .

(٤) عصر محمد علي ص ٥٠٥ .

على كامل التخيير أن يطلب رسة دون الربة التحدوى ، وأن تقتصر عن الوصول إلى  
وصال سعدى وعلوى ، وأما قول الشاعر :

والنفس راغبة إذا رعتها وإذا تردت إلى قلبل تقع  
فهو قول من يقنع بالدون ، ويرضى بصفتة المعبون<sup>(١)</sup> .

ولذا لم يكن من الزاهدين في العلى ، بل من الراغبين فيه ، والساعين إليه ،  
وهو لذلك يستحسن ما قاله بعضهم :

إن القى لشهاب كلما اعتكرت دحى الكروب حلا عنها حادسها  
لا تنفع الحسة الأسماء محذقة لذلك إلا إذا ما كفت سادسها

قال : « والمراد من الأسماء الحسة ثوبك ، وأحواك ، وجوأك ، أرنحى نفهمهم  
وتحدثهم عند الشدائد ، وهنوك ، وهو كناية عن الشئ ، وهوك وهو الغم ،  
والمراد المصاحبة والملافة ، وسادس الأسماء ، دو مال ، وهو سيدها ، فدو المال  
أمر لا كفساد المعالي لهويه ولوطيه ، وأن يقلده قومه ويسمونه<sup>(٢)</sup> .

ويرى أن تحقيق الآمال في العلى وبيل الفهد بما يكون بحسن العمل ،  
والتماس الأسباب الموصلة إلى النجاح ، وليس الأحاد بالأسباب مما ساق التوكل ،  
أو يتنافر القضاء والقدر الذي كان يؤمن به<sup>(٣)</sup> .

وكان رفاعه ذا نفس حتره كريمة ، وصعه تليده صبح محدى لك بأنه كان  
فيه زيادة كرم ومباحة<sup>(٤)</sup> ، أعتو كثيراً من الأرقاء من الإماء والدكور ، ولم  
يرل قائم لهم بالكسوة والثوبة متكفلاً لهم بكل ما أمكن ، حتى مات<sup>(٥)</sup> ، ولم  
يمنع رفته عن أهله ، فكان يصل رحمه ، ويذهب إلى ولده في الحين بعد الحين  
لزيارة أقاربه وصلتهم<sup>(٦)</sup> ، ولم يقف في خيره عند أهله محسب ، بل كان ينذل جهده

(١) مناهج الألباب المصرية ص ٣٤٤ .

(٢) مناهج الألباب المصرية ص ٣٤٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٥ .

(٤) حلية الرحمن ص ٢٧ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه .

لقضاء حوائج الجميع ، وكان كلما ارداد رقة تصاعف سعيه في ذلك <sup>(١)</sup> ، وقد خدم كثيراً من أبناء مدينته ، وكان هو سبب نعمتهم <sup>(٢)</sup> .

واشتهر رفاة بالتواضع للرفيع والوضيع ، وارتهد في مظاهر الحياء ، وعدم الاعترار برتبة الدنيا وزخرفها <sup>(٣)</sup> .

ومع هذا اخلو الكريم لم يكن مترمماً ، بل كان جميل المنظر ، يصف مجلسه بليده قوله : « وكان مجلسه مجلس مسرات وأفراح ، وطالما حصرتة وسمعت فيه من لطيف المراح ما يشهد له رقة المراح ، ويقضي نان سحره الخلال تقوم للعليل مقام الملاح <sup>(٤)</sup> » .

وكان أكر غرامة التأليف والرحمة والتدريس ، وكوّن لذلك مكتبة ضخمة ، فقد كانت له عنايه كبيرة باقتناء الكتب ، واشترى الكثير النادر منها ، وذكر على مبارك أن كتبه تبلغ بما اشتراه أولاده أربعة آلاف وحمائة كتاب ، فيها من الكتب العربية العربية ما ليس في غيرها <sup>(٥)</sup> ؛ ولا بد أنها كانت تضم إلى جانب هذه الكتب العربية كثيراً من الكتب الفرنسية .

ودكر مؤرخه محدي أنه ما كان يعنى « لاسه » <sup>(٦)</sup> ، وكان في أوائل حياته إلى أن عاد من فرنسا بلبس اللباس العربي : من الجبة واقططان والعمامة ، ويقول حورجى ريدان : إنه استبدل به اللباس الإفريقي المشهور <sup>(٧)</sup> ، ولسكنى لم أر له صورة بغير الزي العربي .

أما من الناحية العقلية فهو دكى حاذق الدّهن ، دقيق الملاحظة ، وحسبك دليلاً على ذلك قصر المدة التي استوعب فيها علوم الأرض حتى أصبح مدرساً فيه ، وعمق ملاحظاته ودقها في أبحاثه من موارث بين الحياة في الشرق والغرب ،

(١) المصدر نفسه .

(٢) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٦ .

(٣) حلية الرمن ص ٢٧ .

(٤) حلة الرمن ص ٢٧ .

(٥) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٦ .

(٦) حلة الرمن ص ٢٧ .

(٧) مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٨ .



وكان ذا عقلية منسظمة تلحس آثارها في مؤلفاته التي ينهج فيها نهج الحريص والتبويب ، ولم يحطم هذا الترتيب أنه كان يستطرد في كثير من الأحيان ، كما أنه عميق في تفكيره ، يفتك الأمر على وحوه حتى يعرف حقيقته ، ويصل إلى نتيجة ، وعقده مقدر على التفريس في مبادئ الأعمال ليعرف عوامها ، وهذا الدفن المعمار طالج أمور التربية والاجتماع والسياسة ، كما سنرى .

## رتبة

كان ألقاب السلك العسكري متباعدة يومئذ في السلك المدني ، وقد نال رفاعة كثيراً من هذه الألقاب ، فكان ، وهو في المئة ساريس ، في مرتبة (اليوراشي) له مرتبته وكسوته <sup>(١)</sup> ، وأسم عليه محمد علي سنة ١٢٥٠ هـ برتبة (صاغ قول أعلى) ، وهو بدرجة طرة ، بعد أن عرّبت محمداً من كتاب الجغرافية للطبرون <sup>(٢)</sup> ، ورفق وهو بدرجة الألسن في أول افتتاحها إلى رتبة (سكاشي) <sup>(٣)</sup> . وبعد سنة ونصف من إنشاء فلم الرحمة في عهد محمد علي أي سنة ١٢٦٠ هـ نال رتبة (القائمقام) <sup>(٤)</sup> ، ولما انتهى من ترجمة محمداً آخر من جغرافية ملطرون سنة ١٢٦٦ هـ نال رتبة (أميرالاي) ، فصار يدعى رفاعة بك ، بعد أن كان الشيخ رفاعة <sup>(٥)</sup> ، وآخر ما طفر به من الألقاب هو رتبة (التمار) التي أتمها عليه سعيد باشا سنة ١٢٧٥ هـ ، بعد ثلاث سنين من إنشاء المدرسة الحربية التي رأسها . ولست أدري لِمَ لَمْ يَطْفُرْ رفاعة رتبة الباشوية ، مع ماله من مكانة عديمة سامية ، معترف بها من الجميع ، ولعل السبب في ذلك أن آخر المناصب التي شغلها في عهد إسماعيل لم تكن متناسبة مع هذا اللقب الرفيع ، أما أنه لم تمتد هذه المناصب

(١) حلية الزمن ص ١٤ .

(٢) عصر محمد علي ص ٤٨٥ .

(٣) حلية الزمن ص ١٢ .

(٤) عصر محمد علي ص ٤٨٧ .

(٥) المرجع نفسه .

إلى منصب الوزارة الذي كان يطمح فيه من بسطهم في سلك المناصب الحكومية ، مع كفاءته ومقدرته النادرة التي برهن عليها نجاحه في إدارة ما وكل إليه من المدارس ، ومع أنه صاحب مشروع في التربية الشعبية كان من الأفضل أن يوكل إليه أمر تنفيذه ، ومع أن ما ناله من المناصب أقل مما يستحقه دكاؤه وعلمه ، ومع أن أفرانه ممن هم دونه مرساة وكفاءة نالوا الوزارة حيناً والناشوية حيناً آخر — فيعمل الرافض بك ذلك كله « بما اتصف به رفاة من الشحم والإباء ، فإن هذه الصفات على كونها من أسنى العصائل ، ليست بحصة إلى الرؤساء وولاء الأمر ، ولا ترعاهم كثيراً في أحوالها ، ولا تخيل لهم إلى بساط المناصب الرفيعة ، لهم <sup>(١)</sup> » وأصعب إلى ذلك سناً آخر ، هو أن روعه قد انصرف إلى نادبة ما كان يعتقد رسالة له ، وهو التأليف ونقل الثقافة العربية إلى اللغة العربية ، تلك كانت رسالته التي عاش لها ، وكرس من أجلها حياته ، ولعله كان يرى في ذلك خلوداً دونه اسم الوزارة وحماها ، وكان عيماً أن التراجع سوف يستحل له مجهوده ، ويدكر اسمه مقروناً بأسمى آيات الإكبار والإجلال .

## ثروته

بدأ رفاة حياته في طلب العلم فقيراً ، يحتال على الاستمرار فيه ، بإعطاء بعض الدروس الخاصة لأبناء الأعيان ، أو في بعض المدارس ، حتى إذا تخرج في الأزهر ، والتحق بوطيعة إمام واعط ، نال مرتباً لم أعرفه ، وإن كنت أرجح ضآلته ، فلما ذهب إلى باريس ، كفّل له عيشه ، ونظيفه ، ومسكنه ، وكان يُعطى له فصلاً عن ذلك مائتان وخمسون قرشاً <sup>(٢)</sup> ، وبعد عودته كان مرتبه وهو بمدرسة الطب ثلاثة وعشرين ومائتين وألف قرش ، مع مرتبات أخرى ، حسبما كان جارياً في ذلك

(١) عصر محمد علي ص ٤٩٩ .

(٢) الثقات العلمية ص ٤٧ .

الوقت<sup>(١)</sup> ، وراى مرتبه خمسة قرش ، وهو بمدرسة المدفعية (الطوبجية)<sup>(٢)</sup> ، ولا أدري كم كان يتقاضى وهو بمرط مدرسة الألسن ، وفي عهد سعيد عندما كان باطراً بالمدرسة الحربية ، كان مرتبه ثلاثة عشر ألف قرش وعلى حسب الترتيب الذى صدرت به إرادة سنية بتعديل المرتبات ، عيّن له مرتب شهري مقداره ثمانية آلاف قرش ، ثم عيّن له فى تعديل آخر مرتب قدره خمسة آلاف قرش<sup>(٣)</sup> ، ورعاً عاد مرتبه فى ذلك العهد إلى ثمانية آلاف قرش مره أخرى<sup>(٤)</sup> ، وظل بهذا المرتب حتى فصل من خدمة الحكومة فى عصر سعيد ، وهو المرتب الذى كان يتقاضاه عند ما عين باطراً لقلم الترجمة فى أول عهد إسماعيل .

ولم تكن الحكومة تقتصر على أن تمنح رة مرتبه ، بل إن محمد على أعم عليه بمطاء مالى حرل عقب أن قدم له محلاً عربيه من جعرافة ملطرون<sup>(٥)</sup> ، كما أعم عليه بحملة من الأطيان قدرها مائتان وخمسون فداناً ، سله طهطا ، وأقطعه إبراهيم باشا حديقة نادرة المثال فى الحقائق ، بلمع ستة وثلاثين فداناً ، ولم يمنحه عباس شيئاً ، أما سعيد فقد أعم عليه بمائتين فداناً ، وإسماعيل باشا بمئتين وخمسين فداناً ، فيكون جملة ذلك أكثر من سبعمائة فدان<sup>(٦)</sup> .

ولارب أن هذه المنح المادية كانت ترجمة عملية للانحياز بعمله ، ومكافأة على ما بذله لبضع وطنه ، وممهداً له عيشاً ناعماً ، مريع فيه للجهاد العلمى ، ولا يشغله أمر عبثه وتدبره ، وفى هذا أيضاً ما نرى على أن الحكومة العادلة تقدر الناصر من أبنائها ، وتقدر عليهم خيرها ونعمها .

ولم يقف رفاعة عند حد ما أعم به عليه أمراء مصر ، بل استرى هو نسمة فدان ، فبلى جميع مائى ملكه من الأطيان إلى حين وفاته أيضاً وستة فدان ، وهذا

(١) حلية الرمن من ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣) حلية الرمن من ١٦ .

(٤) تاريخ التعليم فى مصر : عصر إسماعيل من ١٤٣ .

(٥) حلية الرمن من ١١ .

(٦) الخطط الجديدة ج ١٣ من ٥٥ و ٥٦ .

غير ما استراه من اعقارات العسده في بيده وفي القاهرة<sup>(١)</sup>، فكان بذلك مثالا من أمثلة المعاصية المذمومة، والمحتاج في الحياة المدنية والروحية.

## ولده

تزوج روضة بعد عودته من فرنسا بكريمة خاله الشيخ محمد الأنصاري<sup>(٢)</sup>، وأنجب منها غير الإناث أسبى حليلين، خلفهما بعد موته، وهما علي فهمي باشا، وبدوي فتحي بك، وكلاهما قد لارما الأزهر مدة<sup>(٣)</sup>، وقتسا من معارف أبيهما، ونحرتا عليه في العلوم العربية، والحديث والحنو، والتفسير، والمطو، والتاريخ، والخرافية، واللغة، ورعا في فنون الأدب<sup>(٤)</sup>، وسافر أولهما في بعثة سنة ١٨٤٤م<sup>(٥)</sup>، ولما عاد عتب مدرسا للانشاء بمدرسة الإدارة والألسن، ومحررا مجلة روضة المدارس تحت مظلة والده، وتذكره بعض الوثائق باسم مصحح<sup>(٦)</sup> الجرنال، ولما مات أبوه سنة ١٨٧٣م، حمل باطرقم الروضة والمطوعات<sup>(٧)</sup>، وفي سنة ١٨٧٨م عتب مطرا لدار العلوم<sup>(٨)</sup>، وفي سنة ١٨٧٩م صار وكيلًا لديوان الكاتب الأهلية، فلما عتب عبد الله فسكرى باشا باطرا للمعارف سنة ١٨٨٢م عتب على فهمي، وقد مال رسة المشوية، وكيلًا له<sup>(٩)</sup>، وأدركته الوفاة في يونيه سنة ١٩٠٣م<sup>(١٠)</sup>،

(١) المخطوط الجديد ج ١٣ ص ٥٦.

(٢) توفي سنة ١٢٥٢ هـ وكان أمين الصوى لشيخه الأزهر في عهد الشيخ حسن نصار، وهو ولد شيخ علي مرعي الأنصاري أحد مدرسي مدرسة الألسن - حلية الترمذ ص ٤.

(٣) المخطوط الجديد ج ١٣ ص ٥٦.

(٤) حلة الترمذ ص ٢٤.

(٥) كتاب طبعه ص ٣١١.

(٦) تاريخ التعم في مصر - عصر استعبد ص ١٥٤.

(٧) مرجع سابق ص ١٥٤.

(٨) مرجع سابق ص ٥٩٨.

(٩) مرجع سابق ص ١٦٠.

(١٠) كتاب طبعه ص ٣١١.

وقد أكل على مهمى باشا ما تركه والده من التاريخ ، وله اقتدار على النثر والمطعم ، على أسلوب والده<sup>(١)</sup> ، وسار على نهج أبيه ، فحتمس قصيدة بوية للشهاب محمود ، وله بعض المؤلفات .

أما ابنه الثانى بدوى بك ، فقد أتم دراسته بالمدرسة الحربية ، وارتقى إلى رتبة (اليورباشى) ، وعين لمعاونة أبيه فى قلم الترجمة الذى أشقاه فى عهد إسماعيل<sup>(٢)</sup> ، ولكن بظهر أنه آثر الإقامة فى طهطا ، ليرعى أملاكهم بها ، واكتفى بالقراءة والاطلاع هناك<sup>(٣)</sup> .

### تلاميذه

كان رفاعة تلاميذ مند نصب نفسه للتدريس بالأزهر ، وأعلن من هؤلاء الذين أخذوا عنه يومئذ الشيخ العرب معى المدسة الموردة ، الذى وصفه صالح محمى بك أنه الفقيه المدرس المحقق<sup>(١)</sup>

ومند عاد رفاعة من فرنسا وعمل فى مدرسة الطب والمدفعية ، صار له تلاميذ يحبونه ويمجبنونه ، ومن عرفهم التاريخ من تلامذته فى هذا العهد السكمر ، الدكتور محمد على البقلى باشا ، فقد حدث أنه أحد مع عده من أمثاله عن رفاعة بعض المعارف الأولية ، بالمدرسة الطيبة ، التى كانت إذ ذاك نابى دعمل ، وذلك سنة ١٢٤٧ هـ ، وقد شهد له أستاذه رفاعة شهادة ترب عليها إرساله إلى مارس لدراسة الطب ، فلما عاد وانتفع الوطن بعلومه ، وعرفه الوالى مقداره ، ومنحه رتبة (أميرالاي) سنة ١٢٧٧ هـ مضى إلى رفاعة بالمدرسة الحربية التى كانت تحب بطارته ، وقتل يده

(١) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٦ .

(٢) تاريخ التعليم فى مصر — عصر إسماعيل ص ١٤٥ .

(٣) المخطوط الجديدة ج ١٣ ص ٥٦ .

(٤) حلية الزمن ص ٥ .



معتزق بهصله<sup>(١)</sup> وكان القريب من أعلام الطب في عصر محمد علي وإسماعيل<sup>(٢)</sup>.  
فلما جاء عهد مدرسة لألسن كثير عدد تلاميذه ، وسع منهم عدد كبير ،  
نهضوا بمهمة تعليم وترجمة الكتب في مختلف المعارف الإنسانية ، ونهضوا في  
الأدب ، والترجمة في دواوين الحكومة ، ونقلوا شئنا المصائب الرفيعة .

وقد ذكر السيد صالح محدي بك<sup>(٣)</sup> أسماء السبعين منهم ، وبطول في القول  
بداً ، أوردت أسماءهم وحسب أن أذكر منها :

محمد مصطفى البياض ، مترجم مطابع شمس السبر ، في وضع كرتوس  
الثاني عشر .

وحليفة محمود<sup>(٤)</sup> ، مترجم إنجاف الملوك الألب ، بتقديم الجمعيات في أوروبا ،  
وإنجاف ملوك برمان تاريخ ، من طورية شارل كان ، وتوير ، شرق علم انطون .  
وعبد الله أبو السعود افسدى<sup>(٥)</sup> ، وهو أول صحفى سياسى ، ظهر في تاريخ  
مصر الحديث ، حرر حريده وادى النيل ، وهي أول صحيفة سياسية حررة صدرت  
في مصر في عهد إسماعيل ؛ ورفى في الناس ، حتى صار في عهد إسماعيل باشا  
رئيساً لقسم الترجمة ، ومدرس التاريخ لعدم بدار العلوم ، وله مباحث شقيقة في مجلة  
روضة المدرس ، وفلا عما أنه ، ترجم عدداً من الكتب ، منها نظم الآلات في  
السلوك ، فبمن حكم فيس من الملوك ، وقصاصة أهل العصر في خلاصة تاريخ مصر ،  
ويعرف بتاريخ قدماء المصريين تأليف مارييت بك ، وقانون المحاكمات والمحاميات ،  
بالاشتراك مع حسن فهمى ، والدرس المختصر الفيد ، في علم الجغرافيا الحديث ،  
وشرح ترجمة تاريخ عام مطول ، سمى الدرس التام في التاريخ العام ، طبع قسم منه  
سنة ١٢٨٩ هـ ، وزقية الجمعية بالكيمياء الزراعية ، وتاريخ الديار المصرية في عهد  
الدولة المحمدية العلوية .

(١) لمراجع السابق ص ١١

(٢) عصر محمد علي من ٥٠٨ و ترجمه من ٥٢١

(٣) حبيب الرحمن من ١٧ وما بعدها .

(٤) سى ، عه بكتب حركة ترجمه في مصر من ١٥

(٥) رجع حبيب الرحمن ، وعصر محمد علي من ٥٠٨ وحركة الترجمة من ١٠١ .

ومهم محمد عبد الرزاق ، مخرج كتاب عاية الأدب ، في خلاصة تاريخ العرب  
للأستاذ سيد بليو ، وعبد الخليل بك الذي صار (سكريراً) حاصلاً لإسماعيل باشا<sup>(١)</sup> ،  
ونجحاته عيسى بك<sup>(٢)</sup> من بواع طلاب المشاب وصار ناصر مدرسة أركان حرب  
في عهد إسماعيل ، وحسن بك فهمي ، وكبير كتك الحديد بالوحدة القبلية ، ثم القاضي  
بمحكمة المختطة<sup>(٣)</sup> ، وأحمد بك عبيد<sup>(٤)</sup> ، وقد صار رئيس قلم الترجمة بوزارة  
الحربية ، وعتيق فاضلاً بمحكمة الإسكندرية المختطة ، ومن مترجماته الروض الأدهم  
في تاريخ بطرس الأكبر ، ونعيب البيادة ومسوراتها ، ومعاليم الخيالة ومسوراتها ،  
وتعليم السوارى ، والقانون الخامس وهو تعليم الأورطة البيادة وغير ذلك .

ورمضان عبد القادر ، المخرج ديوان البحرية ، وله تراجم عسكرية عديدة<sup>(٥)</sup> .  
وحسن الحيلي المخرج ديوان الأوقاف ، وله تراجم في التاريخ<sup>(٦)</sup> ، منها  
رهان البيان وبيان برهان في استكمال واحتلال دولة الروم .

وحسين امسى على الله بك<sup>(٧)</sup> ، مدرس الحساب بمدرسة المحاسبة ، وله كتاب  
قيم في مسك الدفاتر .

ومصطفى ابي رضوان ، مدرس اللغة العربية بمدرسة الطب<sup>(٨)</sup> .

ومحمد زهران ، المدرس بمدرسة الطب<sup>(٩)</sup>

ومنهم عبد الله السيد بك ، الذي عتيق رئيساً بمحكمة البحرية بالإسكندرية ،  
ثم مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختطة<sup>(١٠)</sup> .

(١) حركة الترجمة من ٣٤

(٢) عصر محمد من ٥٠٨

(٣) المرجع السابق من ٥٠٩

(٤) حركة الترجمة من ١٠٢

(٥) عصر محمد علي من ٥٠٩

(٦) المصدر السابق نفسه

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) المرجع السابق من ٥٣٣ .

ومن أوسع نلاميذه مؤرخه السيد صالح محدي بك ، وقد التحق بقلم الترجمة ، وكانت كتب التدريس في العلوم الرياضية يومئذ لا يزال معظمها باللغة الفرنسية ، فتخصص في ترجمتها ، ثم تولى ترجمة كتب القانون الحربية ونصحياتها ، وتولى رئاسة فلم الترجمة في عهد إسماعيل ، وعين فاصياً بحكمة مصر المختلطة . وكان يحسن الإنشاء ، والكتابة وله ديوان شعر ، ومن أهم مترجماته كشف رموز السر المصون في تطبيق الهندسة على العمود ، والذرة المشورية في الطل المتطور ، والنخبة الحامية للمدارس العسكرية ، ومبادئ الحصون والقلاع ورمي القنابل باليد وغير ذلك (١) .

ومهم محمد سمين ، أول من برع في اللغة الإنكليزية ، وله تراجم كثيرة ، وكان مدرس الإنكليزية بالمدارس الحربية (٢) .

وحور شيد فحفي ، وكان له وقوف تام على الفرنسية والتركية (٣) .  
وعلي شكري ، وكان متبحراً في اللغات الثلاث : العربية والتركية والفرنسية ، وكان مترجم الوقائع المصرية (٤) .

ومهم مصطفى أمدى الكريدي ، العارف باللغات التركية والعربية والفرنساوية والرومية (٥) .

ومهم منصور غزي ، العارف بالعربية والفرنسية والاطليانية (٦) .  
ومراد مختار ، وكان ناظر مدرسة ، يجيد اليونانية والفرنسية والتركية (٧) .  
وحسين وهدي ، الخطاط الشهير (٨) .

ومهم عالم المشرع الكبير محمد فدرى باشا ، وهو صاحب الكتب الثلاثة

(١) راجع حركة ترجمه ص ٩٩ .

(٢) حليه الرمن ص ١٨ .

(٣) لراجع سابق ص ٥٥ .

(٤) لراجع ص ٥٥ .

(٥) لراجع ص ٥٥ .

(٦) لراجع سابق ص ١٩ .

(٧) حركة ترجمه ص ٣٦ .

(٨) عصر محمد علي ص ٥١٠ .

الحالة في جمع أحكام الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية ، والأحوال الشخصية ، والوقف على مذهب أي حبيفة ، وصوغها في قالب القوانين الحديثة ، وهي كتاب مرشد الخيران إلى معرفة أحوال الإنسان في المعاملات الشرعية ، وكتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ، وكتاب قانون العدل والإصاف في انقضاء على مشكلات الأوقاف ، وآتف أيضاً كتاب تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقاً لمذهب أي حبيفة ، وقد ظل شغل مصب الترجمة في الحكومة ، وكان رئيساً لقلم الترجمة ، له إسهامات خارجية ، ورحم قانون الحدود والجنابات ، وقوانين المحاكم المختلطة ، ثم بدأ لوضع قوانين محكمة الأهلية الجديدة ، وتولى وزارة الحفافية ، ثم ابعث في عهد توفيق باشا (١) .

ومهمهم عثمان حلال بك الشاعر النثر . واسع أساس القصة الحديثة ، وكان ميالاً إلى الفن الروائي ، يترجم ويصغر ما يترجم ، وقد استوزره توفيق باشا ، ومن مترجماته أمثال لافونتين ، نظمها شعراً ، ودعاها العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ، ورواية بول وفرجينى (٢) .

ومهمهم مصطفى بك السرج ، الذي احتفل بجمع وموسى الفرسيّة والعربية (٣) .  
وعباس سامي عبد الرحيم ، وكان مترجم قوانين (٤) .

ودكر قدري باشا أحد المتحريين في مدرسة الألسن أن تلامذ هذه المدرسة قد عرّوا نحو ألبى كتاب أو رسالة في مختلف العلوم والفنون ، وأن جميع الذين تبعوا في الترجمة في عهد محمد علي وإسماعيل كانوا تلاميذ ردة بك ، أو تلاميذ تلاميذه (٥) .

- (١) ترجمته في حركة الترجمة من ١٠٤ وعصر إسماعيل ج ١ من ٢٩٣ وراحم من ١٠٩ وحلية الزمن من ١٩ .
- (٢) حركة الترجمة من ١٠٣ وعصر محمد علي من ٥١٠ وحلية الزمن من ٢٠ .
- (٣) حبه الزمن من ٢ .
- (٤) حركة الترجمة من ٣٦ .
- (٥) عصر محمد علي من ٥١٠ .

## معاونوه

ساعد روعة في الهوس بأعبائه طائفة من العلماء الذين كان يوكل إليهم أمور احتبارهم ، فكان يأتيهم من الأهر حينا ، ومن تعلموا التعم اندى حينا ، ومن تلاميذه السا من حينا آخر ، ولم أعتز إلا على أسماء قليلة من هؤلاء الجنود المجهولين ، الذين يعود إلى جهودهم الشيء الكثير من نجاح رفاعة في تأدية رسالته .

فمن كان يعمل تحت رئاسته في مدرسة الألسن الشيخ محمد قطة العدوي ، وكان « راسحا في المقول والمقول » ، واشتهر في تصحيح الكتب العربية<sup>(١)</sup> ، ومنهم الشيخ علي العرعي الأصاري . ( وهو ابن حال رفاعة بك ) . وكان يدرس اللغة العربية بها<sup>(٢)</sup> ، ومنهم الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي ، المؤلف في التوحيد والفقه والمحو والآداب وغير ذلك من العلوم العربية والمحرر بالوقائع المصرية<sup>(٣)</sup> ، وكان « باشخوحة » اللغة العرسية بالمدرسة التحضيرية ، وكبيراً للمصححين بمدرسة الألسن ، « ولم يطبع من كتب هذه المدرسة كتاب إلا طامعه ، ونصفحه ، وقالته ، وصححه ، وهو يشتمل ليلا ومهارة »<sup>(٤)</sup> ، ومما قرأه لتلاميذه في تلك المدرسة المحو ، والبيان ، والبدع ، والمنطق ، والعروض ، والقوافي ، والتوحيد ، وصحوا منه أديب شريفة وشعرية ، كإنشاء العلامة الشيخ المطار ، والشيخ عمر ، ودواوين ابن ممتوى ، والصق ، وابن الفارض<sup>(٥)</sup> .

ومنهم الشيخ خليل الرشيدى ، والشيخ محمد المنصوري ، وكان مكفوف العين ، وقد بعينما لإعطاء دروس الفقه والتوحيد عند مدرسة الشريعة الإسلامية<sup>(٦)</sup> . ومنهم الشيخ محمد الدمهورى والشيخ عبد المنعم الجرجاوى .

(١) محله ترجمة مطولة برسالة حلية الزمن من ٢١

(٢) ل. ح. السابق من ٢٠

(٣) المرجع السابق من ٢١ .

(٤) تاريخ عظيم في عصر محمد علي من ٣٣٥

(٥) المخطوط الجديدة ج ١٣ من ٥٣ ، وله بهذا الجزء ترجمة واسعة .

(٦) حلية الزمن من ٢١ .



وكان معه مدرسون فرنسيون ، منهم ميسو كوت ، وتير ، وديزون ، وقد عين هذا معاونا لرعاية وأميناً للمكتبة الملحقة بالدرسة<sup>(١)</sup> ، ثم قام بالتخريجون في المدرسة بمهمة تدريس هذه اللغة بعد أن تعلموا فيها<sup>(٢)</sup> .

أما معاونه في قلم الترجمة فكانوا من تلامذته المتخرجين في مدرسة الألسن ، ومنهم عبدالله أبو السعود افندي ، كما عاونه ولده بدوي فتحي بك ، عندما شغل قلم الترجمة في عهد إسماعيل<sup>(٣)</sup> ، وكان من المصححين بهذا القلم الشيخ نصر الهوري ، والشيخ محمد المرصني<sup>(٤)</sup> .

ومن ساعده في اختيار بعض العبارات والاساليب في الترجمة « الكامل الناح ، صاحب الدهن الثاقب ، الأكل الأمثل الشيخ محمد هدهد اطلنتداني الذي قيده صحته ، بوصيفة ميسّص لهذا الكتاب ( الجغرافية العمومية ) وكانت لما يمليه عليه ، فقام بإحداث هذه الوظيفة وزيادة ، ورعى تصرف بعد مشاورته في عبارات ، أو أشار عليه بتغيير ما يظن أنه يفسر فهمه ، على من لم يسبق له في هذا الفن علمه »<sup>(٥)</sup> .

ذلك قلّ من كثر ، ساعدوا رفاة على الهوص رسالته ، ولا رب أن اسمه الصنم ، حجب كثيراً من تلك الأسماء التي عاوته .

## جهوده في التأليف والترجمة

رأينا أن من أهم ما يختاره رفاة ، الخلد والثروة ، وهو لهذا لم يكن يعمل العمل ، ولا بسام الدرس ، ولم يعمل بينه وبين الإنتاج ما كان يوكل إليه من أعمال وأعمال ، وبدت فيه رغبة التأليف منكّرة . فقد كان في الأهر ، فإنه لم يلبث

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٣٣٥ .

(٢) حلية الرمن ص ٢٣ .

(٣) تاريخ التعليم في مصر — عصر إسماعيل ص ١٤٥ .

(٤) حلية الرمن ص ٢٢ .

(٥) الجغرافيا العمومية ج ١ ص ٢ .

إلا بسيراً بعد انتظامه في سلك طلبته حتى نظم أرحورة في علم الكلام — كما سبق أن ذكرنا — وبدأ فيه الشوق إلى الترجمة مبكراً منذ أوّل عام أقام فيه بباريس ، وطلّ مؤلف وبترحم إلى آخر أيام حياته ، فلا يعجب إذا لهذا الإنتاج الضخم في التأليف والترجمة ، فعلاً عما أشرف عليه ، مم ترجمه سواء ، ولكي يصنع صورة إجمالية لتلك الجهود ، يحسن أن يسأل الواسع في البحار ، مبتهين إلى أن ماسند كره ، ليس كل ماله من الآثار ، فبعض مؤرخيه <sup>(١)</sup> يدكرون أن له مؤلفات لم تطبع ، ولا يبيّنون أسماء هذه المؤلفات ؛ ويقول على مشارك باشا <sup>(٢)</sup> مثلاً : إنه ترجم وهو في السودان كتباً منها كتاب تليث ، ويقول تميمه صالح محدي بك <sup>(٣)</sup> : إنه في تلك الددة ألف وترجم عدة كتب من ضمنها كتاب تليث ، مع إنا لا نعرف من آثاره في تلك الفترة سوى كتاب تليث .

أما ما عثرنا عليه من مؤلفاته ومن أسماها في فروع شتى :

- ١ — فقه علم الكلام : نظم أرحورة فيه .
- ٢ — وفي الحق : كتب بحث في المذهب الأربعة ، ورسالة عنونها : القول السديد في الاحتجاج والتقليد ، وأخرى في المدع المتقررة في الشيع المتقررة .
- ٣ — وفي النحو : وضع قائمة بقطر الديو ، ومسطومة سمّاها جمال الأجرومية ، وكتاباً دعاه التشفة المكتنية .
- ٤ — وفي علم الحديث : نظم مصطلحاته .
- ٥ — وفي البلاغة والأدب : اختصر معاهد التمهيد ، وشرح لامية العرب .
- ٦ — وفي التاريخ : كتب أوّل توفيق الحليل ، ونهاية الإبحار في سيرة ساكن الحجاز .
- ٧ — وفي الاجتماع ، السياسة : وضع تحليل الإبرير إلى تلخيص بارير ، وكتاب مباح الآداب المصرية في مباح الآداب المصرية :

(١) المخطوط الحديث ج ١٣ ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٣) حليه الزمن ص ١٣ .

٨ — وفي التربية ، ألف كتاب المرشد الأمين للبسات والسبيل ، ومسطومة في تأديب الأطفال .

٩ — وفي الهندسة ، وضع منظومة فيها .  
أما ما ترجمه من كتب :

١ — في الجغرافية والملك ، ترجم بيذه في علم الهيئة ، ومقدمة جغرافية طبيعية ، وجغرافية عموى في كيفية الأرض ، وجغرافية صغيرة ، والتعريفات الشافية لمريد الجغرافية ، والجغرافية العمومية للطبوع .

٢ — وفي التاريخ ، ترجم بيذه في الميثولوجيا ، وأخرى في تاريخ الإسكندر الأكبر ، وتقويم سنة ١٢٤٤ هـ ، وينسب إليه أنه ترجم كتاباً في تاريخ المصريين القدماء .

٣ — وفي السياسة والاحتجاج ، ترجم كتاباً دعاه فلأند الماخر في غرب عوائد الأوائل والأواخر ، ودستور فرنسا ، وأصول الحقوق الطبيعية .

٤ — وفي الصحة ، ترجم فيها بيذه .

٥ — وفي الهندسة ، ترجم مبادئ الهندسة وثلاث مقالات من الجندر .

٦ — وفي القانون عرّب القانون الفرنسي المدني ، وهو من التحارة .

٧ — وفي الطب ، ترجم رسالة .

٨ — وله في المادن ، رسالة .

٩ — وفي الفنون الحربية ، ترجم قطعة من عمليات الضباط .

١٠ — وفي الأدب ، له نظم المقود في كسر المود ، ترجمة قصيدة La Lyre

Brisee ، ومواقع الأفلاك في وقائع تمالك ، ترجمة كتاب Fenelon الذي سماه Les Aventures de Télémaque ، والأمثال في تأديب الأطفال .

وينسب إليه أنه ترجم تاريخ<sup>(١)</sup> قدماء الفلاسفة ، وليس له ، كما ترجمه عند الله حسين ، وأشرف ردة عليه<sup>(٢)</sup> . وأنه ترجم كتاباً في المنطق<sup>(٣)</sup> ألفه

(١) حركة الترجمة من ٥٥ .

(٢) راجع مقدمة الكتاب .

(٣) حركة الترجمة من ٥٦ .

De Dumasais ، وليس يصحح ، وإنما ترجمه حليفة محمود وراحمه رفاة  
 لحس<sup>(١)</sup> ، وأمه ترجمه كتب إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوربا<sup>(٢)</sup> ،  
 ومترجمه حليفة محمود ، وأشرف ردة على ترجمته<sup>(٣)</sup> ، وأن له كتاباً في الجغرافية  
 اسمه الكثر المختار في كشف الأراضي والبحار<sup>(٤)</sup> ، وليس له ، وإنما هم تصحيحه  
 فقط<sup>(٥)</sup> .

ومما أوردناه - وليس ديت بكل آثاره - سبب ضخمة الجهد الذي بذله  
 ردة في الإنتاج نوعيه : نالغاً وزجعة ، وتستطيع في سهوله ويسر أن تتبين أثر  
 بشأته الأولى بالأزهر ، فيما تناوله من المؤلف في المواد التي كان يدرس بالأزهر  
 يومئذ من فقه ، ونحو ، وكلام ، وحدث ، وبلاغة ، وفيها كان يحبه هو من الأدب  
 والتاريخ ، وأثر مقامه في أوربا ، فيما أنه من كتب بدول الاحتماع ، والسياسة ،  
 والتربية .

أما مترجماته فيبدو فيها التنوع ، لأنه تخصص في الترجمة لا في علم معينه ،  
 وإن كان اتجاهه إلى الجغرافية أكثر من اتجاهه إلى أي مادة أخرى ، وكان يعانى  
 ندرتها في المدارس التي وكل إليه أمرها .

وإذا أردنا أن نقسم مؤلفاته ومترجماته قسمين رئيساً رأينا أنه ألف وهو بالأزهر  
 أرحوزته<sup>(٦)</sup> في التوحيد ، وحانة قطر البدي<sup>(٧)</sup> ، وأرجح أنه ألف في ذلك العهد  
 أيضاً ، طالباً أو مدرساً ، منظومتيه في علم الحديث ، وفي علم الهندسة ، فقد تحدث  
 عنهما في كتابه تخلص الإبريز<sup>(٨)</sup> ، مما يدل على رجحان تأليفهما ، وهو بالأزهر .  
 ولم يؤلف في باريس سوى كتابه تخلص الإبريز ، فقد انصرف هناك إلى

(١) راجع مقدمة الكتاب .

(٢) حركة ترجمه من ٥٦

(٣) راجع مقدمة الكتاب

(٤) عصر محمد علي من ٥١٢

(٥) راجع حانة الكتاب .

(٦) حنة نام من ٥

(٧) لرجع السابق من ٦

(٨) من ٦٠ و من ٢٠٤

ما حصص نفسه لأجله ، وهو دراسة اللغة الفرنسية ، والترجمة منها إلى العربية ،  
فمما عاد ، وتولى مدرسة الألسن وما ألحق بها من مدارس ، ألف لطلبة الشريعة  
كتاباً في المداهب الأربعة ، انتفع به هؤلاء الطلبة <sup>(١)</sup> ، وأرجح أنه وصع لطلبة  
مدرسة الألسن — وكان يدرّس اللغة العربية لهم أيضاً — شرح لامية العرب ،  
واختصر معاهد التصييص .

وفي عصر إسماعيل أخرج جمال الأحرومية سنة ١٢٨٠ هـ ، وطبع أنوار  
توفيق الجليل سنة ١٢٨٥ هـ ، وفي السنة التالية سنة ١٢٨٦ هـ ظهر له كتاب التحفة  
المكتنية لتقريب اللغة العربية ، وشر القبول السديد في الاحتجاج والتقليد سنة  
١٢٨٧ هـ ملحقاً روضة المدارس ، وفي هذا العام ، وفي روضة المدارس أيضاً نشر  
رسالة البدع المقررة في الشيع الثرية ، وفي هذا العام أودى قله <sup>(٢)</sup> طهر  
كتابه القيم : مناهج الألباب المصرية في مباحج آداب المصرية . وفي سنة  
١٢٨٩ هـ <sup>(٣)</sup> أخرج كتابه المرشد الأمين ، للساب والنين ، وفي هذا العام بدأ  
بشر آخر كتاب أله ، وهو كتابه الصغيم . نهاية الإبحار في سيرة ساكن  
الحجاز ، ملحقاً روضة المدارس في سنتها الثالثة ، وصل بشر في الروضة ساعاً  
بعد وفاته حتى تم سنة ١٢٩١ هـ .

أما في الترجمة فقد اسكب عليها في باريس ، ونفرع لها تقريباً ، فترجم هناك  
اثني عشر مترجماً ، بعضها كتب كاملة ، وبعضها منذ قصيره ، وقد عددا هذه  
الترجمات فيما مضى <sup>(٤)</sup> ، ومما يلحظ أنه لم يتجه في باريس إلى مادة معينة واحدة  
يترجم منها ، بل رأياه يترجم في الجغرافية ، والفلك ، والتاريخ ، والسياسة ،  
والاجتماع ، والصحة ، والهندسة ، والمعادن ، والمنون الحربية ، والأدب ، وذلك  
إن دل ، فإنه يدل على رعيته في أن يتعمق على الترجمة في مواد مختلفة ، وأن يبرهن

(١) حلة الزمن ص ٢٦ .

(٢) لم أر الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، ولكن عصر محمد علي عون إنه طهر سنة  
١٨٦٩ وهذا العام يقع بضه سنة ١٢٨٦ هـ ، وضه سنة ١٢٨٧ هـ

(٣) عصر محمد علي ص ٤٩٤ .

(٤) راجع ص ٢٦ .



على قدرته في الترجمة من المواد المختلفة حتى يركن إليه ، ويوثق به عندما يوكل إليه في مصر بعد عودته أمر الترجمة في مده ، وقد طبع مما ترجمه وهو في باريس كتاب المعادن النافعة ( سنة ١٢٤٨ هـ ) وكتاب فلأند الفاجر ( سنة ١٢٤٩ هـ ) ، ولست أدري إن كان ما سماه سدة في علم الهيئة ، وسدة في علم الصحة شيئاً آخر غير ما نشره بكتاب تخيص الإبرير<sup>(١)</sup> . أما الجزء الذي ترجمه من كتاب ملطرون في الجغرافية فقد أكمل رفاة كتابه وطبع كما سرى ، ولم أعثر على بقية ما ترجمه وهو سارس ، ولا أدري أطلع أم لا .

فلما عاد إلى مصر وعين مترجماً بمدرسة الطب ، ترجم رسالة فيه لم تطبع<sup>(٢)</sup> ، فلما مضى إلى مدرسة المدفعية ، ترجم تلاميذ تلك المدرسة كتاباً في الهندسة<sup>(٣)</sup> ، كما ترجم وهو تلك المدرسة أيضاً سنة ١٢٥٠ هـ مخلصاً من كتاب الجغرافية العمومية للبطرون . وفي سنة ١٢٦٢ هـ ترجم منه مخلصاً آخر . وترجم كتاباً دعاه جغرافية صغيرة طبع سنة ١٢٥٠ هـ<sup>(٤)</sup> ولم أعثر على هذا الكتاب ، كما لم أعثر على كتاب آخر ترجمه وطبع سنة ١٢٥٤ هـ وسماه جغرافية عمومية في كيفية الأرض ، ولا على كتابه الذي ترجمه وسماه تاريخ المصريين أقدم . وطبعه سنة ١٢٥٤ هـ<sup>(٥)</sup> . ومن أهم ما ترجمه في ذلك العهد ، وهو عهد محمد علي ، كتاب التعميمات الشافية لمريد الجغرافية ، المطبوع سنة ١٢٥٤ هـ .

أما في عهد عباس فقد دفعته المرة إلى أن يحد لنفسه مسلاة ، يدفع بها عن نفسه السأم ، فترجم في عهده ، بين سنتي ١٢٦٧ و ١٢٧٠ هـ كتابه مواقع الأفلاك في أخبار تلك .

ولم يترجم إليهم إسماعيل سوى القانون المدني الفرنسي المطبوع سنة ١٢٨٣ هـ وقانون التجارة المطبوع سنة ١٢٨٥ هـ .

(١) من ٤٠ و ١٠٥

(٢) حلية الزمن من ٢٦

(٣) راجع مقالة كتاب نادى ضدّه

(٤) حركة الترجمة من ٥٥

(٥) المرجع السابق من ٥٦ .

ومن كل ما أسلفناه يقيتين :

١ — أن العصر الذي ملأه رعاة بالترجمة ، علم مؤلف فيه إلا اليسير هو عصر محمد علي ، وأن العصر الذي ملأه رعاة في التأليف ، كان عصر إسماعيل ، فقد طهر فيه أهم كتبه وأصحبها .

٢ — وأن أكثر ما ترجمه رعاة كان في علم الجغرافية ، وهي مادة أحبها رعاة وأغرم بها .

٣ — وأن مؤلفاته في عصر إسماعيل لم تكن امتداداً لترجمته ، فلم نره ألف في الجغرافية ، ولعلنا اكتفى بما ترجمه فيها ، اللهم إلا التاريخ ، فإن كتاب أنوار توفيق الخليل ، يمدّ امتداداً لترجمة كتاب تاريخ قدماء المصريين ، يداصح أنه ترجمه .  
٤ — وأنه يحاول إذا وضع في مركز أن يملأه ، وأن يكون باعاً فيه ، وأن يتجهد في استخدام معلوماته واستعلائها ، وأرباب مثلاً في مدرسة الطب يترجم رسالة ، وفي مدرسة المدفعية ، يترجم كتاباً في الهندسة العسكرية ، وفي عصر إسماعيل ، والحاجة ماسة إلى ترجمة القوانين ، يترجم القانون المدني وقانون التجارة .  
والآن يحسن بنا أن نقف عندما ألفه أو ترجمه ، ليرى جهده وما اشكره ، وندرس منهجه ، ونقف على أثره في تطويع اللغة العربية للمعلوم التي ترجم فيها ، ونسّين فصله في وضع مصطلحات جديدة أعنى بها اللغة ، وسهل بها التعبير أمام الباحثين والمؤلفين ممن جاء بعده .

## مؤلفاته

سوف أدرس قدر المستطاع ما كتبه رعاة في كل مادة ألف فيها ، حتى نستطيع أن نسّين اتجاهاته المختلفة ، ونصحب أمامنا جهوده

## في علم الكلام

كان نشأة روعة الأزهر ، وكثير من متون العلوم التي تدرس فيه سطوم ،  
أثر في حته أن ينهج نهج مؤلفي هذه المخطوطات ، فظم منها حساً : إحداهما  
أرجو أنه في علم الكلام ، ولا أعرف عن هذه المخطوطة ، إلا ما ذكره عنها تلميذه  
مجدى<sup>(١)</sup> ، من أنه قرأها وهو في الأزهر ، على الأستاذ الفصالي ، وربما رآها  
حذيرة بأن يصع عليها شرحاً يسهل تداوله على الخاص والعامة ، قال مجدى لك :  
ولعله شرح هذه المخطوطة ولم يشتهر ، ولم يورد هو ولا روعة تودحاً منها ، وأعلب  
الطن أنها مخطوطة لم تطبع .

## x في الفقه

كان روعة شافعي الذهب<sup>(٢)</sup> ، وسكبه كان مطلعاً على المذاهب الأخرى<sup>(٣)</sup> ،  
عارفاً بطقاق رجالها<sup>(٤)</sup> ، وقد هبت له ذلك أن يصع بحثاً في المذهب الأربعة لطلبة  
الشريعة عذرة الألسن ، الدين كانت تعدهم دراساتهم لتتولى مساحات القضاء<sup>(٥)</sup> ،  
ولم أطلع على هذا الكتاب ، وأعلب طي أنه لم يطبع ، ولعله بحث مقارن بين هذه  
المذاهب ، يتيح لهؤلاء الطلبة أن يواروا بين الآراء المختلفة ، وربما كان يرى بهذا  
إلى أن يختار أحكام القضاء من بين المذاهب الأربعة ، فقد كان روعة يرى حواز  
تقليد أى واحد منهم ، بل يحور تقليد عزم ممن دون مذهبه ، وجواز الاشتغال  
في بعض المسائل إلى غير المذهب الذي عليه التقليد<sup>(٦)</sup> .

(١) حية ارمي من .

(٢) تلخيص لإررر من ٣ .

(٣) مناهج الأئمة المصرية من ٣٨٦ .

(٤) أقول السديد من ٨ .

(٥) راجع من ٤١ .

(٦) مناهج الأئمة المصرية من ٣٨٨ .

وأعدّ ردة بحثاً قصيراً ، ليشر ملحقاً بمجله روضة المدارس ، سماه : القول  
السديد في الاجتهاد والتحديد ، يفسر بهذا البحث فكرة عرصها في مقال نشره  
 بها ؛ فقد أحرز عن بعض العلماء الذين حلت آثارهم ، وهو تقي الدين السبكي  
 أنه مجتهد منسب ، فوضع هذا البحث ، يعرف به المجتهد<sup>(١)</sup> ، وأركان الاجتهاد  
 وأدلتها<sup>(٢)</sup> ، ومراتب الاجتهاد ، فهناك مجتهد مطلق مستقل ، وهو من يستقل  
 بقواعد يؤصلها ، وأدلة يحررها ، ورايهين يقررها ، ويرفع عليها كالإمام  
 الشافعي مثلاً ، ومجتهد مذهب<sup>(٣)</sup> ، وهو من يختار طريقة إسمه في الاستدلال ،  
 ويرفع عليها ، بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده ، كالرقي من أصحاب الشافعي .  
 ومجتهد فتوى وهو القادر على الترجيح في أحوال إمامه كالرافعي والووي ، ثم  
 يقابل بين طنقات فقهاء الحنفية والشافعية<sup>(٤)</sup> ، وقد سرّض رعاة في هذا البحث  
 لسألة الاجتهاد وقائه ، ولا يصدر حكماً قطعاً في هذا الشأن ، بل يروي آراء غيره ،  
 منهم من يرى أن الاجتهاد المطلق قد انقطع منذ الثلاثة ، ومنهم — كالسيوطي —  
 من يرى بقاءه إلى آخر الزمان ، والظاهر من عبارته ترجيح رأي من يقول بانقطاعه ،  
 فهو لا يرى حجة السيوطي المبينة على حدث : بيعت الله على رأس كل مائة سنة  
 من يحدّد لهذه الأمة أمر دينها — حجة قاطعة ، فقد يكون المراد بمن يحدّد  
 أمر الدين من يقرّر الشرائع والأحكام ، لا المجتهد المطلق ، وهذا يدخل في الكلام  
 على المحدّدين ، فيذكر المحدّدين على رأس كل مائة سنة<sup>(٥)</sup> ، وعقد فصلاً بين فيه  
 أن المحدّد للدين يجوز أن يكون من المجتهدين أو المقننين<sup>(٦)</sup> ، لأنّ التحديد  
 للدين هو تقريره وتأنيده « ولا يختص بمحققها ، فإن انتفاع الأمة يكون أيضاً  
 بأولى الأمر ، وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ<sup>(٧)</sup> » . وولى الأمر المحدّد في الدين  
 ليس هو الذي يحكم في التحريم والتحليل بما يخالف الأوضاع الشرعية المستنبطة

(١) ص ٢ . (٢) ص ٣ . (٣) ص ٦ .

(٤) ص ٨ . (٥) ص ١١ .

(٦) ص ١٧ . (٧) ص ١٧ .

عند الأئمة المختفين من أدلة الكتاب والسنة والإجماع<sup>(١)</sup>، بل هو المتخذ العلماء شعاراً، والصنحاء دناراً، والحكم النصوص مستشاراً، حتى تدور مملكته بين صائح العلماء، ودعوات السلحاء، ووصايا أهل الإخلاص من الحكماء، ولا تنع إلا القوايين المرعية، التي لها أصل في الشريعة المحمدية، وهو بعد من المجددين للدين والدنيا، ولا سيما إذا سلك في العدل خير سبيل، وأمت الدّع وأحيا السنن<sup>(٢)</sup>، وتناول في هذا البحث أيضاً، متى يحجور الانتقال من مذهب إلى آخر. نشر هذا البحث ملحقاً بمجلة روضة المدارس<sup>(٣)</sup>، ثم أعيد مستقلاً بنفسه.

أما رسالته في الدّع المتقررة في الشيع المتعربة، فلم تنشر مستقلة، وإنما نشرت ساعاً حرراً أصيلاً من المحلة<sup>(٤)</sup>، وقد بدأ هذه الرسالة متحدّثاً عن الأوهام الفاسدة، التي لا تكاد تخلو منها أمة من قديم الزمان، «ونرى أثر ذلك في كثير من الأمم المتحررة المتأخرة، على طريقة قوية منتشرة»، وهنا يذكر بعض غرائب حرية بوريو، والسودان، والمهد، ثم قال: «ومع تقدّم التمدّن بالعلوم والمعارف والإرشاد إلى الشريعة المرّاء، فلا تكاد تخلو البلاد الإسلامية الباقية على حالة الحسوبة من بقايا أوهام وبدع قديمة أو مختلفة، كقسيلة إسلامية، بسب الأولاد لأمهاتهم، دون آبائهم، فقد ورد من بعض علماء السودان سؤال في المعهد القريب يدلّ على أن بعض الجهة السودانية بأفريقية لم تزل فيها هذه الموائد الجاهلية<sup>(٥)</sup>». ثم أورد بعض السؤال، وما أحاط به عليه مختلف العلماء، ثم قال: «ومدار هذا الجواب على عدّة أشياء: الأول إثبات أن هذه الفرقة مبتدعة أي صاحبة بدعة، وأنها لا تكفر. والثاني أن الولد يسع أمه في اثني عشر حكماً دون تسعة أحكام، وأنّ بعضهم راد عدم نسبتها في النسب، وأنّ ابن الشريعة ليس بشريف، وإن

(١) ص ٢٠.

(٢) ص ٢١.

(٣) انتهاء من العدد السادس من سنة ١٣٠٠.

(٤) انتهاء من أعداد ثمان عشر من سنة ١٣٠٠.

(٥) مجلة روضة المدارس عدد ١٣ ص ٤.

كان له شرف سبي . الثالث أنه بحسب الإِسْكَار على هذه المعرفة المستدعة ، فحسن لنا أن نذكر هنا ثلاثة فصول<sup>(١)</sup> . ومعنى يشرح ما أحمله ، فتحدثت في فصل عن معنى السنة والبدعة ، وصلة الشرع بالعقل<sup>(٢)</sup> ، وفي فصل آخر عن اتباع الفروع للأصول ، واختار أن ابن الشريفة له شرف ، إن لم يكن حقيقياً فهو سبي ، ويتطرق في هذا الفصل إلى أولاد فاطمة الدين هو منهم فيقول : « فلاحاء أن من انتسب إلى رسول الله ﷺ ، ثم أو أب ، ففيه سريان لمح ودمه الكريمين ، دلت على إليه هو نصه في وجوب الإحلال والاعظيم ، والتوقير ، والبر ، والنصيحة<sup>(٣)</sup> » ، وهذا يورد كثيراً من الشعر الذي قيل في مدح أهل البيت .

## في النحو

لم تُنسِ الثقافة العربية رفاعة نشأته الأولى ، ولم ينسى ، تلك الرقعة التي بدت فيه ، في صدر شبابه : رغبة نظم العلوم ، وها هو ذا يرويه من الأحرورية ، وكانت من أوائل الكتب التي تدرس في النحو بالأزهر ، فيعلمه ، وبدأ بطلعه بمقدمة يستخدم فيها الألفاظ الاصطلاحية لعلم النحو إذ يقول :

عن حمدى الحمد المسمى	معرفة ما للصير
يشير بالصلاة والسلام	نحو سبى رافع الأعلام
محمد مصدر كل علم	ومظهر الحق بحكم الحرم
وآله من حفصوا بالكسر	جمع المبدأ ، وانتصوا للنصر
وفتحوا أبواب عز مقبل	متشعب بالحال والمستقل
وصحبه من عطفوا على الهدى	وأكدوا التسيه حلاً بالمبدأ
غيروا في محكم الآيات	وستوا في الفتح بالصعفات

(١) مجلة روضة المدارس العدد ١٤ ص ٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣ .

(٣) المصدر السابق العدد ١٨ ص ٣ .



ثم مدح إسماعيل ، وأثنى على همته في نشر المعارف والعلوم . ثم أشار إلى الدافع له على نظم هذا المتن فقال :

وسعد ، فالقصد هنا والأمل نظام منشور عليه العمل  
في النحو صاغه ابن آجروم متناً ، ونقحه من المعلوم  
ولم يكن رفاعة أول من نظم هذه الأخرومية ، بل نظمها قبله سواء ، كما  
أشار إلى ذلك في مقدمته بقوله :

في كشفه نفاير الشراح وطمته ألن فصاح .  
فلا عجيب أن نظمتم نفسي في سلكهم إذ حسن التأني  
وجمال الأخرومية ، وهو الاسم الذي سماه به رفاعة — من (بحر) الزحر ،  
دو أسلوب سهل واضح ، وهو يقف عند أبواب أصله ، ولا يتناول إلا أصول  
القواعد ، كهذا الأصل نفسه ، قال :

وربما افتضى المقام سطرًا أو اختصاراً ، أو قصي بالوسطى  
وهاك نموذجاً : باب المفعول لأجله ، يقف فيه عند حد تبريعه ، والإتيان  
بأمثلة له فيقول :

وإن تر اسماً فضلة متممياً دلّ على وقوع فعل سيباً  
فذاك مفعولاً لأجله دعى كهاجر السني حوى البدع  
حصمت إحلالاً لركّ الناس وررت صحي طلب الإيباس<sup>(١)</sup>  
ولما أشتت المدارس الأولية في عهد إسماعيل ، ورأى على مبارك وزير معارفه  
أن تلك المدارس في حاجة إلى كتب تقرّب لها مسائل العلوم ، وتيسر لها ، فقام هو  
بتأليف بعض رسائل في العلوم والفنون متنوعة ، وأشرك معه في مواد التصنيف  
عدة أفراد كان مهم رفاعة ، وكان ما كلف به رفاعة أن يؤلف رسالة في النحو ،  
سهلة المأخذ ، لدراسة المدارس الخصوصية والأولية ، فلتى رفاعة طلبه ، وألف  
هذه الرسالة « على أسلوب جديد ، بقرّب العميد المستفيد<sup>(٢)</sup> » ؛ وسمّاها التحفة

(١) جمال الأخرومية ص ١٧

(٢) المقدمة ص ٢ و ٣ .

المكتبية ، لتفريب اللغة العربية ، وهي رسالة حديده حمداً ، إذا وورث بما كان معروفاً في ذلك الحين ، من مختصرات موخره غاية الإيجاز ، تحتاج إلى شروح ، يصع عليها العلماء حواشي وتقارير ، يصل الطالب بينها ، فلا يهتدى إلا بعد عماء وعسر ، وقد لا يهتدى ، لخدمة رفاعة في هذا الكتاب ، واستخلص القواعد ، وصاعها في أسلوب سهل ، متجنباً الاحتصار المحل ، والتطويل الذي لا حاجة إليه ، متبعاً القواعد بأمثلتها ، وملخصاً — كما نكته ذلك — ما ذكره من القواعد في جدول يوضح الفكرة بمجرد الرؤية ، ويسهل استيعابها ، وأنه المؤلف كتابه بحاجة في الإملاء وحسن القراءة ، ثم حتم الكتاب بإعراب السملة الشريفة ، وأورد في ذلك ما ذكره أستاذة الشيخ حسن المطار ، في حاشية على الأهرية ، وإعنا حتم الكتاب بذلك ، ليكون محوك الطرفين ، إذا بدأ الكتاب بالسملة ، وحتمه بإعرابها ، وقد انتقد أحد<sup>(١)</sup> دارسي رفاعة هذا الختام ، ولكنه سوف يلتزم لرفاعة المدر إذا علم مدى اهتمام رجل النحو يومئذ بهذا الإعراب ، وعلم أن إعراب السملة ، ليس إلا نوعاً من التطبيق على قواعد النحو ، ثم رأى أن رفاعة وضع هذا التطبيق في موضعه ، فبما نصحه كتب الأهر في أولها ، من غير أن يكون الطالب قد ألمّ بشيء ما من قواعد النحو ، فيصطر إلى أن يردّد القول كالسقاء ، إذا برهنة يصع هذا التطبيق في آخر الكتاب ، بعد أن يكون الطالب قد درس القواعد وهضمها ، فيستطيع بسهولة أن يملأ أوجه السطوح المختلفة بها . ولست أدري إن كان رفاعة في هذا الكتاب ، قد تأثر بكتاب سلفتردي ساسي في النحو ، الذي سماه التحفة السنية في علم العربية ، فإن رفاعة كان معجباً بهذا الكتاب ، حتى قال فيه : إنه ذكر فيه علم النحو ، على ترتيب عجيب لم يسبق به أبداً<sup>(٢)</sup> ؛ ولم أطلع على كتاب دي ساسي ، حتى يتمكن الحكم القاطع .

نق خاتمة فطر الندى ، التي سأله أحد أفاضل المدرسين أيام طلبه العلم في

(١) محمد الصادق حسين .

(٢) تخلص الإبريز ص ٦٦ .

الأزهر — أن يؤلفها ، « فأنشأها رفاعة بسجن الأزهر ، في جلسة حفيضة ، مع أنه لم يكن عنده من المواد ما يستعين به في تأليفه ، ومن ذلك الوقت اعترف له ، وهو ابن عشرين سنة جميع أساء طفقته (١) » ولا أعرف عن هذه الحادثة أكثر من ذلك ، وأعلم أن رفاعة لم يمن بالاحتشام بعمل آتته على محمل .

## في علم الحديث

ولرفاعة منظومة في مصطلح الحديث ، نزلت لها بعضها في كتابه تحليل الإبر (٢) منها قوله :

صحيح حسمى من فرط الهوى عصلا ومرسل الذم من عيني قد انفلا  
تواتر فمضى في الناس قطرة حتى لصق رثى لي كل من عذلا  
نعمن السحب عن عبي رواها كما بسلسل عنها القطر إذ هملا  
وختم هذه المنظومة بقوله :

وقعت حتى علمه لا يحاوره وهكذا شأن صب في الهوى كلالا  
وهي كما ترى — منظومة تصم الألقاب أنواع الحديث ، وهو في منظومته  
تلك بهج مهبج سلفه الدين ضموا هذه الألقاب ، كمنظومة ابن فرح التي تدعى  
المرامية ، لنسبها بقوله :

غراي صحيح ، والزمك معصلا وحرني ودهمي مرسل ومسئل  
وكمنظومة محمد الصبان التي بدأها بقوله :

صلوا صحيح غرام ، صبره ضمعا وبدلوا قطع من في حسمكم شفا  
وتفق رفاعة في أورن مع جداهما ، وفي الام الثانية ، وإن اختلفت  
حركتها ، وربما كانت إحدى هاتين المنظومتين أو كليهما مما كان يدرس  
بالأزهر يومئذ .

(١) حلة الرمن ص ٦ .

(٢) ص ٦٠ .

## في البلاغة والأدب

لم يؤلف رفاة كتاباً مستقلاً في البلاغة ، وكانت مما يدرس بمدرسة الألسن ، بل كان التلخيص لجلال الدين القرويني المعروف بخطيب دمشق ، أساس هذه الدراسة في أغلب الظن ، وفي القرن العاشر ، وضع بدر الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٦٣ هـ شرحاً على شواهد دعاه معاهد التلخيص ، على شواهد التلخيص ، تكلم فيه على معاني أبيات الشواهد ، وتراجم فائدها ، إلا ما لم يطلع عليه بعد التفتش في كتب الأدب ، وما فيها من العروض والقوافي ، ومكان الشاهد في البيت ، ويدكر القصيدة التي ورد فيها الشاهد ، ويورد ما قبله وما بعده ، ويصيف إلى كل شاهد ما يناسبه من نظائره الأدبية .

احتصر رفاة هذا الكتاب وأصاف إلى أصله زيادات مفيدة ناعمة ، كما روى ذلك في حقه صالح تجدي بك<sup>(١)</sup> ، والكتاب غير مطبوع ولم أطلع عليه .  
وشرح رفاة لامية العرب شرحاً غير مطبوع كذلك<sup>(٢)</sup> ، ولامية العرب قصيده أنشأها عمرو بن مالك الأدي الشهير بالشنفرى ، وهو شاعر جاهلي يمانى ، كان من فتاك العرب ، وعدائهم ، تولى قبل الهجرة نحو مائة عام ، وأول اللامية قوله :

أفيموا سى أوى ، صدور مطيتكم فدى إلى قوم سواكم لأميل  
وفى هذه القصيدة كثير من أبيات الأئمة ، وعزه النفس كقوله :  
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لم خوف القلى متعرل  
وقوله :

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن ناعلمهم بد أحسن القوم أعمل  
وقوله :

أديم مطال الخوع حتى أميته وأضرب عنه الدكر صغحاً فادهل

(١) حلية الرمن ص ٢٦

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ .

وأستف رب الأرض كي لا يرى له عني من الطاول امرؤ متطول  
 ولعل في هذه الأبيات الحكيمية ، وفي قوة بناء القصيدة ما أغرى رفاة  
 بشرحها . ومما هو حدير بالذكريها ، أنه بعد أن تحدث عن الملقات ، وهو  
 يتحدث عن أدب العرب ، في كتاب أنوار توفيق الحليل — تمرّض لقصيدة  
 الشنفرى حسب إداول : « ومن قصائد العرب قصيدة الشنفرى » ، وبعد أن  
 أورد مطلعها ومقص أبياتها ، ول : « وحسنها غريب ، ومعاده عدم حمل الصميم ،  
 حيث العرب لا تطلقه <sup>(١)</sup> » . فأتى بهذا نرى سداً من أسباب إعجابه بقصيدة  
 الشنفرى .

وقد سبق أن شرح هذه القصيدة الزمخشري شرحاً مطوعاً .  
 أما شرح رفاة ~~في أعش عليه~~ ، ولعل هذين الكتابين اللذين ألقهما رفاة  
 كما يدرسان مدرسة لألس ، وقد كانت النصوص مادة من مواد الدراسة في  
 هذه المدرسة ، لاحتياج الترجمة إليها ، كي يبرز د راد قوى من اللغة ومفرداتها .

## في الهندسة

أما مطومته في علم الهندسة ، فلم أر منها غير هذين البيتين اللذين رواهما في  
 كتابه تحييص الإبرير ، يتحدث فيهما عن موضوع هذا العلم :  
 موضوعه قياس الامتداد فسرّه بالثلاثة الأبعاد  
 الطول ، والعرض ، وكذا والعمق وشرح هدى عبر مستحق  
 ولعل الهندسة كانت من بين العلوم الحديثة التي درسها رفاة بالأزهر ، بإعراء  
 أستاذه المطار ، ولعل ألقته لهذا العلم هي التي مهدت له سبيل الترجمة فيه .

## في التاريخ

رسم رفاة مشروعاً صخياً ، كان يود من صميم قلبه أن يتمه ، فقد رأى وهو

(١) أنوار توفيق الحليل ص ٥٠٦ .

المحب لوطنه أن خير ما يبعث حب الوطن في قلوب بنيّه ، وتقديرهم له ، ونفائهم في خدمته ، هو دراسة تاريخ هذا الوطن ، ومعرفة أجياده في حاضره وماضيه ، فمرم أن يضع تاريخاً لمصر ، بدأ من أقدم عصورها ، وبتتبعه بالعصر الذي يعيش فيه ، وأن يؤلف في ذلك كتاباً « ممتحنة عن جميع من حكم مصر من الدول واسبل في جميع الأعصار ، سواء كان من أهل الوطن النسيين ، أو من الأجانب المتعصبين ، المحن للوطن بها والراغبين ، والمحدثين في حسن التربية والمهدين ، قبل الإسلام أو بعده ، ممن بدل جهده في التمدن أو لم بدل فيه جهده »<sup>(١)</sup> ، وحين صمم على هذا المشروع أقدم عليه ، وهو يعلم صحته ، « فهو تاريخ أم الدنيا ، وعنوان ملوك المملوكه العليا ، حيث بن مصر كناية الله في أرضه ، ولها لملائق الأكيده مع سائر العالم في طولها وعرضه »<sup>(٢)</sup> ، وأعد رفاعة ما بدله من جهد ، وما قرأه من كتب في حياته الطويلة « عربية كات أو عبر عربية » ، ولكن هذا المشروع الذي أراد رفاعة أن ينهض به لم يخرج منه سوى حرائر ، ساول أولها تاريخ مصر قبل الإسلام ، وساول ثانيهما تاريخ صاحب الرسالة التي عمرت مصر بأنوارها ، أما الجزء الخاص بتاريخ مصر مد الإسلام ، فقد انتهى فيه إلى خلافة الطليع<sup>(٣)</sup> ، وفام الله على باشا فهمي بإكمال من بعده ، على منهجه وأسلوبه<sup>(٤)</sup> . وأما ما آتته رفاعة ، فكتاباً بأوار توفيق الحليل في أحوار مصر وتوثيق بني إسماعيل ، وسهابة الإبحار في سيرة ساكن الحجاز .

(١) أنوار توفيق الحليل — مقدمة ص ٣

(٢) المرجع السابق نفسه

(٣) حلية الزمن ص ٢٦ .

(٤) الخطط الجديدة ج ١٣ ص ٥٦



## أنوار توفيق الجليل

### في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل

هو الجزء الأول من تاريخ مصر ، كونه تحت رعاية إسماعيل العظيم ، وأهداه إلى وليّ عهده : محمد باشا توفيق<sup>(١)</sup> ، وأشار في عنوانه إلى أن صدوره وافق تنظيم وراثة العرش في أبناء إسماعيل<sup>(٢)</sup> .

بدأ رعاية كتابه عهودات تمهيدية ، قسم في إحداها<sup>(٣)</sup> التاريخ إلى أثرى طريقه الشرع ، كالتقصص الواردة في الكتب السموية ، وشرى وهو ما وقف عليه الناس من الودائع والحوادث في الأعصر العديمة والحديثة ؛ وتحدث في ثابته<sup>(٤)</sup> عن قدم المدينة في مصر ، وعمل مصر على العالم في شر هذه المدينة ، وهو يعيى إعجاباً بمصر حين يقول : « ولا يحى على ضمائر أولى النصارى ، وخواطر أهل الفصل الباهر ، أن مصر «دعت قدماً الأمم في الأقدمية ، فسدوا لها أهم دورها في مرتبة الأهمية ، وأن لم يسبقها آية في سبيل التمدية ، ولا في حومة تقين القوانين وتشريع الأحكام المدنية ، ولم تحدد نعمة اقتباس علومها أمة ولا ملة ، ولا أسكرت الاستصاءة بنور مراسها مملكة عظيمة ولا دولة ، ثم احتضنت به مصر من بين الممالك ، أن كل مملكة تستير برهة ثم تنطوي ، وشرى ثمس بهجتها ثم تحتق ، .. وأما مصر ... فإنها بقيت سبعين قرناً حافظة لمرتبتها العليا ، لها اليد البيضاء والسلطنة المنيوبة على سائر ممالك الدنيا ... فقد كانت في أيام الفراعنة أم أم الدنيا ، وكانت شوكة سلاحها قوية ، هيتها في القلوب متمكة عليه ، وفي أيام الإسكندر ومن بعده من البطالسة ، وأرمان دولة الرومانيين القاهرة العالسة ، كانت مصر أيضاً رحية الدولة مهسة الصولة ، لما

(١) أنوار توفيق الجليل ص ٤ .

(٢) محمد الصادق حسين .

(٣) أنوار توفيق ص ٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٨ .

انتقش في سجاجيا قلوب الأمم من علو وحرار... فكانت إهانتها بالقوة العنوية،  
 بقدر إهانتها أيام العراقة بالقوة الحسنية، أولس أن حكما، الإسكندرية، وعلماءها  
 وفلاسفتها، اشتهروا بالعلوم العقلية، لاسي علم الأخلاق والعوائد، وكثرت  
 آراؤهم ومذاهبهم، وأحد عنهم الصادر والوارد... عموم المنافع والعوائد،  
 فتشعبت منها العلوم في سائر معالم البلاد... وكذلك في القرون الوسطى انبثقت  
 تجدد في مصر مالا يزيد عليه من التقدم والاهمية... مما لا تكاد يوجد في غيرها  
 من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، إذ كانت قطب رحى ديار الإسلام، ومركز  
 دائرة شريعة خير الأنام، فقد انتصر سلاطيتها على ملوك الإفرنج، وعلبوا الجم  
 العفير، وهرموا الحد الكثر، وطهروا عليهم في جهاد أهل الصليب... وفي  
 ابتداء هذا القرن الذي نحن فيه، لأنحى حوادثه الشهيرة على سبيله، فقد بلغت فيه  
 عليها المساوية، ورحوا باستقلالهم عليها نوع لأمنية، وأتى الله إلاماراده...  
 فكانت من نصيب صاحب غزيرة ولا عزيمة الإسكندر... محمد الاسم على الشان  
 وورثها لسلالته من بعده حتى وصلت إلى حفيده إسماعيل لصادق في وعده  
 فرفع في عهده على أودية مصر أعلام العوارف ونعم، وشر على أندية أوبة  
 المعارف والحكم، فكان من أوايها أصول الكياسة والرياسة، ودون في  
 دواويها قوانين التدبير والسياسة، وقوتى عزم الشرائع والأحكام، وأيد ملك  
 مصر بتأسيس قواعد الجند المصري على أقوى تأسيس وإحكام<sup>(١)</sup>... «  
 وعُتِل في مقدمة<sup>(٢)</sup> أخرى سب سب مصر بالتقدم والازدهار والدية،  
 وأرجع ذلك إلى حياة الاستقرار. وبعد أن قتم تاريخ مصر<sup>(٣)</sup>، وبين نصامها  
 الملكي<sup>(٤)</sup> وكيفية الحدود والعقوبات عند المصريين<sup>(٥)</sup>، ونسب القصور والمعارف  
 لديهم<sup>(٦)</sup> — رأى أن يمهّد للتاريخ فقال يحدث فيه عن حضارية مصر الطبيعية

(١) أوار توفيق لعلل ص ٩

(٢) ص ١٢

(٣) ص ١١

(٤) ص ١٤

(٥) ص ١٦

(٦) ص ١٨

وبيان حدودها . ثم أخذ فيها ألف الكتاب لأجله ، وهو تاريخ مصر من أقدم عصورها المتوقعة في القدم منذ عصر الطوفان ، وأحد يستقل من عصر إلى عصر ، ومن دولة إلى دولة ، يتحدث عن ملوكها وحال الشعب في عهدها ، وصلتها بجواربها ، وما قامت به من إصلاحات أو شتمته من حروب ، وهكذا يسير من عصور الفراعنة إلى عصر الرعاة ، وعصور العرس والبطالسة والرومان ، حتى إذا انتهى إلى عصر الفتح الإسلامي ، رأى أن يتحدث عن العرب الذين فموا هذا الفتح ، فتحدث عن صفات العرب ، ولسامهم ، وأسواقهم ، ومعتقداتهم ، وشعرهم ، وبين أن العرب كانوا يومئذ مستعدين لتحمل العبء الذي سيقى على أكتافهم ، كما تحدث عن رسل العرب الذين أرسلوا إلى قومهم خاصة .

احتهد رفاة في أن يعحص تاريخه من الحوادث والأباطيل ، ومما تولع به الإخباريون والقصاص من اختراع الحركات ، ومما توهمه أرباب الاوهام الفاسدة من تحيل المعاني ، لأن كثيراً من كتب السير ، مشحون بحوارق العادات <sup>(١)</sup> . ومع ذلك لم يحل الكتاب من آراء صيها من الصحة ضئيل ، مثال ذلك قوله : « وربما أثبت التاريخ أن دولة حمير ملك العالم بأسره من عرب وعجم ، وأن لهم آثاراً بلاد التار في مدينة « بلخ » و « همدان » وحلافها ، وأن ذا القرنين كان حميرياً ، واستولى على جميع الأمم <sup>(٢)</sup> » . ومما لا ريب فيه أن هذه أندية التي مصب منذ وفاء رفاة إلى اليوم ، قد عبرت كثيراً من مسائل هذا التاريخ ، بما حذت من كشف ، وما أصاب العلم من تقدم ، وهو بذلك يعطينا صورة لآخر ما وصلت إليه المعارف ، عن تاريخ مصر القدم في عصر رفاة ، وموارثه بما يعرفه اليوم من تاريخ مصر ، ندرك الفرق بين عصرنا وعصر رفاة ، وتبين ما ملنا من تقدم في معرفتنا بتاريخ الاجداد .

وقد احتهد رفاة في تمحيص الروايات وعرضها على عقله ، ليقبل أيها يوافق العقل ، كما ترى ذلك مثلاً في تحقيق الأساطير التي حدثت تقصير إلى غزو مصر <sup>(٣)</sup>

(١) ص ٣ .

(٢) ص ٤٨٠ :

(٣) ص ١٢٨

أما ما عني به من أنوان لتاريخ فصلا عن الحالة السياسية ، فقد أحملها رفعة في قوه : « اكتفت بذكر جوامع الكلام في هذا التاريخ لدفع ، ويزن ما شتمل عليه » فيما يخص أزمان مصر ، مما يتعلق بآثاره والعسكرية من الوقائع ، مع الإعراب عن صيغ المباني والعوامل ، ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها ونصب معالم الهياكل ، والإفصاح عما سلف من إبداع العمون والصانع ، وإحراج وسائل عموم المنافع ووسائل المصانع ، مع ما يصف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال ، أو من إغلاقات تربط ما تاجر بما سبق وإرصادها انقار ، حيث أوجبها الكلام لدفع السقاء بين العمارات السابقة والحال ، أو لتجمع بين الأقوال المختلفة لتصحیح النقص فيها والمصادقة<sup>(١)</sup> .

ومضى رفعة وهو يتحدث عن تاريخ مصر يحقق مسائل تاريخية وردت في القرآن الكريم ، فذكر رمها ، وتحدث عن يعاقيلهم ، وضمها في مكابها من التاريخ ، تحقيق حدث خروج بني إسرائيل من مصر ، وعمر بن مرعون<sup>(٢)</sup> ، كما فصح قصته أصحاب الكهف<sup>(٣)</sup> ، ووصفها كدلت في مكابها من التاريخ .

قسم رفاعة كتابه مقالات ، تحوى أدله حرجا صحيحا من أخبار التاريخ ، وقسم إلى أبواب ، يندرج تحتها فصول ، فتجد مثلاً مقالة في طبقات ملوك مصر وباباً في طبقة من هذه الطبقات ، وفصلاً في دولة من هذه الصفقة ، ويدكر كل ما به من أنوان خاص .

واعتماد رفاعة أن يقف في أعقاب كل دولة يتدبر أمورها ، وبه وأسباب رفعتها وانهارها ، ويتأمل آثارها ، ويدرس النتائج التي شئت من حكمها ، وله بطرات يستنبطها من حوادث التاريخ ، فعندما يدرس عمل المصريين من حكم دحيل ، وتجمع كلهم على حلق طاعته ، يقول : « والأمة المصرية أصعب ما عني بقوسها الانقياد للأعراب<sup>(٤)</sup> » ؛ وعندما يرى ميل قدماء اليونان إلى عساق الحرفات ، يستخلص أن قدماء اليونان كانت طماعهم كميرهم من أهلى هذه الأزمان الحديثة يميلون إلى

(٢) من ٨٧ .

(١) من ٣ .

(٤) من ١١٣ .

(٣) من ١١٩ .

التقاط الحرافات المحيية ، والأباطيل العربية ، فتصدق الأمور الغير المعقولة ، فدر مشترك بين أم سائر الأزمان القديمة والحديثة<sup>(١)</sup> .

كما نسمع مصر ته واحدة ، وهو يتحدث عن مصر عندما كانت ولاية رومانية ، فلم يحل ذلك بينه وبين أن يرى في مصر ناحية من نواحي عظمها فيقول : « ... مصر إيالة رومانية ... ليس لها علاقات خارجية ... هي ، وإن فقدت في هذه المدد الاستبداد لسلطتها على مسها سلطة حسية ، وهي في قبضة الرومانيين ، لم ترل إداك حافظة لسلطتها المعنوية ، بالقوة العلمية والشوكة الروحية ، في تلك المدة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وكان لها علو الدرجة والمرتبة المعنوية على رومة ، وعلى بلاد اليونان بقوة أنوار العلم الساطعة ، وأصواء الفهم الالامعة في تلك الأزمان ، كما كان هذه إلا مزية للديار المصرية ، وحاصية من خواصها الدائية ، لأنها على اختلاف الأزمان ، ودوران الحداث ، منصفة بصفة القوة المعنوية والظهور المعنوي ، على أعظم مدينة من مدن الدنيا ، ولو كان لتلك المدينة الحكم الحسي على مصر ، هي ، وإن كانت في الظاهر ليست في درجة المطمة السلطانية ، لا تمارل أبدأ عن درجة السلطنة العقلية<sup>(٢)</sup> » .

أما استطراداته في هذا الكتاب في موضعها ، تريد البحث جلاء ووضوحا ، فعندما تحدث عن فتح الإسكندر لمصر ، ذكر فصلا مطولا عن الإسكندر وأعماله وفتوحه<sup>(٣)</sup> ، وعندما ذكر دخول مصر في حكم الدولة الرومانية ، تحدث عن أصل هذه الدولة<sup>(٤)</sup> .

ولم يقف استطراده عند ذكر الدول التي اتصلت بمصر بها ، بل يصم الشبه إلى نظيره ، ويوارن بين فعل وفعل ، فتراد يقول : « فشتان بين صنيع بطليموس ملك مصر ، وبين محمد بن معاوية عامل مصر ، حيث أجاز رجاء بن روح ، في أيام الخلفاء العباسية » ؛ ويمضي موازنا بين الصنيعين<sup>(٥)</sup> .

ويوارن بين قول قيصر لعامله على مصر « أشتهي من الراعي تسمين ما يرعاه ،

(٢) ص ٣٩٠ .

(٤) ص ٢٣٤ .

(١) ص ١٢٩ .

(٣) ص ١٥٥ .

(٥) ص ٢٠٩ .

ولا أرضي منه أن يذبحه ، وقول عمر بن الخطاب لعامله عندها : « إن اللقحة قد درت ، ولكن أجاعت أولادها »<sup>(١)</sup> .

وعندما تحدث عن حاتمة كايو باطرة ، أثار في هذه الحاتمة ما حدث من بطيرها للرباء ، فاستطرد إلى ذكر قصتها<sup>(٢)</sup> .

ويشير فيه سيرة ملك عشوم ذكرى الوليد بن يزيد ، فيمغنى موحراً قصة زندقته<sup>(٣)</sup> ، وهكذا إلى استطرادات من هذا القبيل .

ولقد تفلت روح الأدب على رفاة ، فهو يستشهد بالشعر<sup>(٤)</sup> ، ويروي به ، بصور به خاطراً ، أو يوسج فكره ، وإن عرّاه بالأدب قد دفعه إلى ذكر ما قاله شعراء رمسيس فيه ، عقب معركة مع ملك الخيتاس .

أما أسلوب رفاة في هذا الكتاب ، فيميل إلى التسجع ، ويكاد عرّاه به يكون عاتماً في معظم قصوله ، فقد سجد الفصل كله مسجوعاً ، أو يأتي في الفصل المرسل بالحل المسجوعة ، وحيثما يأتي بالفصل كله مرسلاً ، ومع عنيته بالتسجع ، لا يشعر بحفاء في أفكاره ولا غموض .

ومما هو حدير باندكر أنه أرتج حوادث هذا الكتاب بالسنين المحررية . وقد استقبل علماء<sup>(٥)</sup> عصره هذا الكتاب بأكل مطاعر الخماوة والمقدّر ، فهذا شيخ الإسلام السيد العرسي يقول عنه : « وحدته أهل كتاب في العمون التاريخية ألف ، وأجمع لشوارد الفرائد الأثرية من كل مصنف مسبق وقد طالما أوقمتنا الأسعار التاريخية في طغيات من الأوهام بعضها فوق بعض ، فأوقعنا تحريرات الشافية على صريح الحق الذي عليه بالفواخذ بعض » ؛ والشيخ الدمهوري يقول عنه : « ولعمري إنه تاريخ فاضل ، تزدهم حواظر العسلاء عليه ،

(١) ص ٢٤٤ .

(٢) ص ٢٢٢ .

(٣) ص ٤٣٦ .

(٤) رجع من ٢١ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٥٢ و ٢٥٩ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٤٠٠ وغيرها .

(٥) نجد أقوال العلماء فيه بأول كتاب .



ومؤلف كامل تتمثل المؤلفات بين يديه ، تتفجر أمهار الإحادة من عياص راعته ،  
وتتطرأ أرهار الإفاده من رياض فصاحته « ، ويقول عنه شاهين باشا باطر الجهادية :  
« وحدته مع حلوه من أحديث الحرافات جمع فاعوى ، وأحاط بأحوالها وأحوال  
ملوكها أصلاً وديعاً ، فسرر ، وشكرت مؤلفه على هذا المسمى » ؛ وأما أحمد  
حبرى بك ثم دار الحديث الأكرم ، فبرى هذا الكتاب الأول من نوعه « إذ لم  
يسبق مثله بالديار الإسلامية في هذا الباب » ، ويقول عنه على مبارك باشا : « إن  
من الآثار على كثرة مؤلفاته الممددة ، ومصنفاته القمعة والحديثة ، قل أن يحلو  
كتبه من حكايات منسدة ، وقولات محترقة ، وأمور وهمية ، لا تستقر بأهوية ،  
تولع بها أرباب المحادث ، وشملها عنهم من تطلع لذكر الفرائد ، بدون عرضها  
على محلت الاحتار... وإنما وفى هذا الكتاب المستطاب ، فهو من الحقائق المورونة  
بميران الصواب ... »

وهذه الأموال وسواها ، وإن كانت قد فيلت في معرض التقريط ، تدل على  
الروح التى استقر بها هذا الكتاب ، الذى جمع — رى — لأول مرة فى اللغة  
العربية ، تاريخ مصر القديم محصاً بقدر الإمكان .

## نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز

رأى رفاة عندما شرع فى الجزء الثانى من كتاب أنوار توفيق الحليل ، وهو  
الجزء الذى يقص تاريخ مصر بعد الإسلام — أنه لاعى عن تنويج هذا الجزء  
بأسيرة التنوية ، لأنها سيرة المسمى الذى جاء بهذا الإسلام ؛ فوضع كتاباً ضخماً فى  
هذه السيرة ، دعاه نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ؛ وبدأ بإشره ملحقاً بمجلة  
روضة المدارس فى سنتها الثالثة . ولكن رفاة مات قبل أن تم طبعه ، وترك  
الباقى من الكتاب مسودات قام عليها من بعده ولده على « قراءة وتصحيحاً ،  
حداً وإثباتاً »<sup>(١)</sup> حتى آتم طبع الكتاب ، وقد استقر الابن بوضع جدول يحمل

عزوات ارسول ، كان الوالد يريد أن يصعبه ، فحلتته منيته دونه <sup>(١)</sup> .  
ولما كان هذا الكتاب مسلسلاً مع آخر الأول فقد بدأه بالمقالة الخامسة ،  
لأن الجزء الأول ينتهي بالمقالة الرابعة .

بدأ رفاة كتابه بمولده صلوات الله عليه ، فتحدث عن سبه ، ورمان ولادته  
ومكانها وأسمائه ، وفي هذا الفصل يحقق مارواه على بن أبي طالب عن رسول الله  
أنه قال : « حرحب من سكاح ، ولم أخرج من مدح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدني  
أبي وأمي ، لم يصني من سفاح الجاهلية شيء » ؛ ويؤمن بأنه صلى الله عليه وسلم  
لم يتدنس هو ولا آباؤه بما كانت عليه الجاهلية ؛ ويتمرص رفاة لوالدي الرسول ،  
فيرى بجانبها من النار ، لأيهما من أهل العنزة ، « أو بجانبها له عام حجة  
الوداع ، حتى أما بالله ورسوله ، ومع الإيمان بموت من حصائصه صلى الله عليه وسلم ،  
وليس بممتنع عقلاً وشرعاً <sup>(٢)</sup> » ، « ولا بدع أن يكون الله كتب لأبوي النبي  
صلى الله عليه وسلم عمراً ، ثم قبضهما قبل استيفائه ، ثم أعادهما أي أحدهما . لاستدراك  
الإيمان ، من جملة ما أكرم الله به نبيه عليه الصلاة والسلام <sup>(٣)</sup> » .

وسير رفاة مقتضى حياء الرسول رصيماً ، وعمد فليبه مرصته ، ويؤمن  
بمحدث شوق صدره الشريف هدي ، وإخراج قلبه وعينه ، الشبح في طست من  
ذهب ومكنه حكمة وإيمان ، واستخراج حظ الشيطان منه ، وهي مصعة سوداء <sup>(٤)</sup> ،  
وشوق صدره الشريف أيساً ، وهو ابن عشر سنين ، ثم عد مبعثه ، ثم عند  
الإسراء <sup>(٥)</sup> » ، ويرى هذا الشوق حقيقة لازماً .

وفي الفصل الثاني تحدث عن شرعية الاحتفال بميلاده ، صلوات الله عليه ،  
وأحسن رأيه في ذلك إدهش : « وبالجملة فلا اعتناء بوقت مولده الشريف صلى الله عليه وسلم ،  
والإشادة للمدائح السموية والترهدية والعرفانية ، وإتمام الصوام ، وإصداف السنية ،  
أمر حسن منيف ، يثاب فاعله الثواب الجليل ، تقصده الجميل ، وإن كان عمله

(١) مرجع سابق ص ٢٥٩

(٢) ص ١٣

(٣) ص ١٢

(٤) ص ٢٨

(٥) المرجع نفسه .

م ينقل عن أحد من السلف لصاح واقرون الثلاثة الفاضلة ، وإنما حدث بعدها  
فلذلك كان بدعة حسنة ، عند من تحقق العلم وأتقنه <sup>(١)</sup> .

وشدّج المؤلف مع حياة الرسول ، فيصحبه مع أبي طالب في الشام ، وفي  
نخاعة حديجة ورواحه منها ، وما أنجبت له من البنين والبنات والأحفاد ، حتى  
إذا تعرض للحسن والحسين ، ذكر ما احتصنا به من مزايا لا توجد في غيرهما ،  
حيث سبأ إليه خصوصية لهما ، وقد انقصر بسببه إلا من جهتهما ، قل :  
« واعتقد الإجماع بأن المراد نال الست في الآلة الشريعة على وفاطمة والحسن  
والحسين ودرسيهما <sup>(٢)</sup> » .

وفي الباب الثاني <sup>(٣)</sup> تحدث عن مبعثه عليه السلام ، وهذا شرح صفات  
الرسول ، وأمدل البحث ، وعمق في تحقيق انتفاء حوار العقلة عن الرسول في  
تسليم أحكام الله ، ورد على من رعم عقلة الرسول ، حين قرأ سورة النجم ، فما  
بلغ : « ومناه اثنتان الأخرى » وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً ،  
إلى أن قال : تلك الفرائق العلاء ، وإن شفاعتهن لترجي ، فخرج به الشركون ،  
حتى تآمروا بالسجود لما سجد في آخر سورة النجم <sup>(٤)</sup> .

ويحطو المؤلف مع الرسول خطوه خطوه منذ « شته إلى هجرته ، ويقف طويلاً  
عند الإسراء والمعراج ، وهو في هذا يؤيد رأي الأكثرين من طوائف المسلمين  
في أن الإسراء والمعراج كما يحسده ، وأيهما كان ، بقطة لا رؤيا ، « لأنه قد صح  
أن فريشاً كدته ، وارتدت جماعة ممن كان أسلم ، وسألوه أمارة ، فأخبرهم بقدم  
الغير يوم الأرماء ، وقد كان ذلك اليوم لم يقدموا ، حتى كادت الشمس أن تغرب ،  
فدعا الله تعالى . فحس الشمس ، حتى قدموا كما وصف » ، وكذلك تحلى البيت  
المقدس له ، وبطوره إليه ، وخباب قرش ، فهذا يدل على أن ذلك كله لم يكن رؤيا ،  
ولو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رؤيا ، لما كذب ، ولا أكره ذلك على غيره ،

(٢) من ٥٢

(١) من ٤

(٣) من ٦١

(٤) من ٧٣ وما بعدها .

فصلاً عن إكباره عليه ، لأن آحاد الناس يرون في مسامهم أنهم ارتقوا إلى السموات وليس ذلك «موجب»<sup>(١)</sup> .

وفي قصة الإسراء والمعراج تعرض مسألة رؤية الرسول لله ، وهنا يؤمن رفاعة بأنه صلوات الله عليه رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ، بلا كيف ولا أين ولا زمان<sup>(٢)</sup> ، ويقتل إجماع العلماء على أن رؤيته تعالى بالأبصار بقطة في الدنيا جرة عقلاً ، مستحيلة شرعاً على غير رسول الله<sup>(٣)</sup> . أم البراق الذي حمل الرسول فهو « دابة يرضاء طوبلة فوق الحمار ، ودون النمل ، تصنع حافرهما عند مستهى طرفها »<sup>(٤)</sup> .

وعندما وصل رفاعة إلى حياة الرسول في المدينة اقتدى عن سبقه من المؤرخين كالطبري وابن الأثير ، فقد مضى نوح لتلك الحياة عاماً بعد عام ، فبدكر في كل عام أعمال الرسول فيه ، وغزواته ، وما رل فيه من أحكام ، وهكذا سير عاماً عاماً ، حتى ينتهي بوفاته صلى الله عليه وسلم ، فهذا انتهى من تاريخ الحوادث ، عاد فتحدث عن أخلاق الرسول وصفاته ومعجزاته التي عد القرآن أكرها ، وبطيل الحديث عنه ، ولكنه لا يقف بها عنده ، بل مد من أمهات معجزاته اشتقاق القمر<sup>(٥)</sup> ، « وأن اللأ من قرش تعاقدوا على قتله ، فخرج عليهم فجمعوا أبصارهم ، وسقطت أقدامهم في سدورهم ، وأقبل حتى هم على رؤوسهم ، فقبض قبضة من تراب ، وقال : شأهت الوحوه ، وحصصهم ، فما أصاب رجلاً منهم من تلك الحصباء شيء ، إلا قتل يوم بدر »<sup>(٦)</sup> . وأطال رفاعة في عدد معجزات الرسول . وفي فصل رابع<sup>(٧)</sup> تحدث عن أرواحه وقرائنه ومواليه .

ورأى المؤلف لكي تتم سره الرسول — أن مقد بآني النظم الإدارية ، كما كانت في عهد رسول الله والحق مع رفاعة في إضافة هذا الفصل ، لأن العمل الإداري للرسول تتم به عمه التشريعي ، وجهاده لتثبيت دعائم هذا الدين . والواقع أنه فصل ممتع ، لأنه يربك المنور الأولى للإدارة الإسلامية ، ويصور لك الحكومة

(٢) من ٩٧ .

(٤) من ٩٩ .

(٦) من ٣١٢ .

(١) من ٩٤ .

(٣) المرجع نفسه .

(٥) من ٣١١ .

(٧) من ٣١٧ .

الإسلامية الأولى ، وإمامة المعظمي لإصابة هي منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي استحقاق التصرف العام على المسلمين في أمور الدين والدنيا<sup>(١)</sup> ، أما معاوية الرسول ، وهم أشبه ما يكون بالوزراء ، فقد ورد في الحديث الشريف : ويراي من أهل البيت جبريل وميكائيل ، ويراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر<sup>(٢)</sup> ؛ وأما الحجة له صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت أن أس بن مالك كان خاضعاً لولاء الله عليه<sup>(٣)</sup> ؛ وكان الرسول شديد الاحتياج إلى الكتابة فكان من كتاب الوحي له عثمان بن عفان وحي بن أبي طالب ، ومن كتاب الوحي وكتاب الرسائل والإقطاع<sup>(٤)</sup> بن كعب الأنصاري وريد بن ثابت وعند الله بن الأرقم الزهري ، فكان هؤلاء يكسرون له الوحي ، كما يكتبون إلى أمراء الأحبار والملوك أو إلى سائر رؤساء<sup>(٥)</sup> ، وأما اليهود والمصالحات ، فكان كاتبه فيهما علي بن أبي طالب<sup>(٦)</sup> .

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعمال فقهية كتعليم القرآن ، فقد أرسل مصعب ابن عمير إلى المدينة يعلم أهلها القرآن ، ومعاوية بن جندب إلى مكة يفتي الناس في الدين ويعلمهم القرآن وغيرهم<sup>(٧)</sup> . وكتعليم الكتابة وممن كان يعلمها عبد الله بن سعيد بن العاص ، أمره رسول الله أن يعلم الكعبة بالمدينة ، وكان كاتباً محسباً<sup>(٨)</sup> . ومن الأعمال الفقهية تعليم الفقه في الدين ، ووظيفة الإفتاء ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلفاء المختصة لتعليم الفقه في الدين ، وممن كان يفتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود وثني بن كعب ، وغيرهم<sup>(٩)</sup> .

ومن أشرف المهالك الفقهية إمامة الصلاة ، ولهذا نصر العلماء أن السلطان أحق بالإمامة في الصلاة إلا أن يذن بغيره في ذلك ، وكان إذا نعت أميراً كانت الصلاة إليه ، وقد استخلف أنا بكر الصديق ليصلي بالناس في مرض موته<sup>(١٠)</sup> .

- |             |                   |
|-------------|-------------------|
| (١) ص ٣٥٧ . | (٢) ص ٣٧٧ .       |
| (٣) ص ٣٧٨ . | (٤) ص ٣٨٤ و ٣٨٥ . |
| (٥) ص ٣٨٨ . | (٦) ص ٣٨٩ .       |
| (٧) ص ٣٨٩ . | (٨) ص ٤٠١ .       |
|             | (٩) ص ٤٠٦ .       |

وعقد المؤلف فصلاً<sup>(١)</sup> لن استخدمهم الرسول رسلاً مكتبه إلى النبوك ، أو يدعون الناس إلى الإسلام ، ويحملون الصلح والأمان .  
وتولى حذيفة بن اليمان كتابة الجيش لرسول الله<sup>(٢)</sup> ، فقد أمر رسول الله بكتابة الناس في الجيش ، فكتبوا في عصره<sup>(٣)</sup> .

وبعث رسول الله أمراء كثيرين لولاية الجهات ، فممن أمره على مكة عتاب ابن أسيد ، وعلى اليمن دنان<sup>(٤)</sup> ، كما عهد العلاء بن حجر ، وعلى بن أبي طالب ومعاذ بن جبل<sup>(٥)</sup> ، ووصع رسول الله أصول الخمسة ، واستعمل رسول الله على سوق مكة بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص<sup>(٦)</sup> ، وأما صاحب مصر في المدينة فقد كان ذلك أيضاً من عهد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> ، وكان السجن موحوداً منذ عهد صلوات الله عليه<sup>(٨)</sup> .

أما المال الجهادية فكان رسول الله يبعث الأمراء للجهاد في سراياه ، وكانت سراياه كثيرة ، وأوصلها بمصهم إلى سب وحسين سرية ، والسرية قطعة من الجيش<sup>(٩)</sup> ، وكان رسول الله بمقد الرباب للأمراء لبعوث السرايا<sup>(١٠)</sup> ، وكان الجيش يقسم في عهده خمسة أقسام : مقدمة وميمية وميسرة وقلب وسافة<sup>(١١)</sup> ، وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمي صاحباً<sup>(١٢)</sup> ، وأعد رسول الله الخيل في سبيل الله ، وطر عليها من يحفظها<sup>(١٣)</sup> ، كما كان يضع على معاصم الحرب صاحباً<sup>(١٤)</sup> ، مثل كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري ، وأبي سعيد بن حرب . واستخدم رسول الله عملاً لا يجمعون الحرية وركاة ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل<sup>(١٥)</sup> ، وخالد بن سعيد بن العاص<sup>(١٦)</sup> ، وأبي بن كعب<sup>(١٧)</sup> ، كما كان يبعث مستوفياً يقض المال من المال ، كما يبعث علياً بن الحسين يستوفى من

(١) ص ٢٠٩	(٢) ص ٢٠	(٣) ص ٢١
(٤) ص ٢٨	(٥) ص ٢٩	(٦) ص ٣٨
(٧) ص ٣٩	(٨) ص ٤١	(٩) ص ٤٦
(١٠) ص ٥٠	(١١) و (١٢) ص ٥١	
(١٣) ص ٥٣	(١٤) ص ٦٨	(١٥) ص ٧٤
(١٦) ص ٧٧	(١٧) ص ٧٨	



خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> ، ولم يتخذ رسول الله ست مال ، ولا حراة للتقدين ، وإنما كان يعجل قسم ما آتاه من النى في يومه<sup>(٢)</sup> .

وتلك كانت نواة الحكومة الإسلامية الأولى .

وحتم المؤلف كتابه بباب ذكر فيه بعض الحرف والصناعات التى كانت فى عهد رسول الله ، لينم بذلك كله وضع صورة تقريبية لألوان الحياة فى ذلك العصر : دبية ، واجتماعية ، واقتصادية .

وبما جمعه الكتاب من أحبار وأبحاث وآراء ، يأخذ قيمته بين مؤلفات السيرة النبوية ، مهما تكن مخالفا له فى بعض ما يبيده من آراء .

وإذا كان الغالب على أسلوب رفاة الصناعة والسجع فى الجزء الأول من ترجمه ، فالغالب هنا فى كتاب نهاية الإبحار الترسل ، وترك القلم على سجيته ، إلا أن يأتي السجع طبيعياً غير مقصود .

## فى السياسة والاجتماع والاقتصاد

لا أريد بهذا العنوان أن ردعة قصد تأليف كتب تتحدث فى أصول السياسة ، أو تبين أركان الاجتماع ، أو تذكر أسس الاقتصاد ، وربما كان فى مستطاعه أن يؤلف فيها ، فقد قرأ فى ذلك كتباً أعفها أساطين العرسيين ، كروموشوموتسيكيو ، كما قرأ كتاب ابن خلدون ، ولكنه ألف كتابين نثر فيهما آراءه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وإن اشتملا على كثير غير ذلك أيضاً ، وهما كتاباه : تخلص الإبريز ومناهج الألباب المصرية .

(١) من ٤٨٤ .

(٢) من ٤٨٥ .

## تخليص الإبريز ، إلى تلخيص باريز

عندما سافر رفاعه إلى أوربا ، أشار عليه بعض أقربه ومحبيه ، ولا سيما شيخه العطار ، « فإنه مولع بسماع عجائب الأحبار ، والاطلاع على عجائب الآثار - أن ينه عن ما يقع في هذه السفرة ، وعن ما يراه ، وما يعاينه من الأمور العربية والأشياء العجسفة ، وأن يقتده ، ليكون رافعا في كشف القناع ، عن عجائب هذه القناع ، التي بقا فيها : إنها عرائس الأقدار ، ويسبق دليلها يهتدى به إلى السفر إليها طلائب الأسفار ، خصوصا وأنه من أول الزمن إلى الآن لم يظهر باللغة العربية على حسب طي شئ ، في تاريخ مدينة برس ، كرمي مملكة العرسلس ، ولا في تعريف أحوالها ولا أحوال أهلها <sup>(١)</sup> » ؛ فاستجاب ردة لهذه الإشارة ، ووضع في وصف هذه الرحلة كتابا توخى فيه « سلوك طريق الإبحار ، وارتكاب السهولة في التعبير ، حتى يمكن لكل الناس الورد على حياضه <sup>(٢)</sup> » .

بدأ رفاعه الكتاب بمقدمة ، ذكر في الباب الأول منها أسباب رحلتهم إلى فرنسا ، وأنها احتياج مصر إلى الحرب في كسب ما لا تعرفه من العلوم ، التي بلغت فيها البلاد الإفريقية أقصى مرات البراعة ، وهي العلوم الرياضية والطبيعية ، وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها <sup>(٣)</sup> ، ومعرفة علوم مل التي دفعت أوربا إلى التفوق ، فقد قويت شوكة الإفرنج براعتهم وتدريبهم ، بل وعدهم ومعرفتهم في الحروب ، وتنوعهم واحتراغهم فيها ، « ولولا أن الإسلام مصور بقدره الله سبحانه وتعالى لكان كلاً شئ ، بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم <sup>(٤)</sup> » ؛ ورأى أن تتعر هذه العثة ثمرها المرحوة ، فنقوم بشرع علوم أوربا ، وفوسها ، وترجمة كتب معارفها ، إلى العربية <sup>(٥)</sup> .

(١) تخليص الإبريز ص ٣

(٢) المصدر السابق ص ٥

(٣) ص ٧

(٤) ص ٨

(٥) ص ٩

وفي الباب الثاني تحدث عن العلوم والفنون المطلوبة ، والحرف والصناعات  
المرغوبة <sup>(١)</sup> ، تمت وحده في العرب ، ولأهل به معرفة تامة ، بينما هي ناقصة عندنا  
أو مجهولة بالسكينة .

ورأى المؤلف أن يحدد في الباب الثالث <sup>(٢)</sup> من مقدمة البلاد الإمبريحية ،  
ومرتبة الأمة العربية التي بعثت العامل الكبير على اختيارها لمبعوثيه .  
وفي الباب الرابع ذكر رؤساء تلك البعثة <sup>(٣)</sup> .

أما مقصد الكتاب ففي ذكر السفر من مصر إلى باريس ، وما رآه من  
اعرائب في الطريق ، أومدة الإقامة في هذه المدينة الماهرة ، سائر العلوم الحكيمة  
والفنون والعدل العجيب ، والإنصاف الغريب <sup>(٤)</sup> ؛ ومضى رفاة يقصّ خروجه  
من مصر إلى دخوله ثمر الإسكندرية <sup>(٥)</sup> ، ويخصّ الإسكندرية بفصل يصفها  
فيه ، ويدكر تاريخها <sup>(٦)</sup> ، ويناقش رحلته فيصف ركوبه البحر <sup>(٧)</sup> ، وما رآه من  
الحدل والبلاد والخرار <sup>(٨)</sup> ، حتى وصل إلى مرسيليا <sup>(٩)</sup> ، وهناك رأى أول  
مظاهر الحضارة في تلك البلاد ، وقد وصف لنا ما فوجئ به من نظام يخالف ما أراه  
في مصر ، يدقّ : « ولم نمر في أول يوم إلّا وقد حضر لنا أمور غريبة في  
عليها ، وذلك أنهم أحضروا لنا عدة خدم فرنساوية ، لا نعرف لغاتهم ، ونحو  
مائة كرسي للجنوس عليها ، لأن هذه البلاد يستعملون جنوس الإنسان على نحو  
سجناده مفروشة على الأرض ، فصلا عن الجلوس بالأرض ، ثم مدّوا السفرة  
للمطوّر ، ثم صعدوا على عتبة ، ثم رصّوها من الصبحون البيضاء الشبيهة  
بالمجمية ، وحموا قدم كل من قدما من قزاز ، وسكبنا ، وشوكة وملقّة ،  
وفي كلّ طليّة نحو فرارنين من الماء ، وإن فيه ملح ، وآخر فيه فلفل ، ثم  
رصّوا حولي أصصية كرامية ، لكل واحد كرسي ، ثم صعدوا بالطيب ،  
فوصعوا في كلّ طليّة صحن كرام ، أو صحنين ، ليعرف أحد أهل الطليّة ،

(١) ص ٢٠ .

(٢) ص ٢٣ .

(٣) ص ١٢ .

(٤) ص ٢٢ .

(٥) ص ٢٨ .

(٦) ص ١٠ .

(٧) ص ٢١ .

(٨) ص ٢٦ .

(٩) ص ٣٢ .

ونقسم على الجميع ، فيعطى لكل إنسان في صحته شئ يقطعه بالسكين التي قدماه ، ثم يوصله إلى فمه بشوكه لا بيده ، فلا يأكل إنسان بيده أصلاً ، ولا بشوكه غيره أو سكينته ، أو شرب من قدحه ثداً<sup>(١)</sup> . ومضى رفاة يتحدثنا عن مرسيليا ، فوصفها ووصف ما رآه فيها ، ثم عاودها ومضى إلى باريس<sup>(٢)</sup> .

أما المقالة الثالثة<sup>(٣)</sup> التي وصف فيها دخوله باريس ، وذكر جميع ما شاهده بها ، وما بلغه خبره من أحوالها ، فهي المرض الأسى من وضعه الرحلة ، ولذلك أظن فيها غاية الأطباء ، وإن كان يعتقد — مع ذلك — أنه اختصر فيها وأوحز<sup>(٤)</sup> .

خصص رفاة الفصل الأول من هذه المقالة ، لتحديد باريس ، ووصف طبيعتها ، ووازن بين ربوعها وربوع القاهرة ، فقال : « وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والقياس ، فإن تربة الإنسان في الروضة والقياس لا تصاحي ، لأن الخليج يعبر مصر ، والسبيل يمر باريس ، إلا أن نهر السين يسميه يشق باريس ، وتجرى بها السفن العظيمة الوسق ، وبه الأرضة الحيدة ، والسطافة على حوافيه ، ومع ذلك فترته غير سارة ، وشتان أيضاً بين ماء النيل والسين من جهة العلم وغيره ، فإن ماء النيل لو كانت العادة حرت بترويقه قبل استماله ، كما هو العادة في ماء نهر السين ، لكان من أعظم الأدوية ... والخدمة والتفصيل فمفرق بعيد بين تربة مصر وباريس ، ومياههما ومواكهما ، لا في نحو أخواح وفليمها ، فبولا نجاة أهل باريس وحكمهم وبراعهم ، وحسن تدبيرهم واعتدؤهم بتمتد مصالح بلادهم ، لسكان مدينتهم كلا شئ<sup>(٥)</sup> » .

أما الفصل الثاني<sup>(٦)</sup> فخص به أهل باريس ، تحدث فيه عن أخلافهم الفردية والاجتماعية وكان يحماه بهم نادياً إذا استشيده بعض صفاتهم ، وقد عرصنا ذلك في فصل حياته بباريس<sup>(٧)</sup> .

ودكر في الفصل الثالث نظم فرنسا السياسية ، وترجم فيه دستورها يومئذ ،

(١) ص ٣٣ .	(٢) ص ٣٨ .	(٣) ص ٢٩ .
(٤) ص ٢٢ .	(٥) ص ٤٦ .	
(٦) ص ٥٢ .	(٧) راجع ص ٣٠ .	

وعلى على مواده ، وستحدث عن هذه التعليلات عند الكلام على آرائه السياسية ووصف في الفصل الرابع<sup>(١)</sup> البيت العرسى : نظامه وأثاثه ؛ وحتم هذا الفصل بقوله : « وتعمد العرساوية تعطيف بيوتهم ملاسهم أمر عجيب ، وبيوتهم دائماً مفرحة ، بسبب كثرة شبايكها الموضوعة بالمهندسة وصعاً عظيماً ، يجلب النور والهواء ، وحرف الشبايك دائماً من القرار ، حتى إذا أعققت فبن الثور لا يحجب أصلاً ، وفوقها دائماً السائر للفتى والفقير ، كما أن سائر العرش التي هي نوع من الماموسية عامة لسائر أهل باريس<sup>(٢)</sup> » .

وتحدث في الفصل الخامس<sup>(٣)</sup> عن أغذية أهل باريس وعاداتهم في طعامهم وشرايهم ، وطريقتهم في دمج حيوانهم ، ولعل رفعة لم يسمع طعامهم ، فقد قرأ : « قطعهم على الإحلاق عدم الدقة ، ولا خلوة صادقة في مواكبه هذه المدسة إلا في الخوج<sup>(٤)</sup> » .

ووصف ملاس العرسيين رجلاً ولباً ، في دفعة تسترعى النظر في الفصل السادس<sup>(٥)</sup> ، ولحقاً إلى الأرقم في هذا الفصل والفصل السابق ، فتحدث عما تستهلكه باريس كل عام ، من أنواع الطعام واللباس .

أما الفصل السابع الذي تحدث فيه عن متزهات باريس ، ويعنى بها كل مكان يلحقاً إليه العرسيون لترويج عن أنفسهم ، من مسارح وملاء وحدائق ، فقد علق عليه كارادى قوله : إن الطريقة التي تحدث بها رفاعة عن المسرح تحملنا بنسب لأول وهمة ، فالمسرح كان مجهولاً تقدم الجهل لديه ، ولدى سى وطنه ، ومع أن وصفه له سادج تمام السداحة ، كان وصف رجل دقيق الملاحظة ، ولم تحمل ملحوظاته من فلسفة<sup>(٦)</sup> ، « فالرفاعة في أول هذا الفصل ، يصف لك هذا الذى لم تقع عليه عينه في بلاده من قبل : « اعلم أن هؤلاء الخلق حيث ينهم بعد أشغالهم المعتادة المعاشية ، لا شغل لهم بأمور الطاعات ، فإنهم يقصون حياتهم في الأمور الديبوتية واللهو والنم ، ويتفنون في ذلك بعد عكس ، من محال الملامى عندهم محال يسمى

(٢) ص ٩٠ .

(١) ص ٨٥ .

(٥) ص ٩٣ .

(٤) ص ٩٢ .

(٣) الصفحة عنها

(٦) (1) Les Penseurs de L' Islam. V. P. 240.

التياتر ( Le Théâtre ) سكراته المشدده ، وسكون التاء الثمانية ، والسهكت كل ( Le Spectacle ) ، وهي يلعب فيها تقليد سائر ما يقع ، وفي الحقيقة أن هذه الألباب هي حدى صورده هرل ، فإن الإنسان يأخذ منها عمراً عجيبه ، وذلك لأنه يرى فيها سائر الأعمال الصالحة والسيئة ، ومدح الأولى ودم الثمانية ، حتى إن الفرنسيين يقولون : إنها تؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها ، فهي وإن كانت مشتتة على المضحكات ، فكلم فيها من المسكيات ، ومن المكتوب على الستارة لى ترى بعد فراغ اللعب باللغة اللاتينية ما معناه باللغة العربية « من تصحح موئيد بالعب »<sup>(١)</sup> ، ومضى رفاعة يصف هذه المسارح ، وما يدور فيها ، وثنى على ممثلى كمار المسارح ، فربما كان لهم كثير من التأليف الأدبية والأشعار<sup>(٢)</sup> .

وفي الفصل الثامن<sup>(٣)</sup> نتحدث عن وسائل صحة الأبدان بمدينة باريس ، وأطبل الكلام عن حماماتها . ووارن بينها وبين حمامات مصر . وفي الفصل الذى يليه<sup>(٤)</sup> عني بدكر اهتمام باريس بالعلوم الطبية ، وأواع الأطباء ، فكل طب خاص بمرض معين ، وهما ترجم رفاعة بيده فى قانون الصحة ، وسوف تعرض لها فيما بعد .

١٢٧

وفي الفصل العاشر<sup>(٥)</sup> نتحدث عن نظم فعل الخير بباريس ، وأن الإحسان فيها ليس فرديا ، بل جماعيا قال : « اعلم أن قلب الناس ملاد الإفرنج وسائر الملاد التى تكثر الصناعة والتجارة فيها يعيشون من كسب أيديهم ، فإذا حصل للأسار منهم مانع كمرض أو نحوه فقد معيشتهم ، واضطر إلى أن يعيش من غير كسب يده ، كأن يتكفف الناس ، أو نحو ذلك ، فشرعت المارستانات المعدة لفعل الخير ، حتى إن الإنسان لا يسأل ما فى أيدى الناس ، وكلما كثرت صنائع بلدة وكثر كسبها ، كثرت أهاليها ، فاحتاجت إلى مارستانات أكثر من غيرها ، ومعلوم أن مدينة باريس من أعمر المدن ، وأكثرها صناعة وتجارة ، فلهذا كثرت مارستاناتها وحميات فعل الخير بها ، سادة لخلق شح أفراد أهلها وبخلهم ، لم تقدم أهم

(١) تعليم الإبرر ص ٩٥ .

(٢) ص ١٠١

(٣) لصدور نفسه .

(٤) ص ١٢٠

(٥) ص ١٠٢ .



عزل عن الكرم من العرب ، فليس عندهم حاتم طي ولا اسه عدي . ووصف  
رفاعة نظم هذه المارستانات والجمعيات ، وتماسة لتجاء بعض الناس إلى المارستانات  
وأنه لا يلجأ إليها إلا من يحجز عن الكسب ، عقد فصلاً<sup>(١)</sup> من فيه محبة أهل  
باريس للكسب ، وصرى المهمة إليه سكية ، فتحدث عن تجارة باريس ومصارفها  
وبريدها ، والضرائب المفروضة ، وأسباب عي أهلها ، ومكتب التجارة دي الحر  
عشرة مدرسة .

وتحدث في الفصل الثاني عشر<sup>(٢)</sup> عن دين باريس ، وقد بينا ذلك فيما  
مضى<sup>(٣)</sup> . وقد فصل في هذا فصل درجات الكهنوت ، والأعياد الدينية بفرنسا .  
وفي الفصل الثالث عشر<sup>(٤)</sup> ذكر تقدم أهل باريس في العلوم والفنون  
والصناعات ، وهو هنا يدعى عهداً لاحد له معناه باريس ، يقول « الذي يظهر  
لن تأمل في أحوال العلوم والفنون الأدبية والصناعة ، في هذا العصر بمدينة باريس ،  
أن المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت أوجها بهذه المدينة . وأنه لا يوجد من  
حكما الإبرخ من تصامى حكما ، درس ، بل ولا في الحكماء المتقدمين » ؛ ولا يأخذ  
عليهم رفاعة إلا أن لهم في العلوم الحكيمية حشوات صالابة ، محلبة لسائر الكتب  
الساوية<sup>(٥)</sup> . وفي هذا الفصل تحدث رفاعة حديث تفصيلياً عن الحياة العلمية  
ساريس من جميع نواحيها . ومما استرعى نظر المؤلف هناك أن العالم عندهم لا يتصف  
بهذا الاسم الصحيح إلا إذا اتقن علوما عدة ، واعتنى زيادة على ذلك بفرع مخصوص  
وكشف كثيراً من الأشياء ، وحدد فوائده عن مسوق بها ، فليس عندهم كل  
مدرس عالماً ، ولا كل مؤلف علامة ، بل لابد من كونه تلك الأوصاف ، ولابد له  
من درجات معلومة ، فلا يطلق عليه ذلك الاسم إلا بعد استيفائها<sup>(٦)</sup> ؛ ومضى رفاعة  
يخصي بمجامع المعاء ، والمدارس الشهورة ، وحرث الكتب ، والمتاحف .  
أما مقاله الرابعة فخص بها حياته وحياة اسعوثين العلمية ، وأولى حياته نوعاً

(١) الفصل الحادي عشر من ١٢٣

(٢) رجع ص ٣٣

(٣) ص ١٢٧ .

(٤) ص ١٣١

(٥) ص ١٣٠

(٦) ص ١٣٣ .

من البسط ، فتحدث عن دراسته<sup>(١)</sup> التي قام بها في باريس ، وعن الكتب التي قرأها ، والأساتذة الذين أشرفوا على دراسته ، والامتحانات التي أداها<sup>(٢)</sup> ، وسجل رعاية محمد علي لأعضاء الميثة<sup>(٣)</sup> ، وعنايته بأمرهم ، وما كان يرسله إليهم حيناً للتشجيع ، وحيناً للثوم والتوبيخ . كما سجل في الفصل الرابع<sup>(٤)</sup> من هذه المقالة بعض مراسلات بينه وبين بعض كبار علماء فرنسا .

وأرج في المقالة الخامسة ذلك الانقلاب العرسي الذي شهدته ، وانتهى بمرور شارل العاشر ، وتولية لويس فيليب ، وله على هذا الانقلاب تعليقات سوف نعرض لبعضها ، عند حديثنا عن آرائه السياسية .

ولم يشأ رفاعة أن يحتم كتابه حتى يذكر بدءاً عن الموم والمعون التي ذكر اردوها في بلاد العرب ، فكانت المقالة<sup>(٥)</sup> السادسة في ذلك ، وتحدث في الخاتمة<sup>(٦)</sup> عن رجوعه من باريس إلى مصر ، وهو في هذه الخاتمة يقول<sup>(٧)</sup> ( وقد رأى بعض آثار مصر في باريس ) . « حيث إن مصر أخذت الآن في أسس الممدن والتعلم على منوال بلاد أوروبا ، فهي أولى وأحق بما ركة لها سلعها من أنواع الزينة والصناعة ، وسلبها عنها شيئاً بعد شيء ، بعد أن كانت العقول من احتلاس حتى العر للتجلى به ، فهو أشبه بالمعص ، وإثبات هذا لا يحتاج إلى رهان ، لما أنه واضح البيان » .

وأمن رفاعة المكر في عقد شبه بين الشعب العرسي وعمره من الشعوب ، فقال : « ظهر له بعد التأمل في آداب العرساوية وأحوالهم السياسية ، أنهم أقرب شبيهاً بالعرب منهم للترك ولغيرهم من الأحاس ، وأمرى مطبة القرب بأمور : كالمرض والحرية والافتخار ، ويسمون المرض شرقاً ، ويقسمون به عند المهمات ، وإذا عاهدوا عاهدوا عليه ، ووفوا بعهودهم ، ولا شك أن المرض عند العرب العرباء أهم صفات الإنسان ، كما تدل على ذلك أشعارهم ، ونعمرهن عليه آثارهم<sup>(٨)</sup> »

(٢) ص ١٦٣ .

(٤) ص ١٥٢ .

(٦) ص ٢٠٨ .

(٨) ص ٢١٢ .

(١) ص ١٥٨ .

(٣) ص ١٥٠ .

(٥) ص ١٨٨ .

(٧) ص ٢١٠ .

ومضى رفاعه بين معنى العرص عند العرسين ، وهذه الخاتمة انتهى كتاب  
تخليص الإرير .

كان إتمام هذا الكتاب بعد عودته ، أما معظمه مما كتبه في ريس ، وأطلع  
عليه بعض علماء فرنسا ، كما ذكر ذلك رفاعه .

أما السج الذي أنعمه ، والهدى الذي رعى عليه من تأليف رحته ، فإن سره  
يحدث عنها في مقدمة كتابه ، إذ يقول : « قيدت في سفرى رحلة صغيرة برهتها  
عن حلال المساهل والسجمل ، ورايتها عن رلى التكالس والتفاضل ، ووشحها  
بمض استطراد دعة ، واستطهارات مطعة ، وشمها بحث دبر الإسلام ،  
على السج عن الموم الرابية ، وعود وعباس ، فإن كل ذلك يلاذ لإفراج أمر  
ثابت شائع ، والحق الحق أن سجع ، وأمر الله ، حتى مده بإفاتي بهذه البلاد في  
حسرة على غمها ذلك ، وحاو بمات الإسلام منه ، وإث أن تعد ما ذكره لك  
حارو عن عاديت ، فيعبر عليك بصفه ، فطبه من ناب الهدر والخرافات ،  
أو من حير الإواط وسدس . . . » وقد شهدت الله سبحانه وتعالى على الأحميد  
في جميع ما أقوله عن طوى الحق ، وأن فنى ما سمح به خاطرى من الحكم  
باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها ، على حسب ما يقتضيه الحال ، ومن  
المعاه أن لا استحسن ، لا ما يخالف بعض الشريعة المحمدية (١) .

والكتاب ذو قيمة كبرى من مؤلفات رفاعه ، لأن معظمه مبنى على  
ملحوظات رآه ، وآراء أهداه ، لا على نقل أو ترجمة ، فهو كتاب داني ، فكر  
فيه رفاعه ، ووضع لسانه ، وأخرجه ، وقصده فيه فصل الحق والإبداع ، وقد  
استقبله عزيز البلاد أحمل استقبال ، فحار عجاذه قبل نشره ، ودفعه هذا الإعجاب  
إلى الأمر بطبعه ، وإصدار أمره بقراءته في قصوره ، وتورمه على الدواوين والمواطنة  
على تلاوته ، والانتفاع به في المدارس المصرية (٢) . وطبع الكتاب لأول مرة  
سنة ١٢٥٠ هـ ، وثانى مرة بولاق سنة ١٢٦٥ ، وثالث مرة سنة ١٣٢٣ (٣) .

(٢) حقه لومس ص ٢٥

(١) ص ٤

(٣) معجم سر كلس ج ١ ص ٩٤٣

وقرط الكتب شيخه اندي أسار عليه تأليفه ، وهو الشيخ حسن المطار ، وقال في هذا التقرير : « أودع في هذه الرحلة مؤلفها الأدب الأرس ، والماصل الدكي اللبيب ، ما شاهده من عجائب تلك البلاد ، وأحوال هؤلاء العباد ، ما يحرض الماقل على الأسفار ، والتقتل في الأمصار ، حتي يرداد تلك عما بقيتاً ، ويعوق بالاحطة بأحوال عباده في الزمن السير ، مما لا يدركه القاطن بداره ، ولو عاش من السنين مئيتاً<sup>(١)</sup> » .

ولكن بطهر أن كثيراً من العامة كانوا يستنون الظن بمن عاشر الأوربيين من المسلمين ، فمادوا كتبهم ومن لم يقرأوها ، ويعصور لنا المستشرق لين Lane هؤلاء بقوله : « كنت حالساً يوماً عند أحد باعة الكتب ، فأتى رجل يطلب نسخة من رحلة رفاعة . فسأل أحد الحاضرين عما في هذا الكتاب ، فتطوع رجل لإجابته بطريقة تهكمية فبني رأى العامة فيه ، قل ذلك المتطوع : أن أقص عليك نبأ هذه الرحلة بالحق ، إنها تحتوي على وصف سفر رفاعة من الإسكندرية لمرسيليا ، وعلى ما جرى له أثناء هذا السفر ، عند ماسك وعمره ، عند ذلك أمر الزمان شد وثقه إلى صاري السفينة وحلده ؛ ثم رل بلاد الإفريق حيث طاب له لحم الخنزير ومعاشره النساء الإفريقيات ؛ ثم بعد أن ارتكك من المواقب كل ما يعد له مقدمه من النار عاد إلى مصر<sup>(٢)</sup> » .

وقد اطلع على الأحرار التي تم من هذا الكتاب سارس بعض المستشرقين ، وأبدوا فيها رأيهم ، فمنهم من اتى عليه بدون تحفظ كالاستشرق كوسين دي برسفال (Gossin De Perceval) فقد قال عنه : « وقد طهر لي أن هذا التأليف يستحق كثيراً من المدح ، وأنه مصنوع على وجه يكون به دفع عظيم لأهل بلد المؤلف ، فإنه أهدى لهم سداً صحيحة من فزون فرنسا وعوائدها وأخلاق أهلها وسياسة دولتها ، وما رأى أن وطنه أدنى من بلاد أوربا في العوم البشرية والعون الجامعة ، أظهر التأسف على ذلك ، وأراد أن يوقف نكتاته أهل الإسلام ويدخل عندهم الرعة

(١) الترفيض على الصفحة الأولى من تخليص لا رير

(٢) تقديم كتاب تاريخ التعليم في عصر محمد على صفحة ٣٠ (س)

في المعارف المفيدة، ويولد عندهم محبة تعلم التقدم الإفرنجي، والترقي في صنائع المعاش، وما تكلم عليه من اسباب اسلطوية، وعمليات وغيرها، أراد أن يذكره لأهالي بلاده أنه ينبغي لهم تقييد ذلك، وما طر فيه في بعض الممارات يدل في الغالب على سلامة عقله، وحلوته من النصف والتخامل، وعنده هذا الكتاب بسيطة أي غير متكلف فيها التتميق، ومع ذلك فهي لطيفة<sup>(١)</sup>. أما سلفستري دي سامي Selvesters De Saey فيه علق على قول روعة: «إن العرساوية ليس لهم دين آتية، وإنما ليسوا نصارى إلا بالاسم» فقال: «في ذلك القول نظر، نعم، إن كثيراً من العرساوية خصوصاً من سكان برنس ليسوا نصارى إلا بالاسم فقط، لا يعتقدون اعتقادات دينهم، ولا يعتقدون بمبادئ النصرانية، بل هم في أعمالهم لا يسمون إلا أهواءهم، يشغلهم أمور الدنيا عن ذكر الآخرة، تراهم مادامت حياتهم، لا يهتمون إلا بالكسب الأموال بأي وجه كان، وإذا حصرهم الموت ماتوا كالبهائم، ولكن فيهم أيضاً من يتبع دين آتية، يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات، وهم طائفة لا تخص من الرجال والنساء، ومن العوام والخواص، بل ومن المشهورين بفصل العلم والأدب، غير أنهم في ورعهم وتقواهم على مراتب شتى، منهم من يشارك عامة الناس في تصرفاتهم، ويحصر معهم في محافل العادات أعني (السكك كل) و(السال)، وجامع الأعاني، ومنهم المتفحصون المحرصون عن كل ما يشبه الأثام، وهؤلاء أقل عدداً، وإن دحب كائنات أيام الأعياد المنظمة طهر لك صحة قولي». وعنى روعة على ملحوظة دي سامي بقوله: «والحمل له على ذلك كونه من أرباب الدنيا، وعددهم نادر لا حكم له<sup>(٢)</sup>». أما رأي المستشرق في الكتاب بعامة، وما أتاه من ملحوظات عنه، فقد سجلها روعة في كتابه، إذ رجم رسالة بحثها إليه المستشرق، وفيها يقول: «قرأت هذا التاريخ إلا اليسر منه، فحق لي أن أقول: إنه يظهر لي أن صناعة تربيته عظيمة، وأن منه يصمم إخوانه من أهل بلاده فهماً صحيحاً، عواظاً وأموالاً الدينية والسياسية

(١) تحقيق الأبرير ص ١٥٥.

(٢) تحقيق الأبرير ص ١٣٨.

والعمية ، ولكنه يشتمل على بعض أوهام إلامية ، ومن هذا الكتاب يعرف عم  
هيئة العالم ، وه يستدل على أن المؤلف جيد النقد ، سليم الفهم ، غير أنه ربما حكم  
على سائر أهل فرنسا ، بما لا يحكم به إلا على أهل باريس والمدن الكبيرة ، واسكن هذه  
نتيجة متولدة ضرورة من حالته التي هو عليها حيث لم يطعم على غير باريس وبعض  
المدن ، وقد حرص في باب المصروف ، على ذكر المصروفات توطئة للتوصل إلى المجهولات ،  
خصوصاً في بدته المتعلقة بعلم الحساب وهيئة الدين ، وعارة هذا الكتاب في  
الغالب واضحة ، غير متكلف فيها التعميق ، كما يليق بمسائل هذا الكتاب ، وليست  
دائماً صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ، ولعل سبب ذلك أنه استعجل في تسويده ،  
وأه سيصلحه عند تمييزه ، وفي التكملة على علم الشمر ذكر استطراداً بعض  
أشعار عربية أحسية ، من موضوع هذا الكتاب على ما يظهر لي ، ولكنه ربما  
أحب ذلك إخوانه من أهل بلاده ، وفي الكلام على تعصيل الصورة الدائرة  
على غيرها من الأشكال ، ذكر بعض أشياء قليلة الجدوى فيسمى له حديثاً<sup>(١)</sup> .  
وقد أحب رفاعة على ملحوظات هذا الشئ من أنه ذكر ما منتهه<sup>(٢)</sup> .

ومن كل ما ذكرناه يبدو ما انصف به رفاعة من شجاعة في تسجيل ما رآه  
واعتقده ، لا سأل في سبيل ذلك أن ستر ما قد لا يرضى عنه من انصل بهم من  
علماء فرنسا ، ثم هو سجل في كتبه ما يراه غيره ناقص فيه ، وما أبدى عليه  
من ملحوظات لا تحلو من قسوة ، و... وكذلك ما انصف به من دقة الملاحظة ،  
وسماء الذهب ، فستطاع أن يوازن بين عادات الشرق والغرب ، وحلال المصريين  
والفرنسيين ؟ كما أنه سجل ملحوظاته على ثورة فرنسا سنة ١٨٣٠ م في حرية ،  
لا تستر شيئاً .

ويظهر من تلك الرحلة أصلاً أنه لم يجمع رداء قوميته . فليس كان مافى أوربا  
خيراً ، ويتقص كل ما في بلاده ، بل يحتفظ بشخصيته ، فيترف بما للغرب من  
حسنات ، وما تفوق فيه على مصر ، ولكن لا يقوته أن يشتد سببهم ، « الخ »

(١) ص ١٥٣

(٢) ص ١٥٦ .



رحله هذه ، أشبه سافرة بطر من مصر على الحياة الأوربية كما هي ، فترى ما سبها  
وبين الحياة المصرية من وراء <sup>(١)</sup> « وتمدحو حدير بالذكر أن هذه الرحلة قد  
ترجمت إلى لغة التركية <sup>(٢)</sup> .

## مناهج الآداب المصرية في مباهج الآداب العصرية

هذه كتب ألقه رفاعة ، رأى بلاده تتقدم في طرق المدنية ، وأخذت أساليب  
الحضارة والرفق ، ورأى من مواهب « نعيم خمرة فدر الاستطاعة ، وينذل  
ما عده من رأس من الصناعة ، نفعة وطمة العمومية ، وينصح لبلاده بيت ما في  
وسمهم من العمومية <sup>(٣)</sup> » ، وذلك « بتصنيف نخبة جليلة ، وتصنيف تحف جليلة ،  
في المنافع العمومية ، التي بها يوطن بوسع دائرة التمدية ، اقتطعت من ثمار الكتب  
العربية البليغة ، واحتشيت من مؤلفات الفرساوية النافعة ، مع ما صنع بالبال ،  
وأقبل على الخطر أحسن اقبال ، وعمرتها بالآداب ليدت ، والأحداث الصحيحة ،  
والدلائل السات ، وصنفتها لطم من أمثال الحكماء ، وآداب البلغاء ، وكلام  
الشعراء ، من كل ما ترتج به لأفهام ، وتزاح به عن الذهن الأوهام <sup>(٤)</sup> » .  
ذلك هو هدف رفاعة من تأليف كتابه ، والخطوة التي أراد أن يخطها فيه ،  
فهو كتاب يريد أن يدرس فيه المنافع العمومية ، التي تعود على الوطن بالخير  
والإسعاد .

قدّم رفاعة كتابه بتقدمة بيّن فيها أن كمال التمدن والعمران له وسيلتان :  
إحداهما ، تهذيب الأخلاق بالآداب كدسية ، والعصائل الإنسانية <sup>(٥)</sup> ، والثانية  
المنافع العمومية التي تعود بالثروة والفنى ، وتحسين الحال على الهيئة الاجتماعية <sup>(٦)</sup> ،  
ومعارة أخرى : للتعمد أن أصلان : معنوي ومادى <sup>(٧)</sup> .

(٢) حبه برى من ٢٥

(١) محمد الصادق حسين

(٣) مباهج الآداب من ٤

(٥) من ٧

(٤) مباهج الآداب من ٥

(٧) من ٩

(٦) من ٨

والرغبة في مدني الوطن ، لا تنشأ إلا عن حبه <sup>(١)</sup> ، وقد شئت به بعضهم حيث  
الأوطان بحرارة جديدة ، تتمكن من أبدان أهله ، وإذا حلت سدس يسان علت  
على الحرارة العريضة ، ولذا إذا ظهرت الحمية الوطنية في أبناء مصر بلغ هذا الوطن  
من التمدن الحقيقي والمعوى أمسته

عرض رفاعة في الباب الأول بيان أسرار العمومية ، فمعرفة النعمة بأنها  
ما يعمل لمصلحة تخص بلده أو مملكته لراحة أهله ، وعظيم أحوالهم ، من كل  
ما يعود عليهم فائدة له وقع في مملكته ، وبها يترقى الوطن ، ويشتد في ثمرها  
أرضه <sup>(٢)</sup> ، ومضى النعمة في السياسة الشرعية على طريق اكتساب المال من غير  
مهاينة ولا عسف ، وبما فيه في المصارف حميدة وبما فيه الحمية <sup>(٣)</sup> كـ

وطريق اكتساب المال يرجع إلى ثلاثة أشياء ، وهي : زراعة ، والصناعة ،  
والتجارة ، وبذلك ترى أن رفاعة قد وضع كسبه في الحدث عن مذاهب الثروة  
الثلاثة ، وفي وسائل الترويض بها ، ومما قد يفتقر إليه من هذه المذاهب  
إذا وجدت في مملكته دأب ، من كان المال والإصلاح مستتباً ، فواسطة  
اكتساب الأهالي المال من هذه المذاهب ، صحيح لهم الإيداع في السعة  
والثروة ، وبمصول أموالهم يؤدون حقوقهم ، فتنالهم بحفظهم وميسرهم ،  
مما يوجب ثروتها واقتدارها ، ويعفون في سبيل الله ما شئ ، أن يعفوا ، رحمة  
بدوى الحاحات ، ومهادتهم انطواء الميراث ، والقسمة <sup>(٤)</sup> أدنى

ودكر المؤلف أن موع السعادة ، و اكتسابها ، من ملك المذاهب ، هو  
العمل والكسب ومزاولة الخدمة ، في زراعة مثلاً ، تساعد العمل على الأمن والثبات  
أكثر مما تساعد خصوبة الأرض ، « ولو رعد أرض حصية ، وميراث ما يمكن  
أن ينسب من إرادتها للعمل ، وما ينسب للخصوبة منه ، وميراث كلاً على حده ،  
وحدنا محصول العمل أقوى من محصول الخصوبة ، ودليل ذلك ، أن الأمة  
المنقذمة في ممارسة الأعمال والحركات ككتبة ، دس الحركات ، مما استكبه

(١) ص ١٠

(٢) ص ٢٤

(٣) الصخره .

(٤) ص ٢٤

الأدوات كاملة ، والآلات الفاضلة ، والحركة الدائمة ، قد ارتفعت إلى أعلى درجات السعادة والمعنى بحركات أعمالها ، بخلاف غيرها من الأمم ذات الأراضي المحصورة الواسعة ، فحركة الحركة ، بين أهلها لم يرحلوا من دائرة العاقبة والاحتياج ، وقد قلب بين أغلب أوساط أوربا وإفريقية ، ظهر لك حقيقة ذلك ، فن هذا يظهر أن أساس المعنى مبنى على كثرة الأعمال والأعمال ، فهي مصدر وموارد للأموال ، ومنافع لأبعد الإقبال<sup>(١)</sup> .

ومما يبين على تقدم المنافع العمومية ، الأسفار والسياح<sup>(٢)</sup> ، وأكبر دليل على ذلك دولة الإركلير في العصر الحديث ، واسوريون في العصر القديم . وكانت الديار المصرية متقدمة في اسفار العمومية تقدماً عظيماً ، وكانت حركتها على غاية ما يمكن من الشط والإيمان ، وكان للسبيل وتسهيله سير السفن بين بعض البلاد وبعض ، أكبر الآثار في أن الديار المصرية اكتسبت قبل غيرها من الممالك في الأرمن الحالية ، صفة الثروة والمعنى ، وتقدمت في المنافع العمومية<sup>(٣)</sup> ويرى رعاة أن أعظم وسائل تقدم الوطن في المنافع العمومية رحمة المعاملة مع أهالي الممالك الأجنبية ، واعسارهم في لوطن كالأهنة<sup>(٤)</sup> ، فهو على مبدأ القائلين بحرية التجارة .

ومعنى رعاة ، فتحدثت عن الرعاة التي استندت بمحمد علي في أن يعيد المنافع العمومية إلى مصر ، وقد أدركت قريحته الصحيحة ، ومطنته الرحيحة ، أن سمادة الملكة في ترابها ، وأن مسع ثراء مصر ، إنما هو الزراعة ، وكأنما ورد بخاطره الملحوظات الآتية :

الأولى أنه لم يكن للسبيل في هذه الأمان إلا فرعان : فرع رشيد ، وفرع دمياط ، وأنه يجب عمل أفعال وسدود لمذين العريين بطريقة تقتضي ألا ينصب ماء النيل في البحر الأبيض إلا ما لا يمكن تركه ، فهذه الوسيلة تكون ماء النيل الفائض جسيماً ، وتعتمد على كثير من الأراضي ، ريادة عما هو عليه ، فهذا تنسج الأرض الصالحة للزراعة ، أو للسكنى ، أريد من الحالة الرأهنة .

الثانية : إذا صار الاعتناء بتطهير نهر و خدجان كما يسعى ، وصار الاحتياط في تسكيرها بقدر البروم ، تمكنت المياه على الأراضي حراً عظيماً من السنة ، فيسبح وادى النيل ومحراه ، ونمت ، فيروى الأراضي الصالحة للزراعة .

الثالثة : قد صحَّ وجه الخدس والتخمين أن بواسطة الطريقة السابقة المستحصلة . يريد في ضرائع مصر العاصم ما يبيف عن سمائه فوسح مربع .  
الرابعة : الظاهر أن النيل في الأعصر سابقة سبق مروره بالقشوم ... وحرى من الفيوم إلى بحيرات الطارون ..

الخامسة : من المعلوم مما سبق ، أن حصص مصر ومنها منسوب عن النيل ، ويعن غيرها أراعى ، منسوب عن اختلاف محصول ولأمطار ، فهذا كانت مصر مستعدة لكسب السمادة كثر من غيرها ، شرط انتصم حكومتها واجتهاد أهاليها ...

السادسة : إذا صار اشروع في عمدة مصر ، نسد فرع دمياط ورشيد ، وعمل لها أبواب ورياح ومصارف ، فإن بواسطة ذلك يحصل تحويل النيل لمجالات التي لا ينزل بها بدون ذلك<sup>(١)</sup> ...

هذا ما نصوّره محمد على ، عندما أراد بناء قناطر البحريه ، فقد كان متجهاً اتجاهها كاملاً إلى بدل مجهوده ، وقوه بساطه ، بإحياء عمدة الرى و زراعه ، فحيث مصر وأهلها<sup>(٢)</sup> .

ولما مهد محمد على ، في مصر ، زراعة وانجدة واسماعة ، هي هي اسوع العمومية ، وكثرت ثروه مصر الأحاد و مضاف ، وسعد الأهالى برهه العيش ، وكان يفكر دائماً في تكميل المدفع للعمومية لمصر ، وكان السودان يتجر قسماً وحديثاً بالمعادن ، ولا يذهب — صرف همته إلى توسيع استخراج المعادن تلك الجهة ، فأرسل إلى السودان من يكشف أسرار معادنه ، ومضى هو يشرف على هذه التجارب<sup>(٣)</sup> .

وحصراً ردة فصلاً بذكر تقدم مصر في عهد إسماعيل<sup>(٤)</sup> ، وما يصلح في

(١) ص ٢٢٥ .	(٢) ص ٢٢٧ .
(٣) ص ٢٤٩ .	(٤) ص ٢٨٢ و ٢٩٥ .

مصر من أوج انزعاجها وما يصلح ربيعه منها من الحيوانات<sup>(١)</sup>. وبين رفاعة  
ما يكون لتقدم الصناعة وتجارة في ثمة من حفظ كيان الأمة ، وبعد عقول  
سيها عن الأفكار الباطلة ، التي تسبب عنها هدم بناء الأمة بالفساد والشرور<sup>(٢)</sup> .  
وأعلى رفاعة الكتب بخاتمة ، قسم فيها أهل الوطن أربع طبقات : الطبقة  
الأولى ، ولأهل الأمور ، والطبقة الثانية ، صفة الماء ، واقتصاد وأمناء الدين ،  
والطبقة الثالثة ، مرة ، والطبقة الرابعة أهل الزراعة والتجارة والصناعة ،  
ومضى يتحدث عن عمل كل طبقة ، وواجبها ، وحقوقها ، وصغارها ، ووجهه  
رفاعة إلى الخوفا كما قوله : « دعي لأهل الوطن ، أن يؤدوا ما يجب عليهم  
من الحقوق لوسمهم ، فيما كانت طائفهم ، لا تحادهم في وصف الأهلية ، وأن  
يتعاونوا على ما فيه صلاح مملكتهم وجمهورية لسياسة ، وأن يبدلوا المستطيع  
ما عنده في إصلاحها ، وما في ، حتى يمدد عليه ، مما أحلوا نحوه الله ، وأمس  
قوة الدولة فشكره وطنه ، أي هو مصره ، ونحمده ربه الذي هو عصره ،  
فكون محله ، كذا في دفتر أعمال الدين القوي ، في سلسلة الأعصار ، وأن  
تصف كل عسوم أعص ، حمية الأهلية بالأساسة ، التي هي أشرف الخصال التي  
يحتاج بها في المعاملات ، وقد كان هذه الحمية قديماً في الديار المصرية على  
عاية من أحسك بها . . . وأن تمدك بكل فضيلة يتمدح بها ، وتيسر لها  
تعدته دينا وأخرى ، من كل ما يحرم سامع العمومية ، ديوية أو دينية ، مما  
يكون له لأهل ملته تدم النظام ، وتعود منفعتهم عاجلاً أو آجلاً ، على قوة  
دولة الإسلام<sup>(٣)</sup> » .

وهذا كان عرض الأول من كتاب مساهم الألبان المصرية هو الحديث عن  
مساهم العمومية التي تعود على الوطن بامع وأثره ، فإن رفاعة قد استطراد في أثناء  
كلامه عن ذلك إلى موضوعات شتى : منها الخلق كحديثه عن الفضيلة ، وأما وسط  
بين طيف مدمومين<sup>(٤)</sup> ، ومحبته في عرعب العميلة وأركانها وأقسامها<sup>(٥)</sup> ، ومنها

(١) ص ٢٨٢ و ٢٩٥ .

(٢) ص ٤٣٣ .

(٣) ص ٣٢٨ .

(٤) ص ١٣٠ .

(٥) ص ٢٥ .

الاحتمالي كصوصح 'صدقه' (١) ، ومب لأدنى كبراد مقل في معلاء  
من الشعر (٢) ، وم قيل في حمة المنطقة من الأدب ثراً (٣) ، ومنها التروى  
كباحثه في لغوه وقسمه وتعلمه ، ومب لسيامي ، كطب 'سوية' بين أماء  
الوطن من غير طر إلى اختلاف في الدين (٤) ، وحدثه عن أسيس مجلس شورى  
الواب (٥) ، ومب التاريخ كبرج حرو ، ومب مع فطحة ، وحروها مع  
مقدونية ، وعرواب الرسول ، و ربحه لمكثير من شئون مصر (٦) ، ومبها ماهو  
عسير آنة (٧) 'وحدث' (٨) ، ومب لآدنى كبحته في العمل والنية ، واحتراف  
كبحث تكون أرض مصر من الصمى (٩) ، و لآدنى كبحته في العمل ومشايخ  
البلاد (١٠) ، إلى غير ذلك من استطرادات ، لا نكرها ، سوهب وحدة الكتب ،  
وحمت الوصول إلى مرض منه يحد إلى لأه و نرت ، فقد لعب هذه  
الاستطرادات الموصوع بسوع من موص .

ما أسلوب رفاة في كتبه بمصر ، برسل في حمة صحفه ، وإن كتب  
لا تعدم غرامه بالسجع ، في رة 'مصر' حمة ، وأحده حمة آخر ، كما أن  
بالكتاب نقولاً كثيره من كتب شى .

هذا ، وقد سمي بعض مؤرخه الكتب باسمه ، دج لأدنى العربة في مساهج  
الآداب المصرية (١١) .

## في التربية

هيات الظروف لرعاة مدرسا ، ومشرق على ، من معاهد التعلم ، أن يؤلف في  
التربية وأن يكون له ، بها من الآراء ، وقد وضع في ذلك كتابا صجها ، دعاه

- |                     |                                      |
|---------------------|--------------------------------------|
| (١) من ٣١ .         | (٢) من ٣٦ .                          |
| (٣) من ٣٣٤ .        | (٤) من ٩٨ .                          |
| (٥) من ٣٢٣ .        | (٦) من ١٧١ و ١٧٢ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ . |
| و ٢٠٥ و ٢٠٦ .       | (٧) من ١٤٧ .                         |
| (٨) من ٩٦ .         | (٩) من ٢٢٩ .                         |
| (١٠) من ٣٦٥ و ٣٦٦ . | (١١) حبة برس من ٢٦ .                 |



المرشد الأمين للبنات والبنين ، كما عرّض كثيراً من هذه الآراء في مذهب الألباب المصرية ، وله منظومة في تأديب الأصغر <sup>(١)</sup> مكوّنة من خمسة وأربعين بيتاً ، نظمها في نحو ساعتين ، وهو فيها يتّجه حياً إلى الابن يوصيه ، فيقول له :

في برّ والديك بالغ تقم لا سيما في العيد أو في الموسم  
وانت قوم سرور ثم أو انت يوماً فكسب العلم خير مكسب  
وحيثما يخاطب الأب يرشده وثلاً له :

إن دمت أن شوق الأولاد وأن ترى من بجلك اجتهداً  
فعدّه بالإعجاب يوم العيد وقدّم الوعد على الوعيد  
وحيثما يضع قاعده للأخلاق كقوله :

وشر أوصاف العي هو الفضب يفضي إلى ارتكاب مالا يرتكب  
فياله من حصيلة ذميمة في تركها مصلحة جسيمة  
وقد تحدث في هذه منظومة عن بعض الأمور المهمة في التربية ، كطاعة الأطهار وأن من الواجب على الصغير ألا يكتم سرّاً عن أبيه وأمه ، لأنه ، وهو صغير ، في حاجة إلى تسديد خطاه بنصح والديه ، وكتبه امرأاً دوسهما قد يعرضه لما لا تحمد ممته ، قل :

مما يمد من صفات الذم كتم الصغير عن أب أو أم  
سراً حميراً أو حليلاً ، بل يحب إداؤه ، وعهما لا يحتجب  
ومظومة نوصية بكارم الأخلاق ، ولم يس فيها حصراً التمسك بالخشمة والحياء ، وله فيها رأى في أفضل طرق الحفظ ، سنشرحه فيما يلي :

### المرشد الأمين للبنات والبنين

عزّم إسماعيل باشا على أن يفتح أبواب العلم أمام المرأة ، وأن يسوّى في اكتساب المعارف بينها وبين الرجل ، ويخصها بدارس تتعلم فيها ما يجرّحها من

(١) نشرها في كتبه مذهب الألباب المصرية من ٧٦ .

طمة الجهل إلى نور المعرفة<sup>(١)</sup>، فصل ديوان المدارس إلى رفاة أن يعمل « كتاباً في الآداب والتربية، يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية »؛ فألف هذا الكتاب، وأهداه إلى محل تتاعيل، وهو حسن كامل باشا ناظر ديوان المدارس؛ والكتاب ذو مستوى رفيع في تفكيره، لا يصلح إلا للكتاب، فعلة مما كان يقرؤه كبار الطلبة والطلبات، وكان مما يدرس في مدارس المدن<sup>(٢)</sup>.

رأى رفاة كتابه على مقدمة وأهـاب مشتملة على فصول وحائمه، معروف التربية في فصل من فصول المقدمة، وبين أثرها، وذكر في فصول تربية ميسرى أن يؤخذ به الأصغر من صفرهم، من تربية حنيفة ودينية، حتى إذا وصل إلى بعض ما يحب أن يحتقه الطفل مد صممه، مضى برهن على بعض هذه العقائد كعقيدة البعث والنشور<sup>(٣)</sup>، وأثنى رفاة ثناء سخا على تربية اليونان<sup>(٤)</sup> الأقدمين أطفالهم، فكثرت حكماؤهم، وحموا بلادهم، واشترك في هذه تربية الخدمة بتأؤم ورحلهم. وهذا يعود رفاة إلى تاريخ العرب لينقل إليه ما كان ساء العرب برتين عليه أولادهن من الشجاعة والإقدام<sup>(٥)</sup>، وينقل بعض عوائد الأوربيين في تربية البنات والبنين<sup>(٦)</sup>.

تحدث رفاة في الباب الأول عن الإنسان، ونسبته إلى غيره من المخلوقات<sup>(٧)</sup>، وأحد في الباب الثاني يذكر الصفات التي يشترك فيها الذكور والإناث، والتي يختص بها أحدهما، وكان رفاة بهذا الفصل وساقه، يريد أن يفهم طبيعة والطالبات مكانهم في العالم كما ينبغي يتدرون عن مدى سموات العقل، في حين أن كثيراً من هذه المخلوقات مختار بفسطة الجسم، وقوة الأعضاء؛ فمن الواجب العناية بهذا العقل، وإمداده بالتربية والتثقيف، وأن حرف كلا الحسنيين موقعه من صاحبه،

(١) المرشد لأمن من ٤.

(٢) تاريخ تعليم في مصر - عصر محمد علي من ٦١٢.

(٣) المرشد الأمين من ١٤.

(٤) المرجع السابق من ١٦ ومايليها.

(٥) من ١٨.

(٦) من ١٩.

(٧) الصفحة نفسها.

وما حص به كل واحد منهما ، فيعمل جهده في تقوية ما حص به من المصالح والمزايا ، حتى يسعد المجتمع المائلي ، وتهض بذلك الأسرة .

وكان روضة صريحاً عندما تحدث في كتاب أعد لقراءة الفتيات — عما في النساء من ميل دائم « إلى إظهار اللصافة و المحوسية للرجال ، فجميعهن على الإطلاق برعن في التحجب للرجال ، وأن يكون معروف عند الرجال ما حرته من الجمال والكمال والعفة وجميع الفضائل ، فلا شيء من حيث هي أنثى ، وبولفت ما بلغت في درجة العفة ، ترعب أن يكون مأثومة محبوبة بعيدة التقصيت في المعالي الحسان ، ولا تألف أن يكون لها في القلوب موقع استحسان ، ولو أنها مجردة عن الشجاعة الحسية ، ومحبوباتها هي هي عنده عن المطب واطراف ولبس الكلام والإشارة ، سلاح لها سهل عليها تحريده ، لنسي به الرجل ، وتقتصر عليه ، فنبال عيونهن رسل المون ، والبيض ولسمر منهن مفاتيح الحصون .. فكل امرأة مستعدة لأن يزرع هذه الصفات الحب الرجل ، بحيث لا يتخلص للرجل من أسر حلالها المكنون ، وهو سلطان حسب المصون<sup>(١)</sup> » .

وكانه ذلك سنة الفند إلى ما منحه من سلاح ، تستطيع به أن يكون لها على رجلها سلطان ، تجعل به الحياة الزوجية رغبة سعيدة .

وأمدتهم في الساب الثالث « حديث عن التعليم وأنواعه ، ليحيطوا حراً بدرجات التعليم في وطنهم ، وشوقهم في فصول متتالية إلى الدراسة والاطلاع على ألوان المهن المختلفة ، لتنفعهم ومهمة بلادهم ، وحرث فيهم عمل المداومة بينهم ، وأنان لهم فصل الرحلة في طلب العلم ، ليسهل خدمهم ووطنهم .

وهنا يتقل انتعالا طيبياً إلى ذكر الوطن ، الذي يعد الجليل نفسه لخدمته ، ويكملها لهذه الخدمة بالعلم والثقافة ، وبدأ روضة هذا الفصل بعبارة مؤثرة ، قل فيها : « الوطن هو عش الإنسان الذي فيه درج ، ومنه خرج ، ومجم أسرته ، ومقطع مرتته ، وهو البلد الذي نشأته تربته ، وعداه هواؤه ، ورتابه سيمه ، وحلت عنه التهم فيه<sup>(٢)</sup> » ، وتحدث عن مصر حديثاً يمتلي حناً ومخاضاً إذ يقول :

الوطن هو عش الإنسان الذي فيه درج ، ومنه خرج ، ومجم أسرته ، ومقطع مرتته ، وهو البلد الذي نشأته تربته ، وعداه هواؤه ، ورتابه سيمه ، وحلت عنه التهم فيه<sup>(٢)</sup> »

« ولا يشك أحد أن مصر وطن شريف ، وإن لم تقل : إنها شرف لأمة ،  
فهي أرض الشرف والمجد في القديم والحديث ، وكما ورد في فضلها من آيات  
وآثار وحديث ، فما كآبها إلا صورة حمة الجند ، منقوشة في عرص الأرض ، بيد  
الحكمة الإلهية التي جمعت محاسن الدنيا فيها ، حتى كاد أن يكون حصرتها في  
أرجائها وواحيتها ، بلدة معشوقة السكى ، راحة الثوى ، حصانها جواهر ،  
وزارها مسك أدور ، يومها عباد ، وليلها سحر ، ودمامها هي ، وثرها مري ،  
واسعة الرقعة ، صبة البقعة ، كأن محسن الله عيها مدوشة ، بصورة الخنة فيها  
منقوشة ، واسطة البلاد ودرتها ، ووجهها وغربها ، كدك حرج منه من كبر  
ملوك وسلاطين ، وحكام ونسطين ، وكما سمع منه عيون عيون ، ونحلى به من  
البلاد سحائب عيوم ، فمن دسأه مصر في كل الأمد ، أو سارها في حمر  
والاعتبار ، أنها أول أمة ، في عهد وعلو الأمة

بها ليل في الإسلام سادوا ، ولم تكن كآبهم في الحاشية أول  
هم القوم : إن دلوا أصاوا ، وإن دعوا أحموا ، وإن أعنفوا أطبوا وأحرو  
موصوفة عند الجميع بالشجاعة والحسنة ، والكبسة والرئاسة ، فصلا عن  
الذكاء والفطنة ، ولطافة العوائد والأخلاق ، مما سارت به الركبان بسيرتهم الحميدة  
في سائر الآفاق ، فلها الحق في أن يحرمها جميع الأمم والنبل ، وملوك الدنيا والدول ،  
فكم اقتبسوا منها في الأزمان الخالية ، نور من نورها ، عرف إلى صوف حيد  
الدنيا ، وصارت بها في الدرجات العالية ، ولم تزل إلى الآن ، خير كل رسم ، كما  
تزل آثار محسها ربة لكل مكان ، حصها من امتدح عظيم ، وروى أحدهم در  
نظيم ، فهي الكنانة ، ذات النمة والمكانة <sup>(١)</sup> .

وغرس هذه العقيدة في نفوس الشش ، له أكبر الأثر في تربيتهم تربية  
وطنية صادقة .

وتحدث في فصل ثال <sup>(٢)</sup> عما يجب على أبناء الوطن من اتحاد كلمهم ، وعدم  
تشعبهم أحزاباً متعددة آراء مختلفة ، ما يترتب على ذلك من التشاحن والتحاسد

والتعاض ، ومن الاتقياد بقانون الوطن ، والاستعداد لأن يفديه المرء بروحه ، ويدفع عنه كل من تعرض له بضرر ، كما يدفع الوالد عن ولده الشر ، وصرت المثل بالرومانيين الذين سلبوا على بلاد الدنيا بأسرها لحبهم وطنهم وبما يقيم في هذا الحب . ولما عرض لتمدن<sup>(١)</sup> الوطن ذكر أن أسبابه هي التمسك بالشرع ، وممارسة العلوم والمعارف ، وتقديم العلاحة والتجارة والصناعة ، واستكشاف الملاحة التي تسير على ذلك ، واختراع الآلات والأدوات من كل ما يسهل طرق التمدن أو يقرّبها بتخاذ الوسائط والوسائل .

ونحدث رقاعة في كتاب الخامس<sup>(٢)</sup> عن رواح والتسرى وما يتعلق بهما ، وهو بذلك يسبق إلى الحدث في موضوع محب إلى الشاب ذكره ، ووضع رقاعة فيه ، مص المبادئ الصالحة للفن والفتاة ، ومما حواه هذا الباب أحداث طريفة في أخبار النساء ، وفي الاختلاف في فصل السمر على البيض ، والبيض على السمر ، وفي الكارة والقيونة ، واختلاف الأدواق في السمن والضمور ، وتزيد طرافة هذه الموضوعات إذا علم أنها كتبت لتقرّنه العتاة والعتى ، وفيها مثل قوله : « قال أبو الفرج في كتاب النساء : ست عشر سمين شمس وتلين ، وست عشريّن نسر الباطرين ، وست ثلاثين لدة للمعاقين ، وست أربعين ذات رخاوة ولين ، وست خمسين ذات نبات ونبين ، وست ستين عمور في العايرين ، وفل معصم في أعمار النساء من الشعر ما حسن به وصفهن ، مما لم يسبق إليه :

مضى تلقى بنت العشر قد بضّ ثديها	كأثر نورة المواص بهتّر حيدها
تجد لذة منها خفّة روحها	وعرتها ، والحسن بمد يريدها
وصاحبة العشرين لاشيء مثلها	فتلك التي تلهو بها مستعيدها
وست الثلاثين الشفاء حديثها	هي العيش ، مادقت ولا رق عودها
وست تلقى ست الأربعين معطاة	وحسب النساء ودها وولودها
وصاحبة الخمسين فيها نية	من الحسن نوع الحسن صل عمودها
وصاحبة الستين لآخر عندها	وفيها متاع ، والحريص يريدها <sup>(٣)</sup>

(١) للرشد الأمين من ١٦٨ .

(٢) من ١٣٤ .

(٣) من ١٢٤ .

وقال بعضهم : قالت امرأة لأخرى : ما قولين في ابن عشرين ؟ قلت : ربحانة تسمين . قلت : فابن ثلاثين ؟ قالت : شديد متين . قلت : فابن أربعين ؟ قالت : أبو بنات وبنين . قالت : فابن خمسين ؟ قالت : يبحور في الخطبين . قالت : فابن ستين ؟ قالت : صاحب سعال وأنين .

ومن هذا ... يعلم أن بلوغ الستين من الرجال والنساء ، هو حد فقدان الأرب غالباً ، وأن الضر في كل من الرجال والنساء هو في دون ذلك من الأعمار ، وذكر بعضهم الأعمار وصفاتها في النساء ، فقال : « من منهن الكاع ، وهي التي كعب ثديها أي ررا وظهرها ، ومن طاعها الصدق في كل ما سأل عنه ، وهي الكتمان لما علمته ، وقلة التستر ، والحياء ، والنساهل ، ومنهن المهد أي التي مهد ثديها ، واستدارا ، ولم تكامل شامها ، فتستتر بعض الاستدر ، ويظهر بعض محاسنها ، ونحو أن يتأمل ذلك منها ، ومنهن المثلثة شاماً ، التي قد استكمل حلقها ، وعظم ثديها ، فيحدث عندها ، دلال وأدب ، ونحو العاطها ، ومعدب كلامها ، ويتخلق فيها الميل لحسها ، ومنهن العانس ، وهي المتوسطة الشباب ، التي تهيأ ثديها للاسكسار ، فتحمش مشيتها وسطحها ، وتندى محاسنها ، تحفر ودلال ولعب ، وأحب الأشياء إليها معاكمة الرجال ، وهي في هذه الحانة ، قوية الميل لما تقتضيه أنوثتها ، مستحكمة المشي ، ومنهن المتأهية لشباب ، ولاشي . أشهى إليها من الاتصال بالرجال ، ومنهن النصف ، وهي التي يأخذ ماء وجهها في التقص ، ولحمها في الاسترخاء ، وذلك بمد مجاورة الأربعين ، وهي التي قيل فيها :

وإن أتوك ، فقاوا : إنها نصف  
فبت أحسن نصفها الذي ذهبا  
فتكون ملاطفة للرجال ، مدارية لهم ، شديدة الحرص عليهم ، وما فوق ذلك والمجور ( أي السنة ) التي يجب على العاقل أن يربع عن رواحها<sup>(١)</sup> .

ومن مثل نمرل في عجور ، وذي مكاح ست من النساء ، ومقل ردة كثرأ  
من أخبار شهيرات النساء ، بأي نوع من أنواع الشهرة .

(١) الرجع السابق ص ١٦٩ .



وكان رفاة يساول موضوعاته ، بحرية لا تطعمها اليوم ، فيما يؤلفه من كتب لتلاميذ مدارسنا وتلميذاتها ، بل بعد الحديث عنها اليوم محرماً في كتبنا ، وهاك نماذج لهذه الموضوعات : الكلام على المحبة والصداقة بين الزوجين وغير الزوجين<sup>(١)</sup> - مذهب المحبين التمسك بعدم الشريك في المحبة<sup>(٢)</sup> - الحب في مسدنه اختيارى ، وبعد ذلك صدر اضطراراً<sup>(٣)</sup> - العشق فسهل : عشق الخواص ، وعشق القلب<sup>(٤)</sup> - الحب يعنى بصره العاشق ، ويشوش ذهن الوامق<sup>(٥)</sup> - بادية العرب كانوا متفرغين للعشق بالذات ، لعدم اشتغالهم بالمواثق ، وانقرس أيضاً لهم رغبة في العشق<sup>(٦)</sup> - للعشق مكارم أخلاق ، تنفرع منه وتنسب عنه<sup>(٧)</sup> - العاشق العنيف الصار الكاتم ، إذا ملت ، نال الشهادة<sup>(٨)</sup> - الحب ليس بمسكر في الدنيا ، ولا محظور في الشرع<sup>(٩)</sup> - مذهب بعض المحبين ، استعداد الطل<sup>(١٠)</sup> - يسمى أن يكون الحب بين المتحابين ، وداداً حليصاً صافياً من الشوائب<sup>(١١)</sup> . وهكذا لم يعمص روعة عينيه عن عاطفة قوية ، تضطرم في صدر الشباب ، تحدثهم عنها حديث والد ، ناز ، وذلك أفضل من أن يتلقوا هذه المعلومات من كتب لا رقيب عليها ، تنثر غرار ، وتدفع إلى فساد . ويحتم رفاة هذا الباب نصائح لروح والروحة ، توطد دعائم اليب<sup>(١٢)</sup> ، ولذلك حرص رفاة الباب السادس بالحديث عن أسس عمار البيوت والممارل<sup>(١٣)</sup> ، فأطال الحديث عن العفة والحياء ، وأمانة الزوجين وصدقهما في المحبة<sup>(١٤)</sup> ، والحرص وصيادته ، وغير ذلك من مكارم الأخلاق ، وروى كثيراً من وصايا الآباء والأمهات للبنين والبنات<sup>(١٥)</sup> في أمور الرّواح ، وعرض رفاة لما يكون للتواد وحسن العشرة من أثر في كثرة الرزق والثروة وتحسين تربية النسل والخدم<sup>(١٦)</sup> ، وحث الزوجين على أن

(٢) ص ١٩٦ .

(١) ص ١٩٥ .

(٤) ص ١٩٨ .

(٣) ص ١٩٧ .

(٦) ص ١٩٩ .

(٥) الصفحة فيها .

(١٠) ص ٢٠١ .

(٧) و(٨) و(٩) ص ٢٠٠ .

(١٢) ص ٢٠٦ .

(١١) ص ٢٠٥ .

(١٤) ص ٢١٥ .

(١٣) ص ٢٠٧ .

(١٦) ص ٢٧٣ .

(١٥) ص ٢٥٦ .

بصبر كل منهما ، على سوء خلق الآخر<sup>(١)</sup> ، وتحدث في فصل ، عن واحات كل من الزوج والزوجة<sup>(٢)</sup> .

وحص الباب السابع<sup>(٣)</sup> ، بالكلام على حقوق القرابة ، بعضهم على بعض ، معرف القرابة بأنهم : الآباء ، والأمهات ، والبنون والبنات ، والإخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، والأحوال والحالات ، وأولاد العم والعمة ، وأولاد الخال والخالة ؛ وتحدث عن واجب الرّحمهم ، والمحبة بين أولادهم .

وقصر فصلاً<sup>(٤)</sup> على برّ الوالدين ، وذكر الأسباب التي تدفع إلى ذلك ، ولم يسس الحديث على حقوق الولد على والده ؛ ولم كان الأسناد والبدأ روحياً للتمديد ، أحد روعة في هذا الفصل بتحدث عن حقوقه على هذا التمديد<sup>(٥)</sup> ، وحقوق التلميذ على أستاذه ، وهنا نجد المحال فسيحاً ، لشرح بعض مبادئ في الترسمة ، وتقسيم العلوم ، وبيان العقيدة الدينية ، ونز أول وأحب على معلم التلاميذ ، أن يعلمهم عقائد التوحيد ، وأورد كثيراً من أمور الدين ، وسيرة الرسول الكريم . وتحدث في فصل<sup>(٦)</sup> ، عن محبة الأخوية ، مداه بقوله : لا متى صبح الود بين الآباء والأمهات ، وصحّت نزية السنين والسنات ، سلوك الآباء طريق العدل والإنصاف ، في تسوية أبنائهم وبناتهم في تقويم أودهم ، شب الإخوة على التحاب والتوادد بعضهم لبعض ، فهذه محبة الأخوية ، وهي فسيلة من الفصائل المطيعة ؛ لأنها عبارة عن وجود الوفاق والاتحاد بينهم ، فهذه الفصيلة كسب العائلة قوة وأمناً وحفظاً وصوناً ، فإن احتاج الإخوة المتحابين ، تسانون على الأحبي ، فيحمي بعضهم بعضاً من عدوهم ، فلا يصاب أحد الإخوة بصيم ، ما دام إخوته أصداراً له ، وعند الضرورة الماشية ، يفي بعضهم بعضاً ، ويساعد الأخ أحاه ، إذا جار عليه الرّمان ، وحارته صروف الحدين ، فاتحاد الإخوان ، يثبت قدم العائلة ، ويرسخ أساسها ، ويكون له صوره ووجود قوي ، في خارج الأعيان ، بخلاف ما إذا بفض الإخوة ، بعضهم بعضاً ، ووقع بينهم التحاسد

(١) من ٢٧٥ .

(٢) من ٢٨٤ .

(٣) من ٣٢٧ و ٣٣٠ .

(٤) من ٢٧٧ .

(٥) من ٢٩٨ .

(٦) من ٣٧٨ .

والشاحنة ، وصار أمر كل منهم موكولاً على حدته لقوته نفسه ، لا ناصر له ولا معين من إخوانه ، فيه بهذه المثابة ، يصير عرصة لجميع مكاره العرلة والافراد ، والضعف الشخصي المترقب على عدم الاتحاد<sup>(١)</sup> .

وطرق من الحدث عن النخبة الأخوية ، إلى الصداقة واختيار الأصدقاء ، وحتم كتابه بحديث عن الصحة وحفظها ، وحرمة الحدث ، إلى ما يجده بعض التلاميذ من الراحة في تصنع المرض ، وما يراى في صحة الأعمال .

وفي آخر فصل<sup>(٢)</sup> ، ذكر شذره من كلامه صلوات الله عليه ، تدعو إلى الخير ، وتحث على كل فصل ، وكان آخر ما أورده من تلك الأحاديث ، قوله : « بشر الشائين في الظلم إلى المساجد ، بالنور التام يوم القيامة » .

ليس كتاب المرشد الأمين ، ككتب المطالعة ، المؤلفة في عصرنا الحاضر ، تجمع موضوعات ستي ، لا تربط بينها فكرة ، ولا يجمعها سلك ، ولكنها مقالات منتثرة من هنا وهناك . بل كتاب المرشد الأمين ، كتاب ذو فكرة واحدة ، ترمي إلى خلق الوطني الصالح ، فهذا الكتاب يعرفه حقوقه وواجباته ، إنساناً يمتاز عن الحيوان بعقله وحلقه ، خلقه الله ذكراً وأنثى لينم بقاء هذا العالم ، له وطن يعمل بكل قوته على إسماعده ومجده ، وأمره يمشي لخيرها ورفاهيتها ، وأهرب يجب أن تسود صلبه هم الحب والوفاء ، وإله يدين له بالمعقيدة والمبادئ . فروعاً في هذا الكتاب تقدم لتلاميذه حقوق الإنسان وواجباته فرداً ، وفي جماعة صغيره هي أسرته ، وجماعة كبرى هي وطنه وجمته ، والكتاب كله يدور حول ذلك ، فهو كتاب ذو فكرة ومهجع ، يقسم الفكر إلى أبواب ، ويضع للأبواب فصولاً ، يسأل حريثاًب صممه . وأنت لذلك تنتقل في هذا الكتاب بين معارف تربوية ، ومعلومات سياسية ، وعواطف وطنية ، ومبادئ إصلاحية ، وشئون اجتماعية ، ومسائل دينية .

والكتاب يبدو فيه أثر الثقافة الأحيوية من حيث وحدة الفكرة وتنظيمها ، وأثر ثقافته العربية ، من حيث كثرة استشهاده بالشعر وإتيانه بالحكم وأقوال السلف وأحاديث الرسول .

والكتب كثير الاستطراد؛ فبينما راه مثلاً يتحدث في بر الوالدين<sup>(١)</sup> إذا به يتحدث عن الزهد، ومواقف تاريخية لبعض المحض، وعن الدعاء وشروطه وأركانه، وبحقق الولاية وكرامات الأولياء، ويترجم للدرى إلى غير ذلك من موضوعات يدفعه إلى إيرادها الناسبات، وفي بعض الأحيان يحشد الحكم بعضها إلى بعض حتى يصح معرضاً لها، كحطبة قس بن ساعدة<sup>(٢)</sup>.

وأسلوب رفاقة في كتابه مزيج من الترسيل والسجع، وإن كان ميله إلى السجع واضحاً يلجأ إليه كلما وافته الفرص.

هذا، وما يذكر هنا أن هذا الكتاب، ككتاب نهاية الإبحار بدأ طبعهما في حياة رفاقة ولكنه مات قبل إتمام هذا الطبع، فأشرف ولده على إتمامهما، وتم طبع كتاب نهاية الإبحار لأول مرة سنة ١٢٩١ هـ، وطبع كتاب المرشد الأمين لأول مرة كذلك سنة ١٢٩٢ هـ.

### منهجه في التأليف

اعتاد رفاقة فيما يؤلف أو يترجم أن بدأ كتابه بتراعة استهلال سيء، عن مضمون الكتاب وفكرته، وأثر تلاميذه حظه في هذا البد، فتراه مثلاً يفتتح مقدمة كتاب رحلة تخلص الإبرير بقوله: «سبحان من ستر أقدام الأنام إلى ماضى في سابق عمه... وأصلى وأسلم على من سارت ركائب شوقه إلى مدبره... سيدنا محمد الذى سافر إلى الشام، وعاحر إلى المدينة، وسار من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان حبر بل أمية». ويقول في مفتتح ترجمته لكتاب مبادئ الهندسة: «الحمد لله المحيط علمه بدائرة ما يكون وما كان، المزمع عن الأشكال الحسية وعن أن يحويه زمان أو مكان، فسبحانه من إله استمد الكون الوحد من نقطة وجوده، واستند بالاستعانة بنفسه، ففتقر كل إلى مشور كرمه وجوده والصلاة والسلام على قطب مدار العالم ومركبه، من رسمت أنواع الكمالات في

(١) الفصل من ٢٩٨. (٢) راجع من ٣٢٣ وما بعدها.

حبيبه ، وعلى آله ، محمد الشريعة العرا ، وصحابه أساطين الناس طراً .

يضع ردة عدد موضوعه الذي يريد أن يكتب نص عبيه ، فيقسمه  
أقسام مسقة ، يخصي في شرحها في كتب وفصول ، ولكنه يميل إلى الاستطراد  
كل دعا ائتم إليه ، وقد يؤدي هذا الاستطراد يمهج بحثه ، حتى يسترد في ثوب  
من العموض والإيهام ، كما حدث ذلك في كتابه : مناهج الألباب المصرية ، ولو  
أن رعاة حدى هذه الاستطرادات من كتبه لدت لفكره أوضح وأقوى ، ولذلك  
ترى القبول اى يكتبها بدون استطراد مشرقة منيرة ، لا إيهام فيها ولا عموض .  
وعندما يكتب رعاة من الاستطراد بصطري إلى ذكر عاوين جرئية على حافة  
الكتاب ، تدل على ما يتناوله بحثه من الفروع .

ولا منى رعاة إلا نادراً ذكر مراجعته في التأليف ، فلا يذكر لك ثباتاً في  
أول كتابه أو آخره بما رجع إليه في دراسته ، ولا يعين تلك المراجع في أثناء بحثه  
إلا قليلاً . فهو من تلك الناحية يخالف النهج الحديث مخالفة بينة . ومما لا شك  
فيه أن رعاة كان يرجع في تأليف كتبه إلى مراجع فرنسية إلى جانب المراجع  
العربية<sup>(١)</sup> .

ولا معنى كذلك ، نعرض آراء غيره ومناقشتها إلا قليلاً ، فهو يعرض عليك  
ما يرى أنه صالح لأن تأخذ به ، وأما ما عداه فلا شأن له به .

ولحب رعاة للأدب واستلا ، وعانه منه ، كان كثير الاستشهاد بالشعر والحكم  
ومأثور القول ، يرى في ذلك وسيلة لتعميد رأيه والإيمان بفكره .

وحلص رعاة من تأثير كتب الأهر فيه ، في تأليفه المطولة ، وبعد تركه  
للأهر ، فلم يزل كما يميل إلى تأليف الموجزات نطبع عليها الشراح والحواشي  
حتى في النحو ، وهو من عيوب الأهر الأساسية ، نراه يميل إلى البسط والإيضاح  
وتجنب لمر والإسارة ، ولا تقل من ذلك نظمه من الأجرومية ، فهو استجابة  
لميل قديم لم يحل منه ومن أتبعه الحدث في التأليف « البسط السليم » ، وكان  
رعاة لا يثبوت دليل على فكره مسطوح حيناً ، وبالمأثور من الشعر والنثر حيناً آخر  
ويتناول المعاصر مختلفة لموضوع ، حتى يرى أنه قد استوفاه من جميع حواشه .

## مترجماته

كان رفاعة يرى عمله الأساسي في الدولة هو الترجمة ، والقيام على شئونها ، يحث إليها في كل عمل تولاه ، ويدعو أولياء الأمور إلى العناية بها ، فقد بهره ما رآه في الغرب من علوم صول خطها في مصر ، أو لم يكن لمصر فيها من نصيب ، ورأى أن رقي بلاده لا يكون إلا إذا نقلت تلك العلوم إلى الأمة العربية ، فصمم منذ كان في باريس ، على أن يكون عمله بعد عودته إلى بلاده خدمتها ، بنقل العلوم المصرية إلى لغتها ، وقد تنوعت الميادين التي ترجم فيها ، ونرى أن تناول بالتفصيل الممكن تلك الجهود الموقفة ، يرسم صورتها بقدر المستطاع .

## في الجغرافة

استرعت الجغرافية نظر رفاعة عندما كان مرسا ، ورأى عناية القوم بها ، وعرف فائدتها وأنها من مواد الثقافة العامة التي لا بد منها لجميع التلاميذ<sup>(١)</sup> ، وأنها من أصول العلوم ، ولا بد من معرفتها قبل الدخول في المدارس الكبرى<sup>(٢)</sup> ، وأدرك جهل مصر بهذه المادة ، وكانت فرنسا قد أخذت بعنى الجغرافية خاصة قبل سفر رفاعة إليها<sup>(٣)</sup> .

ومما استرعى نظره فيها هناك كتب أ. مالت برن ( Malt Brun ) ( ١٧٧٥ - ١٨٢٦ م ) ، وهو جغرافي فرنسي من أصل دنماركي<sup>(٤)</sup> ، شهر في فرنسا بسجونه الجغرافية ، وبالمنهج الجديد الذي سلكه في تأليفها ؛ فحملها موضوعاً حياً مشوقاً ، خلافاً لمن تقدمه من جغرافيتي فرنسا ، وكان قد نشر سنة ١٨١٠ م

(١) تحصيل الإلمام برس . ١٠ .

(٢) التعريفات الشافية . ٥ .

(٣) محمد الصادق حسن .

(٤) Larousse P. 1516 .



الحرى الأول من كتبه التمهيدية : الجغرافية العمومية Geographie Universelle  
وأنتم تأليف هذا الكتاب في ثمانية أجزاء سنة ١٨٢٦م وردعة في فرنسا<sup>(١)</sup>.  
ترجم ردعة وهو في باريس قطعة من هذا الكتاب<sup>(٢)</sup> ، لا أدري من أى  
حرى هي ، فلما عاد إلى مصر ، وحلّ وراء القاهرة سنة ١٢٥٠هـ سافر إلى طهطا ،  
وترجم بها أحد مجلدات هذا الكتاب<sup>(٣)</sup> ، في نحو سبعة أشهر<sup>(٤)</sup> ، ثم رجع به  
وقدمه إلى محمد علي ، فأعجب به ، كما قلنا — أحرق له المطاء من المال<sup>(٥)</sup> ، وأسلم  
عليه رسة<sup>(٦)</sup> . وفي سنة ١٢٦٢هـ انتهى من ترجمة مجلد آخر نال على إثر انتهائه  
من : حتمه رسة أميرالاي ، فصار يدعى ردعة بك<sup>(٧)</sup> .

وحمل ردعة من أهدافه ترجمة هذا الكتاب ، ولا أدري كم حرى أنتم ترجمته ،  
وفيل إن ترجم منه أربعة مجلدات ، ولكنى لم أعثر إلا على جرائنهما الأول  
والثالث ، وهما اللذان طبعهما بما ترجمه<sup>(٨)</sup> .

• وترجم كذلك وهو في «رس مقدمة جغرافية طبيعية»<sup>(٩)</sup> لم أستطع المشور  
عليها ، وقد عرفت هذه الترجمة في موضع آخر من كتابه تخلص الإبريز<sup>(١٠)</sup> بأنها  
مقدمة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية الطبيعية . كما ترجم هناك أيضاً بسدة في  
علم هيئة الدي<sup>(١١)</sup> ، وأعلب صبي أن هذه السدة هي التى ألحقها بكتابه تخلص  
الإبريز ، عندما تحدث عن موقع مدينة باريس<sup>(١٢)</sup> ، وقد شعر بأن إضافة هذه  
السدة خروج عن الموضوع إذ قال : « ولقد ذكرها كيفية معرفه درحتى الطول  
والعرض من مكان من الأمكنة ، وثمره ذلك ، وإن كان يجرحنا عما نحن بصدد »  
وبدا هذه السدة مبتدأ موضوعها بقوله : « اعلم أن علماء الهيئة قد أوصحوا بالأدلة  
كروية الأرض ومنها غير صادقة التكوير ، ثم صنعوا على هيئةها صورة ، وسموها

- |                          |                                  |
|--------------------------|----------------------------------|
| (١) محمد صادق حسن        | (٢) تخلص الإبريز ص ١٦٤           |
| (٣) عصر محمد علي ص ٤٨٥ . | (٤) مقدمة الجغرافية العمومية ص ٢ |
| (٥) احص حذوده ١٣ ص ٥٢    | (٦) عصر محمد علي ص ٤٨٥ .         |
| (٧) المصدر السابق ص ٤٨٧  | (٨) معجم سر كليس نهر ٩٤٤ .       |
| (٩) تخلص الإبريز ص ١٦٤   | (١٠) ص ١٦٥ .                     |
| (١١) تخلص الإبريز ص ١٦٤  | (١٢) ص ٤٠ .                      |

• صورة الأرض ، وإمكان تقسيم الأرض وسهل معرفتها ، توهموا فيها دوائر  
أصاف سهار ، ودوائر متوازية ، ومحوراً ، وقطبين ، ورسموها على صورتها المصطنعة «  
ومضى رفاة يشرح ما أجمله من ذلك ، مطبق عليه نوع الطهر في البلاد المختلفة .  
وقد يكون هذه الفذة هي التي وصفتها في كتاب التعريفات الشافية ، وسوف  
نتحدث عنها .

وبسبب إليه مؤرخوه كتابين آخرين في الجغرافية ، لم أستطع العثور عليهما :  
أحدهما كتاب جغرافية صمد طبع<sup>(١)</sup> في بولاق سنة ١٢٤٦ هـ ، والثاني كتاب  
جغرافية عموى في كيمية الأرض ، طبع<sup>(٢)</sup> في بولاق أيضاً سنة ١٢٥٠ هـ .  
أما الكتابان الصخران من ترجمته الجغرافية فهما كتاب الجغرافية العمومية ،  
وكتاب التعريفات الشافية لمريد الجغرافية ،  
ومما يذكر أن رفاة بعد عودته من باريس قد تدرس الجغرافية في جمعية  
القصر المي<sup>(٣)</sup> وغيرها من المدارس .

## الجغرافية العمومية

خير ما يستطيع أن صور به هذا الكتاب ، هو أن نقل هنا مذكره المؤلف  
في أول كتابه ، يوضح به موضوع هذا الكتاب ، وسينسجعه في ألبه ، وذلك  
ستطيع أن رسم صورته لهذا المؤلف الضخم ، وفي الوقت نفسه تدور له رفاة  
في الترجمة ، قال : « كيمية احتصار كتابا مع توفية المقصود ، أن يتدى ، بصورة  
تاريخ تقدم الجغرافيا ، فذكر هذا العلم من رسم كونه في المهد ، أي قصرأ ، لا يعلم  
منه إلا البشير ؛ فبين أن موسى عليه السلام ، وأوميروس اليوناني ، هما أول من  
أظهر صورة الأرض المعروفة عند الأتتين القديمتين : اليونان والجغرافية ، ثم سافر  
الملاحون من أهالي فينكيا ، بدلالة دور المحوم في البحر الأبيض الرومي ، واستكشفوا

(١) معجم سركيس ج ١ ص ٩٤٤ .

(٢) حركة الترجمة ص ٥٥ .

(٣) راجع ص ٣٨ .

البحر المحيط ، و « هردوت » حكى لليونان مآراءه في سياحته ، وما بلغه خبره .  
وكل من قبائل قرطاجنة الساكنين بالبلاد العربية ، وأسفار بوثياس المرسل  
عرفنا الغرب تعريفاً صحيحاً ، والشمال تعريفاً طيباً ، وخر إيسكندر الأكبر  
بالفروايات عرف الأقاليم الشرقية ، ثم جاء ارومانيون ، فورتوا أكثر  
الاستكشافات التي صدرت بها الأمم المتأدبون من القدماء ، ثم إن إرطستنيس  
وأصحابه ، واسترابونيس وثناعه ، وبابياس ومقلديه ، وطليموس وجماعته ، أرادوا  
توفية هذه المواد التي كانت دائماً ناقصة ، ثم حصل رحيل الأمم الأكبر ، وأطلق  
جميع قواعد الجغرافيا القديمة ، ولم يعرف اليونان ولا الرومان أن الأرض أوسع مما  
كانوا يظنونه فيها ، إلا قرب انقراضهم ، ثم عقب انقراضهم زال ظلام ليل الجغرافيا  
على التدرج ، ولما عبرت بلاد أوربا وبعثت العلوم تولدت أصول جغرافيا جديدة  
ثم كثرت الرعة في السفر ، ونسبت الأمم للسياحة ، فسافر السكندناوة إلى أمريكا ،  
والعرب إلى حرائر الملوك ، ولم يكن عندهم آلات اجتفاء ثمرات هذه الأسفار  
المنجية على مخاطره ، ولما كان أهالي إيطاليا والبرتغال أعلم من السكندناوة والعرب ،  
وكانوا مثلهم في الشجاعة ، ساروا بواسطة بيت الإبره في أعلى البحر بمائة الأمان ،  
فسقطت من كل جانب الموانع التي أسيها الأوهام ، فكانت سبباً في تصديق أقول  
الجغرافيا ، فكشف كلب الدنيا الخدابة ، وشرعت الأمم جميعاً في كشف المحال  
المجهولة الخال برأويحراً ، وسبب اجتماعهم في القوة وانعافهم على الأسفار ، انكشف  
جمع الكره الأرضية للعلم ، إلا بعض خيالات يسيرة . . .

ثم بعد ذكر أرمن الجغرافيا يذكر فواعده وأصولها العامة ، فسحث عن  
أسمائها الرياضية والطبيعية والسياسية المنة بولييقية ، فستعير من علم الهيئة  
ما يحتاج إلى معرفته بالنسبة لشكل الأرض وعظمها وحركتها ، وستعير من علم  
الهندسة المسائل اللازمة في صناعة رسم الأراضي والبحار رسماً صحيحاً . . . ونذكر  
كيفية تحديد الأماكن ، ومقالة بقايس المختلفة باختلاف البلاد المستعملة هي فيها .  
ثم إذا وصنا إلى ذكر طبيعة الأرض ننامل في الأشكال العظيمة الموحودة في  
طبيعة الأرض ، كالجبال المصترسة لسطحها ، والمخار المحيطة بها ، والأمهر والوديان

المحددة عليها ، ثم نزل إلى داخل الأرض فذكر الكهوف والعيان ، ثم سطر في أفواه حبال النار المدخنة ، فذكرها ، والجملة فذكر سبعة لكرة ، ثم بعد معرفة حركات كرة الهواء ، وأحكام الحرارة والبرودة ، ورع الحيوانات والنبات وسائر المخلوقات العتدية من حيز الأرض كل واحد منها على رتبته الطبيعية ، ثم ذكر الإنسان بحالته الفطرية وحالته لتولييقية ، ورتب أنواع الشر على رتب ، على حسب أحوالهم ولغاتهم التي يتكلمون بها ، وندمهم لى نسلهم وتصبرهم ، أو سترفهم ، وعلى حسب الشرائع والأحكام التي تدل على تقدمهم في التمدن أو كونهم على حالة البربرية ..

وهذه المقدمة تاريخية وبحث فلسفة في الجغرافيا ، علأ الجراين الأولين من كتابنا ، والأجزاء الأخر تكون مخصوصة بتخطيط سائر أقسام الأرض على التدرج . . .

ومن اشتغالنا مدة خمس عشرة سنة بمطالعة الجغرافيا ودراستها ، تبين لنا أن مزاج الجغرافيا بالأدب ... يفتح لها باب شريف العلوم التاريخية ، ويوصلها إلى محرابها بأحسن مما توصل إليه تلك الطرق الصعبة العامة ، التي لا يليق استعمالها إلا في العلوم الرياضية ، وإنما صدنا لأن نؤلف كتاباً بهذه المثابة ، لا دفتر سرد أسماء يشبه الفهرسة ، كما فعل بعض المؤلفين (١) .

فأنت ترى الكتب تؤرخ للجغرافيا ، منذ أن كانت في المهد ، لا تعرف إلا حراً أصغيراً من الأرض ، ثم تنبع عموماً حيلاً بعد حيل حتى عصر المؤلف . كما أنه تحدث عن الكتب التي أنعت في الجغرافيا والمؤلفين فيها ، وذلك موضوع تاريخي مشوق ، تتبع فيه ما كانت الأمم تصوره عن الأرض في كل عصر وحيل ، وما يبدله الكاشفون والرحالة من جهود ، وسعوا بها دائرة المعارف البشرية ، وأداروا بأصوائها الواسحة المنظمة المحمولة ، من حواش هذا الكون ، ولم يدع المؤلف أن الكشف قد قال كلمته الأخيرة ، ولم يعد ثمة مجال للكشف عن مجهولات لم يعرفها العلم بعد ، بل هو يدعو من يحصى بالبيكرات الهندسية والبطارات

العنكية ، ولأسدجة الخريبة ، ليكشف ما به مجهولاً من الكرة الأرضية ،  
فهناك في وسط بلاد آسيا ، المحاطة بحل شاذة كحل الألب ، ما هو مجهول يحتاج  
إلى من يعرفه ، ليتم دريح النوع الشري ، وفي حربة هولده الحديدية كثير  
من الأنهار والخلال مجهولة ، التي ينظر من صنع لها أسما ، تدل عليها ، كما أن أمرقة  
في حاجة إلى معرفة حقيقة أمرها ، وهي تنتهي بعد امتدادها هذا ببحر القطب ،  
أولا تزال ممتدة إلى ما لا نهاية في زور قعره ثلجية ، وشواطئها سحر الزئج حمة  
تمكتو ، ومسابع سحر النيل المجهولة في حاجة كذلك إلى مخاطر كاشف<sup>(١)</sup>.

وما يخدر التنويه بها ، أن المؤلف وهو يؤرخ للجغرافيا ، عقد فصلا<sup>(٢)</sup>  
مصولاً ، ذكر فيه معارف العرب في الجغرافيا ، وما أحده عن اليونان وحمودهم  
الخاصة في تقدم الجغرافية ، وما وضعوه من كتب ، ومما قاله في ذلك : « ولنترك  
لخطاب ذكر أوربا ، حيث صارت مقر الجبهالات ، ونقول : إن أمم غيرهم ،  
أشرف عديم نوار العلوم ، وأسعت أرهاها ، وصهر التولع بالاستكشاف  
في غير بلادهم ، من أقسام الأرض ، والجغرافيا التي يظهر أنها أشرفت في أوربا  
على المخاف ، وبداعت إلى السقوط ، انتهت إلى العرب ، واهتموا بشأنها ، وبدلوا  
الحمد في تحصيلها ، ونحت عندهم ، وهؤلاء الأُمم التي أبقطهم محمد من المعلات ،  
وأقدم من حرمهم في عياهم الجهالات ، حاوروا حدود الأرض المعروفة ،  
واعتوا ، لا سيما في أرض آسيا وإفريقية ؛ فالتلفاء في صدر الإسلام ، وفتوحات  
البلاد بدينه ( عليه الصلاة والسلام ) أمروا أمراء جيوشهم وعماهم ، أن يرسم  
كل منهم ، حطط البلاد التي فتحها واستولى عليها ؛ وفي سنة ٨٢٣ من الميلاد  
أمر المأمون أساء شاكرك ، أن يقيسوا درجة عرض في صحراء سنجان بين الرقة  
ودمر ، فسحوها ، ومسحت ثانياً بقرب الكوفة ، فهذا توصل إلى معرفة  
مقدار مساحة الأرض وقبل كرسف كلب نددة ، حرح من مدينة اشبونة جماعة  
هائمون من العرب ، يقال لهم : النفرورون ، فركبوا البحر ، وساروا يبحثون عن

(١) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤١ .

الأراضي العربية ، حلف بحر الطنات المسمى : بالبحر المحيط العربي ، وسمى عدد الإفرنج : البحر الأطلسي ، وستحكم على هذا سفر في ثاني ، ولكن قد استكشف العرب ، في بحري ضد راسين ، استكشف أتم مما كان في بحر الطنات ، فقد ظهر منهم راسدان ، دلا وسعهما في التخطيط ، وهما الواقدي وأبو زيد ، فإيهما جبا أعد بلاد آسيا ، لى سها عنها الأقدمون ، لحظها من سنة ٨٥١ إلى سنة ٨٧٧ من الميلاد<sup>(١)</sup> .

ولما انتهى المؤلف من الدحية التاريخية ، فقل على فسام الكرة الأرضية ، يتحدث عن كل قسم ، في إطلاله وسهول ، ويدا أنحد ، الحر ، اشكث المصوع نموذجا لما لم يطع من بقية المخلدات ، رأماه بدرس ورثه آسيا ، فيتحدث عن اسمها وحدودها ، وأقسامها الطبيعية البظمى ، ومناطقها الحار و بارده ، وجبالها وأسهارها وبحيراتها ، وغير ذلك ، مما يدخل في الجغرافية الطبيعية ، ثم تناول كل قسم من أقسام هذه الامارة ، فيتحدث عن ضيمه أرضه ، وما بها من معادن ، ونبات ، وحيوان ، ووراعة ، وتجارة ، ومن سكه من أحماش شرية ، نصف شكلها ، ودينها ، ولعمها ، وأحلاقها ، ومسكها ، وحنه معشني ، ودينها ، وعوائدها ، وقوانينها ، وحضارتها ، وملاسها ، وعبوسها ، وأعدسها ، ويطمها في الزواح والموت ، وحياتها العسكرية والسياسية ، ومدنها ، وبخاصة الكرى ، وما قد يكون لها من نظم ، في اتريه وتعلم ، ولا يسي أن يذكر شئ من تاريخها ، فهو بذلك يصف الأرض وما عليها ، ومن عنده ، ويمقت ذلك بجدول ، منها ما يتحدث عن الأقسام السياسية للأقليم ، وعواصم هذه الأقسام ، وهو في هذه الجداول ، يضع في مقابلة الأسماء الحديثة ، ما كان لها من أسماء قديمة ، ولا يسي أن يتحدث عما قد يكون هناك من كتب ، تناولت هذا الموضوع بالدراسة والوصف .

ومن هذا الوصف الموحز ، سدو لك الحيوية القوية ، التي تدفق في هذا الكتاب ، فهو بعيد كل البعد ، عن حفاف الإحصاءات الحالية من الحياة ،



وكان انتقاله من غرض إلى غرض ، مجدداً شوق القارى ، ومثيراً فيه رغبة التسع والاستمرار فى القراءة .

والكتاب بعدئذ ، سجل لما وصلت إليه الجغرافية ، من تقدم وازدهار ، حتى عصر المؤلف ، وبه يستطيع أن يقس مدى التقدم ، الذى وصلت إليه الجغرافية فى عصرنا الحاضر ؛ وبما ملحظ ، أن كثيراً مما كان يجهل فى عهده ، كتابه البيل مثلاً ، أصبح معروفاً عند .

وقد وصح المؤلف كتابه لدرسى هذه المادة ، ولطلبة المدارس العليا ، « بل يمكن أنه لا يسأم منه نفوس الأمة الذين يريدون تعلم الجغرافيا من غير معلم ، وعسى أن يكون هذا الكتاب مقبولا عند الملاسة العظام » .

هذا ، ولم يشأ ردعة أن يسر فصل من ساعده فى ترجمة هذا الكتاب ، وهو الشيخ محمد هدهد الطنبدانى ، فقد كان وهو يدرس هذا الكتاب ، يحد بمص عبارات يصر فهمها على من لم يسو له أمة بهذا الفن ، فكان يشير عليه تتمير هذه المصارات ، ويقترح عليه غيرها ، فحسه رفاة عند ما يرى ضرورة هذا التغير<sup>(١)</sup> .

وليس رفاة فى الكتاب سوى لفته العربية ، التى لا تحلو بمص حملها من الزكافة التى حلها سرعته فى الترجمة . ولكننى عثرت فى الكتاب<sup>(٢)</sup> على دفاع عن دين الإسلام ، أغلب طي أنه لرفاة ، وهو مع دفعه عن الإسلام ، لا يسكر ما عليه عوام المسلمين من التأخر والامحطاط .

ورفاة فى هذا الكتاب ، عميل إلى الأسلوب المرسل ، الذى لا رخرف فيه ولا محسنات ، وإن كنت ترى السجع فى بعض الأحيان ، يسرّب ها وهناك فى أنحاء الكتاب .

(١) الجغرافية العمومية ج ١ ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٨ .

## التعريفات الشافية لمريد الجغرافية

هذا كتاب ، كان رفاة يمتد به ، ويحيل عليه من يريد التوسع في هذه المادة الحسنة إليه<sup>(١)</sup> ، ترجمه رفاة عندما وكل إليه أمر فتح مدرسة للجغرافية والتاريخ<sup>(٢)</sup> ، وأعل الطن ، أن هذه المدرسة التي أشد بها رفاة ، هي نذ العرقة التي أسد إليه أمرها مدرسة النصر العبي<sup>(٣)</sup> ، فلهذا وكلت إليه تلك المهمة لم يجد لديه شيئاً من كتب الجغرافية باللغة العربية ، يحتوى على التفصيل والترتيب على سبق ما في الكتب العربية ، ولهذا مضى إلى كتاب موحى في هذا الفن موضوع لمدارس مبادئ العلوم ، فشرع في ترجمته درساً درساً ، ولكنه رأى أن المؤلف قد أطل في أوروبا لأهلها وضعه ، وأوحى في غيرها ، ولهذا رأى رفاة غير واف بالعرض منه ، فحصى من الكتب الأخرى التي كان قد اطلع على الكثير منها وهو بباريس ، ما يتم به هذا النقص ، فجاء الكتاب متصفاً خلاصة كتب الجغرافية المطولة<sup>(٤)</sup> . وقد أهدى الترجمة كتابه ، لأساء محمد علي وأحفاده ، وأمل ألا يقف النقص به عند حد فرفة الجغرافية ، بل يكون عليه مدار التدريس في مدارس مصر ، وسائر بلاد الإسلام<sup>(٥)</sup> .

ذكر رفاة في مقدمة هذا الكتاب ، ضرورة دراسة الجغرافية ، ولا سيما لأرباب الدولة والسياسة المدنية ، وأصحاب الإدارة السكية ، وكبار أهل الماص وضباط الجنود ، وذوى الحرف والتجار ، ولا ينسى رفاة الأهرى صلة الجغرافية بالشرع ، فيرى أن كثيراً من مسائلها « تنبى عليه أحكام شرعية ، وحكم وآداب عرفية... فهو لثل هذا الغرض ، بعد عند أرباب الصناعة من المعترض<sup>(٦)</sup> »

(١) راجع كتاب السكز المختار في كشف الأراضي والبحار من ١٤٣ ،

(٢) التعريفات الشافية من ٣ .

(٣) راجع من ٣٨ .

(٤) التعريفات الشافية من ٣ .

(٥) و (٦) المصدر السابق منه .

كما أن تأثير الأهرام والعموم الحديثة ، يصدو فيه حين يقول : « قد يتوارد عليك عبارات من هي الهيئة والطبيعة ، بأني اعتقادها علماء الشريعة ، ولكن سكرها على سبيل الحكاية ، نأدية لحق الرحمة الصحيحة ، ولتمش عليها في الحسابات والعمليات لا في الاعتقادات <sup>(١)</sup> » .

قدم رفاعة لكتابه مقدمة بين فيها أقسام الجغرافية ، فهي جغرافية رياضية ، إذا نظر إلى الأرض من جهة اعتبار شكلها وصورتها وسكونها أو حركتها ، ونسبة المحوم والكواكب إليها ، وجغرافية طبيعية إذا درست الأرض من جهة صفاتها الزراعية ، والمعدنية ، والركابية ، ومياهها ، وما يخرج منها من المعادن والنباتات ، وما يعيش على وجهها من الحيوانات ، وجغرافية دينة إذا نظر إلى الأرض من جهة مادة الأدب والمثل ، والمذاهب ؛ فإن لاحظتها من جهة اختلاف أحكامها وسياساتها وتديرها ، سمي هذا بالجغرافية السياسية ، وإن لم ير إلا آداب أهل الأرض وأخلاقهم وعوائدهم وطبائعهم وأحوالهم ، فهذا ما يسمى بالجغرافية الأدبية ، فإن لم يذكر فيه إلا التغيرات الواقعة في أزمان مختلفة ، فهو الجغرافيا التاريخية أو علم تاريخ الأرض وأهلها <sup>(٢)</sup> ، فل رفاعة : « إن العلماء القتين بهذا الفن تفننوا فيه ، فرحوا هذه العيون سمعها ، وحملوها فداً واحداً ، وهو الجغرافية المروفة الآن عند الإفرنج ، وهذه الأقسام ستذكر في هذا الكتاب مختلطة أولاً ، وممتازة آخراً ، وقد أدخلنا في هذا الكتاب ما يحتاج إليه الحال من قوة الدول والملوك وإبرادها السنوي <sup>(٣)</sup> » . فأت ترى ضخامة فكرة الكتاب ، ورغبة رفاعة أن يجعله عاماً شاملاً .

أما منهجه في عرض هذه المعلومات — وكان لرفاعة نوع من الحرية في الترتيب ، لأنه لم يترجم كتاباً واحداً ، بل لخص عدة كتب ، كما ذكر — فإن يتحدث عن ولايات كل فترة ، وبحارها ( وبوعارنها ) ، وحلجانها ، وحرارها ، وأشياء

(١) المصدر السابق ص ٦

(٢) التبريات الخافية ص ٤

(٣) المرجع السابق ص ٥

جزائرها ، ورارحها ، ودروسها ، وحبالها ، وراكيها ، وبحراتها ، وأنهرها ونهيراتها ؛ ثم يعود إلى كل ولاية ليدكر أقسامها ومدنها ، ثم يعود بعدئذ إلى كل قارة فيذكر مجموع سكانها وحدودها ومساحتها ، ويصف طبيعة أرضها ومناخها وخصب أرضها ، وحيوانها ، ونباتها ، ثم يتناول كل ولاية على حدة ، فيتناول عدد أهلها ، وشيئا من تاريخها ، ووصفها أوصافاً عامة ، ويبين أقسامها ، وتحدث عن مدنها ، وحصائص هذه المدن ، ويعود إلى الجغرافية الطبيعية لكل ولاية ، ويسجل قوتها العسكرية ومالياتها .

وطال رفاعة الحديث في بلاد العرب ، عندما تحدث عنها قسماً من قاره آسيا ، وذكر بهذا الفصل <sup>(١)</sup> كثيراً من الفوائد الجغرافية والتاريخية والأدبية ، كما كان الفصل الذي كتبه عن مصر <sup>(٢)</sup> أكثر فصول الكتاب ، فاستطاع بذلك رفاعة أن يحمل معلومات الطالب المصري عريده بالنسبة إلى بلاده ، أكثر منها بالنسبة إلى غيرها من البلاد ؛ ومما يذكر أنه سجل عدد المصريين في عهده ، فأشار إلى أربعة ملايين <sup>(٣)</sup> ، وذكر أن قوة مصر العسكرية يومئذ ، تنوف على مائة وخمسين ألف مقاتل <sup>(٤)</sup> ، ومما يذكر أيضاً أن منابع النيل لم تكن معروفة على وجه التحديد يومئذ <sup>(٥)</sup> .

وخص رفاعة عادات السودان بفصل <sup>(٦)</sup> ، وكشف أميركا بفصل آخر <sup>(٧)</sup> . ولما انتهى من الحديث عن القارات على النهج الذي وصفناه — أحد يتحدث عن علم الهيئة وصلة الأرض بهذا الكون ، فوصف الحركة اليومية للأرض ، وحطوط الطول والعرض ، والحركة السنوية ، والقمر وكسوفه ، واجتوم الثواب ، واما يوم النجمي ، وفروق السنة الشمسية والقمرية .

وفي القسم الثالث من الكتاب تحدث عن طبيعة الأرض ، فوصف سطحها ، وجبالها ، وراكيها ، وأحجارها ، ومدنها ، ومياهها ، وهوائها ، ورارحها ،

(١) المرجع السابق ص ١٦٨

(٢) ص ٢٠٩ .

(٣) ص ٢٣٤ .

(٤) ص ٢٣٩ .

(٥) راجع ص ٢١٠ .

(٦) ص ٢٦٠ .

(٧) ص ٢٦٤ .

وبساتها ، ومعادنها ، وحيوانها ، وفي القسم الرابع تكلم على الجغرافية الدينية ،  
والسياسية ، واللغات ، والألسن .

وحتم الكتاب بطريقة رسم المصورات الجغرافية ، ودبّله بحدول يشتمل على  
الألفاظ الاصطلاحية المستعملة في الجغرافية بأنواعها ، وسوف نتحدث عنه  
فيما بعد .

ولما عرّض رفاعة كتابه على محمد علي أمر بطبعه ونشره لتعميم فعمه<sup>(١)</sup> ، وطبع  
ببولاق سنة ١٢٥٠ هـ ( ١٨٣٨ م ) . وطبع للمرة الثانية سنة ١٢٥٤ هـ مما يدل  
على ما لقيه هذا الكتاب من إقبال عليه ، وأعلب الظن أنه كان من الكتب التي  
تدرس في هذه المادة بمدارس المصرية ، كما ظهر بتقدير المدرسين .

وقد تأثر أبو السمود أفندي أحد تلامذته ، أسنده في العناية بالجغرافية ،  
ورأى أن أحوال هذا العالم سريعة الانتقال والتغير ، مما يحتاج إلى من يقف  
بالمرصاد ، لتسجيل هذه التغيرات والانتقالات ، حتى لا يفقد هذا العلم ، بينما العالم  
يسير ، فألف كتاباً سماه : الدرس المختصر المفيد في علم الجغرافية الجديد ، قال في  
مقدمته : « وكان قد سبق في اسهام هذا النهاج ... في منتصف هذا القرن  
الأخير ، وأول عهد الرحوم محمد علي باشا الكبير ، حصرة أستاذي رفاعة بك  
أفندي الشهير ، وهو وإن كان لم ير له فصل السبق ، وكان بالاحترام والتسجيل  
أحق ، ... غير أنه لما كان هذا العلم عمارة عن استقصاء حقيقة أحوال هذا العالم  
السرّيع الانتقال من حال إلى حال ... احتاج هذا العلم لمن يقف له بالمرصاد ، ويبدل  
في خدمته على الدوام ، كالحاصل في البلاد المتقدمة كل الاجتهاد ، فلذلك قفوت  
من أستاذي الأثر ، وحدوت حدوده في شقة ذلك السفر ... وإذا كان أستاذي  
حفظه الله ، قد أتى من هذا الأكل مال كورة ، فقد أتيت بوفرة الثمر ... وعسى  
أن تأتي بعدنا من يقوم للخطة المصرية ، بواجب هذه المادة الضرورية<sup>(٢)</sup> » .

أدّى كتاب التعريبات الشافية رسالته في عصره ، ولا يزال إلى اليوم بعدة

(١) عصر محمد علي ص ٥١٣ .

(٢) الدرس المختصر المفيد ص ٥ ح ٤ .

مراحماً لتاريخ الجغرافيا ، يعود إليه ، لرى مدى ما كان يعرفه ذلك العصر عن الكوكب الأرضى ، وسلته هذا الكون .

## فى التاريخ

ما عرفنا أن رفاة ترجمه فى هذه الماده قام بترجمته وهو فى باريس ، وقد تحدث هو فى كتابه : تخلص الإبرير عما عربه من الموصوعات التاريخية ، وهى سده فى الميثولوجيا ، وسده فى تاريخ الإسكندر الأكبر ، وتقويم سنة ١٢٤٤هـ<sup>(١)</sup> ، أما ما دبس إليه من أنه ترجم كتاباً فى تاريخ المصريين القدماء ، فأعلب طلى أنها بسمة عبر صحيفة ، فإن مؤرخيه قد نسبون إليه ما ترجمه تلاميذه من كتب ، وأشرف هو فحسب على هذه الترجمة ، والراحع لى أن هذا الكتاب ليس شيئاً آخر غير كتاب بداية القدماء ، وهداية الحكماء ، الذى ترجمه بعض تلاميذ مدرسة الأسن ، وأشرف رفاة عليهم ، ففى هذا الكتاب حديث عن تاريخ قدماء المصريين ، ومما يقوى لى هذا الظن أن الكتاب المنسوب إلى رفاة أريج طبعه بسمة ١٢٥٠ هـ ، وهى سمة طبع كتاب بداية القدماء ، كما سياتى .

أما الميثولوجيا ( Mythologie ) التى ترجم رفاة بسده منها ، وعرفها هو بأنها جاهلية اليونان وحرافتهم -- فالراحع عدى أنه لم يصع ما ترجمه منها ، ولعله اكتفى بهذه الترجمة التى قام بها بعض تلاميذه لميثولوجيا اليونانية ، فى كتاب بداية القدماء ، وقد حدثنا رفاة عن بعض هذه الحرافات فى كتابه : تخلص الإبرير<sup>(٢)</sup> ، عندما تحدث عن هرقل ( Hercule ) وأنه من حول الرجال الذين يعرفون عنهم بأصاف الألهة ، ويعتقدون أنهم متولدون من الإله جوستر ( Jupiter ) ، وشرف ، هى الملكة الكمينة Alcémène ، ويوارر رفاة من هذه العقيدة وعقيدة العرب ، فبمن ولدوا من سملاة وإسان ، أو من ملك وإسان ، أو من الحن والإنس .

(١) تخلص الإبرير من ١٦٤ . (٢) ص ٢٤



وأما البدة في تاريخ الإسكندر فأرجح أنها لم تنطع كذلك ، وأغلب ظني أنه قد وضعها هي نفسها ، أو اقتبس من معارفها ما أرتج به للإسكندر في كتبه مناهج الألباب المصرية<sup>(١)</sup> ، حيث أرتج لأبيه ، وما أدخله على العسكرية من نظم ، وحرره للمعجم وقتله ، وتربية أرسطو للإسكندر وفتوحه وحروبه ، حتى توفي في عنقوان الشاب ، ونقل رفاهه أنه يملأ على ظن أرباب المعارف أن قبر إسكندر بقرب المحل المسمى نبي الله دانيال ، أو هو هو<sup>(٢)</sup> .

وأما تقويم سنة ١٢٤٤ هـ فهو من تأليف مسيو جومار Jomard ، آلفه لاستعمال مصر والشام ، معين به على حسن تمدن البلاد المصرية ، ولم أر هذا التقويم ، وليسكن رفاعة زحيم في كتابه : تخلص الإبرير مقدمة هذا التقويم ، وهي تدل على ما يحتوي عليه ، وهو عدة أمور مهمة ، أولها قوله : الأمر الأول : الدلالة على تقدم الحرف والصنائع اللازمة مصر من زوايا آخرها . الثاني : تجارة أهالي أوروبا وآسيا و إفريقية ، كقوافل بلاد البربر ، ودارفور وسنار وبلاد الحجاز ... الثالث : ذكر أمور الزراعة ، فيها كتاب سماه في سالف الأعصر في عني أهل مصر ... الرابع : شكلم على أمور مختلفة من علوم الطبيعة ، ومن علم المواليذ الثلاثة ومن العلوم الرياضية ... الخامس : يشتمل على جملة فروع من علم توفير المصاريف وسياسة الدولة ، وعني تسيهات على علم أحوال الممالك والدول ، وعلى سبب زونها ، وعني أهلها ، وعني أحوال المعاش المعاد ، وعني ولادة الكور والإناث في كل بلدة من البلاد ، وعني الإدارة المالية ، وعني الأصول العامة المستعملة أساساً لسياسات الإفرنج ، وهي الحقوق العقليه ، والحقوق القانونية ، والحقوق الشرعية ، أي الحقوق التي للدول بعضها على بعض . السادس : سياسة الصحة العمومية والخصوصية ... السابع : يذكر فيه حملة عمليات مختلفة من مسائل أدبية وفلسفية و لغات وعلوم ... وفيه شكلم أيضاً على المسكن والمدارس في البلاد المختلفة ، وبيدات في تواريخ البلاد ... والثامن ... وفيه تذكر أخبار التجارة والسفن البحرية ، ورفاهة العربات العامة ، وتحسين الطرق وترع والخلعان والقناطر المعلقة ... وبالجملة

فندكر ببدأ صغيرة متشعبة من أصول عظيمة ، ومستفادة من أفواه الشفت ، سهلة الفهم لسائر الناس ، ولا يستعير منها شيئاً من صغاب المكتب <sup>(١)</sup> ١٨١ .

فانت ترى أن هذا التقويم تاريخ لجميع ألوان النشاط في مصر : صناعياً و زراعياً وتحارباً ، وما يدور في مصر من ألوان التقدم "الصحي" والعلمي ، والأدبي ، والمالي ، وهو حدير إذا استمر نشره كل عام أن يتكون منه تاريخ دقيق لتلك الدَّيار ، واسكن المؤلف لم يستمر في إخراج هذا التقويم سنوياً ، بل لم يخرج منه سوى تقويم ١٢٤٤ هـ ، ولعله كان يريد أن يحمله عودحاً لا سيقوم به من تقويم في كل عام ، ولكن محمد علي لم يشجعه .

وترجم رفاعة في التاريخ أيضاً مقدمة كتاب في تاريخ مصر ، وضعه أستاذه يعقوب (Agoub) ، وهي تتحدث عن فوائد دراسة التاريخ ، وقد ترجمها لكتاب تحليل الإبر <sup>(٢)</sup> بمناسبة التحدث عن العلوم المختلفة ، ولكنها تشمل على مصر بطر ، عندما نتحدث عن مصر وسكانها ، فقد قال : إن أهل مصر الموحدين الآن ليسوا حسناً من أحساس الأمم ، بل هم طائفة متحمة من مواد غير متجانسة ، ومنسوبة إلى عدة جنوس مختلفة ، من بلاد آسيا وإفريقية ، وهم مثل حبيط من غير قياس مشترك ، وتقاصيع شكل صورهم ، لا تتقوم منها صورة متحدة ، بها يعرف كون الإنسان مصرياً " ؛ فندرس لتاريخ مصر القديم والحديث ، يؤمن بأن الجنس المصري لا يقل صفاء عن أي جنس آخر .

هذا كل ما عثر عليه من مترجماته في التاريخ ، وكان رفاعة مصمماً يوم عاد إلى وطنه ، أن يبدأ على نقل التاريخ من الفرنسية إلى العربية <sup>(٣)</sup> ، ولسكننا نرى أنه لم يتم في مصر ترجمة شيء في التاريخ ، فعليه قام ترجمة بعض كسبه من غير أن أفح حتى على أسمائها ، أو أنه وجهه حلّ عناية إلى الجغرافيا ، مكتفياً في التاريخ بما قام به تلاميذه ، من ترجمة مختلف كتبه كما سنرى .

(١) تحليل الإبر ص ٢١٩ .

(٢) ص ٢٠٥ .

(٣) تحليل الإبر ص ٢٠٧ .

## في السياسة والاجتماع

كذلك ما عرفنا أنه ترجمه في السياسة والاجتماع - ترجمه وهو في باريس ،  
من ذلك دستور فرنسا ، وكان لرامه عليه أن يترجمه عند الحديث على الحياة السياسية  
لفرنسا ، في كتاب تحليلي للإيرير<sup>(١)</sup> ، وقد تضمن هذا الدستور عدة مقاصد :  
الأول في الحقوق العامة للمواطنين من حرية ومسواة ، والثاني في كيفية تدبير  
الملكية ، وتوزيع السلطة بين الملك ، ومجلس السلا ، ومجلس النواب ، والثالث  
في مجلس النبلاء ( Chambre des Pairs ) ، والرابع في مجلس النواب  
( Chambre des Deputes ) ، والخامس في الوزراء ، والسادس في طبقات  
القضاء ، والسابع في حقوق الرعية ، ولم نكتف رخصة ترجمة الدستور ، ولكنه علق  
على بعض مواده كما سرى

وترجمه ، وهو في درس أيضاً ، كتاب أصول الحقوق الطبيعية التي يعتبرها  
الإيرير أصلاً لأحكامهم . واسم الكتاب بالفرنسية Le Droit Naturel للمؤلف  
Barlaamati وكان هذا الكتاب من بين ما قرأ وهو في باريس<sup>(٢)</sup> .  
وطبع له من مراحته بباريس في الاجتماع كتاب قلائد المفاهيم في غريب  
عوائد الأوائل والأواخر ، ويحسن أن نخصه بكلمة .

## قلائد المفاهيم في غريب عوائد الأوائل والأواخر

في تحليلي الإيرير<sup>(٣)</sup> أن رخصة وهو في باريس ترجم كتاباً دعاه : دائرة العلوم  
في أخلاق الأمم وعوائدها ، ولم أعتز على كتاب له بهذا الاسم ، فلما رجعت إلى  
كتاب قلائد المفاهيم<sup>(٤)</sup> ، رأيت أنه ترجمه وهو بباريس ، في حين أن هذا الاسم لم

(١) ص ٧٤

(٢) Les Penseurs de L' Islam, V. P. 242

(٣) ص ٣

(٤) ص ١٦٤

يرد بين أسماء كتبه التي ترجمها هك ، ولد كان الموضوع الذي يدل عليه العنوانان واحداً رُحِّحت أن العنوانين يدلان على كتب واحد ، سماه رفعة عندما ترجمه سنة ١٢٤٥ هـ : دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدها ، ثم آثر بعد عودته إلى مصر وعند طبعه سنة ١٢٤٩ هـ <sup>(١)</sup> أن يصع له عنواناً مسجوعاً . أما اسم الكتاب الذي وضعه له مؤلفه دنيغ <sup>(٢)</sup> Depping فهو <sup>(٣)</sup> (Mœurs et Usages des Nations) أخلاق الأمم وعوائدها .

ولم يقله رفاعة إلى العربية تمامه ، بل حذف ما ذكره مؤلف الكتاب من الخط والنشيع على بعض العوائد الإسلامية ، و مما لاثرة ذكره ، ذلك أن الكتاب لم يقتصر على مجرد نقل العوائد ، بل هو مشتمل على استحسان أو استقبح بعضها <sup>(٤)</sup> . قد ربه المصنف على مقالتين ، تحتوي أولاهما على أحد عشر فصلاً ، وتحتوي الثانية على خمسة عشر :

ذكر في الفصل الأول <sup>(٥)</sup> من القصة الأولى أصناف السككي ، واختلاف العوائد فيها منذ المصور الأولى ، ومما أثبتته في هذا الفصل أنه إلى الآن « لم يعلم أحد يستعمل عن السككي ، إلا أهل جزيرة الفلنك الحديثة ، في البحر المحيط الأكبر ، فإبهم كالوحوش إلى الآن ، على أصل الفطرة ، وإذا غلب عليهم الليل ، رقدوا على حشيش بشاطئ البحر ، ومنهم من يرقد على شجر الغابات » .

وفي الفصل الثاني <sup>(٦)</sup> ، تحدث عن اختلاف عوائد الناس في الثوبة ، وكل أمة تتعامل من القوت ما تقدر عليه مما يسوع لها تعامله ، وأورد ما يستحسنه الأقوام المختلفون من أنواع الأعدية ، فسجل أن هناك قوماً يستحسنون أكل سائر الحيوانات كالغارة والحجرة ، والكلب والصب ، و ثعبان واحفاس ، وما أشبه ذلك ، وقد علم رفاعة في هذا الفصل على مدح المؤلف لطعام الفرنسيين بقوله : « واترحم هذا الكتاب أن يقول : جميع ما تقدم من مدح الأطعمة الفرنسية »

(١) فلاند الفاخر من ١١١ و ١١٢

(٢) تحقيق الأبربر من ١٥٨

(٣) معجم سر كيس ج ١ نهر ٩٤٥ وراجع أيضاً حركة الترجمة من ٢٥٥ بالهامش

(٤) فلاند الفاخر من ٣ . (٥) من ٤ . (٦) من ٨ .

فهو باسنة إلى الدوق عبر السليم ، واطمع عبر المستقيم ، فهو في الواقع ونفس الأمر ، كلام حرافة يا أم عمرو ، كيف وقد دقته ، ورفضت قياسه بتمام مصر ، وما قلته <sup>(١)</sup> » وأخذ يعدد مساوي هذه الأطعمة .

وفي الفصل الثالث <sup>(٢)</sup> يشرح اختلاف العادات في اللبس والزى ، فيصور لك أقواماً عرايا ، يصسمون وحوهم بالسواد والحرمة ، وأحرين يدهنون أجسادهم شحم مشوب بطين ثمر ، وفي مصر وعمرها من بلاد الشرق ، تحصب النساء الأظافر والأكف بالحناء ، ونساء الصين يحمن من جملهن تطويل الأظافر ، حتى رعم بعض الناس أن لأصابعهن علافة لتحفظها عن السقوط ؛ فهو فصل بعث ممرضاً لألوان الجمال ، كما تراه الأمم المختلفة .

ووارن في الفصل الرابع <sup>(٣)</sup> بين الأمم المختلفة من حيث اعتناؤها بالمطافة ، فأعظمهم اعتناء بطفة المنازل أهل الفلنك ، فترى في مدائنهم غالب مسالك حرائرهم ، ملطه بالحجر الأبيض المتهد بالسطيف . وهي قليلة في فرنسا وألمانيا ، ووارن بين الأمم المختلفة في ما يحميها بسطافة .

وثان اختلاف عوائد الناس في زواج وحملاته في الفصل الخامس <sup>(٤)</sup> ، وتجرد في هذا الفصل تصويراً فيه كثير من الدقة والحياة .

أما الفصل السادس <sup>(٥)</sup> ، فدرص فيه موقف الأمم المختلفة من المرأة ، وصدر هذا الفصل بيان موقفه هو من المرأة ، فقال . « كل أكثر احترام النساء عند قوم أكثر أدبهم ، وصراقتهم ، فعدم توفية النساء حقوقهن » ، من عدم الحجر عليهم حجراً كلياً ، ويسمى لمن الحرية فيه ، دليل على الطبيعة البربرية ، وقد عهد أن شدة إطلاق النساء من الحجر وصمعه ، يصدر بعضها عن طيبة الإقليم ، وما يتولد فيه من القوة الصادرة عن العبرة ، وما ينشأ عن الشرع أو العادة . ولست أدري إن كان المؤلف أو المترجم هو الذي عد من محاسن الإسلام أن الله سبحانه وتعالى « قد أودع في قلب الرجل العبرة على نسائه ، حتى جعل سبحانه وتعالى

(٢) ص ١٤ .

(٤) ص ٢١ .

(١) ص ١٣ .

(٣) ص ٢٠ .

(٥) ص ٢٧ .

سائر بدن الحرّة عورته بالسببة للأختى ، فلا يحلّ لها كشفه عليه ، ولا يحلّ له نظرها أبصاً ، فذلك كانت نساء الإسلام مصونات في بيوتهن ، سيدات على غيرهن<sup>(١)</sup> . وتحدّث كذلك عن بعض الملاد التي تهب للنساء من الحرية في صلاتها بالرحل ما بذكره الدوق السليم ، وعن لصلات الجنسية وبطيرة الأمم إليها ، والطلاق ، واختلاف الناس في رقصه أو استساعته ، وموقف المرأة من الحرب .

وفي الفصل السابع<sup>(٢)</sup> بين موقف الآباء في لأمم المختلفة من أسنهم ، ومعهم بيع دريتة ، ومعهم يذبهم أو يتركهم في الطرق العامة ، ووصف عدتهم في تربية الأطفال ، والاحتفال بولادهم ، وما أسننه بعض المدن من ملاهى للأيتام واللقطاء .

أما الفصل الثامن<sup>(٣)</sup> فخصّ به الشيوخ والسّنين ، وموقف أهمهم منهم ، فبينما راهم في البعض أماء على الشرائع والأحكام ، إذا يعض الأمم التوحشة تمحل قتل الهرم الماحر عن كسب قوته ؛ ومما أورده في هذا الفصل من عرب العادات في بلاد الهند ، أنه لو كان لإنسان دين على آخر وعجز عن تخليصه ، أو كان له مظلمة ، ولم ينل منها مقصوده ، بعث إلى دار عريمه : الدين أو الظلم موقداً مشعولاً بالنار ، وامرأة عجوزاً ، ربّما كانت أمّ ذلك الدائن أو المظلوم أو من أقاربه ، فتندبر نفسها للاحتراق بهذه النار ، وتشر البسة على أهل بيت العريم ، وتوعدهم بأنّها لاتقى لهم راحة في الدنيا ولا في المقى ، فتارة يتشامم العريم من احتراقها ، ويأخذ الرعب ، فيسارع إلى وهب الخو ، أو استسباح الحصم ، وتارة يسكل ، فتلقى نفسها في النار فتحترق ، فيسقط أهل البيت دغماً من أعين الناس ، ويصرون محتئين ، حتى إن سائر الناس نعتقد أن عصب الله تعالى حلّ بأهل هذا البيت إلى أبد الأبد .

وفي الفصل التاسع<sup>(٤)</sup> وصف اختلاف الناس في تكريم موتهم ، وشييع جنازهم ، فعند بعض الأمم إذا مات ملك أو أمير غنى ، دبحوا بعض عبيده على قبره .

(٢) ص ٣٦

(٤) ص ٤٠

(١) ص ٣٠

(٣) ص ٣٨



ليدهوهم إكراماً له ، وسجل في هذا الفصل ما يقال من أنه ليس من القدماء من كان يهتم بأمور الأموات كقدماء المصريين ، وهذا أطول في وصف تخنيط الموتى وقبورهم بوادي النيل ، ووارد من قوم لهم اعتناء بتجهيز موتاهم ودفنهم ، وبين محوس درس الدين يعمرون الطيور ، التي تأكل النجس عليها لتأكل نجسها ، وهذا مات اميت وصعوه في حمرة مكشوفة تحت السماء ، صا في الضور وتأكل النجس ، وتبقى العظمت ، فيأخذ أقارب الميت أو أحبابه هذه العظمت .

وتحدث عن صيد النمر ونجر ، وأنه عند قوم ضرورة ، وعند آخرين نزهة أوريصة ، وذلك في الفصل العاشر<sup>(١)</sup> . وفي هذا الفصل معرض لأنواع من اخيل احمرها الإنسان ، لصيد الحيوانات التي تعرفه في الأيد والنسر ، كصيد القبلة في بلاد الهند مثلاً .

وفي الفصل الحادي عشر<sup>(٢)</sup> عرض ألوان التبادل التجاري ، وأنواع النقود في الأمم المختلفة .

والفصل الثمانية في أخلاق الأمم وعوائدهم ، وفيها خمسة عشر فصلاً : الأول في ألوان اللعب ، وأنواع الرياضة البدنية ، وأطال في بيان هذه الألعاب . ووارد في الفصل الثاني<sup>(٣)</sup> موارنة غارة بين موقف الأمم من الشعر والموسيقى ، وما جاء عن العرب في هذا الفصل قوله : « وعرب الدادية ، والعمارة ، يميلون إلى نظم الشعر ، واختراع الأحذونات المعصكة التي في معنى ألف ليلة وليلة ، والتي ترجمها الإفرنج من العربية إلى السبهم ، ومن العرب أناس معدون لحكاية القصص في المحاسن ، ومشهورون بكثرة الهدر وسماع الحكايات النصفية ، هورقة أهل هذه البلاد ، وذلك أن عرب الدادية أو القري ، يصنعون نهارهم في الكدة وحرّ الحلا الياس المحرق ، فإذا دخل الليل ، واستراحوا بطراوة الزمن ، اجتمعوا تحت الخيم وحول النار ، انشؤوا على دبكة ، أو يهوا بهوه ، واحتاطوا حول واحد منهم ، يحفظ القصص ، ليحكى لهم مدة سويما حكايات في معنى قصة

(١) من ٤٤ .

(٢) من ٤٧ .

(٣) من ٥٦ .

ألف ليلة وليلة ، وفي قهاوى إسلامبول ، وأرمير ، ودمشق ، والقاهرة ، وغيرها من الأمصار محدثون يسلون من يجتمع عليهم كل ليلة .

وتحدث في الفصل الثالث <sup>(١)</sup> عن الخط والكتابة عند الأمم المختلفة ، وفي الرابع <sup>(٢)</sup> عن الرقص ، وفي الخامس <sup>(٣)</sup> عن التمثيل ، وخصص الفصل السادس <sup>(٤)</sup> بمادات الأمم في أعيادها ومواسمها ، والسابع <sup>(٥)</sup> بطرق الأمم في تحاياها .

وسين في الفصل الثامن <sup>(٦)</sup> مذاهب الأمم في إكرام صبيها ، وذكر ما للعرب من فصيلة الكرم ، حتى إن أهل اسدو ، حين يرل عندهم الصيف يدبحون له دبيعة ، ومنهم من يفسل له رحليه ، ويتقاسم معه حراً وملحاً ، ولكمه إلى جانب ذلك سجتل ما كان من إصرارهم بالمسافر في انقارة ، وسلب جميع ما عليه من الثياب ، لا يرق قلمهم لشكواه ، ولا لكائه .

أما الفصل التاسع <sup>(٧)</sup> ، في الرق ، ولما ترجم روعة قول المؤلف : « من المصمم أن النفس تميل دائماً إلى الحرية التي هي أعظم ما في يدى الإنسان » . قال — في أغلب الظن — . « ولذلك تدب إليها الشارع صلى الله عليه وسلم » . ومعنى يتحدث عن أسباب الاسترقاق عند الأمم المختلفة ، ومعاملتهم للأرقاء .

وفي الفصل العاشر <sup>(٨)</sup> فصل كثيراً من العقائد العاسدة ، والبدع والأوهام المنتشرة في كثير من الأمم ، فلا تكاد توجد أمة لا تنمو فيها هذه الأباطيل ، وإنما يصعب أثرها بانتشار نور العلم والعرفان ، ولخط المؤلف أن الصلالات أكثر انتشاراً في القرى منها في المدن ، وأنها سعة من التقدم في العلوم والفنون ، ومما قاله : « إن الإفرنج كانوا يعتقدون في سابق الزمان وجود السحر والشعنة ، ومن منذ ثلاثة قرون بطل عندهم هذا الاعتقاد ، وصاروا لا يعتقدون شيئاً خارقاً للمادة أصلاً ، فالعادة لا تتحلف على رأيهم أبداً ، وسائر الأشياء تدور مع الحكم الطبيعي أينما دار » <sup>(٩)</sup> .

- |            |            |
|------------|------------|
| (١) ص ٦٢ . | (٢) ص ٦٤ . |
| (٣) ص ٦٦ . | (٤) ص ٧٠ . |
| (٥) ص ٧٥ . | (٦) ص ٧٩ . |
| (٧) ص ٨١ . | (٨) ص ٨٥ . |
|            | (٩) ص ٨٨ . |

وتحدث في الفصل الحادي عشر<sup>(١)</sup> عما اعتاده بعض الأمم المتوحشة من أكل اللحم الآدمي ، وموقف الأمم المختلفة من الحرب وآلات القتال .

وفي الفصل الثاني عشر<sup>(٢)</sup> وارت بين الأمم المختلفة في طريقتهم إلى العقوبة ، ومهتهم فيها ، وصدر هذا الفصل بقوله : « إنما شرعت الحدود في سائر الشرائع حذراً من هتك حجاب الشريعة ، وقد جرت العادة في سائر الأمم أن من عمل صالحاً يוכל حراؤه إلى اندار الآخرة ، ولا يجازى بشيء في الدار الدنيا ، بخلاف من عمل سيئة فإنه يماقب عليها في الدنيا لينزجر غيره ويحسن أحوال الخلائق » . ونقل عنه عن العرب في العقوبة لا أدري مدى صحتها ، إذ قال : « والعرب إذا قتل منهم أحداً ، واتهموا شخصاً بقتله ، فلا يرا المدعى عنه إلا إذا لمس حديدية محمأة في سحونة محمسة من . فسجن القاهي الحديدية وبيع عليها ، وبمعصها لمدعى عليه فصم لسانه عليها . فإن وُجد أنه غير محرووق فإنه تسين راءته ، ويلزم له المدعى سمير ليحرق ما رماه به في ادعائه عليه . فإن كان لسانه محرووقاً ، كان مستحقاً للقتل إلا إن عفت عنه هيلة التمثيل على قدر معلوم » .

أما الفصل الثالث عشر<sup>(٣)</sup> فبيان اصطقات الاحتمالية عند الأمم ، ومما يسترعى النظر في هذا الفصل ، أن أسماء قبائل أمريكة الشمالية ، شبه أسماء قبائل العرب ، فتجد قبيلة تسمى ( رنورد ) بمعنى بني ثعلب ، وقبيلة ( قستور ) بمعنى بني كلب ، وقبيلة ( بفل ) بمعنى بني جاموس .

وتحدث في الفصل الرابع عشر<sup>(٤)</sup> عن الملوك ، وقد حذف من هذا الفصل ما وصف به ملوك الإسلام ، فلم ترجمه رفاعه ، وكان أولى به أن يترجمه ، حتى يعلم وجهة نظر المرح في سياستهم وميولهم . وختم المؤلف كتابه بفصل ذكر فيه جملة عوائد مختلفة .

فأت من ذلك رى السكان عرصاً . وجرراً لعرائب الأحوال الاجتماعية بين الأمم .

(٢) ص ٩٤ .

(١) ص ٨٩ .

(٣) ص ٩٩ .

(٤) ص ١٠٥ .

وبدأ رفاة هذا الكتاب بقموس صغير ، سوف يكون محل دراستنا ، عندما نتحدث عن جهود رفاة اللغوية .

ومما هو حدير بالذكر هنا ، أن مؤلف الكتاب طلب أن يقيد اسمه ، لدى رفاة ، « لتحصيل عدة نسخ من نسخ هذا الكتاب بالثراء » بعد أن يتم طبع الترجمة <sup>(١)</sup> .

## في الصحة والطب

كان مما ترجمه رفاة ، وهو في باريس ، وتقدم به للامتحان النهائي سنة في علم سياسات الصحة <sup>(٢)</sup> ، ولم أستطع العثور على هذه النسخة مستقلة ، وأعدت طبعي أنه ألحق هذه النسخة بكتبه تحليلي الإبرير ، فقد قل مقدماً لهذه النسخة : « ولقد كرر لك سده من فن قانون الصحة وندير السن ، حتى تم فائده هذه الرحلة ، وهذه البينة ترجمتها في باريس ، لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها ، لصغر حجمها ، وهي وإن كانت تخرجها عما نحن بصدده ، إلا أن مدعها عظيمة ، ونعومتها حسيمة » ، وأعدت الطبع أن ألحقها بكتابه ، بعد عودته إلى مصر ، في الفصل الذي عقده لاعتناء باريس بالعلوم الطبية .

تماولت هذه النسخة أموراً عدة ، منها فصل صممه بمصنح لصحاح الأبدان ، وآخر لما يصنع حينما يأخذ المرض والظهور ، وثالث لما يصنع حين ظهور المرض ، ورابع لمعالجة الناقه ، وخامس في وصايا عامة على الصحة ، وسدس لمعالجة جمة علل وأصراض ، وهي تملأ رها ، ثمانى ورقب من كتابه . ورتنا كان الدافع له على ترجمة تلك البينة في باريس ، ما رآه من عناية محمد على بتدريس الطب ، فرعنا كان يريد أن يبرهن له على مقدرته على ترجمة كتبه .

ولما كان أول عمل تولاه — بعد عودته — هو الترجمة عندسة الطب كما سبق أن

(١) تحليلي الإبرير ص ١٥٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٤

ذكرنا ، دفعه هذ الطرف إلى أن يترحم رسالة في الطب ، ثمّتها تلميذه السيد صالح محدي بك في سجل كتبه ، ولسكه ذكر أنّها لم تطبع وأنّه لم يرها (١) .

## في الفنون الحربية

لا أعرف أنه ترجم فيها سوى هذه القطعة من عمليات صباط عظام ، وهي التي ترجمها مارس ، ولا أدري عن هذه القطعة شيئاً ، ولم أرها منشورة في أي كتاب له ، بل إن اسمه مختلف ، فهو في تحليل الإبرير (٢) : فصمة من عمليات صابطان عظام ، وفي حركة الترجمة عصر (٣) اسمه : قطعة من عمليات الصباط . كما أنه عرّبت لدرسة الهندسية (الطوبجية) كتاباً في الهندسة ، ستجدّث عنه فيما بعد .

## في المعادن

ترجم فيها ، وهو في باريس (١) ، كتاباً من تأليف فيرارم Ferard ، دعاه بعد أن ترجمه : المعادن النافعة لتدبير معاش الخلائق ، قل مؤلفه بين هدفه من تأليف كتابه : « قد ذكرت ما يسمى معرفته في حقيقة المعادن وأحوالها لمن يستعملها ، ويشتمل بها ، وسردت جميع الحواهر المعدنية ، سواء كانت عامّة النعم ، أو من حواهر المعادن ، أو لمجرد الزينة والتجمل ، وقد تكلمنا عليها من أحقرها إلى أعظمها ، فبحثنا عن الحواهر الأرضية القراية ، كالأرض التي يحرثها كل عام ، إلى الحواهر النفيسة التي لا توجد إلا صغيرة الحرم ، ومع ذلك ولشدة منها مساوى في القيمة زرمة عظيمة من الزرع ، أو إيراد إقليم كامل .. »

(١) حلية الزمن ص ٢٨

(٢) ص ١٦٤ . (٣) ص ٥٥

(١) تحليل الإبرير ص ١٦٤ والثالث العلوية ص ٢١ .

وقد حاولت احتساب ما يوجب السامة والمثل للمصري ، حيث لم أذكر إلا ما يشتمل على منفعة أرباب الصنائع ، مما لا بد من معرفته <sup>(١)</sup> .

وحصر كتابه في حسين من الصنائع : صنائع خاصة ، وصنائع عامة ، وحمل الأولى عشر صنائع : الأولى لأرباب الفلاحة على أرض الرّراعة ، والثانية للبناء على الجير ، والجص ، وحجر البحت ، والقيشاني ، والرمل ، والآجر ، و ... والثالثة على أحجار البحت ، والأحجار المتأثرة ، مقلعة ، وتغييرها بالامتحان . والرابعة للسباكين ، والبيطرة ، والحديد ، والنسكا كينية ، والحاسين ، والمدهين ، والقاشين ، والصعائحية ، وعمرهم على المعادن . الخامسة على النح . السادسة للجوهرية ، والعقالين ، والصناعة ، والسكا كينية على احواهر ، وأحجار الصقلة . السابعة للرّحامية على الرّاحم . الثامنة للحجرية على الصبن والمطلاء . والتاسعة للقصارين . العاشرة لعمرويين للأسية على الألوان العديدة .

وأما الصنائع العامة ، فهي ستة : الأولى على الرّبيع . الثانية على الطين المذهب للون . الثالثة على حجر الصيلة . الرابعة على فائدة حجر المعجم في المون والصنائع . الخامسة على التورما ومنعمته ، والتورما طين منمقد من تحليل السات التي في وسط الماء . السادسة على تفتيش المعادن <sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك كله ، سدو لنا الهدف الذي دفع روعة إلى ترجمة هذا الكتاب ، وأنه هو عيبه الهدف الذي دفع المؤلف إلى تأليفه ، وهو رغبته في تقدّم الصناعة والزراعة ، ولا سيما أن رفاعة رأى الحرف والصنائع ، حتى الداني ، منها مدونا في الكتب ، وعرف أثر ذلك في تقدّم الصناعة ، فأراد أن يمثل إلى العربية بعض ما ينفع الصناع والرّاع في مهنتهم ، وكانت مصر في ذلك العهد مقفلة على نهضة في الصناعة والزراعة .

(١) المعادن النافعة ص ٤٧ .

(٢) المعادن النافعة ص ٣ و ٤٥ .



## في الهندسة

ترجم رفاعة وهو في باريس ، رجمة منه في أن يتمرن على ترجمة مختلف العلوم  
 — كما سبق أن ذكرنا — ثلاث مقالات من كتاب مبادئ الهندسة —  
 ( Elements de Geometrie ) مؤلفه Legendre<sup>(١)</sup> ، ولما عيّن بمدرسة  
 المدنية ( الطوبجية ) بطنه ، عرّب مختصراً في الهندسة كان يدرس في مدرسة  
 السوارى الفرنسية ، ومدرسة سان سير ، وغيرها من المدارس العسكرية ، ولما  
 ترجم أدهم بك كتاب الجدر في الهندسة ، أهمل الكتاب الذي ترجمه رفاعة .  
 وليس أدري لم لم يتم رفاعة ترجمة كتاب الجدر ، مع أنه قد بدأ ترجمته بباريس ؟  
 ولكن لم يلبث الأمر أن احتجج على كتاب رفاعة على عادة تفكير مزاج الزمان  
 وطبعه ، فطبع للمرة الثانية سنة ١٢٥٨ هـ ، ثم صبع مرة أخرى<sup>٢</sup> ، ولعله في  
 هذه المرة احتجج عليه كي يدرس ( بالهندسة ) ، فإن ناظر هذه المدرسة هو  
 الذي عني بهذا الكتاب ، « و كان فيه من الاصطلاحات القديمة ما تمنجه  
 الأسماء ، ولا يعيل إليه سليم الطبع ، ومن بعضات في ترجمة ، ما يقع في الخيرة  
 من أراد فهمه ، اقتضى الحال ... أن يطبع بمطبعة مهندسخانة ، بعد أن يقاله من  
 حروجاتها أولو العطوانة ، وأن يصلح موقع فيه من الملطحات ، وأن يغير منه ما لا  
 يليق من الاصطلاحات ، فاهتم بذلك ناظر هذه المدرسة ، التي هي على المعارف  
 مؤسسة ، وأحل مقاتله على المتوكل على ربه المعيد المبدى ، أحد خوجاتها برعى  
 أفندي ، فشر عن مساعد أحد في مقاتله ونشر الاصطلاحات ، مع مشاركته  
 في بعض الأوقات ، لبعض الخوجات<sup>(٢)</sup> » .

ومن هذا يرى أن بعض الاصطلاحات التي اختارها رفاعة ، في ترجمة كتابه ،  
 لم يرض عنها بعض عماء هذه المادة ، فعثروها عند إعادة طبعه ، على أن رفاعة  
 عند ما ترجم هذا الكتاب ، لم يستقر باختيار الاصطلاحات لكتاب ، بل استعان

(١) تخرج لإبرار من ١٦٤ و صم محمود . مقدمه بدمر

(٢) مبادئ الهندسة صبع سنة ١٢٢٠ م ٣

في اختيارها بهذا الحتم المعير ، « ممن لهم اليد الطولى في الرياضيات ، وعليهم مدار تلك العمليات » ممن كان يعمل بمدرسة المدفعية يوم ترجم رفاعة كتابه ، « فكأنهم أغان على تصحيحه وتهنئته ، وإفراجه في قلب الصارات الهندسية وحسن تعريبه <sup>(١)</sup> » ؟ ولا ريب أن رفاعة بذل جهداً صحيحاً في تدليل الصعوبات لنقل المعلومات الهندسية ، واصطلاحاتها إلى العربية ، وساعده على ذلك أنه درس في باريس شيئاً من الهندسة ، فقد قرأ المقالات الأربع الأولى من كتاب لخمدر <sup>(٢)</sup> ، واستطاع بجهد أن يعتبر عن هذه المادة في أسلوب واضح ، وإن كان يقل في وضوحه عن ذلك الأسلوب الذي تقرأه في كتب الهندسة المرحمة في عصرنا الحاضر ، وهناك نموذجاً منه : « الفراغ الذي يشغله الجسم التعليمي بالضرورة ثلاثة أبعاد ، ويسمونها بالطول والعرض والعمق أو الارتفاع ، ونهايات الجسم سطوح ، وسطح هو الطول والعرض من غير عمق ، ونهايات السطوح خطوط ، فليس له خطوط إلا بعد واحد ، وهو الطول ، ونهايات الخطوط نقط هندسية ، وهي حالة من الأبعاد الثلاثة ، ومن العلوم أن هذه النهايات الثلاثة المختلفة لا وجود لكل منها على حدة في الخارج ، وإنما تعتبرها منفردة في الدهن والوهم فقط <sup>(٣)</sup> » ، وهناك نظرية من نظرياته : « المربع المرسوم على وترالقائمة من المثلث القائم الزاوية ، ساوى مجموع المربعين المرسومين على الضلعين الآخرين <sup>(٤)</sup> » ؟ وبهذا وضع رفاعة لأسس في بناء هذا العلم ، ومهد بذلك السبيل لمن أتى بعده ، أن يختار ما اختاره هو من مصطلحات ، أو أن يعدل فيها ويقوتها ، وهو بذلك من الرؤاد الأول من واصل المصطلحات الهندسية .

(١) من مقدمة كتاب مبادئ الهندسة طبع سنة ١٢٥٨

(٢) تحف الأمير من ١٥٩

(٣) مبادئ الهندسة طبع سنة ١٢٥٨ من ٣ .

(٤) المرجع السابق من ٣٩ .

## في القانون

لرعاة فضل كبير في مهنة القانون في مصر ، ذلك أن الحكومة عند ما فكرت في إصلاح النظام القضائي في عهد إسماعيل ، مهتت لذلك بتعريب القوانين الفرنسية المروفة ( بالكود ) Le Code <sup>(١)</sup> ، وذلك عمل يتطلب جهداً حثيماً ، ودأباً على العمل ، وصبراً على مشاقه ، وإدماً تاماً بأمرار المفتين : العربية والفرنسية ، وإطلاعاً واسعاً على القوانين الفرنسية ، وأحكام الشريعة الإسلامية ، حتى يمكن اختيار المصطلحات الفقهية ، المطابقة لثيلاتها في القانون الفرنسي ؛ ولم تحم الحكومة من يقوم بهذه المهمة الشاقة سوى رعاة وتلاميذه ، فمرتب هو وعبد الله السيد بك رئيس قم الترجمة ، ومن تلاميذ مدرسة الألسن ، القانون المدني الفرنسي ، وعمرت قانون الرافعات عبد الله بك أبو السمود أمدي ، وحسن أمدي مهمي ، وعمرت محمد بدرى باشا قانون العقوبات ، وصالح مجدي بك قانون تحقيق الخنايا ، وهم جميعاً من تلاميذ رعاة بك . ومن تلك القوانين استمدَّ المشرع المصري معظم أحكام فوائى الماملات المدنية ، والرافعات والعقوبات ، وتلك هى القوانين التى بنى على أساسها النظام القضائي الحديث ، ومن ذلك تسين قدر فضل رعاة بك وتلاميذه في إقامة صرح العدالة في مصر <sup>(٢)</sup> .

(١) يصى على مجموع قوانين فرنسية ، وهى ثمانية : قانون مدني Code Civil وقانون الرافعات المدني Code de Procedure Civil وقانون العقوبات Code Penal وقانون تحقيق الخنايا Code d'Instruction Criminelle وقانون سمات Code Forestier وقانون حقول Code Rural وقانون التجارى Code de Commerce والقانون العسكرى Code Militaire . P. 205 . Larousse .

(٢) عصر محمد على ص ٤٩٥ .

## القانون المدني الفرنسي Le Code Civil

يقع هذا القانون في إحدى وثمانين ومائتين وألوف مادة ، تملأ رهاء جسمانية وثلاثين صفحة ، وهو تشمل عدا المعاملات المدنية أحكام الأحوال الشخصية<sup>(١)</sup> . وأحكام الوارث<sup>(٢)</sup> ، ومما يذكر أن هذا القانون قد أباح الطلاق<sup>(٣)</sup> لأسباب أوردتها ، ونظم صوره ، وفي مقدمة القانون ، ذكر في السند الثالث أنه يجب على كل من سكن في بلدة فرنساوية أن يتبع أحكامها المتعلقة بالضغط والأمن مثل أهلها سواء بسواء ، ونسرى أيضا أحكام الملكية على جميع عقاراتها وأراضيها المملوكة ، ولو كانت في يد منصرف ملاك أجنبى ، وبهذا قرر سريان أحكامه على جميع سكان الوطن ، ولعل في إخراج هذا الكتاب عن روعة ، في الوقت الذي اشتد فيه القانون المصرى سيادته على جميع السكان ، حجة لروعة .

والقانون مكون من مقدمة وثلاث مقالات : الأولى في الكلام على الأشخاص ، وفيها أحد عشر كتابا ، الأولى في التمتع بالحقوق المدنية وأساس الحرمان منها ، والثاني في عملية تسجيل الأبناء ، وإثبات الولادة والوفاة ، والثالث فيما يتعلق بالوطن ، والرابع فيما يتعلق بأحكام المدين ، والخامس في أحكام المكاتب وما يتعلق به ، والسادس في أحكام الطلاق ، والسابع في الأبوة والبنوة ، والثامن في التبني والكفالة الخيرية ، والتاسع في ولاية الأبوين ، والعاشر في قصور الأولاد والولاية عليهم ، والحادى عشر في الرشد والحجر .

والقالة الثانية في الأملاك وفيها أربعة كتب : الأولى في بيان الأملاك ، والثاني في حق الملكية ، والثالث في إباحة منافع الأعيان وعقاراتها وربيعها ، والرابع في الحقوق القسرية الأرضية .

والقالة الثالثة في أنواع الطرق التي تفيد الملكية ، وفيها عشرون كتابا :

(١) ج ١ ص ٣٨ وما يليها .

(٢) ج ١ ص ١٥٩ وما يليها .

(٣) ج ١ ص ٥٤ وما يليها .

لأول في الميراث ، والثاني في الهبة والوصية ، والثالث في العقود والالتزامات وأنواعها ، والرابع في الأحكام والحقوق المترتبة على العقود ، والخامس في الشروط الواقعة بين الزوجين في وثيقة عقد النكاح ، وفيما يجب على كل منهما في حق الآخر من الحقوق ، والسادس فيما يتعلق بالبيع ، والسابع في بيان المقايضة ، والثامن في الإجارة ، والتاسع في الشركة ، والعاشر في العارية والقرض ، والحادي عشر في الوديعة والحجر ، والثاني عشر فيما يتعلق بعقود الصدقة المطلقة على شرط أو حادثة معينة ، والثالث عشر في الوكالة . والرابع عشر في الضمان ، والخامس عشر في الصلح ، والسادس عشر في القس على الإنسان وحسنه بخصوص الحقوق والدعوى المدنية ، والسابع عشر في الرهون ، والثامن عشر في المزايا والرهون ، والتاسع عشر في إخراج الملك عن ملكية المالك قهراً ، والمشرون في المدة الطويلة .

وتحت هذه الكتب أبواب ، ونحت الأبواب فصول ، وفروع ، فأنت ترى من هذا المرحى الموجز صخمة العمل الذي قام به رفاة وصاحبه .

أما لمة القانون فواسحة سهلة موحزة ، ولا تكاد تشمر في الكثير من مواده أن هناك ترجمة ، بدلا من أسلوبه ولا التواء ، وهناك نموذجاً لبعضها :

بند ٢١٢ : يجب لكل من الزوجين على الآخر الأمانة والمأونة والمواساة<sup>(١)</sup> .

بند ٢١٣ : يجب على الزوج حماية زوجته ، وعلى المرأة إطاعة زوجها<sup>(٢)</sup> .

بند ٢١٤ : يجب على المرأة أن تسكن مع زوجها في بيت واحد ، وتبته أيتها

سار ، لتقيم معه في أي محل أراد ، ويجب على الزوج إسكانها معه ، والقيام بكفائتها على قدر طاقته وحاله<sup>(٣)</sup> .

ولكنك تشمر حيناً بالنموض يكتنف بعض مواده مثل البند ٢٠٤ : ليس

للولد مراعاة مع أبويه لتطلب رواح أو صنعة أو عسیر ذلك<sup>(٤)</sup> ، ولكن هذا

العموض نادر ، وطبع هذا القانون لأول مرة سنة ١٢٨٣ هـ ( ١٨٦٦ م ) .

(١) و (٢) و (٣) القانون المدني ج ١ ص ٥١ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٩ .

## قانون التجارة Code de Commerce

افرد رقاعة بترحمته ، ويقع في ثلاث وسبعين وأربع مائة مادة ، وبملا ثلاث وعشرين ومائتي صفحة ، قال رقاعة في مقدمته ، مشيراً إلى الحاجة إلى ترجمته : « هذا القانون التجاري مما تمس إليه الحاجة في غالب الأحوال والأوقات ، حيث اتسعت الآن في مصرنا دائرة المعاملات بين أهالي الممالك الأوربية ، وكثرت التملقات ، فصار لا مأس لأرباب التجارة بمعرفة مواهب المعاملة الحارية عند الأجانب ، بل صار الاطلاع عليها لمن يعقد عقود التجارات معهم من الواجب ، فلهذا حسن إبراز هذا القانون بالعربية إلى حيز الوجود <sup>(١)</sup> » .

وهو ينهج في تسميته نهج القانون المدني ، فهو مقسم إلى مقالات ، يدرج تحتها كتب ، تحتوي على أبواب ، وتشتمل الأبواب على فصول وفروع .  
المقالة الأولى في التجارة من حيث هي ، وفيها ثمانية كتب : الأول في التجارين ، والثاني فيها يتعلق بدطر التجارة ، والثالث في الشركات ، والرابع في انفصال أموال الزوجين ، والخامس في بيان مجمع التجار ( المورسة ) ، والسادس فيها يتعلق برهن المنقولات وتوكيل الوكلاء في المعاملات ، والسابع في أحكام البيع والشراء ، والثامن فيها يتعلق بسندات الحوالة .

والمقالة الثانية فيها يتعلق بالتجارات البحرية ، وفيها أربعة عشر كتاباً ، أولها فيما يخص السفن ، وثانيها فيما يتعلق بملاك السفن البحرية ، ورابعها فيما يتعلق بقبطان السفينة ، والخامس في عقد الانفاقات مع الطوائف البحرية ، والسادس في عقد إيجار السفن ، والسابع في بيان سند الشحنة بحافظة الرسالة ، والثامن فيما يتعلق بأجرة السفينة ، والتاسع في عقد الاقتراض البحري ، العلق على الحوادث البحرية المنقبة ، والعاشر في التأمينات البحرية ، والحادي عشر في الحسارات البحرية ، والثاني عشر في تمويل الحسارات ، والثالث عشر فيما يتعلق بالمدد



وموت الحقوق بأقصائها ، والرابع عشر فيما يتعلق بدفع الخصومة .  
والمقالة الثالثة في تعلق بالتعليق ، وفيها ثلاثة كتب : الأول في ذكر  
التعليق ، والثاني في التعليق الناشئ عن سوء الاختيار ، وما يترتب عليه من  
الأحكام ، والثالث في كيفية إعادة اعتبار التعليق إليه قانوناً .  
والمقالة الرابعة في تعلق بالأفضية التجارية ، وفيها أربعة كتب : الأول في تنظيم  
محاكم التجارة ، والثاني في بيان وظائف محاكم التجارة وخصائصها ، والثالث في  
بيان المحاكمة أمام محاكم التجارة ، والرابع في صورة إقامة الدعاوى ، ويختتم القانون  
تكملة في المحاكمات .

وانة رفاة في ترجمة هذا القانون مبسطة واضحة دقيقة خالية من الصناعة ،  
لا تحسن فيها روح الترجمة إلا نادراً ، وهالك مادة منه :  
مد ١٣ : في جميع اجتماعات الجمعية العمومية يؤخذ القرارات بموجبية أغلبية  
الأراء ، ويرم تقييد الحاضرين الساهمين في قاعة ، يس فيها أسماؤهم ومسكنهم ،  
وعدد ما أدى الواحد منهم من الأسهم ، ويصدق على هذه القاعة أعضاء الجمعية  
العمومية . وتوضع بيت الشركة المركزي ، ليطلع عليها كل من يرغب<sup>(١)</sup> ، وتم  
طلع هذا القانون سنة ١٢٨٥ هـ .

## في الأدب

أول ما ترجمه رفاة من الأدب الفرنسي تلك القصيدة التي أنشأها يوسف أجوب  
وسماها ( La Lyre Brisée ) ، وسوف نتحدث عنها طويلاً في فصل خاص .  
وترجم وهو في باريس أيضاً بعض مقطوعات فرسية ، منها قوله :  
وإذا القلوب تعلقت برأت الجميع حليلاً  
كصفينة نسى إلى شعب يكون مهولاً  
لحق على زمن الهوى إن صبح كان بحيراً<sup>(٢)</sup>

(١) قانون تجارة ص ٢٣

(٢) تجميع الإبرير ص ٦٨

وقوله :

ودع القلب فيك يا قتلى يا خيال المسعد الزائر  
إن روحي بالجراح اسطلت وعلى البرء لست بالقادر  
وسروري في المسوى لمحـ مثل زهر الورق الزاهر<sup>(١)</sup>  
وهي أبيات تنقصها حرارة العاطفة وقوة الأسلوب .

وأعجته رسالة أحد المتطوعين في الحرب مع الروس ضد الدولة العثمانية ، حررها إلى بعض أمراء الأتوية بباريس في ١٢ يولييه سنة ١٨٢٨ م . وهي تشيد ببطولة الأتراك وشجاعتهم في الحروب ، ولعل هذا هو ما دفع رفاعة إلى ترجمتها ، وقد تشدد الحماسة برفاعه ، فيبدو أثرها في أسلوبه ، قوة في الصنعة تسمو من غير كرامة ، كقوله : « ولو شاهدت عيناك ما شاهدته من أن الفرسان العثمانية ، تروع الإنسان بمجرد منظرها المرعب ، وسرعة اقتحامها الدهش المحب ، ومشيتها على صوب الألحان الوحشية ، وصهيل الخيول الكردية ، وزوولها كالصواعق على المشاة الموسقوية ، لحكمت مثل بأن هذه الحراية تطول ، وأن اضطرام نارها هل أن يرول ، وليس أن للدولة العثمانية فرساناً عظيمة مرسية بترتيب عجيب ، وهمة عالية بنظام غريب ، وهل يسكر أحد أن رحلهم متمرنون على ركوب الخيل ، وأن حيولهم على أصل خلقهم الوحشية طائفة لسيدتها في الإقدام والإحجام ، يلعب عليها في الحراية المقصود والمرام ، فياويح المساكر القرابية التي يلتحم صدها ، صف هذه الخيول ، المركوبة لهؤلاء المجهول ، الدين لهم ريادة عن قوتهم الجهادية ، دعمة غيرتهم الإسلامية والوطنية<sup>(٢)</sup> » .

وأخبرنا رفاعة في مناهج الأبواب المصرية<sup>(٣)</sup> ، أن له كتاب : تعريب الأمثال في تأديب الأطفال ، ولم أستطع العثور على هذا الكتاب ، وربما عرّبه به كتاب لافونتين : Los Fables ، ولست أدري إن كان قد عرّبهها تراً أو نظماً .  
وترجم رثاء فؤتير الشاعر اللويس الرابع عشر ، واحتار ترجمته في أسلوب

(١) مرجع - ص ٦٩ .

(٢) ترجمه الرسالة كلها بتطبيع الإبرير ص ١٠١ .

(٣) ص ٧٦ .

مسحوح ، وكان الرثاء قصيراً ، وهذه ترجمة رفاعه له : « لم يتولّ قبله ملك من ملك امصانة ، ولا ساواه عبره في تربية الرعية بهذه المثابة ، فالفخار شعاره ، واحد دثاره ، وكان أحطى الملوك باكتساب الطاعة من رعاياه والانقياد ، كما كان أعظمهم في الهيبة عند الأعداء والأضداد ، وربما كان دوسهم في ميل الرعية إليه ، ومحبته له بمعطف القلوب عليه ، فطالما رأيت تنقلب عليه صروف الزمان ، وتتلعب به حوادث الحداث ، وهو عند البصرة يظهر الفخار ، ويتجدد عند الحرعة ، ولا يظهر بمظهر الذل والانكسار ، فقد أربعته عشرين أمة عليه نعمت ، وعى قتاله تحافت ونحزت ، وبالمجلة فهو أعظم الملوك في حياته ، كما كان عظيم المعرة عند مماته <sup>(١)</sup> » .

ولم ارام رفاعه بالشعر اوصى ، نقل إلى العربية الشبيد الفرنسي القوي الذي يدعى شبيد ( المارسيلير <sup>(٢)</sup> ) .

## نظم العقود في كسر العود

نقل رفاعه إلى العربية ، أول ما نقل ، قصيدة فرسية ، قال عنها <sup>(٣)</sup> : إنها « منسوبة لرئيس من بعضنا من هذه اللغة القواعد ، ويعيدنا من فصاحتها بفرائد الموائد ، المعارف بأسلوب لغتي العرب والمرساوى ، والسارع في مهم المعنيين ، فهو لغزها حاوي ، الحواجا يوسف أكوو المصري منشأ ، تتضمن تشبيهاً وغزلاً ، وحبياً ومفاخرآ ، ومدحاً لمصر وورثها حضرة أفندينا ، وكان حل فيها بهجس في مؤادى ، وبسطق به لسان مرادى ، فأردت أن أبدل جهدى ، وأمن نظري وحلدي ، وأنقلها إلى العربية ، ولو كانت في ذلك مشقة قوية ، فقدمت على ذلك ، فبدا هي بالنسبة إلى مثل دوسها خراط القناد ، تحتاج زيادة على الترجمة إلى التوفيق على المعنى المراد ، ولا أفرح حيثئذ عندي من مراجعة مؤلفها ،

(١) مذهب لأتاب نصرة ص ٢٢٠

(٢) عصر محمد علي ص ٥٠٥

(٣) من مقدمة هم عود ص ٧ .

وشماع الكلام من فيه ، لما أن صاحب البيت أدرك بالذي فيه ، فالترمت مراجعته  
في سائر أبيات القصيدة وترجمتها ، فحانت على حسب ما يسره الله كالأهل قريده ،  
مع بدال بعض المعاني بأخر لأمر ما ، لأن مسمى معانيها كان على أسلوب غير  
العربي فحاولتها على أسلوبهم .

وكان ناظم القصيدة قد أهداها إلى شاعرة فرنسية ، تدعى Dufranois ،  
كانت شهيرة بالمرثي (١) ، وهي تتضمن ثورة على الحب ، والتجاء إلى عود الغناء يشبه  
الشاعر آلامه وآماله ، ولكن الشاعر لم يلبث أن رأى دموع الحبيبة ، نهمل على  
حديثها ، حتى حطم عوده وعاد إلى حبسته ، ولذلك سميت القصيدة : العود المكشور :  
( la Lyre Brisée ) ، ونفراهم روعة بالسجع في عناوين كتبه ، ترجمها نظم  
العقود في كسر العود .

وترجمة هذه القصيدة كانت أول عمل قام به رفاعة بعد دراسة اللغة الفرنسية ،  
أقل من عام ، فإنه قد أتم ترجمة هذه القصيدة ، في المشر الأواخر من شهر شعبان  
سنة ١٢٤٢ هـ .

ويبدو الجهد الذي بذله رفاعة وصحاح في ترجمة هذه القصيدة ، بل في ترجمة  
مقدمتها ، حتى ليند منه الأسلوب العربي . واستمع إلى ترجمة رفاعة مقدمة أكوبي  
لقصيدته إذ يقول : « وقد لزم أسى أطبع بالترتيب دهاب هيام الأشعار المائفة ،  
وأنخلص من أسلوب إلى آخر ، فأعقب الافتخارات الشعرية ، بالحركات الحنيئية ،  
مهيجات المحبة العنقية ، ثم مزايها التاليف ، إنما هي في ملاعة النظم ، إذ هي  
أوقع من دواعي الفرض ؛ وبالحللة إنه ما كان في هذه القصيدة نصب عيني ، كما في  
الأولى شكل آثار مصر ، ولكن أدع أن قبي ما استحسن أبدأ رحجان تأليقي ،  
كما في هذه ، وفي تقديم هذه الهدية لذكر تلك المحبوبة الشهيرة ، ليت لي عمن  
بصرة ، فأضمه على قريها (٢) » .

بني أحسن بالغناء الذي بذله رفاعة في الترجمة ، وأشعر بما كان من العموضد

(١) من مخطوطات المرحوم من ٣٥ .

(٢) نظم العقود من ١٠ .

في المعاني عده ، فلم تنقد لقلبه ، يمر عنها في وضوح وبيان ، وتري شيئاً من هذا  
المموض في بعض أجزاء القصيدة ، وقد اعتذر هو في أول القصيدة حين قال :  
« ثم إنني أعتذر لمن يطلع على هذه القصيدة في تنهايت بعض الكلمات بأن لي  
أعذاراً شتى ، كالحفاظة على إبقاء روح المعنى الأصلي الذي لا يحى . إلا بذلك ،  
وكمسيق القوافي ، وكشكدر النال بفارقة الأحباب والأوطان<sup>(١)</sup> . »

والقصيدة تنتقل من غزل إلى بحر بمصر ، وربما كان يشير إلى ما كان لكشف  
أمرار قراءه الخط المصري القديم ، بحل رموز حجر رشيد ، من أنه أظهر لحاة  
ما كان لمصر من مجد قديم ، وذلك حيث يقول :

لكن المحر الذي قد تحما      تحت أطلالك القديمة حقما  
قد أربل القناع عنه فهما      ضوؤه في الأنام شرقاً وغرباً  
وعجيب أن مرة قد تبدى<sup>(٢)</sup>

إلى مدح محمد علي مجدد هذا المجد القديم ، إلى انصراف عن الحب إلى المود ،  
ثم تحطيم المود وعود إلى الحب .

ويحسن هنا أن نقل تحليل رفاة لتلك القصيدة حتى تكمل صورتها في  
الذهن ، قال<sup>(٣)</sup> : « ومن القصيدة المسماة : نظم المقود في كسر المود ، للحواخه  
يمقوب ، المصري منشأ ، الفرنساوي استيطاناً ، وقد اعتليت ترجمتها سنة ألف  
ومائتين واثنين وأربعين ، وأخرجتها من طلمات الكفر إلى نور الإسلام ، قول  
صاحبها ، ونظمه للمبد الفقير :

رادي الحال إذ صفالي حاني      وغنائى بالمود والألحان  
باسم ربى ، والسادة الأعيان      وترغمت شجوة بالحسان  
وبسمدى ذات الجبين المفدى

فصنى سمعها إلى إشهادى      ورى النار لخطها في فؤادى

(١) نظم المقود من ٨ .

(٢) المرجع سابق من ١٩ .

(٣) نخمس لإبرير من ٦٩ .

فلهذا شعرى غدا في انتقاد وبدا من حماسه في ابرار  
لنوى الفهم والمصارف يهدى

أحرق المشق فلها كاحترافي فانت تطوى اللطى بالعناق  
فتصامنا ضمة الشناق ونلائما عادة المشاق  
فتفت لتخجل القصر قدأ

شف السمع من رقيق التمانى واستمع يا أحنى صوت الثانى  
يا حلى بالله ، هلاً ترانى أبى قد أحييت شعر ابن هانى  
سد أن كان قد توسد لحنا

وسد هذا بعدة أبيات ، تخلص الشاعر إلى دم المشق وتواضعه ، فقال :  
واحياى ، واحللى ، صار فى أبى فى هوى الملاح أعنى  
رحيم الما كطى أعنى ونأوتارى أشدى وأثنى  
ما أرى هذا للفصائل أحدى

أفأياى كلما لى عقيمة أو مالى عواقب مستقيمة  
بل على طاعة الهوى مستديمة أفا هذه مراق دمية  
أقتى هن لها وأرفض جدأ

أعلى احتساء كأس نصيب خامل غير كافل لأرب  
مع أنى والله غير مربب عمتى ممة الدكى النجيب  
تقص المجد والسوا تسمى

وقال يذم نفسه ، ويوبخها على العزم على مراق عموته ، لاسيما وهى تنادى من فراقه :

ويح عز وسؤدد نشتره بنواح الملاح إاد نشتره  
يا فؤادى سل عند أى فقيه ينفر الدب من قتال بنيه  
لنوال الفخسار ، هلك تهدى

يا فؤادى قد أسلمتكم الأمور وأباحثك متحرراً لن يورا  
أفترضى على الطبا أن تجورا لست أليك آسفا مقهورا  
حيث قديت قلبها الآن قدأ



ومن حمة قوله في مدح أقدما حفظه الله ، محاطاً لمصر في هذه القصيدة :

سياسات فيك أحصى كفيلاً بيد ذات من مضى التقيلاً

عددت في حبيبك الإكليلاً نصرت غصنا فيك حر ذولاً

وأعادت فيك الشبيبة ودّاً

وقر فيها محاطاً لوليّ النعمة حفظه الله ، مشيراً إلى واقعة الهاليك :

هملك الحمر بعدد حسن دكر مستمر على مدى كل دهر

ما عظم حفظ مشتبه ببل مصر فلقد شاه دماً سيف نصر

وعدا في حماك سفق رهدا

هذا ، ومما يذكر أن تلك الأبيات من أحواد ما في القصيدة .

أما أعظم عمل أدنى قام بترجمته فهو كتاب : مواقع الأفلاك في وقائع تلك ،

الذي ترى من الواجب أن نخصه بكلمة :

## مواقع الأفلاك في وقائع تلك

عنوان الكتاب بالعربية Les Aventures De Talemiaque : وقائع

تلك ، واحتار رفاة لترجمته هذا الاسم ، وكأنه يرمز بالأفلاك إلى أحداث الليل

والنهار وهو واقعهما إلى تغييرها وتبدلها .

ومؤلف القصة فانس فرنسي ، يدعى فلون Fenelon<sup>(١)</sup> ، ولد سنة ١٦٥١ وتوفي

سنة ١٧١٥ م ، وكان ذا نفس رحيمة عيور ، التحق بسلك رجال الدين ، وعيّن

مربياً لحفيد لويس الرابع عشر ( دوق دي بورغوني ) Duc de Bourgogne

فاستطاع أن يصير تلميذاً تاماً قسوة حلو تلميذه ، وزوجه إلى الصغر ، وكان يبنى

عليه كبار الآمال عندما يثول إليه العرش ، وله ألف كتباً منها Des Fables

خرافات و Dialogues des Morts : محادثات الموتى ، وكتابه هذا الذي ترجمه

رفاة ، يريد تنمية الإحساس الخلق عند الأمير الشاب ، وأن يري التاريخ الشعري

(١) رجعت في ترجمة إلى Larousse P. 1373 وإلى Lanson et Tuffrau P. 330 .

اليونان القديمة ، كما ملأه بالتهليلات والتقدعير المباشر لحكومة لويس الرابع عشر ؛ وكان نشر هذا الكتاب سنة ١٦٩٩ م ، مما حر عليه عصب الملك .  
والكتاب يحتوي على ثمان عشرة مقالة ، تتحدث الستة الأولى منها عن البطل ، وقد قدمت به العاصفة إلى « كاليسه » التي أحبته ، وأحد يقص عليها وقائمه . وفي المقالات الباقية يصف وصوله إلى ( سالانت ) عند ( إدوميه ) وما حدث من المارك .

أرانا هوميرو أول ( الأوديسة ) بديك ماصياً يبحث عن أبيه ، ثم عائداً بمدند إلى ( إيتاك ) ، وأطال فننون هذه الرحلة ، بأن افترض أن الطفل الشاب : تلماك ، تقوده ( مرفا ) Minerve إلهة الحكمة والعون ، متمكرة في شكل صديقه ومؤدبه : ( منتور ) Mentor ، وتحوب به الحمار مندأمد بعيد — قد ألقت به عاصفة في جزيرة ( كاليسه ) Calypso ، ولقد شمت هذه الإلهة حباً لتلماك ، ورحته أن يقص عليها وقائمه ، وشعرت ( كاليسه ) أن حبها لتلماك قد تضاعف ، وكان تلماك من ناحية قد أحب الحورية ( إيشاريس ) Eucharis ، ولأجل أن يحلصه صرّيه ( منتور ) من هذا الحب أسرع به إلى البحر ، وألقيا فيه بأسمهما ، وطلب الاثنان ممن التقطهما ، وهو قائد سفينة فينيقية أن يقودهما إلى إيتاك Ithaque ، غير أن السفينة محدوعة بالآلهة ، قادتهما إلى ( سالنت ) Salente ، وهي عاصمة لمملكة جديدة ، لم يكبد بفرغ ( إدوميه ) Idomenée من تأسيسها ، وقد استطاع ( منتور ) أن يحبب السلام إلى البلاد ، وقد كادت في حرب ، وإن يشرع في وضع قوانين حكيمة عادلة للحكومة الجديدة ، وهذا الفصل العاشر هو الفصل الرئيسي في الكتاب ، فقد جمع فيه فننون كل أفكاره في الإصلاح من تنظيم الإدارة إلى ترك الترف ، وغير المعيد من العون ، إلى شريف الزراعة ، والعودة إلى البساطة والتقشف .

وانتصر تلماك هو الآخر في معركة حاصها من أجل ( إدوميه ) ، ولما كان مشغول الفكر بأبيه نزل إلى جهنم ، ومضى إلى رياض الجنة <sup>(١)</sup> ، حيث أعدت فيها

(١) ترجم روضة Champs - Elysée رياض الحة ، وقد سربا على ترجمته . راجع

أفضل الأرائك الملوك السالين العادلين ، أما الملوك المحبون للحرب فلهم المقاعد  
الثانوية ، وأخيراً علم من والد حذو أن ( إيليس ) Ilysse وهو والده لا يزال حياً ،  
ولقبه بعض المادى الحكيمه فى فن الحكم ، ولما رجع إلى ( سالت ) أعجب بما  
أدخله منتور من مديلات .

عاد الاثنان ( أدومنيه ) ، وقد وعد تماك بإنته روحه له ، وهنا كشف  
( منتور ) عن حقيقة أمره ، وطهر بظهوره الحقيق ، وعنه بعض المادى الحكيمه ،  
ولما عاد تماك إلى مدينة ( إيثاك ) وجد والده عند الراعى الغلمس ( إيميه ) Eumée .  
كان هذا الكتاب مطهراً لسخط مؤلفه على حكومة لويس الرابع عشر ، فإن  
فنون مسيحيه لم يعمر له حروبه ، وشرباً لم يساعده فى الخط من شأن الأشراف ،  
وفيلسوفاً لم يسر تسبه فى شقاء الشعب ، ولذا كان من الطبيعى أن يث الكراهة  
فى قلب الحميد لأعمال حذو ، ويبدو أنه رمز ( بادومنيه ) للويس الرابع عشر بعينه ،  
فهو برغم ذلك محب للمعروب والترف واللذات .

وإن النظام الثالى لملكة ( سالت ) هو النظام الحكومى الذى يتعلم به فنون  
لعرنسا ، على يدى نفسه ؛ فهو يسمى حكومة ملكية كهنوتية ، يقض على زمامها  
الأشراف ، وتعمل لخير الشعب بلا إمبراف ، بل تتورع عادل للصيرية ، وإدارة  
أمانة للمالية العامة ، وبالعالم الوطائى الثقافة ، وبالمد عن الترف ، والانصراف  
عن الحروب ، فإنها رغم قائدها تكلف الدولة كثيراً .

وما شئ فنون فى الكتاب من آراء سياسية وتربوية واضح غالباً .  
« أما أسلوب الكاتب فمفيد كل البعد عن الصنعة ، ونزع من خيال مشتع  
شعر هومير ، وتملؤه حرارة الإعجاب الصادق بالقدماء »<sup>(١)</sup> .

ترجم رفاعة هذا الكتاب الصخيم يدعنه ألم بماده عن بلاده ، وهو بالسودان ،  
وقدم بين يديه دياجة كشف شيئاً من عقيدة اليونان التى أسس عليها فنون  
كتابه ، قال رفاعة : « ولما جاء الفرنج يخذون فى آدابهم حذو اليونان ، اتحدوا  
الخرافات اليونانية قدوة فى ذلك وأسوة ، وألقوا فيها تاليف تسمى الميثولوجيا ،

وفوائع تماك مشحونة بهذه الأشياء ، وما فيه من الآداب منى على الآداب اليونانية<sup>(١)</sup> ، ونخلص رفاة كذلك في هذه الديباجة القصة تلخيصاً يشوق إلى قراءتها . ترجم رفاة القصة في أسلوب مهل واضح ، وإن ألزم التسجع الراما ، فقد رأى هذا التسجع والصناعة أسب لترجمة هذا العمل الأدبي ، ولكنه سجع لم يخل بوضوح الفكرة ، وهاك نموذجاً من ترجمته :

« وفي حلال الكلام يسأل تليماك منطورا ، ويقول له : « ما المانع من التوطن بهذه الجزيرة التي امتلأت جبوراً ؟ وهل يعيش الآن عولوس ( Ulysse ) فالعالم أنه اقلع البحر ، وحده التيار ، وهذا من مدة مدينة ، وسنوات عديدة ، وأتى حيث طال عليها غيابه ، وغياب والذى بدون إياه وإياي ، لا بد أنها أيست وناث عن مقاومة الطالبين ، وعن مطاردة الراعين ، وعصها أروها ( إيقارص ) على أن ترضى بزواج جديد ، وأكرهما على ذلك فما طلبها بجديد ، فكيف يسوغ أن أعود إلى طياكي ( Ithaque ) وأراها في عصمة روج آخر غير أبي ، خاتنة ما عاهدته عليه فالعود بهذه الثابة ليس من مذهبي ، لاسيما وأن أهل ( طياكي ) قد نسوا ( عولوس ) كل السيان ، وطرحوه في روايا الإهمال بحيث لا يذكره إنسان ، فهل يمكن أن تعود إلا إذا سلكنا سبيل التعريط ، ورصينا بالوت المحقق هناك من معشر هو بالوالدة محيط ، حيث كلهم مرابط بالشور ، ليتحقق لنا الهلاك والشبور .

فأجبه منطور بقوله : « الحب يعمى ويصم ، ويمب ويصم ، وهذه نتيجة من نتائج الشهوانية ، وفعلة من فعلاته التأثيرية الهوائية ، فإن الحب يبعث بكل دقة ولطيف ، في تحسين القبح السخيف ، وتصحيح الضعيف ، وبهذا يتخلص من اللامة ، ويدبر الحيلة في عش نعمة اللوامة ، حتى يداهنها ، ويجعلها راضية مرضية ، ويبدل الحكمة بالأمور السوفسطائية ، أسيت بالتليماك أنك موعود من طرف الحق بالخير ، وأن تعود إلى وضك بدون صير ، وكيف حرجت من صقلية غب المصائب المدة ، وكيف تحولت في مصر أحوالك للرجاء بعد الشدة ؟ وهل

سعى فصل المولى عليك في صور ؟ حيث تمن روعك وهيا لك أسباب المرج  
وأنت محصور ؟! أسد هذا كله تسكر ما أعدده المولى لك من بلوغ اراد ، والموود  
إلى الملاد ؟! ولكن ماذا نقول ؟ فانت لست أهلا للمعروف المأمول ؟ وأما أما  
فمن يحل عن هذه الحريرة حلا ، وأعرف كيف أرتحل وأحد انتقام محالا ، فيأبها الحنان  
الخارج من خير آب عاقل كريم النفس فائق الأقران ، أتعيش هذه الجزيرة عيشة  
الارتقاء والمطالة والخسنيين اسوان ؟ فهل هنا ما لا يرضى المولى ولا يرضاه أبوك ،  
وإذا لم تستعجع ما سنب فهل أولو الحجا إلى أيك في هذا سسوك ؟ <sup>(١)</sup> .  
ولعل غرامه بالسجع ، وطنه له لغة الأدب ، هو الذي حمل ترجمته ترجمة فيها  
تصرف ، ليتأتى له هذا اللون من الصداقة ، ولكن هذا التصرف لم يبر من  
العمى شيئا ، وإن استطاع أن يأتي بمص حل ، كان من الممكن الاستغناء عنها ،  
وسب هنا يممص ما كتبه فلون ، ويغفب عليه بترجمة الدقيقة له ، ثم يأتي  
بترجمة روعة ، ليتبين من هذا المصص مدى التصرف الذي أباحه روعة لنفسه ،  
قال فلون : *Galypso ne pouvait se consoler de depart d'Ulysse :*  
Dans sa douleur, elle se trouvait malheureuse d'être immor-  
telles . Sa grotte ne resonait plus de son chant — les nymphes  
qui la servaient n'osent lui parler . Elle se promenant  
souvent seule , sur les gazons fleuris dont un printemps eter-  
nel bordait son ile ; mais ces beaux lieux , loin de meler  
sa douleur , ne faisaient que lui rappeler le triste d'Ulysse ,  
qu'elle y avait vu tant de fois aupres d'elle . Souvent elle  
demeurait immobile sur le rivage de la mer , qu'elle arrosait  
de ses larmes ; et elle était sans cesse tournée vers le cote  
où le Vaisseau d'Ulysse , fendait les ondes , avait disparu a  
ses yeux . <sup>(٢)</sup> »

أد الترجمة الدقيقة هي : لم تستطع كالسوا أن تتمزى عن فراق إيليس ،

(١) مواضع الأمل من ١٨٤ .

(٢) Les Aventures de Télémaque. P. 1 .



والحرمان وحده يصعب شققة نعيمها ، ولم يعد كنهها : بدد صدى نساها ،  
 هم تحسر الخوريات التي يخدمها ، أن كالمب ، وكانت عاد ، ما تترد وحده على  
 الأعصاب المرهدة ، فقد كان أروع ، ثم يثنى حبيبها ، وسكن هذه الأماكن  
 الجميلة ، بعيدة عن أن تخفف سحب ، ما كانت ، لا شتر دكرها ( إبليس )  
 الحرمة ، فكلم من مره ر - س - ل - ك - ي وهو يكره ، وكثيراً ما كانت  
 تظن ساكنة في ساطع بحر ، ي سقيه بدموعها ، وكانت دائماً تنجبه إلى  
 حيث همس سفيمة ، يسس شوقاً لأموال ، حتى حفت عن طريقها «  
 ورحم ردة تلك أماره نوره :

« كات كاتسه بعد سمر عولوس ( ١١١٠ ) لا يستطيع نصر على قراه ،  
 من سكاك أهوال مسو وسوفه ، وكان عليه سحره متشقة ، حتى كره  
 النقاء والتعديد بعد واهه ، وسكت موت وسجها ، بدد أليه صر مشوقة مشوقة ،  
 وبعد أن كان حالمه وكهوفه تمويه أسوا - ل - ح - ن - ، ويرجم صدى إليها بعب  
 العيدان ، صار لا يسمع قهقريتهم ، وسكت السرور غنده ، ناعم ، والقياس  
 الحسان ، الخادعات لحنها ، سدى بحسن : لإحسان ، عدري هارونيه ، والخور  
 العين الماوية ، أرمس سلوك ، وصحف على سموم ، ما بد صارت بهشي ، حدها  
 في عال الأحسان في الرقص الرقص ، وسيد ص اعية لده ، التي هي دائما  
 كناية عن رهور ربيع مقيم ، ومن معندل مسدده ، لا يملك مخوف ، هذه الحزبه  
 حتما في اسمها ، أي هو أرق من الاسم ، ومع أن خطوط حبيبها من  
 المتبرهنات ، وفي إلهه تحس اسرار ، فكان لا يخفف حراياها ، ولا يسبها  
 ، ساسها ، بل يكرها هده محبوت ، سدى طبا واصلاها هناك ، ووجهه تعقب  
 القلوب ، وفي أكثر أوقاف تقف على العز بهنة متحيرة ، برسه بوابل دمعها ،  
 وما كان أغرره ، شاحصة البصر نحو الجهة التي خرجت منها سفيمة معشوقها  
 الفارق ، وحفت عبا ذات هذا الحبيب في أفق المغرب والشرق <sup>(١)</sup> » .

وعلى هذا النسو سمر في ترجمته ، وأنت تستطيع أن تدرك مدى التصرف

(١) مواقف لأفلاك ص ٢٩ .



أدى بصرفه رفاة ، وثمة تصرف سيمه فوق ألبعة العربية ، ويريد المعنى قوة  
ووضوحاً ، من عند أن ينقص منه أو سوتعه ، ومع هذا التصرف لم يكن رفاة  
رصياً ، يوقف عند حدوده ، بل كان يرى — كما سبق أن ذكرنا — أن يفرغه  
في دس يوقى مزيج العربية ، ويدعوه صاعدة أخرى أدبية ، وبصم إليه  
لمسبب اشعرية ، وصمته الأمثال والحكم الثرية والنظمية ، أى أن ينسجه  
على موال جديد ، وأسلوبه ينقص عن أصله ويريد ، حتى لا يكون إلا مجرد  
أعمود لأصمه الأصيل ، ولكن الراس دونه إلى الاكتفاء ، المحطة على الأصل  
المترحم منه حسب الإمكان<sup>(١)</sup> .

كان رفاة معجزة ، بحسب كتاب وفننه ، ونجد عربيه نبرية له  
عن عربته في السودان ، فقال : « بن عربيه بهمة » ، شكل من في حماك ،  
وليس به مشمل حتى الحكايات متفانس ، وفي ممالك أوربا وغيرها عليه مدار  
التملة في مكاتب واندارس ، فإنه دون كل كتاب ، مشحون بأركان الآداب ،  
ومشمل حتى به كتب أخلاق النفوس الملكية ، وتدابير السياسات الملكية<sup>(٢)</sup> .  
وول في موضع آخر من الكتاب نفسه : « اشتهرت هذه المقالات بين الملل والأمم ،  
اشتهر به على علم ، ورحم في سائر اللغات ، وسارت بفصاحتها الركبان في  
سائر الجهات ، ما اشتمت عليه من انعام الحسنة ، مما هو مصانع للسلاطين  
والملوك ، وبها سائر الناس تحسن السوء ، تارة بالتصريح والتوصيح ، وأخرى  
بإزمار والبهج<sup>(٣)</sup> » .

كما نوه عنه في كتاب مباح لآداب الصربية ، وقال عنه : إنه من أرفع  
كتب آداب والحكم<sup>(٤)</sup>

(١) مرجع - في ص ٢٣

(٢) مرجع سابق ص ٢٤ .

(٣) ص ٢٩

(٤) مباح لآداب نصربه ص ٢٧٩

## ما أشرف على ترجمته

أدت مدرسة الأسنن إليها في كل كتب الثقافة العربية إلى اللغة العربية ،  
فقد أهل الامتياز والتجرحون فيها في حد واحد وحيدة ، به حون في مختلف مواحي  
العلوم ، حتى مع ما ترجموه إلى العربية وبتركية هم وأتدوم هاء أبي كتب (١)  
وقد روينا ذلك عن قديمي بلد في كتابه (٢) يوميات حموية (٣) وفي مقدمة  
كتابه : ( لدرء العيب في لغة العرب والفارس ) (٤) ويقال : " به ترجم  
نفسه وشرافه ما ترجمه على حذيفة كتب (٥) .

واسد في هذا التحصيل به حجة عمة محمد بن شافعي أن طغر في وقف قصه ،  
بالتأنيخ التي وصلت إليها في هذا الموضع ، معتقداً أن هذه النهضة  
الباهرة إنما قامت على أساس من امداد من المصاحف في عتدهد به علم إلى  
لغة أن هي حصة كبرية ، وشي ما لغة شمة مدد به في أسرع وقت ،  
من غير حجة إلى أن عزاه حذر من مره أهل أورده ؛ تقول روعة في مقدمة  
كتب مدانة التمدد (٦) « ومثل هذا من سماء ولي نعم ، حيث إن ما مكث  
فيه الإمبراطور السليم المدد ، والذالمة ، ككسبه في غير من ، مع عية الإحكام  
والإيقان » . وكان محمد بن علي بن كل ما هو معد من المعجم العربية ودكته  
أصحابها ، وقد ترجم به المصاحف في سائر حذيفة (٧) .

ولو أن هذه النهضة في ترجمة المدد ، وكان من مختلف علوم ، كان  
مصطلحات الفقه وغيره من العلوم قد انتشرت مع الزمن ، ولم من بين كتابات  
الجامعة ما يحتاج إلى لغة أجنبية للتدريس فيها .

(١) Encyc . P.1236

(٢) تراجم مصرية وعربية من ١١٢

(٣) محمد الصادق حيدر

(٤) أعلام بيان من ٩٣

(٥) من ٧ . (٦) حيدر في عصر محمد علي من ٣٢٩

وعد أشرف روعة على كثير من الكتب التي ترجمها تلاميذه ، وعثرت على بعضها ، فبدأت بمصنف في التاريخ ، ثم في الجغرافية ، ورأيت كتباً في الطب والبطق والفسحة و... روعة قد أشرف عليها أيضاً ، وبعض ما أشرف عليه كان قد قرأه وهو في باريس .

ومعنى هذا الإشراف مقابلة الكتب على أصله المترجم عنه ، ومراجعتها من ناحية منه ، ومراجعة معربة من مصطلحات ، ومساعدة المترجم في اختيار هذه المصطلحات ، فقد كان التلاميذ ياجئون إليه ليعيهم ، ويعدّهم ، ويسدّد حصصهم كما سمى في معرضه من هذه الكتب ، ورمى اشترك في ترجمة الكتاب الواحد عدّة مترجمين نخص كل واحد منهم بحر ، من الكتب .

في كتب التاريخ التي أشرف روعة على ترجمتها ، كتب بداية أقدماء ، وهداية الحكما ، و... يعرف تاريخ القدماء ، وقد وضع روعة مقدمة هذا الكتاب ، وبين السبب الذي دفعه لاختيار أن يقوم تلاميذه بترجمته ، وأنه الرغبة في نفع العامة به وخاصة ، فالتاريخ « مشير كل أمير ، وأمير كل مشير ، وصحير كل وزير ، وظهير كل سفير ، داسئل أحب ، وأبدى المحب المحب » ، ترتاح به الأرواح العاصية ، ومسح به نفوس الكاهنة ، من الحكما . والأساطين ، والملوك والسلطين (١) .

وفي ذلك تحقيق روعة من روعة محمد علي باشا ، فقد « كان تولمه بالتواريخ سديداً ، وطلعه لأحدر الملوك مدعين مرئداً ، وله في معرفة محول رجال القرون الأولى ، مدّة عزيزة واسعة الطولي ، القرينة بوقادة ، والبصيرة النقادة ، وكان تاريخه مصوراً ، كتب لغربية في لغة فصور ، لاسيما تاريخ اليونان (٢) » .

فم روعة الكتاب بين بعض تلاميذه ، فترجم مصطفى الزرّابي المترجم بمدرسة لأسس تاريخ يونان ، وترجم عبد الله أبو السعود أحد تلاميذه المدرسة الحرف اليونانية ، ورعى روعة أن يسمّى إلى الكتب تاريخ الخليفة مسدّ وجدت ، قد كرّ تاريخ آدم ونيه ، ولأشياء حتى سيدنا عيسى ، ثم تحدّث عن تاريخ قدماء

(١) مقدمة الكتاب من ٣ .

(٢) بداية أقدماء من ٥ .

المصريين ، وعن السوريين ، والسريانيين ، وليس ، وتاريخ المعجم ، وأدريجس  
والهنديين ، متعرضاً في ذلك للحياة السياسية والاجتماعية ، وبأقلاماً من  
كتاب الكامل لأن الأثر ، ويختصر في أخبار مصر ، لأن الهداء ، وعمره ،  
وبذلك أصبح الكتاب « في تاريخ القدماء ، جمع فروع ، وإليه في هذه المادة  
الرجعى <sup>(١)</sup> » وقابل رفاعة ترجمة في أصوله مقابلة دقيقة <sup>(٢)</sup> . وعده في بعض  
ما ورد فيه ، كما فعل عندما وارت من ما كان العرب يدركونه من آثار  
المس من ملائكة وآدبيين ، أوسيون وغيره ، ومن ما كان « يرون منتهى من  
تولد المس من الآلهة والديور <sup>(٣)</sup> » .

حوى الكتاب تاريخ الأقسام معروف ، رحمه ، ورأى تغير كثير من  
الحقائق التي يحويها ، فمن العلم من قدم منى في مدعى عليه من الكتب  
ولكن الكتاب عند ثقي له قيمته في تاريخه

وأما الكتاب سهلة وسهلة ، وهو معجم تاريخ الكتاب ، معرفة بالكتابة  
« مرسى في حروف المعجم ، مصنوعة حسب الإمكان ، وهو مرسى في الوجه الآخر ،  
سواء كانت أسماء بلدان أو ألقاب أو أسماء أشخاص أو غيرها ،  
ذلك ، ترجمة محمد أفندي عبد الرزاق حرر الإلهام مرسى لأسس <sup>(٤)</sup> .  
وقد نقل الكتاب إلى العربية ورفاعة ، صرمة ، لأسس ، ووسع ،  
بولاقي سنة ١٢٥٤ هـ وكان مما يدرس بالمدارس مسموعة <sup>(٥)</sup> .

ورغب رفاعة بعد ترجمة تاريخ القدماء أن ترجم تاريخ القرون الوسطى للإفرنج  
والعرب ، حتى تكمل سلسلة التاريخ ، فاختار لذلك كتباً ، من روعة في مقدمته .  
« أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى رفاعة رافع ناظر مدرسة لأسس ، هذه رسالة  
في تاريخ القرون الوسطى ، سكتة لتاريخ القدماء ، الذي طبعه ولي نعم ، صاحب

(١) المرجع السابق ص ٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٩

(٣) المرجع السابق ص ١١٩

(٤) نسخة مخطوطة - ص ١٩٣

(٥) تاريخ القدماء في عصر محمد بن ٢٢٩

الجود والكرم ، ترجمه من فرسوية إلى العربية مصصق أفندي ارزاني ، وصححه  
المستحقون مدرسة الأسس بداره فقير ، ثم قدمه إلى ضلعه ، وتسميته قرعة النفوس  
والعيون ، سر ما تيسر من خروج « ، شاء شحمد لله ، إلى صحيح في معناه ،  
بافعال من اعتنائه ، عرف به أنحوس قرون المتوسطة حتى المعرفة (١) » .

والكتاب صرح يقع في جزئين ، سلعان : أكثر من سبعة صفحات ، واعتمد  
المرحوم في جزأ كثير من مشكلاته على روضة ، كما وردت في حاشية كتاب (٢) .  
وبما كان اتصال مصر بفرسا يومئذ قويا من حية المتفانية رعا عناية كبره  
من المرحوم تاريخ فرسا : محمد عبد الله أم السعود مدرس اللغة العربية بمدرسة  
الأسس ، يرحم كتابه من العربية إلى العربية في تاريخ فرسا ، يسميه : « نظم  
الآلى في السالك » ضمن حكم فرسا من السلك . وقد أصر بترجمته ، وهو  
يبيد ثلث المدرسة « لأنه كتاب مفيد مختصر ، وفي جميع مدارسها ومكاتبها  
مشهور معتبر » قل ترجمته : « دند لأمر ونظم » وترجمته في أقرب  
وقت ... وعربية مد يوشى بما فيه ، ولا يجعل منه رف عى من يقتفيه ، كيف لا  
وقد صححه ورفه إلى أسسه من حرافع الجند ، والفعال المجيدة ، فأصبح سالم  
أحمد مما شغل ، وأتبعى عاتق من المذرف بما يؤين ، حضرة رفاعة أفندي ناظر  
المدرسة المذكورة ، رفعه الله ، وبلغه مناه (٣) » .

وبدأ الكتاب بذكر تاريخ سكان فرسا الأولين من العال وبتنهي بذكر  
تاريخ ملك فرسا يوم ترجم الكتاب وهو لوس فيليب ، ولست أعرف المؤلف  
العربي للكتاب .

وهو يقع بضم السؤال والحواف ، ولا يراد بالسؤال أكثر من الإشارة إلى  
الموضوع الخرفى الذى يريد أن يتحدث عنه ، وامل مؤلفه قصد من هذه الأسئلة  
أن تكون عوناً للطلبة على الاستدكار .

ولكى تريد فائدة هذا الكتاب وضع مترجمه تاريخاً للملوك الذين حكموا مصر

(١) قرعة نفوس و عيون ص ٢

(٢) ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٣) مقدمة كتاب بصر الآلى ص ٤ .

في مقابلة ملوك فرنسا ، ولكنه لم يتحدث عن ولاية مصر وحكامها اخصيين بها ، بل تحدث عن اهلها ، عن كتاب مصر من طبعها صناعة الفعلية حسناً والاشمية حياً ، وبالولاء الذي حياً آخر ، فذكر حيداً رئيساً ، وحيداً ، بنى أمية ، ونسب العباس ، وتحدث عن الدولة الاموية - لأيوكة ، وباليك ، وسلاطين بني عثمان ، حتى انتهى إلى سلطان عصره وهو عبد شمس بن سعود ، ورأس الأسرة العلوية محمد بن علي بن عبد الله بن هؤلا ، وممرك فرنسا ، وهو يدكر تاريخ حكام مصر التاريخ المصري منذ سنة (١) من سنة المسلمين المحمدية ، السنين الميلادية منذ سنة ١٣٠٠ من الهجرة ، فيذكر كل سنة هجرية ما قبلها من ميلادية حتى سهل معرفة المسلمين ، من ملوك العرب والعجم .

وترجم حسن فاسم ( الخواجة ) وترجم مدرسة لألسن في تاريخ ملوك فرنسا ، آله ( الخواجة ) موفورس امر - بن و « آله موفورس » المعارف الوفية ، شريف باش مدير عموم الادارة ، و « آله موفورس » المعجم ، مدير عموم المدارس ، رهم زعم . بقرى - طعة ، و « آله موفورس » دمة حصرة ادب الشاركة ، مكاهة وفاء في قطر دهم ، و « آله موفورس » هذا أمر بترجمته دلت في دلت المهمة ، و « آله موفورس » و « آله موفورس » التعريب ، لخطه خط المصحح و « آله موفورس » دمة بيت مصر مدرسة لألسن وقلم الترجمة ، فشيد مني لادته وحكمه (٢) « و « آله موفورس » كتب أن مترجمه لم يصح له عنواناً مستوعباً ، كسبح معصم امير حبيب في عصره .

ورخ الكتاب ، ملوك فرنسا من منذ ملكهم إلى ملك فرنسا امير مؤلف والمترجم وهو لويس غيب ، ويسر كسبه على - مؤلف و « آله موفورس » المؤلف عقب كل فصل أو عدة فصول - حوارث فرنسا - حوارث امير ، وذلك مما يساعد على وحدة تاريخ ، ويربط حادثة معصم بعض في ذهن القاري .

(١) ص ٢٨٨

(٢) تاريخ ملوك فرنسا - ص ٢



ويظهر أن كل كتاب ترحمه في تاريخ ، كتاب ترحمته تهدف إلى غرض معين ، ويراد به جمع المجتمع ، وإسيره إلى مرقى سكين ، وكار نجاه محمد علي وشعبه قراءه التاريخ ، عيش لمرحبين على اختيار الكتب التي تتفق مع ميوله ، وبعيد الشعب ، وتوجهه إلى فنان العظيم الصلحة ، والطريق المعهود للرق ، والتقدم فاختير كتاب يجمع بين المحدثين ، وهو كتاب تاريخ لإمبراطور شارلكان<sup>(١)</sup> ، وعهد ناصر ترحمته إلى أحد أبناء مدرسة الألسن ، وهو حبيفة بن محمود ، وهو كتاب صرح يقع في أربعة أجزاء كثيرة ، حصص أولها لسان الحجة التي كانت عليها بلاد أوربا قبل حكم هذا الإمبراطور ، ول مؤلف الكتاب : « ان كنت أعلم أن من فرأ تاريخ شارلكان لا يستفيد منه شيء ، لأنه كان له إلمام بالحالة التي كانت عليها بلاد أوربا قبل حكم هذا الإمبراطور ، جعلت به مقدمة تمهد لقارئه طريقاً يسلكه في هذا العرص ، ودكرت في تلك المقدمة مع الإيضاح ، جميع الوقوع والحوادث التي كانت تدور في القرون المتوالية ، التي اعترت حاله أوربا السياسية ، من مدة اثنى عشر دولة الرومانية إلى انتهاء قرن السادس عشر ، وسميتها بتقديم الجمعيات لبلاد أوربا ، وذلك لأنني أودعت فيها قدّمات الجمعية الإفرنجية وتحسين شأنها ، فيما يخص تدير البلاد الداخلي ، وشرائعها ، وأخلاقيها ، وما يخص القوى العسكرية المدّية اللامعة تشجير الأعمال واشروعات إخراجية ، ويبس في تلك المقدمة أيضاً القوانين والأصول السياسية التي كانت تلهوول السكرة من أوربا في أوائل حكم شارلكان<sup>(٢)</sup> » .

أما تاريخ شارلكان نفسه ، فبملا ثلاثة مجلدات أخرى ، وقد اقتصر المؤلف في هذا التاريخ على ذكر الوقوع الكبيرة التي عمّت تأثيرها بين البلدان ، حتى إنها

(١) شارلكان Charles Quint ابن ملبب الجبل ، ولد سنة ١٥٠٠ وصار ملك أسبانيا سنة ١٥١٦ ، وإمبراطور أسبانيا سنة ١٥١٩ ، وسيد ممتلكات إسبانيا ومستعمراتها وضم من إيطاليا وفرنسا ، وكان يعلم جينا أن يحكم العالم ، ولكن حروبه الأربعة ضد فرنسا ، أدركت ضعفه ، وهددته لحروب تشرب عن عرشه ، وأخيراً إلى أحد الأديرة حتى توفي سنة ١٥٥٨ . اهـ . Larousse P. 1274

(٢) إتحاف الملوك الألبا من ١١

لم يزل إلى الآن مؤثره في حبه أوربا<sup>(١)</sup>، واختار المؤلف تاريخ شارل كان، «لما أن في مدته حكمه، نحدد بين ممات أوربا مذهب سياسي سمع الدائرة، بحيث أنه من مدته حكمه أحدث كل دولة مبرة معلومة بين الدول لم يزل تشعلها من ذلك الوقت مع شديد ثبات، وكبير صمود، يريده مما يسادر من اطع على الانقلاب والتغيرات الهولة، السبعة عن من نكثته داخلية، والحروب الكعرة الخارجية، التي حصلت في ذلك لوف، مري الحوادث عظيمة التي حصلت إذ ذاك لم ينقطع إلى الآن مدخلها في حياة الأمم لإوحدة، حتى إن لأصول السياسية التي ترتب عليها لم يزل مؤثره تأثيراً عظيماً في حياة أرواحنا، ورتب على تلك الحوادث أصلاً كبيراً يتعدى بين الميثاق ونفسها، ولم يزل هذه الأصول تؤثر في مصالح ولأمن سياسية التي يعقد الآن في دواوين أوربا، وعلى ذلك يمكن أن يقال: إن القرن الذي حكم فيه الإمبراطور شارل كان هو أول زمن حسن به شأن السياسة في بلاد أوربا، وأسد بسلكاً حديداً<sup>(٢)</sup>».

كتب تاريخ شارل كان بالإنجليزية سنة ١٧٢٩ م<sup>(٣)</sup> مؤلف بخمسة هو روبرتسون<sup>(٤)</sup>، واستقبله عمه، عصره استقلاً حوزاً، وأرسل إليه فوترامبرسي رسالة انتهى عليه فيها<sup>(٥)</sup>، ثم نقله من الإنجليزية إلى العربية سوارامبرسي، وعن هذه الترجمة نقل إلى العربية<sup>(٦)</sup>.

أما الذي دعا إلى ترجمة هذا الكتاب فيجمله مترجمه في قوله: «كنت أربع الرغبة التامة في تعريبه لأنني أعلم أنني لم أفسق ترجمة مثله، كيف وقد جمع بين عرصتين مهمتين: أحدهما تاريخ الإمبراطور شارل كان، والثاني: كشف القناع عن الحوادث لعظيمة والاضطرابات الحسيمة التي حصلت في قسم عظيم من أقاليم الدنيا، أعني قسم أوربا، وكان في أقطار درجات التبرير والتجشع، ثم صار في

(١) في كتاب الملوك الألمان ص ١١.

(٢) المرجع السابق ص ١.

(٣) المرجع السابق ص ٢.

(٤) المرجع السابق ص ٦.

(٥) المرجع السابق ص ٧.

(٦) المرجع السابق ص ١٣.

أكمل درجاة الرفاهية وتمامها . وعمل دراجات من خدمته ، ووفقت على أسرار حقيقة ما فيه ، معنى الأسرار من تسلك بهم سبل الأحرار ، فأخرجها من حيز العقال ، وهاجر إلى سائر سبل الإصلاح والتقدم لتعود كما كانت أعظم منه <sup>(١)</sup> « وهو أيضا مهم من أراد معرفة رازقها ، وهو من سياسة أصولا وفروع <sup>(٢)</sup> » ويقول في مقدمة كتاب تحف المؤيد لأسرة : « فكان إدخال في أمانة العربية من أعظم نعم الله ، ولا سيما من أحدهم لأعظمه ، أي بسبب ملك حسن العربية واعدن رغب الإصلاح حتى مثل هذه الوقائع ، وهو ما لم يدركه ، وإطلاعهم على هذه المسألة <sup>(٣)</sup> » .

ترجم حصة محمود كتاب ربيع شاركان في أربعة مجلدات ، كما ذكرنا ، ولأن الجزء الأول منها ذو أهمية خاصة ، بحثه في مسائل الاجتماع صارت مسندته إلى الكتاب ، سنة مقدمة ابن خلدون إلى المجلد <sup>(٤)</sup> ، وقوده ترجمه بمون خاص هو : « تحف المؤيد لأله بتقديم جمعيات في الأدب » ؛ ثم سمي « ربيع شاركان » مجلده ثلثه : « تحف المؤيد » ، ربيع الإميراضور شاركان « والمترجم في الجزء الأول ، لأنه معروف ، وأقدمه رفعة من جهد في تصحيح كتاب مقابلة بأصله ، وتقوية مخرجه ، يد تقول في الجزء الأول ( وهو المقدمة ) : « وحيث إنها تأمل في مساوية من مستقدمات التأليف ، ومختصرات التفاضيل ، استعملت في تدليل صاحبها ، وكشف قوامها ، بمراجعة من لسان القلم في مدحه ووضعه قصير ، ومن في في مدحه شائع مقول ، فيها هو آت بيسير من كثره ، حصره رفعة في مدي مدرسة لألسن حين لتوفيق والحاجة إلى ذلك ، وهو أيضا ، أي صححها على أصله ، وفاديا كل المقامه <sup>(٥)</sup> » . وفي موطن آخر يتحدث عن الصعوبات التي كانت حادثة رثيائه عن عزيمته على ترجمة هذا

(١) تحف المؤيد لأ من ٦ ساجد

(٢) لم جمع سابق عن

(٣) من ٣

(٤) تحف المؤيد من ٣

(٥) تحف المؤيد لأ من ٣

الكتاب الصالح الصب ، يقول : « وكن عرنى الرجا والأمل ، وتمت  
الحصا ورى ، حيث كان لى نمت من ترجع ربه ، وصندة تحرر فى هذا الشأن  
أعول عليه ، كيف لا ، وهو بحسب الصب ، الأملى لأرب ، من هو لمت  
المشكلات قرب محب ، رفاة نمدى رافع ، لا رل به صهور المدفع ، عمن  
من حلّ مشكل العتير ، حلّ فوق العرفدس <sup>(١)</sup> »

ومن ديت « كتاب الزوص لأهر فى ربيع طرس لأكر » وقد طلب  
رعدة لى أحد الامده وهو أحمد بن عبيد جهاون أن ترجمه ، وهنا يحسن أن  
نقل بعض مقدمة ترجمه ، لرى فيه زريعة فى الاميدة ، وجهده فى كانوا  
يهيئون به من كتب ترجمه ، فى : « فى ما اعلم بدفعه وأمر . . .  
ألقى مدرسة لأس . . . كتب عن رة مدرسة لها ، وناسج موالده ،  
حصره لمولى لى شهد فعه غرر سكوا ك ، وحقت فعلة لسة الماف  
المؤبد رعاة الملك مدي ، ستمد رعاة مدي رافع مدي ، . . . فاحد ردى  
كبرى ، من حسن حلى وسبرى ، وبعث برساده من العمل امر ساوية  
وامرية ما يحتاج لى مديته . . . فعد أن رى فى التليم حسن حلى ،  
واحهادى فى بيل املى بن مشلى ، قمى رة المؤبد ، وحرمة المصد أن  
ترجم كتابه من كتب المارح ، فاحتر بارح ملك من موك الإورخ ، نلوه حته  
سهم على المربح ، وهو ازح حصر من الأكر ، الذى فعلة بن ممانث أوربا شهر  
من أن يدكر ، فحدث أمره باطاعة والاقيد ، وشترت عن ساعد الحذ  
والاحتباد ، وشرع فى نقله من العرساوية إلى العربية ، مع إاعته لى فى حل  
مشكلاته ، وما عر عى من عوامصه ومعطلاته ، لاسيا ومؤفقه من كبار الفلاسفة  
الإفرنجية ، وهو الفيلسوف الشهير المسمى قولتير ( Voltaire ) <sup>(٢)</sup> الذى عاص من

(١) المرجع السابق ص ٥ ساقه

(٢) ولد سنة ١٦٩٤ وتوفى سنة ١٧٧٨ وتقم حياته قسمين ، بعد عى بن سنة  
١٧٥٥ بالأدب بحصه وبعس عدت فى بحسه وبه مؤفحات شعره وأبيبه وترعة وفسه .  
وترجمته فى كتاب . Man II, d'Histoire de La Littérature Française P. 388

بحار الفلاسفة أى لجة ، وبعدئذ من كارتش أعظم حجة (١) ، فأتى تسمع  
اعتراف أحد تلامذته بمصلته ، وبنى بعض ما كان عليه روعة من جهد في اختيار  
الكتب الصالحة ، التي ترى فيها نموذجاً قسدياً في جهوص بلودين ، فيكاف  
تلامذه برحمته

والكتاب ربح مستفيض في ربيع مارس الأتري ودولة اروس في عهد  
وودت مراجعة روعة ، وهو بطرف م ترجمة ومدرسة الألسن ، وإن كان  
طبعه في عهد عدس سنة ١٢٦٦ م .

ولاريد أن كتاباً يؤممه فرنس ، حيدر باشة والتقدير ، وأن بعد من حذر  
المراجع عن الشخصيات المذكورة .

وأمر مدير المدارس ومفتي تحت رات ترجمة كتاب ربح كرتوس الثاني  
عشر ملك السويد انتون سنة ١٧١٨ م ، ورعى كتابه لدفع على مدرسة ما انتار به  
هذا الملك على صغر سنه من حوص مدرسته من اودع ، وأربعة في معرفة  
الربح ، ولا يذم من الأعضاء ، ويعرف به ، وقد وكل مدير مدرسة  
الألسن رفاعة اهدى ترجمة هذا الكتاب إلى محمد مصطفى ( مسدوش ) بمدرسة  
الألسن ، « وبنى اسمه في اهدى حيدج ، وكذا حيدج تهابت وانتيج ، وكشف  
القناع عن مسدوش اهدى ، وقد كان اسمه موارية الخجاب ، هو رب المصاحفة  
والبرعة ، وقرنحة في هي اهدى اعملا - سنة مطواعة ، كيف لا ؟ وهو في  
المعتين سداق عاب ، وصاحب كتاب ، مدير المدرسة المذكورة ، التي بالمعات  
والعوام صار - معروفة مشهوره ، حيدر روعة اهدى ، حيلة المعيد المدي ، وقد  
صنعت هذا شعوب الذي يروي اهدى ، ويوجب الناظر « بمطالع شعوس السير في  
وقائع كرتوس شاني عشر (٢) » .

(١) من مقدمه كتاب من ٢ و ٣

(٢) من مقدمه كتاب من ٢ و كرتوس حيدر من شرب حادي عشر ملك حوي

ود في سنك ١٦٨٢ م . كد تسم مقدم ملك عد بومه من برشد حتى قصر  
على ملك مدقش وني بروس ومفت و . . . . . حيدج ربة من لأكر ملك بروس  
مرة أهدى - . . . . . وسطر في لأكر من . . . . . في سطر في سعيد  
لاده لود سنة ١٧١٥ و . . . . . سنة ١٧١٨ ، ودمت معه أهدى له سنة . . . . .

وفي مقدمة كتاب التجميع عليه ما يشير إلى الهدف من وراء تحريره ،  
 إذ يقول معبراً : « بعد تعريب وثق ، وهدب رثق ، اكتب - من صعب كتب  
 التاريخ العرساوية ، معتنى به عند سائر من لا يفرح به ، بل بعينه كل أمة  
 تميل إلى الجهاد ، لما فيه من الوثائق الخيرية ما يفي سراد ، فكيف ومنه يستفاد  
 غرائب وقائع ملوك الإفرنج لك ، الذين جاهدوا في معارك ليدين كل خمار ،  
 لاسيما ملك ، سوح كرتوس اثني عشر في المائة لقيصر موسمو : بطرس  
 الأكبر ، ومن بعد بعض محبين ، وقد وفائع مع سبب تقديري ، عرفت أن  
 عرواب ولي نعم مرآة سطع فيه تجميل ودفعه الضحية ، ومشكاة بسبب مصباحها  
 عن لوامع سيوفه الناصة ، ولما أهريقته صاحب مصر ، بدره اعصر (١) » .

وهناك ما علو به لترجم حتى سره عدا لك ، مما يدل على روح نقدية حارمة ،  
 وعلى أن بعض الترجمة م كأول الآلات على خشب ، ولكن به كارتون  
 وستقطلون ويربون ، قال « هناك كتاب مينة دي سوكه قوته ، كرتوس  
 الثاني عشر ، ملك البلاد الإسوجية ، شرب كأس الميوز صرفاً ، وقد بلغ من العجز  
 سناً وثلاثين سنة وسبباً ، عد أن حار من السعادة منتهى ، وكابد من شدائد  
 السمكات أعضائها ، من غير أن يكفه الأمل رجولة ورجولة ، أو رجل عنه  
 الثمانية ، وهن والهوان انهوه وسبوه ، كات منبروعة خشنة ، وكيفية عيشه  
 عربية ، حروف المدد من يدعي ، ، ووجدت الحفلا مع تاملاتها ،  
 وهو الذي امتد إلى الآن عن المدد وسبب من سوكه قوته وسبب  
 اليأس ، تحذر الحد في مسائل لأهل ، حتى تد في خطر كصتها من دميم  
 الحاصل ، فإنه لما أفرط في شرب وتسميم ، كان ذلك من باب المواد المدمية ،  
 وأوجب له ... حول السمكات ، وترب عليه من أهم بلاد برز حسن سواب ،  
 ولما بلغ كرمه حد التبذير ، آلت بذلك مملكته إلى تفتيس والتدمير ، ولما تجاوزت  
 شجاعته الحدود ، أفضى به ذلك إلى أن ثوى بالبحر ... وهو أول من أولع بفتح  
 البلاد من غير أن يطمع لمملكته في الاتساع والازدهار ، فكان يرعب في فتحها



لنحة غيره ، ثاراً لبشر شهره وخرجه ، وقد منعه تواقفه بأعجار ، ووطر رعته  
في قتال عدوه لأحد ثاراً يكون صاحب سيادة ، وتدير وجره وكياسة ، مع  
أن يحتاج بدون ذلك لا صغر ، وبعد عنه صرمة وتعدر . فهو حري أن  
يوصف بالأفراد ، لأنه عظيم من العدد ، وحديث ثاراً بتعجب من أفعاله ، لا أن  
ينسج على منوانه <sup>(١)</sup> .

وم يذكر المرحوم اسم مؤلف الكتب وجمعه في <sup>(٢)</sup> .  
وكتابات أخرى لأثره . جمعه ذلك المصنف الذي وصف فيه ، بوله المصنفه تهمس  
أسباب الكمال ، وتتجمل على الحق ، وهو الكتاب الذي آتاه العالم العربي  
مونتسكيو <sup>(٣)</sup> ( Montesquieu ) ونحوت فيه عن أسباب ازدهار دولة الرومان  
وخطابه وسمه ( Considerations sur les causes de la grandeur  
les Romains et de leur declin ) .

وقد قام أحد الممثلة في مدرسة الألسن ، وهو حسن بن الحسين بن محمد  
بلى العربية بهوان « بهن الدين » ، من المرحوم ، في استكمال واحتلال  
دولة الزمان .

وقول المرحوم في مقدمه . جمته <sup>(٤)</sup> . « ثم بقي من العمل على مراجعته ، حصل  
الكتاب ، الكامل الأرب ، الذي فهمه ، الأكثر عنه ، الذي ردهه أمدي ،  
حفظه العبد المدي ، في حل بعض مشكلاته ، ووجد ما عسر على فهمه من معملاته ،  
وعمل في جامعة كتبه « كان يقول في ترجمته ، « رقي فهمه إلى مبيع دروه  
بالأحمة والنوصح ، وبنية وتصحيح ، على صاحب الآثار الوطنية ، الأثر  
الشهير ، الذي حووه ردهه <sup>(٥)</sup> » . ولما درى أن كتاب هذا هو الذي  
شار إليه ردهه ، وهو يعدد آثاره العلية في قوله :

على عدد التواتر معراني في مئون سـ أو جهاد

(١) . جع - في ص ٢٥١

(٢) . جع man. II. d' Hist. P 388

(٤) ص ٨٣

(٣) ص ٤

وملظفون يشهد ، وهو عدل وموسكو نفر بلا عباد<sup>(١)</sup>  
فإنى لم أعتز على اسم كتاب نوتسكيو ، ترجمه هو أو تلامذته غير هذا  
الكتاب ، لكن يعكز على ذلك أن فرع مترجمة من عدم حبيبه وتصحيح  
ترجمته وتهذيبه<sup>(٢)</sup> كان سنة ١٢٩٠ ، وذلك لتسببه نبي تحدث فيه عن آثاره  
العلمية ، أنشأها وهو في السودان (١٢٦٧-١٢٧١ هـ) ، فهل كان حديثه عنه ،  
لأنه أشرف على ترجمته أن ما ترجمه في عصر محمد علي ، كما دل على ذلك  
مقدمة الكتاب<sup>(٣)</sup> ، وإن عدت كتاب آرموسكيو ترجمه روعة ، كما قيل من  
ذلك — كما أميل إليه — لا بد من الرأى يقول : « إن الأستاذ الشيخ  
عبدالكريم سلون رسالة<sup>(٤)</sup> يقول فيها : « به سمع من من روعة من أن ماء عرب  
موسكيو » ، ورأيت في عصر روعة من أن قد دلت<sup>(٥)</sup> ،  
ولست أدري أى كتاب ترجمه موسكيو ، فبه عدة كتب وترجمه روعة  
وهو في بار من كتاب روح الشريعة La Esprit des Loix ، منه هو الكتاب  
الذى ترجمه روعة

وأب ترى من كل ما ترجمه بعض لأخوات في ترجمة كتب التاريخ :  
بين تاريخ دولة ، أو تاريخ شخصية عظيمة ، وهي تسمى في حلقها إلى معرفة  
الأسباب التى مهتت بأوربا حين وصلت بها إلى عصر النهضة الأثرية ، تلك  
المهتة التى رعب محمد علي أن سأل في عصر الأوف ،  
ومن كتب المعرايم أن ترجمه روعة كتاب « كبر محمدي كشف  
الأراضي والبحار » ، ألفه أحد مشرقى الأوف في عصر محمد علي ، ويقول  
صاحب كتاب حركة الترجمة : « إنى نقله إلى العربية هو يوسف فرعون<sup>(٦)</sup>  
وسكى رحمت إلى الكتاب ، فله أحد سيئ عن المترجم ، ولم يشر به بشيء ما ،

(١) مناهج الألبان مصرى من ٢٦٦

(٢) برهان لندن من ٨٣

(٣) من ٣ .

(٤) ترجمه نصها بكتاب مناهج الألبان من ٤٩ :

(٥) عصر محمد علي من ٥١٤ .

(٦) سى ، عنه وعن آثاره مكتب حركة ترجمة من ٥٦

بل يذكره في حقه ، واحده حسب طاقته في تليجه ، وصياغته صياغة  
عربية ، بعد أن كانت عبارة مبطنة حسنة<sup>(١)</sup> ، وقد طبع أول ما طبعه<sup>(٢)</sup> ،  
وذلك مما حجب أن يوسف وعاون م ترجمه ، وأن المشرق مصغه بهذه العربية  
السقيمة التي نكده ردة .

والكتاب مختصر في العلم ، مراراً بل مقدمة في فناء الأرض ، وخمسة  
فصول في حكمة وربما وآتي ، وقته ، وأمركا ، وإبراهيم ، وحكمة في أمور  
تعمق دلالة لأرضيه عامة . وهو مؤلف على طريقة السؤال والجواب ، وثلاثة  
لست متبينة على الطريقة ، قيمة لسؤال ، بحيث مثله في نفس السؤال ،  
وهي تؤدي عمل أعمالي الخيرية ، وهذا نموذجها :

س : ما هي الحدود الكائنة بين أوربا وأفريقية ؟

ج : بحر العرب .

س : ما هي الحدود الكائنة بين أوربا وأمريكا ؟

ج : بحر الهند وهو المحيط الهندي .

والكتاب صغير في حجمه ، موجز في أسلوبه ، مشهور في معلوماته .

وساعد أحمد<sup>(٣)</sup> حسن الزبيدي من بلاد أهد ، وورد مدرسة طلب حكي  
ومعها ، شاء أن يربط ديوان المدارس في حيد الكتاب يقوم ترجمته حسب تقنيته  
القول والرسم ، فمقدار في كتابه دراسة لأولية في الجغرافية الطبيعية ،  
أي أنه فيلكن لا مرسوم<sup>(٤)</sup> . ومن ثم كان حسن الخفاة عجيباً ،  
وتم به ما وبتدريجاً ، رغبة في توفيقه في التثنية ، بلاد كثر ، ونهجه هو ذلك ، لست  
في ترجمتها إلى العربية سوى صناعة ، لأنني وبين كتب درست أصول الجغرافيا  
في أوربا ، لأنني لم أجد صراحة ، فحسب أن لا مرد له إلا بعد هذا الضل ،

(١) كتاب مختصر ١٤٣

(٢) المرجع نفسه

(٣) ترجمه وآراءه كتابه ، آداب اللغة العربية لخوري زبيدي ج ٤ ص ١٦٥

وكتاب حركة ترجمة مختصر ص ٦١

(٤) دراسة أولية ص ٣

والسند الكامل ، حديق المسب ، والسحر السحب ، رفعة أفندي ، معلم الجغرافية  
الصينية ، ومن به في هذا . عن أن ليف ، إبراهيم الهية ، فأعرضت للديوان  
أن لا بد من مقابلة مع هذا المهم . فأحب لي ذلك ، وبلغ من سؤال إبراهيم ،  
وقابلته معه على أصله مع غاية الانتباه والإيمان ، تحرياً في الوقوف على المعنى المراد ،  
وفي بده البان<sup>(١)</sup> : وكتاب مكوّن من أجزاء : الجزء الأول في علم الملك ،  
وأخره الثاني في أخوة ، وثالث في مياه ، ورابع في طبقات الأرض *Géognosie*  
والكتاب معدّ لتلاميذه المكاتب ، وان رتب من حيث يميّن إلى اكتساب العلوم .  
وأشرف رفعة على ترجمة كتابي رحته : ثم أولهم فكتب سياحة في أمريكا ،  
ألفه ، لم هري مركاتم ، هدف فيه سياحته تلك البلاد . وقد صدر أمر من ديوان  
المدارس بتعريبه ، فأحب أن يرفعه له بعد<sup>(٢)</sup> ، فقام هو ومحمد فطحة العدوي  
صحيح ، كيه وفتح شبيه<sup>(٣)</sup> ، وحدث كتابه فدلّا عن مشاهد .  
مؤامره حدث هو لا عن السفر . كتابه وأحاديث قدم ، أهلها  
وأما شبيه فكتب سياحة في الهند ، ألقه ( م . تولد ) ، ولما صدر  
أمر ترجمته ، أهد رفعة به برعم مصداق المشهور بالسبع الصغير<sup>(٤)</sup> ، يبقته  
من المسمية بن المنيّة ، وأشرف رفعة على هذه الترجمة<sup>(٥)</sup> ، والكتاب يصف  
ما أهدته مؤامره ، بعد عديم . حلّ باسم سنة ١٨٣٧ م . فحدث عن جغرافيتها  
ومدنها ، ومنازلها من مياض وممرات ، وآثار وبيوت وعمرات ، عن العوائد  
المعدية ، والحجج الآخرة والأولى . فله كتابات ونحوها ، وصلة الهند  
الأحاديث وغير ذلك .

وفي الفلسفة ، أشرف رفعة على كتاب : شرح العلاء ، الذي نقله إلى اللغة  
العربية عبد الله بن حسين أحد الأئمة مدرسة الأئمة ، وقد أراد مترجمه أن يكتب

(١) المرجع السابق ص ٢١٠

(٢) سياحة أميره ص ٣

(٣) المرجع - ص ١١٩

(٤) سياحة الهند ص ٣

(٥) المرجع السابق ص ١٢٢

عمله رصاء حديدى لأكرمه ، دى احسن ، به بحسن التربية وأعم (١) ،  
واقمن في مشكلات الكتب وتحرير رحمتها ساضر امدسة (٢) .

، كتب - عرص موحى لحياء شهر فلاسفة اليونان وآرائهم ، بذا ترجمه  
طائس اسطى انونود في امة الأمل من لأولمباد الخامس والثلاثين ، أى قبل  
اسلاد - حوسنة ور من سنة (٣) ، وحتمه مرسج رسون ، ومن بين الفلاسفة  
، من ترجم لهم سفراء وأفلاصون وأرسطو وأبيقور .

وثر في عرب كتاب في المنطق ، وصححه ، وقد قام ترجمه هذا الكتاب  
أحد - مده - لاس حينة بن محمود . في مقدمة كتابه : « لما تحدثت  
الأسس مدرية . وكاتب في أصول علوم ومروغ الترجمة مؤسسه ، وكنت من  
مره الامم - مدين خمة في بحسن مرعوبات ولوى النعمة ، فتعلمنا ما يتر  
به خلاق لموقفه مدير من مدرسه في مزيد اجتهاده معنا على الإطلاق ، أعطى  
لمع من كتبته تعريبها وتبسيطها ، فكان من جملة ما أخذته رسالة في  
علم الخلق ، تكميلها بحديث مقبل لأصلية ، تأليف المصنف دوسرسية  
( Durandus ) مرسوى ، وسميت بعربها ( توير اشراق بعلم اسطق (٤) ) .  
والكتاب بعد دراسة له في بين الروح والجسم ، ثم يشرح عمليات العقل  
والصور والقدس والافس والاستقر ، واسفسطة والوانها .

وفي طب بيطرى راجع ردهه كتاب آفة حكيم باشا أمون ، الذى نليت له  
مررة البيطرة ، ورواه بها ، ثم ترجمه إلى العربية يوسف فرعون ، وسماه  
( الموصيخ لأعصم شريح (٥) ) ، والكتاب يتحدث عن خواص الحيوان :  
من حيل ، وحمر ، وبعث ، وبقر ، ومعر ، وطيور ، وغيرها ، ويتحدث عن  
أغصانها ، ووظيفة كل عضو فيها ، وسمي الكتاب ، وفوق بأصله « صدر أمر

(١) تاريخ فلاسفة ص ٢

(٢) مرجع سابق ص ٣

(٣) مرجع سابق ص ٤

(٤) مقدمة كتاب ص ٣

(٥) مقدمة كتاب ص ٣

كريم ، من رؤس ديوان الجهادية بأن يقامه كل من الفاضل البارع ، رفاعة  
أفندي رافع ، والجناب المكرم يكشنى هرعان . صادرا بالامتنال ، وقابلا مقابلة  
ليس لها مثال ، مع معان المطر ، و بصاح ماحي واستتر ، فعبار هذا الكتاب  
مرتب الله في ، مهذب المعالي <sup>(١)</sup> .

وألف الطيب خيرارد رئيس المدرسة مطرية كتبه في أمراض قدم الخوان  
وترجمه إلى العربية الخديق محيب ، « اجتهاد في تحصيل المصالح ، محمد أفندي  
عبد الفتاح <sup>(٢)</sup> ، أحد شيوخ دار العرب ، ابن أرساء إلى بلاد أوربا ، تعلم  
ميكورون به الفضائل والرتب ، ووجه على أصبه عمده المصالح ، والحجة السكامل  
من لاسارعه في المصاحبة والملاعة مدرع حصرة رفاعة أفندي رافع ، وسمى  
الركبة بعد ترجمته ( تحفة التلميذ في أمراض القدم ) وكتاب يشرح أقدام  
الجوانات ، ويدرس ما ينور من الأمراض .

ورأى جمل محمود أن كثيرا من مبين المراج قد ترجم إلى العربية مع ما قد  
الرعاية ، فأخذ في ترجمته كتاب كثير في هذا ، عن سبع نحو أربع مجلدات <sup>(٣)</sup> .  
وترجم كتابا مختصرا أيضا ، مقدمة لهذا الكتاب الجديد ، « وكان ممن نظر إلى  
هذا الكتاب من الأعسر ، كي ، و قطوفه ، وحتي ، حصرة مطر مدرسة  
الأسن ، الطالب لها ما يفتون ، ونحسن ، فلا بد أن يرجع قدرها . فعة ، وأن  
يسمونه إلى أعلى يفاع الرعاية <sup>(٤)</sup> » ، قال ترجمه ، « قصد من هذا الكتاب  
تقريب هذا الفن لطلاب ، بيت حنيفة على ما واه . لأنه بعد تعليم الملازمة  
ما في شواه ، مع صدر حجه ، وخزارد عده ، فيفس منه أهل هذه الأمصار  
كافية لرعاية الإفراج ، المهر شطرنج ، و هو شكل كتب المسون لإفراجيه ،  
الترجمة إلى العربية ، حيث كان هذا الكتاب ، أول مطبع في هذا الفن المطب  
وسميته ( كنز الرعاية في مسدى من رعاية <sup>(٥)</sup> » .

(١) المرحوم . بي غه

(٢) شيء غه في كتاب حرة ترجمه من ٦

(٣) كبر رفعة من ٣

(٤) مرجع سابق غه .

(٥) المرحوم سابق غه .



والكتاب يحدث عن رغبة الأرض وصرق صلاحها ، وأنواع المرواح  
والحيوانات التي تدور ، رزاقه ومجده : كالحيل وجمده ، ميله وانحرافه ،  
وعو سي في - مؤب والحواس - والسؤال في الواقع يقوم مقدم عنوان حرفي  
في الفصول ، وهناك نموذجاته :

السؤال : ماهي لأوه - مسألة مسغية .

الحواس . هي ووه الصبح ، بعد رواة كشافة الله ، وفي العشية ، قبل  
رواة الخيل ، فمما يد كان يوم عتي فلا أس سوي في نى ساعة (١) .

دلت ما عثر عليه مما شرف روعه في ترجمه ، فراحته ، وقاله بأصله ،  
وأنت ترى من ذلك نوع السدي في كان جعل فيه ، من رزق ، إلى حماروفه ،  
إلى فلسفة ، ومصنوع ، إلى طب ، إلى راحة ، وكان عمله في أكثر من الأحيان مراعاة  
الصياغة ، حتى تصبح في أسد عرق ، والمتور على مصنفه بل القسط لأحسن  
وقد استطاع - أنه ودأب بالاميد أن صوغ ، به التميز عن كل ما تريد الفرنسية  
التعبر عنه في مختلف هذه السدي

ومما يلحظ أن هذا العهد قديم ، في بداية روعة ، قد ووه عندما أعنت  
مدرسة الأسن ، قد أراه يترافى على كتب بعد ذلك التاريخ ، اللهم إلا كتاب  
بهان البان ، الذي طبع بلا عهد ووه (٢) سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ،  
ولست أدري متى عك مراعاة روعه له ، إن كتب أرتجح أن تلك مراعاة قد  
عنت في عهد مدرسة الأسن ، كما يدل على ذلك معدمة الكتب وحاجته

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) بناء دولة ص ١١٦ .



## شعره

كان لرفة من حباته بي يحيط بها من مظهر الحن ، ولسان يرد أن  
يعبر به عما يملأ نفسه من هذه المعاني ، وأن حبه للأدب ، كان لإشباع هذه  
الرغبة فيه ، فهو سدهد به حال لا معه إلا أن سبيل ما يتبع في صدره من  
حواطر ، وما يترتب به من حس ، واختيراته من الشعر تدلنا على حبه لهذا اللون  
من الفنون الحبية ، وإن كنا نشعر أن دونه لم يتخلص بعد من عصره الذي يعيش  
فيه ، وليس يميل إلى توافيق المحسنات المدعية .

ويدلنا على حساسية هذه النفس ، ورعيتها في التعبير عما يحيش بها ما رواه  
رفة عن نفسه عندما مر بمدينة (مسنية) وسمع بها أصوات أنواقيس ، فقد  
أطربه صوتها ، فثمر فيه مكان من الشعور بأجل ، فخرى الشعر على لسانه ، قال في  
رحلته (١) ، نصف ما شعر به عندما مر بمدينة مسنية : « والظاهر أن مدة مرورنا  
بها كانت بعيدا ، حيث لم نسمع بها أصوات مواقف مدة فامتد ، حتى إن  
صربهم المواقف مغرب حذا ، وقد ستم في مدة من هذه الليالي ، في المحادثة  
مع بعض أطرفه ، مقدمة طرفة معصونها ثلاثة مدان ، الأول المدلة في أنه لا مانع  
من أن الطبيعة السليمة تميل إلى استحصان الذات الجميلة مع العفاف ، وأنشأت في  
ذلك حملة شواهد لطيفة وأنشأت فيه قولي :

أصبو إلى كل ذي حول وسب من صوتي أحف  
وليس لي في الهوى أريب وإنما شيمى أمدف  
الثاني سكر الحب من معاني حمر عيني بحويه ، واستغناؤه عن الراح براحتيه ،  
وأنشأت في هذا المعنى قولي :

قد قلت ما بدا والكأس في يده وحوهر الحمر فيها شبه حدي  
حسبي تراهة طرفي في محاسنه ونشوتي من معاني سحر عيني

(١) تخليص الإبريز ص ٢١ .

الثالث في نأثر النفس ضرب النفس ، إذا كان من نصر . ثم نفس طرد .  
يحسن ذلك ، وقد أشد في هذا المعنى قول الشاعر :

مذحاه يضرب بالنفس وقت له من عذبة طرد ضرب بأحوال  
وقلت للنفس : أي الضرب وقت ضرب مؤدب من أذى في  
وديتها بعض أسبحة محبة .

وهذا يدس على رشفة حسه وطرفة إلى شمس ، والله وليه . ثم عن هذا  
الإحساس .

وهو يؤمن بأن أشعره ، وإن هو قد فوجئ به لا يفي برض أشعره  
بل لا بد أن تكون الشاعرة سحيفة ، ونظير بيده وقدمه . ولا أن نفسه  
باردا وشعره غير مقبول (١) .

والكن رشفة ما كان مدأ شعر من من مدأ من الوهم ، ولا ما فتن  
به عند تعداد معارضة . ولا ما مع جهده عليه . ولا هي تفتت فيش .  
عندما يمتلي بها صدره . وهذا هو دأب

وما نظم الله من رأس ماني ولا مدني (٢)

\* \*

كان اتصال رشفة بالنفس ثابت من حينه . ح . ثم كانت طرفه من  
أغراض شعره : فجميع ما ذكره . ثم من شعره ، منهم . ثم في ذلك  
مدانحه ، فهو يتدح محمد علي . والله عزه هيم . ثم في حيز  
الحجار والسودان واليونان ، مما ل نعلم في ذلك عهد من الإحسان (٣) :

ولئن حلفت بأن مصر لحنة وقصوفها للمدري دواني  
والليل كوثرها لشهي شراة لأثر كل العز في نعي  
دار يحق لها المعابر في نعي نعي حدي في نعي  
حار المحامد إذ نعي نعي حدي في نعي

(١) حديث في ص ١٩١

(٢) مدح لأب نصرية ص ٢٦٩

(٣) حديث في ص ٤٩

من كان مثل نمره فقرته  
في وجهه النصر انبى على العدا  
في كفه سيفان : سيف عدا  
سل عنه سيفك الحجر منها  
من قبل كات سله مدعوره  
لا غرو ان نجد اذمت شكره  
وسعت الى ربح صلائع حشه  
وتقلب الأروام عدل شاهد  
حتى لقد ناءوا وافر حريهم  
لم تحط قامة ربحه أغراضها  
أحيا بدولته علوما قد غدت  
بطر مكارمه الحدايه قد  
يهنك بامصر ، لقد حرت انبا  
فاطلى عاخر حكمه ونعمه  
مدى أكف لشكر ، وانتهى دار

وانشأ في مدح محمد على قصيده أخرى مطوله بدأها بقوله :

ملا السكون شرأعده واعتداه ونعى الربا رثه وواه

وفيها تحدث عن نور المط الذي بدأ شعره في أرحاء الوادى ، وما يؤذن به هذا العهد  
من دخول مصر في عهد حافل باعده ، وتحدث في تلك القصيده كذلك من فتح  
الشام ، ودخوله في طاعته ، إذ يقول :

عما غيبه الأوهام قسراً بمصره  
لمصر موشان طريف رهنه  
أليس منيع الشام قد زال شؤمه  
نن قام أحياء الدروز لحتفه  
هنيئاً لن ألقى السلاح بساحة  
بصان بها نفس التزبل وماله  
أما تبصر العرفان يسمو هلاله  
وعمر منيف قد أضلت ضلاله  
وصار سواء مهله وجباله  
فيا ويح من أخنى عليه ضلاله

لم حتى لا سم فيه وقد ولاذ بطود لا يساى قلاله  
 مسجحه في حكمه مستقيمة ملا الكون بشراً عدله واعتداله<sup>(١)</sup>  
 وكان رفاعة معجباً بمحمد حتى أنه يحب يرى فيه محمد نبضة مصر ، وناث محمداً  
 ويحيى عصمة حيشها ، وقد صار طول عمره يحمل له هذا الإعجاب ، ولا تكاد  
 قصيده لرفاعة ، يمدح بها أحداً من أمم ، محمد بن وأحمد ، إلا أثنى عليه ، وظم  
 فيه عقود أسح ، وأحبه ذكراً مقرباً ، حتى آت الإحلال ، وفي قصائده الوطنية  
 يد إلى محمد بن ، ومحمد بن ، واستمع إليه يحيى ذكره ، واستمطر عليه  
 شأناً برحمته ورصون ، في إحدى قصائده وصية مبهمة إلى سعيد ناسا  
 فقول :

عمل عوى فيث مصر ، مصر ، تعقل الناس مهر  
 ولأهل مصر كل مهر ، محمد ، تعلى الشان  
 ودعوا بالرحمة والرصون لحمل من كل أوان

\*\*\*

وقد أحيا ذلك المثل ما أعدمه منك الأول  
 حتى عجب منه دول ما أحيا عصر العرفان  
 ودعوا بالرحمة والرصون لحمل الذكر كل مكان  
 وهو يخطط في قلبه ، محمد بن محمد بن من لأبادى والمعم ، وقد سجل ذلك  
 في قصيدته إلى شاه وهو بالسودن - كما سرى - وفي جمع كتب رفاعة :  
 مؤمنة ، أو مترجمة ، أو مشرفاً هو يحيى رجب ، لا يذكر اسم محمد بن إلا مقترناً  
 بأسمى آيات التعديس والإحلال .  
 ولما ولى عباس باشا أمر مصر ، هتفه رفاعة بتقليده هذا المنصب السامى ،  
 وبعودته من الحج بقصيده طويلة<sup>(٢)</sup> مطمئنة :  
 ما بال مصر ، وقد جلت عن باسمها وأقرت ثمر الشر من عباسها

(١) قصيدة كلها مكتوبة به مصر ، من :

(٢) القصيدة كلها في خمس أبيات من ٢٢٣



وفيها يتحدث عن حجه ، فيقول :

إن سار نحو الملح حلف وحشة أو عاد عدب مصر في إيمانها  
وعن الأمل المفقود عليه في أن يسير على سن حدة ، ويحيى مآثره :  
فيحده يحيى مآثر حده وبعد بالتأييد قوة ناسها  
باللعية لا بسام دكاؤه إن شئت فسه بقها وإيمانها  
وسلالة علوته هو دوحها ويان معانها بدبع حمامها  
ومصاحبة عربية هو رهب وراعة هو مستعنى نراسها  
وعقيدة مد شين سليلة نلى طموح النفس في هحاسها  
هو حسم مصر ، وودوحها روحها ونحى فرد ، وهو جمع حواسها  
ونصف يوم ولأبنة تقوله :

يوم أولاية كاتب يوم مسرة فرحت به أمم على أحسنها  
فشرعة الإسلام رد ثارها ونشيت بأمر بعد دراسها  
ولما قدم عباس من الأمانة وقد حرر رسة الصدارة المظفى ، وترمت مصر  
لمقدمه ول رفاعة مؤرخا هذه رمة :

بأيها الصمد أهل وشرح قصر صدورا  
وأن يا سمد أرح ريت مصر سرورا<sup>(١)</sup> (١٢٦٥هـ)  
٤٦٧ ٢٣١ ٤٦٧

وأشأ قصدة مطولة بهيشه فيها شهدا القدوم ، وتمج في هذه قصيدة تنمى مصر  
للأستانة يومئذ ، ولما مدح رفاعة دار السلطان مدحا ناسب مكاتها ، إذ يقول :  
يا حندا دار السعادة مقصدا هى كعبة كل إليها يحرم  
حرم به ملك الملوك أحلتهم حون أهل الحافقين الأكرم  
حرم به ظل الإله على الورى حى حماة الدين ليث ضيقم  
وأحد رفاعة يتحدث عن آله ، وآمال مصر فيه ، فى أن يقتضى آثار حده  
اندى بوسم فيه المحج ونوع الآمال فيقول :

بأيها المولى المولى مصره كل بطن الحبر فيك وبشم

كل حال بالحاج والمحب حسن حدث صائب لا شم  
 حدث رأى فيك الشهامة في ضد ... أرى معرى ناسلى معره  
 حدث توتتم فيك سبع شأوه فسنه لا حب فيك توتتم  
 حدث تفرس فيك ففوه يرد وصال أمتى به يترسم  
 وأنت ترى من ذلك كثره حدث روعة عن محمد بن حارث عن عدس وأمنه في أن  
 يقفوا الحفيد أن الحارث ، وهو ما كان مع مع روعة ، وأمنه ، كي يستطيع أن  
 يناع الرسالة التي وهب مع به له ، وبشي شرب موش روع مصر ، وسن تراث  
 العرب إلى أمة العربية ، ولكن هذا لأمن عمر روعة قدح - كما ذكره -  
 ومما مدحه به بقتان ، شأوه روى به لا فقه ، وقد سأل عن ذلك ، قال :  
 تقاد مصر عباس خذاب يد مهب من حيث السحاب  
 فقل القبل بحصل برعا فليس يد له مهب مهب (١)  
 ونشأ روعة فحدث مدح بها به ... في ... مصر بعد سن ، وله  
 قصائد أربعة ، عمون كل ، مدح به موش ... مصر به مية ، صعب  
 سنة ١٢٧٢ ، أم الأولى حدث إلى حمد مع : ... حدث به على ن سبع  
 تقايدته التي سار عيب مد عدم ، وقد ... القصيد فوه

يا حمد مصر ، لكم شرب ... بن وري على السر  
 كالشمس في وسط ... ص الكم في ... سر  
 حادي السعود به حمد ... صير صبح وعبد

\*\*\*

شرب مصر ، قد ... ويا ... مؤيد  
 نأمرها بحرب مدى نعى السعد محمد  
 وعقب كل دور مكوّن من ... ثلاثة ... ريت للأرمة التي بمدح بها  
 سعيدا ، وكأنه أنشأها نشيدا ، بشدة احد ، يشجعون به أعسبه ، ويثمنون  
 به على قائدهم ، ولا يقتصر مدح سعد في تلك القصيدة على هذا ( مذهب ) الذي  
 يكرر عقب كل ( دور ) ، بل حدث ( دور ) مدحه وثني عليه كقولاه :

في وقتكم هذا الحمد مصر طيب دولي سعيد

في العنبر سلع من من ثمه وثمار حريه

إلا له قد شرد من قد قد قد

ولا نسي القصده الدور أي فاديه محمد في هو من باحسن ، وما عدت  
به فتوحاته على مصر من جده الحمد .

واقصيدة الثابتة في مصر العربية ، وسجده لأعمال محمد في ، ثم تقول إلى  
مدح سعيد ، ويكون — به من الحاج قد أكثر من به وفي تهيئة السابعة ،  
وهي كساقها تكون من ادمار ، ثم هـ . تكثر عتق كاديه ، ومصره  
قويه .

باسم الله الرحمن الرحيم في تصدح ومن في من ليوس التصاح

وفتي صفا في مصر ، لاوش ، لاخ في دولة الافد عروف الحمد وح

\*\*\*

شري لمصر سعيد نام لاخ وسعيد من ساعده التصاح

\*\*\*

وهذا البيت الثالث هو مذهب أي يكر من كل دور يكون من سال ،  
ومما قاله في هذه القصيدة من به سعيد .

يرث نسل من من سعيد وحسن حمد مصر آل لي سعيد

عصر عدا السعود كل من عدا منهم في حجر مصر عدا نوح

فلا قسمي والد وثق ولد لا ذاك عهد التمثل من دار الأسد

هذا أمير يسلط النهج الأسد ويمن صنعه حطيط السعد صاح

هذا ادي مصر تمجده سود هد أي يحمي حماء من الأسود

هذا ادي بجوده فجع الحسود على حسب وحده ساكن السلاج

ولا يسي في هذه القصيدة حجر باحسن ، وختمه به ، سعيد أن يسلط

الله به سبل لرساده وأن يسلط الله من هر ما يرد .

أما القصيدة الشائقة فدعوه إلى أن تعاهد كل من سار معه حتى أن يدل كل ما

يملك لوطيه ، وفي ثناء ، ديت توحيد سعيد . وسده يدكر حذو محمد عني ، الذي  
يشتمط الشعير مذكرة سحب راحة وارصور ، وهذه مفتوح القصيدة :

هيا تحف يا حوال      تأسيد عهد وبالأيمان  
أن بدل صدق الأوطان      وبين سعيد نحن نسان  
لا حرب هموا ، سعدان      حب الأوطان من الإيمان  
ومما وله في ثناء القصيدة شرح سعيد :

وسعيد حر الملك كما      سبيسة وانه حكما  
أدى حكما مسد احده      وفرد عني اميا زهنا  
لا حرب هموا يا حمان      سعيدكم حي لأوطان

وقصيدة ارامية تسمية تذكرك ، كجاء في سجعاعة ، ودعوة إلى الرفع عن  
الوطن بالنفس والسفس ، وفي داخل ذلك حدث عن سعيد ، وسعيد لشانه ،  
ومقطع القصيدة أو بالأحرى شديد قوي ، يدقول :

يا حرب ، ثم ما سود      نحن في حربنا أسود  
عند المقاتلة أسود      غم عداك لما حصيد  
حي حي مصره سعيد      في عصره محمد ، يعود  
محمد سعيد ، محمد      وسبيسة المهتم  
مصره المؤثر      وعمره اشيد

في عصره محمد ، يعود

هذه القصائد الأربعة قصائد وطنية ، تدعى إلى توحيد الوطن حيا ، وبعث  
الحاسة والأمل في نفوس بنيه حينا ، وتأحيج نيران الوطنية في قلوب الحيد آنا  
آخر ، وسعيد يمدح ، لأنه رمز هذا الوطن ، ووجد جنده ، وحامي حماه .  
وهناك قصيدة<sup>(١)</sup> خامسة من بحر الرجز أشاها في مدح سعيد أيضا ، وتاريخ  
إشياء هذه القصيدة مجهول ، ومنها قوله :

ممدوحنا محمد السعيد      عزيز مصر بالعلا سعيد

و هار محلی فی بولا بعد لا ورفه بادی پسر

میر احمد فی الهی سیری

و به صمد پنداری بی که بودی و وسم کوب (پنجری ایستادی)  
قدیم و قدح چپا پنداری و حد رفه فی لب قصید مددی مایکون نفسه  
نحو صحت عرس و صمد قصید فی مزینة و هی سیدی و پنداده قصر  
و حدیث عن محض قدیم و وسم پنداری بی لب حد حد اندیشه و استمع بی  
و صمد و قصید

و قصر فی لب کب و حد که قیاس لب کب خرد و حد  
قدیم و کب قصر و حد و حد پنداری و حد  
فی حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد

و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد

و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد

و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد  
و حد و حد و حد و حد و حد و حد و حد

والحمان الأبوى رثما نزية الساب من عهد الصا  
يقصين من حق الهى ما وحا يحزون عما ناهى وأدنا  
تشمهن منه عيب الرشد ونجدة العزم والاهتمام  
حتى يصلن بمقول النقد لقوة الإفهام والتفهيم<sup>(١)</sup>  
وأمل الماعث على إثناء هذه القصيدة شكر الحاية الإحصائية لإسماعيل ، على  
ما أولاهما من حب وعطف .

ولم يكف ردة نرجمة هذه القصيدة ، بل أشأ قصيدة وطنية ، على عرار  
القصائد التى أنشأها فى عهد سعيد ، وإن كانت أقصر منها ، وهى قصيدة حمسية ،  
سجل فيها تحديد إسماعيل بمصر ، بدقول :

فى الديار مصر أحرى وطن يدها عينا فى كل زمن  
فكم فخرت شاماً وعمى وفساد الشىء واليهى  
والآن نسأت دونها ويسمعيلى صوتها  
لو حلت عظمت حوتها من أرض الروم إلى عدن<sup>(٢)</sup>  
وله مدائح أخرى فى إسماعيل ؛ فهذه أرجوه مبوهة « سدة من الخاسن  
الحديوية » ، منها قوله :

وبعد حمد الله فالتقدم	له عصر فى الروح ودم
إسماعيل ، المنون	حدد عهد زمن المأمون
فقد عبد مصر به بعدا	بل عصر مصر فى الموم اردادا
فليس بدنا أن ترى الأفريقية	نسمى مصر روضة أسفة
فكم بمصر من دروس تنلى	على نعوس ، كم عديم على
وكم مدارس له تحدث	وكم معارس به تنهد
تعديله الحاكم المترجة	برقى بها العدل لأعلى درجة <sup>(٣)</sup>

وهذه قصيدة أخرى يهيبها الحديو إسماعيل بوفل العام الحديد ، بدوها

(١) قصيدة وطنية لإسماعيلية من ٤ .

(٢) مقدمة وطنية لمصرية من ١٤ .

(٣) مجلة روضة المدارس : العدد السادس من السنة الأولى .



بالإسادة بمصر ، يرمى في النار ، فيميل . وما حذره من ملاحاة ديون :

من يستعيل أصل حبه لأكل عصف

قد حذوا حبه وأبيه صوب عصف وكحل

حول من راح نورا ، سيد أسعد بهمن

كم حبص في ثوب ، له ملك وكحل

وميتات روح محكي في تيج نور

كم طرين من حديد بين أطير ، فرائس

و... صيغ في وحشية لطف أعين<sup>(١)</sup>

كما يحكم رواءه فيده ( روح )<sup>(٢)</sup> تدح تدح

وشعره بأحد مصابه في الله ... سره لآية من ... من حوله ...

ناسا ، بحث به أهله سيرة<sup>(٣)</sup> حدث و... من ... من ألوان ...

والعروف ، وفي تلك التسمية الطارئة قول وعلة :

جعل الخشب صهره له من الخشب

أكرم يا من سلة ... الخشب ...

وحبب ... الخشب ...

الطير ... الخشب ...

لكي حذري مصر ، ... الخشب ...

بالسمة ... الخشب ...

آب ... الخشب ...

عشق وحسن ... الخشب ...

بطلاق مخرج ... الخشب ...

ببصال عيش دوى الف ... الخشب ...

قتل الأثيم ... الخشب ...

(١) محلة روضة المدارس — السلة الخشبية — عدد أول

(٢) مباحث الألباب المصرية ص ١٢٧ .

(٣) محلة روضة مدارس — سلة الخشبية — عدد أول

وحتم القصيدة بتاريخ هذا الحتن ، إذ قال :

يا كوكباً في مصر كل إليه ناظر  
حاشا يوقى حق مدحك ناصم أو ناثر  
لكنى أرخته  $\frac{باه}{٨}$  ختاك  $\frac{باهر}{٢٠٨}$  (١٢٨٧ هـ)

قدماً روج إسماعيل أنجله ، وهم ولي عهد الأمر محمد توفيق باشا الذى احتير له السيدة أمينة هانم كريمة المرحوم طهى باشا ، والأمير حسين كامل باشا الذى احتير له عين الحياة كريمة المرحوم أحمد باشا ، والأمير حسن باشا الذى تزوج من حديجة هانم كريمة محمد على الأصغر ، وحفيدة محمد على الكبير ، والأميرة فاطمة التى تزوجت من طوسون باشا ، والأميرة رباب التى تزوجت من ابراهيم باشا ابن المرحوم أحمد باشا — أشأ روعة رسالة أدسة دعها الكواكب المسفرة فى ليالى أفراس العرير القمره ، وصف فيها تلك الأفراح أى لم تعرف مصر مثلها أو بعدها مثيلاً (١).

بدأ هذه الرسالة بمقدمة مدح بها الحديو إسماعيل ، وثنى على مدهه فى ترويحهم أسماء من ساء أعمامهم ، ثم احدث شى على كل أمير وروحته ، حاشاً ثناء عليهما بأبيات تؤرخ هذا الزواج ، فلكل زوج تهنئة باسمه ، ولكل روعة تهنئة أخرى باسمها كذلك ، ولعل هذا الشعر أكثر شمر رعاة نكاحاً ، وبث لا شمر فيه بروعة ، ولا يهزك عند قراءته جلال ، فهو متكلف : أدبه الوصول إلى تاريخ لهذا الحادث فحسب ، كقوله للأمر توفيق :

بأفق مصر كوكب التهانى صباؤه فوق الملا لالا  
رق درا الملا ، فأرحوه والكل من توفيقه تعالى (١٢٨٩ هـ)  
وقوله للأميرة فاطمة :

وطمة صباؤها فى أفق مصر مسطع  
عن سعدا قد أرحت بالسعد بجنتي طالع (١٢٨٩ هـ).

(١) محمد الصادق حسين .

وأنت رعاة فصيد نصف في تلك الليالي ويؤرخها ، فقال :

رعى الله مصرأفهي أنهى كنانة  
 راها بإسماعيل أعدب مورد  
 بها المشتهى الأشهى فلو قال مثل  
 وما هى إلا عده نسل النهى  
 كواكب أفراح العزير ألقها  
 ورتاب أمام العارف أطرت  
 وملعب (بل) <sup>(٢)</sup> بالحصان مستم  
 رباصة رقص فى كمال منزه  
 وكه من فته فيه سكرى بلا طلا  
 وفيه صق النال بالرقص مغرم  
 تمس كعصن المان عظاما وشى  
 ولولا الحيا والدين والعلم والتقى  
 ومجلس أس قد نمطر روصه  
 وفى الحو تقيد المحو مسره  
 نبون كالخراب ، بل ربما حكك  
 وحلة سقى الحياض برسا  
 بسطهم أورا تسامى انتباهه  
 ومد رمت الأفراح فت مؤرخا

مبيح الملا تأهيل (فامية<sup>(١)</sup>) الملك (٨١٢٨٩)  
 ٢٠ ١٤١ ٤٤٦ ٥٦١ ١٢١

(١) آه

(٢) كلمة فرسية Le Bal بمعنى رقص أو مرقص .

(٣) تم تدا ودا وعاد كتب أحرأوه .

(٤) نك سكا : داس

(٥) كلمة فرنسية Seigneur

(٦) من الكلمة الفرنسية Famille

وربما كان آخر قصيدة لرفاعة تلك التي شكر بها على لسان المدارس ، الحديو  
إسماعيل ، عندما رار ديوان المعارف ، وورعت المكافآت بين يديه ، وفيها يشير  
إلى ما طهر به طلبة المدارس من شحيع وعطف ؛ ولعرايمه بالتأرجح حتم القصيدة  
بتأرجح تلك الزمارة فقال (١) .

حصنا وده ناهي امتير      فطمت لثائاً وشا  
وطببا لدولة امر حفظاً      وثقا ، وبلدعاء جهربا  
كنا شكر ، فياسد أرج      نحميل كافاتنا فشكرا (١٢٨٩هـ)  
٨٥      ٥٥٣      ٦٥١

ومدح رفاعة من أمه اسماعيل توميت ، وحسيناً ، أما الأول ، فلنصاحبة إسنه  
الوراره إليه ، فأشاد قصيده دأها بالمرل ، ومدحه بوجه (٢) :

هذا الذي جمع اعصائل رافعا      وتواله في مصره مسدول  
من حل فامجد الأثل سميره      أو مدر والتمظيم ولتمحل  
قد حاز من شرف الكفاة رمة      بحمت ، في رهر المحوم أقول  
نمو به علم الوراره مثما      ممو به مجد لمصر أثيل  
وأما مدحه لحسين بلسا فلسفة تقمده ديوان المدارس الملكية ، والأوقاف  
المصرية ، ولأشمل العمومة ، ولا يسي في تلك المدحة تأرجح هذا التقدد  
يدقول (٣) :

وقى املا حقها من      رصا حسين عليه (٤)  
رهض الأمان به صير      وصفو سدسه حين  
مسامع القطر منه ضاوت      لمسا نور المحاج عين  
ترهو دواءه انه جا      يدأرحت بخي حسين (١٢٨٩هـ)  
١١٦١      ١٢٨

\* \* \*

ولرفاعة شعر ، خطى منى ، بالحماسة وتمجيد الوطن ، ولاعتزاز بتاريخه ،

(١) مجلة روضة المدارس — سنة الثالثة — عدد ٢٢

(٢) المصدر السابق — سنة لأول — العدد العاشر .

(٣) مجلة روضة المدارس — السنة الثالثة — العدد ١٢

والدعوة إلى صحبة النفس والنفس في سبيل رفعة ، وتشعر حين تقرأ شعر  
رفاعة الوطني بالإيمان الذي كان تملأ قلبه بمظمة هذا الوطن ، والحب الذي كان  
يفرغ فؤاده بمصر ورفاهيتها ، حتى كان من أعظم مآثر سعيد في نظره أنه ملأ قلب  
الشباب حباً للوطن وتقديساً له إذ يقول<sup>(١)</sup> :

أنمى روح الفتية المصرية براح حب الوطن القسرية  
حتى غدت نفوسهم سرية فصيح فوز محوم بالسكر  
وقابلوا إحصائه بالشكر

هاموا بحب الوطن العزيز فصار ميلهم له غريزي  
ومذ كسوه حلية التميز وأنفقوا فيه نفيس العمر  
لم يحش من زيد ولا من عمرو

وهو حيا رى مصر حديرة بالفخر بها ، والاعتزاز بالانساب إليها ،  
فيقول<sup>(٢)</sup> :

أب حليلى دعا	ذكر السوى ، واستمعا
حديث نخر طلما	في مصر أبهى مطلع
نخر أجاب من دعا	لكسبه ومن دعى
في وطن من ادعى	له لحاقا فدعى
بدر ، علاه سطما	وفي سما المجد سعى
على البهاء حلما	في الكون أبهى الخلع
حادي السرور رحما	بمرنا مد رحما
وقد أبان لما	يا حسبا من أم
وطننا نمررا	وبالها تحيرا
هل عيره تثيرا	سهله المنع
أصيل نخر أسقى	على مدى الدهر بقى

(١) مواقع الأطلك ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٧ .

طبيب دكر عبق	يصوع للمستمع
حديثه على النسب	بالمر مرفوع الحب
وحسبه إن يحسب	في المحل الأرفع
ليس اللبيب ذو العطن	إلا المحب للوطن
وموضع به فطن	لديه أنمي موضع
تسقط الرأس أحب	من رأس مال يكسب
ومن حبه انفسب	فهو الذكي الأملئ
أكرم بمصر من هي	عسلاد قد ساء السما
مرمه لقد سما	فياله من مربع
معت عليه أعصر	والحمد لا تقصر
فيه الدبح يقصر	فصر أحي واجمع
فصر ، ما أحلها	الكل يهوى وصدها
فإن رنت عين لها	تفقوها بالإصع
رضيمة شئونها	منيمة حصونها
بديعة فنونها	كم شيد من بلقع

ويقول من وطنية أخرى<sup>(١)</sup>:

يا صاح ، حب الوطن	حلية كل فطن :
محبة الأوطان	من شعب الإيمان
في أنغر الأديان	آية كل مؤمن
مساقط الروم	ندد للنفوس
تذهب كل بوس	عسا وكل حزن
ومصر أبهى مولد	لما وأهى محند
ومربع ومعهد	للروح أو للبدن
شدت بها العرائم	بيطت بها التمام



نطمعنا نلأثم في السر أو في العلن  
مصر لها أباد عينا على البلاد  
وخرها ما نادى ما الحمد إلا ديدنى  
الكون من مصر اقتس بوراً وما عه احتس  
وما خرف التمس إلا حتى وعد دنى  
خمر قديم يؤثر عن سادة وبشر  
رمود مجد ستر منها العقول تحتى  
دار معم راهبة ومعدن اراهية  
آمره وناهية قدما لكل المدن  
قوة مصر القاهرة على سواها طاهره  
والممار راهره حست بذكر حسن  
أساؤها رحل لم أنهم محال  
ولا مهم أو حل في ليل وقع دحن

ويقول من قصيدته<sup>(١)</sup> وطنية منخر بمصر ، ويرى من حفاها على نبيها

أن يفقدوها بالنفس والنفيس :

أبناء مصر ، نحن موطننا أصيل  
ونفادنا في الكون جل عن الثيل  
نحن السراة وشأنا حب الوطن  
شأنى حمانا ليس من أهل الفطن  
وطن عزز ، لا يهان ولا يضام  
مجد له ، لا زال يحترق الفمام  
يا أهل مصر ، برّ مصر فرض عين  
وإذا الرقيب رنا لها بلحاظ عين  
في كل قطر في المالك أو يقيع

حسب عريق زانه عهد أميل  
لحابتنا تطوى المهامة بالطلاق  
ولشأنا السامى تراحم من قطن  
مهو الداعى وعبرضه شرعا مباح  
وحى تمزّر من عليها حام  
عين السها لفخاره ذات التماح  
في البرّ نبذل عن رضا نفسا وعين  
ما عندنا في فقتها إلا الرماح  
أضواء مصر سرت لتنوير الجميع

(١) هي القصيدة الوطنية الثانية .

تديرها في بدنها سام رفيع فليكنها كأي العيال به الصلاح

واستمع إلى تلك الصيحة القوية لفداء الوطن بكل ما تميم ، إذ يقول :

وعزير الوطن نخدمه رص ، في النفس تحكمه

مال المصري كذا دمه مدبول في شرف الوطن

تعديه العين ساعدها والنفس بحر دحائرها

تهدي في بيل نظرها اشرا العليا أعلى تمن<sup>(١)</sup>

ورفاة يفتخر عجد مصر القديم ، ويخون مصر الأقدمين ، وعلوم العسرين

القدماء ، وفتوحهم في العلم المعروف يومئذ ، فتسمعه يقول<sup>(٢)</sup> :

( سيزستريس<sup>(٣)</sup> ) لقد أقام شئونها وهو أي أعطى لها فنونها

قوى معارفها ، وصاغ فنونها ورموزه للمعرفة بها محتاج

فتح الممالك مشرقا أو مغربا ومن عن حب الفجر وأعرها

دفعوا الجراح مقررًا وممرًا لميك مصر على وفق الأفراح

ويقول<sup>(٤)</sup> :

لمصر سالف الزمة قد مدب سائر الزمة

مها أثينا عدت ملية بحكمة ومصره منيد ..

كالشمس فصل أمين شمس وأس معب حل أس

ووشي مدس عبر مسمى من حسنه ادهر سنهيد

ويتحلى حماس رفاة في حديثه عن حبش مصر ، فهو مفخرة لأمة أي ترهو

بها ، وهو عدة الوطن وعقاده ، والصائن محده ، والساهر على لدفع عن حصرتة ،

فتسمعه يخاطب الجند مسجلا ما ترم في الوغى قائلا :

بأيها الجنود والقادة الأسود

إن أمكم حسود يسود هامى الدمع

(١) رجع مقدمة وصلة مصره من ١٥

(٢) من الفريدة لوصبه شابه

(٣) هو زميس الثاني

(٤) من الفريدة لوصفه أربعة

فكم لكم حروب      فنصركم ثوب  
لم تلصكم حطوب      ولا اقتحام معمع  
وكم شهدتم من وعى      وكم هزتم من عى  
فن تعدى وطنى      على حماكم بصرع<sup>(١)</sup>

ولا ريب أن لكل هذا السحيل أثره في تقوية الروح المعنوية في نفس الحند .  
وحيثما يفتخر بشجاعته ، وكما نظامهم ، وياهر عددهم ، وكم داخله العجز  
ولتئيه ، وهو يسجل أن عدة الجيش أمتعتها مصانع بلاده ، فقل<sup>(٢)</sup> :

نظم جندنا نظماً      عجيباً يمجز الفهما  
بأسد ترهب الحصا      فن يقوى بناضلنا ؟  
رجال ما لها عدد      كمال نظامها المدد  
حلاها الدرع والزر      سنان الرمح عاملنا  
لنا في الجيش فرسان      لهم عند اللقائ شان  
وفي الهيجاء عنوان      تهم به صواهلنا  
مدافنا القضا فيها      وحكم الختف في فيها  
وأهونها وجافها      تجود به معاملنا

وحيثما يذكر الحمود سالف مجد آبائهم ، وأن واجبهم رعاية هذا المجد والشهر  
على صيافته ، فيقول :

أسلافكم حازوا الشرف      سلف مضى نعم الملف  
كونوا لهم أمى خلف      كل بفضلهم اعترف  
من في مكارمه اقتدى      بأبيه لا شك اهتدى<sup>(٣)</sup>

فإذا سى الحند ماضيهم في حاضرهم الشرق ماثير فيهم أقوى عوامل الإقدام ،  
وهنا يدكر محمد على وما قدمه لهذا الوطن من إحياء روح العسكرية في نفس

(١) مواقع الأفلاك ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ .

(٣) من القصيدة المصرية الوطنية الأولى

المصريين فيقول لهم (١) :

وإذا نصيتم ما مضى      أو قلتمو هذا انقضى  
فتذكروا زمن الرضا      عزاً جديداً حرتضى  
بمحمد رب الندى      وعلى شأن أعجدا  
ما وقته إلا سعيد      ما رأيه إلا سعيد  
ما عصره إلا جديد      هو في مآثره فريد  
لفخاركم قد مهّداً      ونظامكم قد جدداً

ثم يعنى رفاة في تعداد أعمال الجيش ، ومآثره ، وجهاده في عصر محمد على .  
وحيثما يسجل ما للجيش من شهرة في العالم ، قيماً إحدى قصائده الوطنية  
بقوله (٢) .

ياجنند مصر ، لكم نفاو      بين الودى على النفاو  
كالشمس في وسط الهار      صب لكم في الكون سار  
ورفاة يرى المثل الأعلى لتكوين جيش ، أن يعنى بالحيلة ، ورجال المدفعية  
وبالمشاة ، وبالأسطول ، حيث يقول :

ياجندا نظم الصنوف الأربع      من الصفوف في مقام أرفع  
نوع السوارى ، وضروب المدفع      ومعرش المشاة أسد الكر  
والفلك من فوق البحار تجري (٣)

ورفاة في تحييده للجيش . متأثر بما كان لهذا الجيش في عصره من قيمة كبرى ،  
فقد وقف محمد على أنفس وقته وأعظم جهده ، لتكوين جيش يدود عن مصر ، ويمد  
سلطانها في الشرق والشمال والجنوب ، وبما أبلاه هذا الجيش في الحروب الكثيرة  
التي نهض بها يومئذ ، وبذلك الانتصارات التي سجلها في ذلك الحين ، مما جعل  
اسم الجندي المصري مقترناً بالفخار في أرجاء الدنيا ، فلا غرابة أن تمتلئ نفس  
رفاة بهذا الحمد المسكري ، فيشد له تلك الأناشيد الحماسية الحية .

(١) للصدر السابق قبه .

(٢) القصيدة الوطنية الأولى .

(٣) مواقع الأفلاك ص ٢١ .

كان وراق رفاة مصر هو الذي أوحى بيه تلك القصيدة التي يحنُّ فيها إلى  
وطنه ، يوم سافر إلى باريس ، وهو مقدم لتلك القصيدة بقوله <sup>(١)</sup> : « لو تمهدت  
مصر ، وتوقرت فيها أدواب العمران ، لكأت سلطان المدن ، ورئيسة بلاد  
الدنيا ، كما هو شائع على لسان أسس من قولهم : مصر أم الدنيا » .

ورفاة في تلك القصيدة بتأثر مذهب الأسمين الذين يستمعون إلى نوح الحمام ،  
فيثير فيهم سماعة دكر باب غريزة لديهم ، وهذا رفاة بفتح قصيدة مثلاً :

ماح الحمام على عصون الن	فأباح شيمة مغرم ولما
ما حلتته مد ساح بلا آة	نحى فقيده أليفه ومعاني
وكأنه تلقى إلى ساره	كيف اصطبارى مد نى حلالى
مع أسى والله مد فارهم	ما عدت لي عبثى وسهو رمانى
نكسى ص أمون بلهقى	حتى كأتى بس باللهمان
وساطن الأحشاء نار لو يد	حرانها ما طاقها الثقلان
أسكى دماً من مهنى لرافهم	وود لا تشمر العينان

وهو يشيد في هذه القصيدة بالأرهر صاحب الفضل عليه في ثقافته ، وبأستاذة  
الشيخ حسن المطار ، صاحب الأثر الكبير في تنقيسه وروحه كما سبق أن  
ذكرنا ، وهذا مدحه للأرهر وشيحه ، إذ يقول فيها :

ولكم بأرهرها خموس أشرف	وأناوت الأكوان بالمرقان
فندا غير عومهم عم الورى	وسرت مآزهم لكل مكان
وحوتهم مصر فصار روضة	وهو حياها المتقى للحان
قد شتهوها بالمروس ، وقد بدا	منها المروسي بهجة الأكوان
قالوا تعطر روضها فأجبتهم	عطارها حسن شذاه معاني
حبر له شهدت أكاره عصره	بكال فضل لاح بالبرهان
لو قلت : لم يوجد مصر بطيره	لأحب بالتصدق والإذعان

كما كان إرساله إلى السودان ولشه هناك بلا طائل مثبراً نفسه ، فطعم قصيدة

طويلة ، على بية رسائل لأحد الكبراء يستشعر به « رضاء بشله من أحوال تلك  
الأحوال ، ثم تنسر رسائلها ، ثم أسعد الحال بتدليل مر الناصي بالحال الذي هو حال »  
بدأ هذه القصيدة بقوله <sup>(١)</sup> :

ألا فادع الذي ترحو ، وباد يحبك وإن تكن في أي نادى  
وأخذ يتحدث هذا الكبر يحسه في الوساطة ، ولا عرو أن يستحيب له ، فقد  
جمعت بينهما آصرة الأدب التي تجمع بين أسائها وإن اختلف بلادهم ، ثم تحدث  
مفتحراً بثقافته التي نهضت به ، ورفعته إلى البرود ، وأشار إلى مقدمه للبلاد من  
كتب ألهمها أو ترجمها ، ومن يلاميد سعوا على يديه ، وقد نال حراء ذلك تقدير  
محمد على الذي سماه ردة في تلك القصيدة بحبي مصر . دل رفاة :

وآداني تسامى في الدار	على شمنى ، وسلمى مرادى
ومالى لا أيسه بها دلالا	وقد داب على نهج الرشاد
عصامى ، طريف الحمد سميا	عقدى ، شريف بالبلاد
لسان العرب بسبلى تحار	ويدينى إلى فس الإيادى
وحسبى أى أرب كتنا	تيد ككتائب يوم الطراد
فهما منع العرفان بحرى	وكم طرس تحتر بالسداد
على عدد التوار ممرانى	نقى نفون سلم أو جهاد
وملطبرون يشهد وهو عدل	ومنسكو بقر بلا غادى
ومفترفو قراح فرات دوسى	قد افرحوا سقاية كل صاد
ولاح لسان باريس كشمس	قاهرة العر على عمادى
ومحي مصر أحياء — كان — قدرى	وكافانى على قدر احتيادى
سأشكر فضله ما دمت حيا	وما شكرى لدى تلك الأيادى

وأخذ يتحدث بعدئذ عن رحلته إلى السودان ، وما دمه إلى نص الإقامة  
هناك ، ويدكر ليه وكيف فارقهم صغاراً ، فهو يدكرهم في سره وظهره ، ولا  
تطيب له الحياة بالبعد عنهم .



وقد فارقت أطمعاً صغراً طهطاً دون عودي واعتيادي  
أفكر فيهمو سرّاً وجهراً ولا سمري بطيب ولا رقادي  
وعادت مهنّي بالنأي عنهم بلوعة مهجة ذات اعتاد  
أريد وصالهم ، والدهر يأني مواصلي ، ويطمع في عتادي  
وطالت مدة التغريب عنهم . ولا غم لي سوى الكساد  
وبشكو في القصيدة بعدد من حصومه الذين سعوا به لدى العزير ، وسلكوه  
بالسنة حداد ، وهو يعلن في صراحه أن رحرى قولهم واضح الترييف ، لا يحتاج  
هدمه إلا إلى نقادة مصر ، ولكن روعة لم بشر إلى تلك التهم ، وينقصها واحدة  
واحدة ، بل نراها حمله فتركا في جهل تلك التهم التي ألصقت به ، اللهم إلا  
أنهامه بمقم ما أسند إليه من مدارس . ونحدث عن إقامة بالسودان ، وأن الحدير  
به وقد خدم بلاده أن يكون موضع الإكرام والتخلة ، ثم قل :

وكم حسناً دعوت لحسن حالى وكم هدى مؤادى يا مؤادى  
وأرحو صدر مصر لشرح صدرى وجهود الطول في طول السجاد  
وكم بشرت أن عزير مصر هو بالفسك ولم يفاد  
وحاشا أن أقول مقال عبرى وذلك صد سرى واعتقادي :  
( لقد أسحت لو هبت حياً وسكن لا حياة لمن تنادى )  
ومضى بعدد مطيلا في مدح شيعه إلى عباس ، وقد أضى عليه كثيراً من  
صفات الكرم والسبل ، والدكاء ، والعلم ، ودماثة الإحلاق وحتم قصيدته بقوله :  
ومسك ختامها صلوات ربى على طه المشفع في العباد  
وآل والصحابه كل وقت مواصلة إلى يوم التصاد

\* \* \*

ولس لرفاعة من الشعر الوصفي سوى قصيدتين ، إحداهما يصف بها أفراس بنى  
إسماعيل ، وقد أوردناها فيما مضى <sup>(١)</sup> ، والثانية يصف فيها القطار <sup>(٢)</sup> ( الواور ) ،

(١) راجع ص ٢٢٦ .

(٢) متاع الألباب المصرية ص ٢٦ .

وقد أطلق فيها لحياه العنان ، وتكاد تكون هذه القصيدة أبعد فصائده حبالا ،  
حيث يشبه ( الوابور ) تشبيهات عدة ، فهو بركان ثائر ، أو سائح لا يعمل السفر ،  
أو عاشق سلب القرار ، أو بار صيد ، أو طلي قاع ، قد استعار الرق سرعته منه ،  
وينظر إلى الرياح محتقرا هبومها ، ومطلع قصيدة رفاة قوله :

العقل في ( الوابور ) حار يبتلى الحواب فلا يحير  
ومها يقول :

بركان	بار	حيث	ثار	فورا	،	وصار	له	هدير
أو	سائح	يهوى	السفار	لمصالح	الديا	سفير		
أو	عاشق	سلب	القرار	أو	يحسد	الطرف	القرار	
في	الحب	قد	خلع	العدار	ودموع	مقلته	عدير	
صا	وفي	الأحشاء	بار	شوقا	إلى	القمر	السير	
أو	شاطر	طلب	القرار	للأمن	من	أمر	خطير	
أو	بار	صيد	قد	أغار	معري	على	الطامى	الفرير
أو	طلي	قاع	دو	نغار	يعدو	إذا	عم	النقيب
الرق	سرعته	استعار	والورى	معه	تستعير			
ويرى	الرياح	بالاحتقار	هبومها	معه	حقير			
طرف	سايه	الدرار	ليلا	فتخجل	في	السير		
الليل	نطوى	والهيار	وه	اردهى	الرمز	الأحبه		

\*\*\*

ولم يثر سب رفاة واصاله معاطمة الزهراء ، في نفسه خرا ، وإعما آثار معنى  
ديبا ، هو مدح أهل البيت ، والتوسل بهم ، وعده من الموالين المحبين لهم ، ولم  
يكثر رفاة في شعره من الحدث عن سبه ، وقد رأت قطعة يشيد فيها بهذا  
السب إذ يقول<sup>(١)</sup> :

اثماني لكم تصفو صفاتي يال بيت الزهراء أرمي صفاتي

ومها .

أنت بضعة التي شأتم عن صوتي ، من بضعة مصطفاة  
حاش لله أن أضام وأنت ملجأ اللاندين ، كهف العناية  
مخلص المديح أرجو خلاص من مساوي آيائي السالفات  
إن طمتم رفاعة في ولاكم حاز أماناً من سطوة الرحفات  
فلا زاه — كما ذكرنا — مفتخراً ، بل متوسلاً متشفعاً .

كما أن له قصيدة في مدح جده أبي القاسم ، ذكر فيها مناقبه ، وفيها بشر إلى  
ما ظفر به هذا الجد من لبس ( طاقية ) أستاذة العريان ، وكأنه بشر بذلك إلى أنه  
حايفته من بعده :

( طاقية ) العريان قد السهم رمراً لسر حلافة آستها  
كم صب طهط من دى وحرسها كم من يد بيضاء منك عرسها  
نمرانها سبيك أصحت مكسماً<sup>(١)</sup>

وأعلت طي أنه أراد منع قصيده يمدح بها حدة رسول الله ، وربما دفعه إلى  
ذلك رعبته في أن توسل به راحياً بقده من السور ، ثم بداه أن يحمس قصيدة  
برعية أنشأها صاحبها<sup>(٢)</sup> لمدح الرسول الكريم ، دأها قوله :

حل المرام نصب دمه حيران توحده اندكرى وسدده<sup>(٣)</sup>

وهي سبعة وستون بيتاً ، ممددة بمرل يحتمل دأه للديار بالسقيا ، وهذا يتقل  
الشاعر انتقالاً طبيعياً إلى مدح الرسول إذ قول :

ل أنت على المطحاء عرصه علا لبره روى راي مسمه  
سوى الرماض التي من رومها طلع صلائع لدين حتى قام فيمه

(١) مذهب الأتباع الصغرية من ٣٨٥ .

(٢) هو عبد الرحمن أحمد بن أبي النبي ، له ديوان كله قصائد صوفية ، بدأه بالقصائد  
التي فيها ثمرات صوفيات ، ثم انتقل إلى برعيه وهي من أبيه من أبيه  
وفي فهرس دار الكتب عند ذكر ديوانه بحرف الدال قال : به كان في قرون خمسة للهجرة  
وكذلك سر كس ( معجم المصوغات بحرف ح ٣ م ٥٥٠ ولا أدري من أن  
بدأ بذلك .

(٣) ديوان البرعي من ٣١ .

حيث النوة مصروب مرادفها والنور لا يستطيع الليل يكتمه  
وقد بدأ رعاة التحميس<sup>(١)</sup> بقوله .

تبدى الغرام ، وأهل العشق تكتمه وتدعه خدالا ؟ من يسلمه  
ما هكذا الحب يأمن لن يفهمه حل الغرام لصت دمه دمه  
حيران بوحده الذي كرى ونعمه

وهو في تحمسه بكل معنى التث ويمهده ، ولا يكاد نال عن مستواه علما ،  
كما ترى ذلك في قوله<sup>(٢)</sup> :

من في صباهته يحكيه مبتسم من في ملاحته حاز اليها وسم  
كم أقسم الحق باسم المصطفى فم نور الهدى ، جوهر التوحيد ، بدرما  
المجد ، واصفه بالدر يصمه

وحيا لا ترى ملامة من ما أتى به روعة وبين ست البرعى ، كما ترى ذلك  
في قوله<sup>(٣)</sup> :

لا تمر روما ونكا أو حراكسة لحسه إن في هذا مواكسة  
تقول آمنة فيه مـ فسة أعت لمولده الأصنام ناكسة  
على الروس ودان أخرى محرمه

فأت لا ترى مناسبة بين تفوق حسن محمد على الزم والبر والحر كس ،  
وبين انعكاس الأصنام على رومها . ولعل رأى حب روعة في تحميس هذه  
القصيدة ، فصلا عما فيها من مدح الرسول واشد عليه ، ما فيها من التوسل برسول  
الله ، وندائه أن يكشف ما أصل من الخطوب ، وهما وحد روعة أعمال صلحا  
ليتوسل بالرسول أن يكشف ما أعمره ، فيناديه قائلا :

رفاعة يشتكى من عصاة سخرت لارأب أبحر العرفان قد رحر

(١) الضمير يتأمله في كتاب مناهج لأسبب مصرية ص ٢٧١

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

فارفع ظلامه من عدلك ادحرب وهاك جوهر آياتك افتخرت  
جاءت إليك بخط الذنب ترقه<sup>(١)</sup>

فاكشف بحقك عند اليوم مظمة من المموم عدت كالليل مظمة  
واطر إليه من الفصل مكرمة واحمله منك يبرأ العين مرحة  
إذا ألم به من ليس يرجه

ارحم غرباً بعيد الدار عائبه حل النوى حل الأثقال غاربه  
فصل رغبته ، وافصل غرائبه وإن دعا فأجبه ، واحم حاسبه  
ياخير من دفنت في التراب أعظمه<sup>(٢)</sup>

ويحتم رفاعة تحميس القصيدة بقوله<sup>(٣)</sup> ، وهو مما راده على القصيدة<sup>(٤)</sup> :

رفاعة حمس الطوم مرتحلا فربعه ، وهو بالخرطوم قد وحلا  
فت هوانفه : بالله كن رحلا فإن حدك طه للخصوب حلا  
فأمر خطبك هذا الجند يحسه

مدا الماء ؟ وأهل البيت قد كرموا عودا حملا ، وما عن وعدهم عملوا  
لأنهم بالمير ، جدوا أسير أو فعلوا هم أحمر أمرهم لا كيد ، واحتلوا  
والأمر لله ما يرصاه يحكمه<sup>(٥)</sup>

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٩

(٤) حله من ص ٣

(٥) مما يصح ذكره أن علي بن ربيعة بدأه بحسن صيغة فويه ، قال يقدم لها :  
هذا بحسن قصده من رفاعة يوم اشبهت محمود الطراد في الإنشاء عذبة طيب المنود  
من شعراء القرن السابع قبلته عندما تبين مجزى عن مدحه صلى الله عليه وسلم استقلالاً ، ولم  
أرد بذلك مائة الأصل من الاستعلاء عليه والأسهب من فصالة فضله ومداره غيوب في بيوت  
كلامه لا يحاربه حيولى مع سوين حسنه أسأل الله تعالى للحمس كأمته قبولاً من ممدوحها  
صلى الله عليه وسلم وزعماء من انماط عماره لسان القلم عن قصور بكم ، وأون لتحميس .

عزونا بحبك داراً وحاراً نصرتنا قصد ونهوى اختياراً

لنا وعزائنا لا تجارى وصلنا السرى وهجرنا الديارا

وبشاك طوى إليك تقاراً

ومما تحذر الإشارة إليه أن رفاة كان معجداً بالعرى ، وبعبق نقوبه عنه :  
سبدي (١) .

وقد بلغ الله رفاة أملة عقب هذا التخميس فسعد وعاد إلى وطنه (٢) .

\* \* \*

وكان لمارس أثر صير في شعره ، ولعله رأى في الشر متنعسا لما يشعر به نحو  
هذه المدينة الكسرة ، ولم أحد له في الحدث عنها إلا قليلا ، فن ذلك حدثه  
معجبا بما فيها من ألوان الجمال إذ يقول :

لقد ذكر واشموس الحس طرا وهوا : إن مطلعها بمصر  
واسكن لوراوها وهي تندو مارس لحصوها بذكر (٣)  
وتمجبه أن تجمع مارس بن نور العلم وصلاح الكفر ، حين قول :  
أيوجد مثل مارس ديار شموس العلم فيها لا تيب  
وليل الكفر ليس له مدح أما هذا وحده كم عجب (٤)

\* \* \*

تلك هي الأغراض التي قال فيها رفاة شعره ، وهي مدح واحمسة لوطنية ،  
والوصف ، والشكوى ، والتوسل بالرسول ، وكل ذلك في أسلوب حقه من الروعة  
قليل عابا ، فليس فيه تلك القوة الآسرة ، ولا اعجامة الرائمة ، كما أن مجال الخيال  
فيه صيق محدود .

أما بناؤه للفصيدة فلم ينجح فيه فنجح الأقدمين في مدحها بالمرل ، بل في  
قصيدة مدح بها توفيقا ، بدأها بقوله :

ومها : على أن رفاةكم ربح شكاء وعصا ربح  
لداثي عر ادوا ربح مكس سامي بوه لا شاع  
مواك يعب عده لأسارى  
( رجع خميس من ٢ و ٦ )

(١) مائة الإبحار من ١٢٦

(٢) مائة الألب المصرية من ٢٦٥

(٣) خمس الإبر من ٣٩ (٤) مرجع - من ١٣١



عن حكم صدق الودّ كيف أحول وشهود حبي في هواك عدول<sup>(١)</sup>  
فهو بدأ قصيدته بالعرض الذي أنشأ لها .

وهو يصنع قصيدته من قافية واحدة ، إلا ما أنشأ من قصائد وطنية ، فإنه يقسمها أقساماً ، كل قسم به قافية واحدة ، ثم ينتهي القسم بالقافية العامة ، كما أنه ينشئ جزءاً قد يكون بيتاً أو أكثر ، يكرر عقب كل جزء ، ويسميه مدهماً ، ولعل هذه القصائد أشئت لتكون سبيلاً لتتحد للوطن ، وهذا التنوع مما يكسب الشيد جدةً وجمالاً .

وكان رفاة يدرك ما لبعض بحور الشعر من خصائص ، فقرأ بصوغ « وطنية مهمة » من بحر المتدارك ، على أسلوب حركة السرعة ، إحدى الحركات العسكرية<sup>(٢)</sup> . وبعد لحس رفاة من الشعر أنه أحد صلائع المهمة الجديدة ، وأن أسلوبه إن لم يرفع إلى مستوى الشعر السامي في الجزالة ، فهو لم ينحط إلى أن يكون تلامعاً بالقط ولا معنى شيئاً بقوله ، كما أن هذا النوع من شعر ردة الوطن كان حديثاً على الأدب العربي ، مما سمح لها أن تقرر ردة قد أدخل تحديثاً في الشعر العربي الحديث .

## مقالاته

رأى رفاة وهو في باريس المقالات تنشر في الصحف والمجلات ، فما وكل إليه في مصر أمر الوقائع المصرية حياً ، وروضة المدارس حياً آخر ، كتب عدة مقالات فيهما ، وإن كان مقالاً في الوقائع المصرية ، لكثيره ما كان مرهقاً به من الأتعاء ، يوم كان مشرفاً عليها ، ولكنه ساهم في روضة المدارس بقلمه ، وصدر العدد الأول منها بمقال تحدث فيه عن أهداف الحملة ونواحي نشاطها ، وقد جمع لهذا المقال قواه الأدبية ، ودأب له ألون الصناعة وأنواع الحرف ، كما نشر مقالات أخرى في عمر هذا العدد .

(١) مجلة روضة - باريس - سنة ١٩٠٥ - ص ١٠٠

(٢) مقدمة - مصر - روضة - ص ١٢

وستطيع أن تقسم مقالاته قسمين : أحدهما مقالات أدبية وهي بها إلى الحدث  
عن إحساس جاش في صدره ، أو عاطفة ملأت قلبه . وثانيهما مناحث تصور فيها  
رأيا ، أو يرسم تاريخاً ، أو يصف حدثاً .

من النوع الأول مثلاً : افتتاحية الروضة ، وإقامة الشكرية (١) ، ومن  
النوع الثاني بحثه (٢) في أنصافه سبحانه بالصورة حقيقة وأنصاف غيره به محالاً ،  
وهو حينئذ يحتفل بمقاله ، ويجمع له ما ذكره من المقدره على طم الكلام ، فترى  
الاستيعاب ، وما يروى له من : حرف المدح ، والكس هذه الصنعة مع ذلك لم تكن  
تدفعه إلى الخشوع ، أو تكسوكلامه بالموصع ، ولا يحب إذا كان رفعة يميل  
لذلك المحسفات ، فإن العصر لم يخلص مد من حب هذه الحروف ، ولا من أولوع  
بتقليد القدماء ، حتى أن كثيراً مما كان يشر في روضة المدارس يومئذ كان  
يعطى له ، لتشريفه ، اسم المقدمة ، حتى في غير موضوعات لأدب ، فتجد منه لآها  
عموانه : مقامة جليلة ، وآخر عنوانه : مقامة امرأته في مسائل شرعية (٣)

ومن آخر مقال كتبه رفاعة : « وفي دار المسبوق تحضر المحروسة ، يدوان  
المعارف بسرأي ذرب الأمير الدؤوسة ، وهي من أهل المدارس وأحلامها ذكراً ،  
وأسمائها وأسماها فدرأ ، فعمل حديثها وحديث فصلها ، سار كالمثل السائر حتى عبر  
وجود مثلها ، بأهل شرفها وشرف أهلها ، أسست على تقوى من الله ورصوان ،  
ونثرت في أرحائها حواهر السكتات والسنة عبر ما فيها من جميع أنواع العرفان ،  
كستها المزائم الحسينية ، حلل المحاسن والمحسنات ، والهمم الكاملة ، حللتها ،  
ما حللتها نكال المحسنات ، وأفادتها الهمة المباركة المستنارة ، أصالة التأسيس مما  
هو غني عن الإشارة (٤) » .

ورفاعة حينئذ آخر ، لا يترجم هذه المحسنات الأدبية في معظم مقالاته المسحفية ، وه  
فيها يميل إلى ، عطاء العبرة سافرة لا يحجبها زحرفة ولا صنعة اللهم إلا ما جاء عفواً

(١) روضة المدارس - سنة ١٢٠٥ - عدد ٢٢

(٢) مرجع سابق - سنة ١٢٠١ - عدد ٢٠

(٣) سنة ١٢٠١ - عدد ٢٠

(٤) مجلة روضة المدارس - سنة ١٢٠٥ - عدد ٢٢

لا تكلف فيه ، فمن مقايده ، بقائه الذكر ، استخدام الفكر <sup>(١)</sup>

« وقد انصف سبحانه وتعالى صفة البقاء ، فانصاف العبد بما أمكن من البقاء السبي هو أبقى صفاته وأفضلها ، إذ ليس للعبد من نفسه إلا العدم ، وأما الوجود فقد جاء من فضل الله تعالى ، وقد تقرر في موضعه من الحكمة أن لكل شيء غاية ، فغاية المعدن أن يصير ذهبا ، وغاية النبات النخلة ، وغاية الحيوان الإنسان ، وغاية الإنسان أن يكون رباً ، وغاية العبد أن يكون كمالاً في وقته ، باقياً بذكره . . . »

ومن مقال له عموانه : في صفة المصور ، واتصافه به حقيقة وانصاف غيره به محار <sup>(٢)</sup> « المصور بالمعنى الحقيقي مخصوص به تعالى ، حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورته أحسن تصوير ، وهذا من أرفع أعماله ، ولا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورده عالم على الوجه الذي مفصله ، فإن العالم كله في حكم شخص واحد ، مركب من أعضاء متفاوتة تجري عرض الطلب منه ، وإنما أعصاؤه وأحراره السموات ، والسكرات ، والأرضون ، وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما ، ورتب أحراره رتباً محكماً ، وعتر ذلك الترتيب لطول النظام يخصص نحوه فوق ما يسمى أن يعنو ، ونحوه العمل ما يسمى أن يسفل ، وكما أن لصدع الحجاره أسفل الحيطان والخشب فوقها ، لا يلائق بل بالحكمة والتقصيد لإرادته الإحكام ، فلو قلب ذلك فوضع الحجاره فوق الحيطان ، والخشب أسفلها ، لانهدم البناء ، ولم تثبت صورته أصلاً ، وكذلك سمى أن يفهم السيف في علو السكرات وسفل الأرض والماء وسفل أنوع الترس في الأجزاء اعظام من أجزء العالم . . . » وهو بذلك قد مهد السبيل للمقالات المرسله ، التي تعنى بالفكره ، أكثر من عنايتها بالحرف والصحة

(١) مصدر - في - ذكور - مدد

(٢) مصدر - في - ذكور - مدد

## خطبه

ليس الرفاعة من خطب سوى خطب مدرسية ، هي تلك التي كان يمشيها للناسبة  
الامتحان في آخر العام ، فقد كانت الامتحان عقد غلاية ، ويحتمع نسيج الطلبة  
المتحصن جمهور كبير من رجال الأمة وأعيان السلاسل ؛ وكان الرفاعة وهو ناظر  
لمدرسة الألسن خطب في هذا الجمهور خطبة تدور حول توحيد العلم ، والتمسك على  
مؤسس الأسرار المالك ، ودرسته ؛ وانه في هذه الخطب السجع انشراحاً وقد  
يدفعه إلى التكلف ، ويستشهد به بعض الشعراء وقد يحتملها بأشياء منه . وخطبه  
لا تتنار عن مقالاته الأدبية التي يحور في مسجى المدافعة التي ، وهي مقال يتن  
ولعل من الخير إيراد نموذج خطبه سيج به من جهة :

خطب في امتحان مدرسة لألس سنة ١٢٥٢ هـ قبل مد السبع (١) :

« حمد الله على ما علمه ، علمه لإسراء من ، وصلاه وسلاماً على ترجمان  
العلم والحكم ، العلم حجاب العرب ، ومجده ، وحي آله وأئمة فصح الأمم ، وحلته  
دوى العلم وأمره ، وحمية شرعته الخيرية ، وحمة مدته البقية ، ثم الدعاء بالنصر  
والناييد ، والجليل والتأييد ، لدوره ولي أمر حبه دولة ، صاحبة العلم والإقبال  
والسولة ، جعلها الله واحدة بقا ، أوله أول محمد ، و... ..  
ولا ربح سيدنا بر هو تلك مصره ، حتى يهلك عدو ، آمين

أما بعد فلما كانت مملكة مصر ، مفتتحة بحكمة الإلهية ، مفتره عن سائر  
ممالك البرية ، بأنها أهل لسيادتها على جميع الممالك ، وأنها ما أم الماري ، لا لك  
وهو أعلم بما هنالك ، كما يدل عليه ما سبق له في الأحكام الخالية ، والأرمان  
المتعاقبة المتتالية ، وكانت قد اعترتها فترة ، حتى حوت على عروشها البرية ، وبأن  
الله إلا نظام ملكه ، ونظامها في سمط الدول وسلكه ، حقيقها بالظلمه ،  
وأقدها بإسعافه ، وسجدها سمي رسولاً ، وعزله — لاسي — بسمي حيله ،

أكبر من عدد حركته في كثير من الأحيان ، فلهذا نشأ بها فيهم  
لا تحصى ولا تحصى . فقد قرع عنه ولي نعمته ، بلط الأوامر ، فبين من يحا  
بهمة ، نحو أمير ، ممن كان دله . فحرب والدمار ، وأين من كات حكمته من  
أرسعه من ثم حرد ما يقوى ، ممن هو رب الحكمة أتدريه الماعثة على  
قوم ما حقون . ومن د . أي قوس من كات حرائره على سبب لأموال محمولة ،  
تن حركته لأحد ، بعض من مدونه . . . . . مضي عام إلا وله فيه فتح  
سعيد ، ولا تنفى وقت . لا وه فيه حركته ، فها أشده في شهر ربيع الآخر  
من السنة ماضية ، مدرسة لألس . شاة بعقبة ماضية ، وبساره راضية ، وهمة  
وصية ، وغرضه ( حمله ) . هذا لادع ، اتساع دائرة كات معلوم والعلوم  
مع السيرة والإسراع ، وحيث إن اثر حم الصريحة ، والتعريفات العصرية ،  
لا بد من . فن انترحم عنه . عليه ، يصح لوثوق به . والتمويل عليه ، صدرت  
وامر شورا ، مارس ، مائة في حدة معلوم السعوس معائن ، بتعليم التلامذة  
أهم الأصلية حتى حده مخصوص ، بل لا ين ، قرر جميع فروعها وأدبياتها على  
الأسلوب المستوص ، ولا شك أن تلامذة هذه المدرسة معذون لارتقاء أعلى  
درجات ، وحيدته . نسي المص ، . هـ أول مجلس للامتحان ، واحتار صدق  
حد صوارم لأذهان ، وميمات حاصل امراض ، الذي يظهر فيه السكى من  
الحد ، وقد شرف . المجلس حضور شيوخ مشايخ الإسلام ، ووكلاء الدول  
الحد ، ورئيس مجلس الامتحان ، ومن الأمثال التي سارت بها الركبان : عند  
الامتحان ، كما م امر ، و . . . . .

كما كان يحط في حقل الامتحان . . . . . ومن ذلك تلك الحظنة التي أنشأها  
في امتحان مدرسة الهندسة ، في يوم السبت ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٨٢ هـ  
( سنة ١٨٦٦ م (١) ) .

وحظه ( في . . . ) . . . . . تدعى . . . . . ولا تطلق ، ويحد مدج لها في

(١) . . . . . عدد ٢٨ . . . . . في غاية المحرم سنة ١٢٨٣ هـ ( ١٤ يونية  
سنة ١٨٦٦ م )

آخر كتاب نظم الآلى فى الصوت فيمن حكم ورسا من الملوك<sup>(١)</sup>، ومجلة روضة المدارس، وتعمل أول خطة تلك اى قلمها هنا، وآخر خطها ما ألقاها فى امتحان مدرسة أسيوط فى رجب سنة ١٢٨٨ هـ<sup>(٢)</sup>، وكان هو رئيس الامتحان، وكلها ثناء على الحديو إسماعيل الذى أنشأ المدرسة، ووزير معارفه، ومدير المدارس ووكيله، وباطر المدرسة.

## لمحاته فى اللغة والأدب

### ١ -

كان رفاة تحدا لمة العربية، وبرها أعظم الثمات وأبجها<sup>(٣)</sup>، وأوسعها وأحلاها على السمع<sup>(٤)</sup>، وومن فخرها على التعبير عن أدق المعاني فى اللغات الأحسية وأعماها، وأن فى وسعها أن يستوعب آداب الأمم ومعارفها<sup>(٥)</sup>. ويرى فى هذا اللسان العربى، الجامع الواحد للجميع الممالك المتفرقة، والدول المتعدة المتحدة فى الدين وأشرمة، التسمية فى لغات أممية<sup>(٦)</sup>؛ فعلا عن الحاجة إليه فى فهم الكتاب وسنه، وكتب شريعة الطهرة ومعرفة مدرستها، واستنباطاتها، على مقتضى قواعده<sup>(٧)</sup>. فلا غرابة إذا إن رأينا متحمساً فى دعوته إلى دراستها، ونمابة بأمرها، فى عصره الذى « طعنت فيه معالمها، ورست رسومها، وبن راعوها، ونذر خطوها<sup>(٨)</sup> ».

(١) ص ٢٦٩ و ٢٧٠

(٢) مجلة روضة مدارس — ص ١٦٠ — عدد ١٦

(٣) تحف الإبرير ص ٦٢

(٤) مصدر — ص ٦١

(٥) موقع الألف ص ٦

(٦) أنوار بومى جبل ص ٥١٥

(٧) مصدر سابق ص ٥١٥

(٨) مصدر سابق ص ٥١٥



هو معجب بجهود المشرقيين ، « فقد احتصوا الآن باستخراج جوهر  
لسان العرب من معادنه ، واستنبطوا منها الفوائد المهمة ، والفوائد الجمية ،  
واستكشفوا منها عجول التواريخ والجغرافيا والعلوم والفنون والأحلاق والآداب  
والأمثال والحكم ، مما انتظم به مدحهم <sup>(١)</sup> » ، وأطرى ردعة في كتابه : تحليل  
الإبرير <sup>(٢)</sup> حد هؤلاء المشرقيين ، وأثنى عليه وعدد جهوده ، ونقل مقدمة  
بعض كتبه

أما ربه في طريقة التدريس ، فهو ألا يكتفى بالتوسع في دراسة  
أصول العربية لاثني عشر <sup>(٣)</sup> ، وقراءة مطولاتها ، والاقتصار على معرفة الشواهد ،  
كما هو الحال في المدارس ، بل لابد من دراسة آداب اللغة ودواوينها ، وأشعار  
العرب لأقدمين ومن حدد حدودهم من المولدين ، ولابد من الاعتراف من نافي  
العارف بؤى حظ وأوفر نصيب <sup>(٤)</sup> .

وعمد دراسة الأصل ، فيرى من الممكن مع الزمن أن يحصل الداطقون بالعربية  
على ملكة تكلم بالكلام المصيح وعوده وحده اللغة بين الداطقين بالعربية ،  
ويرى أن ذلك اليوم ، أي يعود فيه تلك الوحده هو خير عصر ذهبي يتعش فيه  
الإسلام ، ويزيد بسطة في العلم والجسم ، ويتموى بين أمم الأمم <sup>(٥)</sup> .

وهو يرد في يمان على دعاه العامية « الدين برعون الاشتغال بالعربية صياح رمان ،  
وأن اعتهد في تحصيلها لا يدرك منها جزاء ما يبدله فيها من جهد ، وما قال من  
عناء ، مبرها على ذلك بأن أكثر المتقدمين من العلماء كملت لهم فيها القريحة  
في سن العشرين <sup>(٦)</sup> .

حتى أن ربه لا يفره عليه في اللغة العامية لدارجة ، فهو يرى أنه لا مانع

(١) صدر سابق هذه

(٢) من ٢٣ .

(٣) هي لغة واحد وصرف ولاستحق وانعز ودين ولغروس ، والفواي  
وعيم شعر وعلم لدر وتاريخ واحد ( راجع من ٦١ تحليل الإبرير ) .

(٤) نور بوقح احيل من ٥١٥ .

(٥) المصدر سابق هذه .

(٦) المصدر السابق هذه

أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تصبها ، وأصول على حسب الإمكان ترتبها ،  
ليتعارفها أهل الإقليم ، حيث يقع بها نسبة إليهم عميم ، وتصنف فيها كتب منافع  
العمومية ، والمصالح الدلدية<sup>(١)</sup> ، فليس من رأي أن تعد هذه اللغة مأى سب  
من أسباب الحياة .

ولرفاعة رنى حصيف فى كيفية الحصول على ملكة البلاغة ، ذلك أن العاية  
من السلاعة أن تصح دوق يعرف به صاحبه منجى الأسلوب العربى السامى ،  
ويج ما عداه ، وهوى رى انوسية إلى ذلك ممارسة كلام العرب ، وسكره على السمع ،  
والطق نرا كيه وأساليبه ، وأصلى من صبيان العرب يصل إلى ذلك بشأه  
وتربيته بينهم ، وتحصل هذه الملكة من يأتى بعد حينهم يحفظ كلامهم وأشعارهم  
وحطهم ، ودوام ذلك ، حتى يصير كـ أحد ممن شأ فى حيلهم ، ورى بين طهرائهم ،  
ويومئذ « إن رام صاحب هـ ملكة أن يحيد عن الأساليب العربية ما وافقة  
لسانه على ذلك ، ويد عرض عليه لكلام الخائد عن الأسلوب العربى ، وعن  
الملاعة محته سمعه ، لعلمه أنه ليس من كلات العرب الذين مارس كلامهم ، وربما  
عمر عن الاحتجاج لذلك ، حيث به بالنسبة إليه أمر وحدانى » . أما دراسة هذه  
القوانين البلاغية فإنها تفيد علماً لا ملكة<sup>(٢)</sup> . والبلاغة الصحيحة عنده ما مهمته  
المامة ، ورضيت به الخاصة<sup>(٣)</sup> .

وهوى رى النثر أشرف من المظم ، وأرفع منه درجة ، واستدل على ذلك بأن  
الإعجاز إنما تنصل بالشور دون المظوم ، وبأن أرباب المظم أكثر من كتاب  
النثر ، فلو شئنا أن نحصى أرباب الكتابة والإشياء من أول الدول الإسلامية إلى  
الآن لما وجدنا منهم من يستحق اسم الكاتب ، لا أفراداً قلانل ، بخلاف الشعراء ،  
فإن عددهم كثير ، حتى لقد يجتمع منهم فى العصر الواحد جماعة كثيرون كل منهم  
شاعر معنق ، مما لا يحده فى كتب الإشياء ، وربما بدر الفرد الواحد فى الزمن

(١) أنوار توفيق الخليل ص ٥١٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٥٤٣ .

(٣) تخليص الإبريز ص ١٧١ .

الطول ، وامن ذلك ، لا يورده مسلك الشعر وبعد مداه ، كما أن حاجة الدولة إلى الكتاب أشد من احتياجهما إلى الشاعر<sup>(١)</sup> .

فما تنافه الأدب فيرى رفاة واحد عليه أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ، ويحوض في كل فن من الفنون ، ذلك أنه مكلف أن يحوط في كل معنى من المعاني ، وكلامه يمر على أسماع شتى من حصة وعامة ، ولا بد للكتاب أن يحسن الشعر ، أن يكون له سعة اطلاع على دواوينه ، سواء أكان من شعر العرب لعرب ، أم من شعر المولدين أو المحصرين<sup>(٢)</sup> .

ومثل الأعلى للملاعة الكتاب أن تكون معرفته العامة مبهومة ، لأنها إن لم تكن كذلك لا تكون صحيحة ، وإن تكون صركاته مما تفهمه الخاصة والعامة ، ثم كفى غصودا للخاصة ، فإنه يتفاوت بتفاوت درجات من خطوبته<sup>(٣)</sup> . ويرى رفاة الأدب فصل على العلوم ، فإنه يكسوها طلاوة وحلاوة ، وقد أصبح عهد عكسه قوله : « لعمري الأدبية ، تكسو العلوم الحقيقية طلاوة حلية ، فإنه لو صدر في التاريخ وتصريف مسائل أي علم كان ، بغيره بسيطة ، مجردة عن تحلي تخيلية لإشياء ، ولأدب ، ولم يصر يصنعها كما يسبغها في دوى القدرى ، » كتاب مسائلها ، ركيكة غير رقيقة ، فلا بد مسائل العلوم من حسن التوفيق ، وفصاحة العبارة ، ونحوها ، فلا بد من دهن القدرى ، وعشاء السامة ، تحسن العبارة في تقرير المسألة العقلية والفنية ، هو ذكرها على وجه لطيف مغنول مغفل ، يستفيد منها السامع ، ويستدبرها السامع<sup>(٤)</sup> ، وهو يرى بذلك أن يأخذ من علم فكره ، ومن لأدب أسلوبه ، وقد جرى على ذلك في تأليفه ، كما سبق أن ذكره .

ويقف ربه معجبا أمامه اشعر دى ، معه ، مدد من لأدب الرميع ، روى قول الشاعر :

(١) ترشد لأمن من ٧٤ و . مداه

(٢) رجع - ي من ٧٦

(٣) مصدر - ي من ٧٧

(٤) رجع - ي من ٧٩

من هر قلامه يومًا يعمده . نسأ كل كمي هر عمله  
ون نمر على رقي عمله . نمر ناري كتب الأنام له  
وقدم لهذين لستين نقوه : « ومن ندرج ما قيل في كتاب » ، وعلق عليهما  
بقوله : « واليب الأخير من الشعر . نفس . وفيه ضرب من التجسس <sup>(١)</sup> » .  
وعص رفاعة في بعض كائنه مسائل من نريخ الأدب ، فوارن حيناً من  
الشعراء : جاهليين و إسلاميين وعصريين ، وشعر الإسلاميين المتقدمين أرى من  
أشعار أهل الجاهلية ، ونسار نحدثي نصف من شعر المتقدمين ، وأشعار المولدين  
أبدع من أسرار النحدثين ، ثم كاتب شعر عهد من باعتبار نشأته أجمع لمواد  
الحاسن وللطائف البدائع من سائر بلد كورين ، ولا سيما إلى أمد عايات الحسن ،  
وبلوعها أقصى نهاية الجودة والظرف ، نكاد نخرج من حد الإعجاب إلى الإعجاز <sup>(٢)</sup> ،  
فهو معجب إلى آخر حده الإعجاب ، لشعره المصنوع ، وامل مر هذا الإعجاب  
هو ما فيه من لصقة و رخوف و نطق مع مدحه لنى أسلفناه .  
ونحدث رفاعة عن شه عند عرب ودلانه على أخلاقهم <sup>(٣)</sup> ، وعن ملكة  
الشعر وأخطائه عند العرب <sup>(٤)</sup> ، ونحدث عن - وف عكايد في الجاهلية وأثره <sup>(٥)</sup> ،  
وعن المعتقد السمع ونم نرج زباني <sup>(٦)</sup> ، وعن ظهور كنية عند العرب <sup>(٧)</sup> ،  
وأثر الشعر في تهذيب العرب ، وبعدهم يقول - نة محمد <sup>(٨)</sup> ، ونعرض لوحوه  
إنجاز القرآن ، وبسط الكلام في المشه وعكم ، وفي طهره التناقص  
أو التكرار <sup>(٩)</sup> ، وعلل هذا البسط و حده و كلام الأوربيين عند ذكر القرآن  
من تعداد هذه الأشياء ، وعددها من المريب ، وشده تمته في ذلك <sup>(١٠)</sup> .

(١) مرشد الأمل من ١٠١ .

(٢) المرجع السابق من ٧٦ .

(٣) نور يوسف حسن من ٨٦ : .

(٤) المرجع السابق من ١٧٨ .

(٥) المرجع السابق من ٢٩٢ .

(٦) المرجع السابق من ٥٠١ .

(٧) المرجع السابق من ٥٠٦ .

(٨) المرجع السابق من ٥١٠ .

(٩) المرجع السابق من ٥٤٠ .

(١٠) المرجع السابق من ٥٤٢ .

نعم روعة في دراسة اللغة العربية ، ولا سيّما أدبها ، وقد أعنته هذه الدراسة على تدليل قواعد اللغة العربية<sup>(١)</sup> ، ولم يكتب ذلك ، بل مضى يوازن بين اللغتين ، ويحمل النظر في أدبيهما ولاعتقهما ، وكان من أول ما استرعى نظره ، أنه لم يجد في اللغة العربية ما أله في العربية من تأليف متن صغير يجمع مسائل العلم جمعا مركزا مضبوطا ، يوضع عليه شرح يوضح بعض غامضه ، ثم يوضع على الشرح حاشية توافس اليها وشرح بعض المسائل الغامضة ، ويتضح فري ، ذلك كله مشتق ذهن ، يسي موضوع العلم ، ويتضح في طرح المناقشات والمفروض والاعتراضات ، أم اللغة العربية فلا شيء ، فبها من ذلك ، « وقد شرع الإنسان في مطالعة كتب في أي علم كان ، مدّح لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاذة الألفاظ ، فيصرف سائر همته في البحث عن موضوع العلم وعن مجرد المنطوق والفهوم ، وعن سائر ما يمكن إنتاجه منهما ، وأما غير ذلك فهو صداع ؛ مثلا إذا أراد إنسان أن يطالع علم الحساب فبه فهم منه ما يخص لأعداد من غير أن ينظر إلى إعراب المعاديات وإجرائها ما اشتغال علماء من الاستعداد ، والاعراض بأن المعاديات كانت دالة لتجديس وقد حلت عنه ، وأن المصنف قدّم كذا ، ولو أخره كان أولى ، وأنه غير مالم ، محل نواو ، والعلماء أحسن ونحو ذلك<sup>(٢)</sup> » . ولهذا حكم روعة سهولة اللغة العربية ، وقدرة أي إنسان على فهمها أن يطالع أي كتاب كان ، وإن العلم الذي يدرس الكتاب لا يحب عليه أن يحل الأمثلة أمدا ، لأن الألفاظ واضحة ، واسكتت العرب من شراح ولا حواش إلا درأ ، ولكمهم قد يدركون بعض عمليات حقيقة ، تكفيلا للمعاريه تنقيده أو نحوه<sup>(٣)</sup>

ووازن روعة في البلاغة بين ناعمين ، فوجد أن علم بحسب العماره وطريقتهما

(١) مقدمة نظم القواعد .

(٢) حصص لإبراهيم من ١٣١

(٣) انظر السابق منه .

على مقتضيات الأحوال ، ليس من خواص اللغة العربية ، والإعرج سموه بـعلم  
الريتوريقي ( Rhétorique ) ولكن هذا العلم في اللغة العربية تتم وأكمل منه  
في غيرها ، خصوصاً علم النديم ، بأنه يشبه أن يكون من خواص اللغة العربية ،  
لصومه في اللغات الإفرنجية<sup>(١)</sup> ، وربما عد ما يكون من المحسنات البديعية في  
العربية ركازاً عند عربيين ، فالتورية مثلاً ليست من محسنات الجيده الاستعمال  
إلا نادراً ، بل كانت هي من محركات أدبهم ، وكذلك الجناس التام والناقص  
فيه لا معنى له عندهم ، وتذهب صرفة من حرر لهم من العربية بما يكون مزخرفاً  
بهذا النوع من المحسنات<sup>(٢)</sup> .

وبلاغة أئمة القرون الأولى من عصرنا من خصوصيات اللغة العربية  
كذلك .

ولخط رفاعة أن الشيء قد يكون شبيهاً في لغة غير بلغة في أخرى ، وقبيحاً  
فيها ، وقد تنفق بلاغة الشيء في معنى أو لغة ، كما إذا أردت أن تشبه رجلاً  
شجاعاً بالأسد ، فإنه مقبول في العربية وغيرها ، وإذا أردت أن تشبه هيبلاً بالشمس ،  
أو أن تقول عن حمرة حدة أن حدوده تنطلي ، فهذا التشبيه حسن في العربية ،  
غير مقبول في الإفرنجية ، وأورد رفاعة كذلك عدة أبيات أولها :

حليلى ، إن قالت شينسة ماله أيا بلا وعد ، فقولا لها : « لها »

وأعلب شبيهاً غير مقبول عند الإفرنج<sup>(٣)</sup> .

واسترجع بطر رفاعة وهو في باريس أن العربيين مع شرمهم للحمور  
لا يفتزلون بها كثيراً في أشعارهم ، وليس عندهم أسماء كثيرة تدل على الحمرة  
كما عند العرب ، ولا يتخيرون في شربها معاني ولا تشبيهات ولا مبالغات ،  
والكتب المتعددة لسكاري هرايات في مدح الحمرة لا تدخل في الأدبيات الصحيحة

(١) راجع سابق ص ١٩٧

(٢) راجع سابق ص ٥٩

(٣) راجع سابق ص ١٩٧



في شيء ، على العكس من ذلك عند العرب ، الذين أحبت الحر في آدابهم مكاناً  
متميزاً<sup>(١)</sup> .

وعند رفاة من محاسن أسعارهم وصاعبه ثياب ، أتى التعرل فأكبر ، فلا  
يحسن في اللغة العربية قول لرحل : « عشت علاماً » ، فذلك من الكلام  
الأسود للسكالي ، وهذا يترجم أحدهم شعراً فيه عرل عند كز ، قال في ترجمة تنك  
حمه : « عشت فتاة » ، أو راء ، ليتخلص من ذلك<sup>(٢)</sup> .

ومما عت بطر رفاة لب ماري من وفاق بين مرجي العرب والفرسيين  
من عرب في الأسعار الحريمية . وقد رثى لحر كلاماً كثيراً قرب من قول الشاعر  
العربي :

ولقد دكرت ، ولما ج واهل من ، بيض الحمد تقصر من دوى  
فودد قفيل سيوف ، لأهب روت كدرك ثمرت المتسم<sup>(٣)</sup>  
ولا ريب أن من الممكن عقد موارد شتى من الأدب والعين والملاعتين ،  
مرض روعة بعض حواشي .

(١) ترجمة سابق من ٩١

(٢) ترجمة سابق من ٥٣

(٣) ترجمة سابق من ١٣٣

## جهوده اللغوية

كانت سبل الترجمة في ذلك العصر شائكة ، مليئة بالصعاب ، فقد رعدت اللغة العربية حينئذ طويلاً من الدهر ، لم يجد حركة التقدم ، ولم تكن على التعبير عما جد في العلم والحضارة والمدسة ، وما حاول المترجمون نقله ، وإن أعوم أحاطة ، اعترضتهم صعوبة العثور على تعبير يطابق في معناها معنى الألفاظ المترجمة .

وقد اعترف روعة صعوبة فن الترجمة ، « خصوصاً ترجمة الكتب العلمية ، » وبه يحتاج إلى معرفة اصطلاحات أصول العلوم المراد ترجمتها ، فهو عاظم عن معرفة اللسان المترجم عنه ، ومن المترجم فيه <sup>(١)</sup> .

وكان روعة لا يعدم على ترجمة كتب إلا إذا كان وثقاً من قدره على تدويل صواباته بنفسه ، أو بمن تحت إشرافه في فن الترجمة ، ولا يرى مرد أن من يشرف عليهم من المترجمين ليسوا أهلاً لأن يترجموا ما عهد إليهم به . اعتذر عن اقديم بهذه الترجمة ، كما حدث عندما أحييت إلى اقيم ترجمة بعض البوائخ والإرشادات الصحية ، من رفاة ردها ، محتجاً أن بها مصطلحات طبية ، لا يمكن ترجمتها إلا بعبارة الطب <sup>(٢)</sup> . وكثيراً ما قام رفاة بتدليل العقبات التي تقف في وجهه تلاميذه ، كما اعترف بذلك هؤلاء . لا يبد <sup>(٣)</sup> ؛ ولكي سبب جهوده اللغوية ، وقف عند كل لون من تلك الألوان التي نقل بها المعارف إلى اللغة العربية ، وأغنى بها : التعريب ، والترجمة ، ووضع المصطلحات ، ونحصر كلا بكلمة .

(١) حليم لايرير ص ١١

(٢) راجع مقدم في ص ١٢٧

(٣) راجع مقدمة ص ١٢٧

## التعريب

أقصد بالتعريب هنا نقل الاسم من اللغة الأجنبية إلى العربية ، مع تغيير بعض لا مقد الاسم معظم حروفه وحركاته ، وروعة يتبع هذا المنهج في :

١ - أسماء البلاد والمعلم الخمرانية ، فهو ينقل الأسماء إلى العربية ، كنطقها في اللغة الفرنسية ، فسمع منه لدره<sup>(١)</sup> (Londre) ، وإتاروي<sup>(٢)</sup> (Etats-Unis) للولايات المتحدة ، وكان ترجمتها بالأقاليم المتحدة<sup>(٣)</sup> ، وباسيفيك<sup>(٤)</sup> (Pacifique)

وهذه الطريقة أعنى اللغة العربية ، أسماء أهم ممالك العالم ومدنه ، وأسماء معظم العالم الطبيعية فيه . من جمال ، ونجار ، وأهار ، وحلجان ، وحرر ، ومصايق ، وبحيرات وصهار ، وكان تعريبها سبباً للوك الألسنة لها ، وفق بعضها على حاله ، وتأثر بعضها بالزمن فأحدث فيها خفة وبعض تغيير .

على أن رعاة كان يحدث في بعض الأحيان سبباً من التغيير في النطق ، فيبدأ بعض الكلمات المدونة بالسلكس ، منهم الوصل ، مثل إريطانية<sup>(٥)</sup> في (Brétagne) ، أو يحتم البعض أسماء ، مثل برييلة<sup>(٦)</sup> في (Brasil) أو يقلب الجيم باء ويريد على الكلمة مثل يابويا<sup>(٧)</sup> في (Japon) .

ومما يلحظ أنه عرب اسم العاصمة الأمريكية (وسهنتون<sup>(٨)</sup>) متبماً في ذلك الحروف المكتوبة لأن (sh) لم يطق منها (ش) .

وكان رعاة يعرب الأسماء محتفظاً بنطقها الفرنسي ، إلا إذا وقف على اسمها

(١) التعريب صفحة ٣٨

(٢) فلاندا مفاخر ص ٦٢ .

(٣) تخصص الإبرر ص ١٥

(٤) فلاندا مفاخر ص ٢٣

(٥) مرسات الشاف ص ٢٧

(٦) فلاندا مفاخر ص ٢

(٧) تخصص الإبرر ص ١٦ (٨) مرجع سبق منه .

العربي ، فإنه يؤثره ، ومن ذلك مدينة ( سبيليه ) و ( غرطة ) وسهر ( الكيك )  
فيه آثارها على ( سبيل Seville ) و ( أغرودة Grenade ) وسهر ( الخنخ )  
Gange<sup>(١)</sup> . وأحياناً يجمع بين الاسمين ، فيقول مثلاً : جزيرة سبيليا  
( Sicile ) أو صقلية ، وهو الاسم المعروفة به في الكتب العربية .

٢ - وفي أسماء الطوائف ، فهو يؤثر أن يذكر أسماءها كما وصفها هــده  
الطوائف ، فيقل إلى العربية مثلاً أسماء الطوائف : ثومار<sup>(٢)</sup> ( نعم الحمرة وسكون  
لواو ، فيم سا كنة ، موحدة ، بعدها ألف وراء ) وهي طائفة من بلاد بطل ،  
تتعلق بالتجارة والمعاملات كأموال الصيارفة والدلالة

وهــتروسك<sup>(٣)</sup> ( بكسر الهمزة وسكون الشدة التحتية ، مشتاد فوقية سا كنة ،  
فراء مصمومة ، فواو سا كنة ، فسان مهمله سا كنة ) وهــم قدام ، فيم طسكانه بلاد  
إطاليا .

وإيروقاتي<sup>(٤)</sup> ( بكسر الهمزة وسكون الشدة التحتية ، وراء ، بعده واو ، فوف  
بعدها ألف ، فهمزة مكسورة ، فياء ) وهــم طوائف بلاد مصر كة التسمية .

وباريا<sup>(٥)</sup> ( باء موحدة بعدها ألف ، فاء مكسورة ، فياء ، بعدها ألف ) فرقة  
بلاد الهند مبعوضة عند اليهود ، كاليهود في سائر البلاد .

وباباية<sup>(٦)</sup> ( بموحدة بعدها ألف ، فنون مكسورة ، شدة تحتية ، بعدها ألف ،  
فنون مفتوحة ، فتاء ثالثة ) فرق يهود الهند . يشتعرون باسم ملاب مابين صيارفة  
ودلائن وتجار

إلى عشرات أخرى من أسماء الطوائف ، وكأنه يرى بذلك أن الاحتفاظ بهذه  
الأسماء ، أدعى إلى إثارة معانيها في النفس عند النطق بها ، وتغيرها عن سواها ،  
وسوف ندرس منهجه في التعميم هذه الأسماء .

(١) تعريف شاميه ص ٦ .

(٢) ثلاث لمحر ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥ .

(٤) مرجع - ص ٢٣ .

٣ — وفي أسماء الأشخاص — وهذا أمر طبيعي — وربما عيّر القبيل من حرومها ، كما في عولوس ( Ulysse ) وكاميه في ( Calipso ) ومنصور<sup>(١)</sup> في ( Mintor ) ولافونسيه<sup>(٢)</sup> في ( Lafontaine ) ، ويضع حرحس مكان جورج<sup>(٣)</sup> ( George ) .

٤ — وفي أسماء لأحاسيس والفنائل ، وهو بهذا يفتح الباب لدخول مئات الأسماء ، للتعريف بأحاسيس العالم ونعمونه ، فتراه يستخدم أوطا<sup>(٤)</sup> ( بضم الهمزة ، وسكون الواو ، فطاء مهملة معصومة مشددة ، فيم بعدها ألف ، فقاو ) اسم طوائف وحشية بأمريكا الحموية . وسك<sup>(٥)</sup> ( يفتح الموحدة ، وسكون السين المهملة وكاف أو قاف ) قبائل بلاد إسبانيا يحمل البرص . وغير ذلك .

٥ — وفي أسماء الخيوان والنبات ادى لا اسم له في اللغة العربية ، مما تقتضى به بلاد أمريكا .

٦ — وفي بعضه المربح من أعلام لأعبيدهم وحفلائهم ، كحول أحد أعياد الرومانيين<sup>(٦)</sup> والألعاب الأولمبية<sup>(٧)</sup> .

٧ — أسماء المشهور الفرنجة .

وهذا جدول<sup>(٨)</sup> تعرضه :

شهر فرنسية	معرب له	معرب رده	شهر فرنسية	معرب له	معرب رده
Janvier	يناير	سويه	Janlet	يولية	يوية
Fevrier	فراير	فريه	Août	أعسطس	أغسطس
Mars	مارس	مارث	Septembre	سبتمبر	سبتمبر
Avril	أبريل	أربل	Octobre	أكتوبر	أقطوبر
Mat	مايو	ميه	Novembre	نوفمبر	نوغبر
Jun	يوية	يوية	Décembre	ديسمبر	دقبر

- (١) راجع مواقع الأعلام (٢) مناهج الألبان المصرية ص ١٢٢ .  
 (٣) تحليل الإمبر من ٢١٤ . (٤) فلاتد المفاخر ص ١٢ .  
 (٥) فلاتد المفاخر ص ٢٧ . (٦) المرجع السابق ص ٤٠ .  
 (٧) المرجع السابق ص ١٣ . (٨) التعريفات الشافية — القسم الثاني ص ٨٨ .

والغالب أن رفاة رأى أسماء الشهور معرفة كذلك فاستخدمها .  
 ٨ — كلمة متر<sup>(١)</sup> ( Metre ) فلم يصع مكانها كلمة ( ذراع فرسية )  
 ولا سواها ، بل استخدمها هي في حديثه عن انطيس .  
 وهو يحافظ في معظم ما يحرره على الحروف المرحية ، وإن كان يميل غالباً إلى  
 قلب التاء طاء ، والكاف قافاً ، فيقول اللغة اللاطينية في Langue Latine  
 وطونديا في Fauterie ، والقاثوليكية في Les Catholiques وإسقيمو<sup>(٢)</sup> في  
 Esquimaux .

## الترجمة

أما الترجمة فهي نقل المعنى إلى اللغة العربية بأسلوب عربي ، وفي لفظ عربي .  
 وقد بينا اعتراف رفاة بصعوبة فن الترجمة ، ورأسه وهو في باريس ، يحوجه  
 اصطلاح اللغة العربية أن يضع محازاً بدلاً من آخر ، وأنه يرغم محافظته على روح  
 المعنى الأصلي ، لا يكون في ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه ، وأنه ربما  
 ترجم الجملة بجملة والكلمة بكلمة<sup>(٣)</sup> ، وكان يصر بعض الحكماء التي لا يجد لها  
 مقابلاً في العربية قدر ما يستطيع ، قال : « وما نأص منّا حملت لفظه ورسمته »  
 كما يمكن كتابته به ، وربما أدخلته بعض تفسيرات لطيفة<sup>(٤)</sup> .

وكان رفاة يرى أن الترجمة تذهب سلاعة النص الأدبي المرحم ومبانيه ، فقد  
 يكون الشعر الفرنسي على النص في أصله ، لكن لا يظهر عند نفس صاحبه في  
 الترجمة ، كالشأن في لطائف القصائد العربية ، فيه لا يمكن ترجمتها إلى عاد اللغات  
 الإفرنجية ، من غير أن يذهب حسن ، بل ربما صار ردة<sup>(٥)</sup> ، ولذا كان في نص  
 الأحيان ، يعترف بقصور عبارته عن أن تؤدي حرارة العبارة الفرنسية ، فقد نقل

(١) ماضي ، هدية من ٩ وحبس لإبرير من ٤٩

(٢) فلاند لفر من ٤ .

(٣) راجع من ٢٧

(٤) حبس لإبرير من ٧٠



ما حتم به الملك لويس فيليب كلمته بذلك : « واشترطه تصير من هذا الوقت حقاً » . وعنى عليها بقوله : « ولقد صارت هذه الجملة عند الفرنسيين مثلاً من الأمثال » ، وألفاظها بالفرنساوية في غانة الخامسة<sup>(١)</sup> .

وكان رفاة عندما يترجم الأدب ، يعنى بأن ينقله في أسلوب قويم ، وتصرف — كما قلنا — بعض التصرف . من غير أن يحل بأصل المعنى المراد ، وقد سبق هذا المسح في مقدمة كتابه . وهاهنا تذكير ، يقال : « وأدت تعريب أسهل تقرت وأحرز نصر » ونحوه ، مما يورث المعنى أدنى تمبير ، ويؤثر في فهم المقصود أصل التأثير . اللهم إلا أن يكون ثم محل محل ، بالمادة ، فاقبح لذكر مآل المعنى ومضمونه بعبارة بعيدة لآراء المعنى أكثر بقاء ، وهذه أساليب في قالب الترجمة معتادة<sup>(٢)</sup> .

أما في ترجمته لمقاييس المذقة والبساطة ، كما كان شأنه كذلك في الترجمة العلمية ، وأسلوبه في ترجمته تلك ، مرسل في العالب ودقيق ، وإن كنت لا أتمدد في ترجمته للجغرافية أن تجد سجماً .

ورغم مقدرة رفاة على التعريب لا يجوز أن تجد الزكافة في بعض عباراته ، وأن تجد في بعض أساليبه رخ الترجمة كقوليه : « يريد أن تنظم في سلك عبارات متناسقة تريحية ، سده من الجغرافيا القديمة والحديثة<sup>(٣)</sup> » و « سائر الفرنسيين مستوون فدام الشريعة<sup>(٤)</sup> » و « لا تقع بصلح شيء في آداب سياسات فرنسا . إلا إذا رضى به الملك<sup>(٥)</sup> » و « بشرط أن يصنع ديوان رسل حديد<sup>(٦)</sup> » و « اعتناء سده<sup>(٧)</sup> » و « عرمت على ألا ترك أبداً الكرسي الذي أعطته لي الملكة الفرنسية<sup>(٨)</sup> » و « الحشوة والتمدن يمشان بهرولة على سطح الكرة<sup>(٩)</sup> »

(١) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٢) موقع الأملك ص ٥ .

(٣) جغرافيا عروسة ص ١ ص ٣ .

(٤) مجلس الإمبر ص ٧٤ .

(٥) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٧) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٠٧ .

(٩) المصدر السابق ص ١٨٠ .

و « كانت حيوله مسبقاً حيول سائر المالك في الركض في ميادين الفخار والعلم والحكمة <sup>(١)</sup> » وقد رأيت فيه معنى الميادين التي ترجم فيها رفاعة ، أو ساعد على الترجمة فيها .

## وضع المصطلحات

كان من العكس لرفعنا أن نبحث هنا ونعده ، حتى ننتهي إلى أن يطى يؤدي به المعنى المصوغ في عبارات فرنسية ، مادام قد سبق لنا في العربية معرفة هذا المعنى وعُتِبَ عنه ، ولكن رفاعة كثيراً ما كان يقف أمام العاطف الفرنسية مرفوعاً معها ، ثم يتحدث في البحث فلا يعرف لفظاً عربياً يؤدي به هذا المعنى . وقد يقف هذا الموقف أمام مظهر جديد من مظاهر هذه الحضارة ، أو علم من العلوم المجهولة لدى العرب ، أو مسائل هذا العلم ، أو مذهب من مذاهب السياسة أو الاجتماعية ، أو نظام من الأنظمة الإدارية ، أو مخترع جديد ، وأمام ذلك كله يقف رفاعة مقلداً ، يفتش عن لفظ يؤدي به تلك المعاني المنددة ، كما هو في أول مرة أمام *Théâtre* و *Spectacle* فتعجب في البحث عن اسم عربي يؤدي معناه الكامل ، وهذا بحث رفاعة إلى طريقته : إيجادهم أن يسمع له مصطلحاً ، وإذ لم يجد أن يغير عنه اللفظ العربي ، وشرحه .

والمصطلح كلمة أو عبارة يستخدم ويرد أو جماعة على إطلاقها على شيء مادي أو معنوي ، فوضع السيرة على هذه الأداة المعروفة مصطلح ، وإطلاق الوجدان على هذا المظهر المخصوص من مصدر العقل مصطلح ، وهو أبلغ شيء : منه ما هو أدنى ، أي أنه يوضع ليستخدم في مع الأدب ، ففهمه الناس عامة ، ومنه ما هو علمي يختص بفهمه أهل العلم الذين وضعوا هذا المصطلح ، كالراوية الحديثة والفئة في علم الهندسة . ويتنوع المصطلح العلمي بتنوع فروع العلوم ، فهناك مصطلحات جغرافية وأخرى فلكية ، وغيرها هندسية وتحريرية وهكذا . وكان عدم مصطلحاته الخاصة به ، وتبلغ الامة أوج الكمال إذا استطاعت أن تبنى بمصطلحات العلوم

المجتمعه ، لأن هذه المصطلحات هي التي تصط مسائل العلم ، ولذا كان روعة شديد  
الإعجاب باللغة الفرنسية ، فإن آمنون فيها قد بلغت درجة أوجها ، لأن كل علم فيها  
له فابوس مرتب على حروف المعجم ، في لفاظ العلم . (اصطلاحية ، حتى علوم السوق<sup>(١)</sup>) ،  
ووجد يسوع الاصطلاحات في اللغة الفرنسية ، هو اللغة اليهودية ، ورأى ذلك  
مصدر على اللغة وسوع . وة ، قل رفاعه : « وأكثر الكلمات الاصطلاحية  
يومية ، حتى كان لاسمهم من أشنع الألسنة وأوسمها ، بالنسبة لكثرة الكلمات  
عبر المرادفة<sup>(٢)</sup> » .

أما اللغة العربية في أمس الحاجة إلى هذه لمصطلحات ، حتى نستطيع أن  
نمحص نعم ، ثقيف بها ، مكتفية بنفسها عما سواها ، وكان رفاعه يشعر بذلك ،  
ويرى أن تصاغر جهوده وجهود العبورين على اللغة كفيلا سد هذا النقص .  
وكان مسجع رفاعه في اختبار مصطلح أن يبحث : أنى اللغة العربية اسم يمكن  
أن يستخدمه ولو بطريق التوسع ، للدلالة على هذا الشيء الجديد ، فيستخدمه ، قال  
بعد أن وصف أنواعاً من ( التينز ) و ( السكتا كل ) : « ولا أعرف اسماً عربياً  
يلين عنهما ، غير أن لفظ ( سسكتا كل ) معناه منظر أو منزه أو نحو ذلك ،  
ولفظ ( بياز ) معناه الأصلي كذلك ، ثم سعى بها اللعب ومجمله ، ويقرب أن يكون  
بظروها أهل اللمب المسمى خيالياً ، بل الخيالي نوع منها . . . لا مانع أن نترحم  
لفظة ياتزو أو سسكت كل بلفظ حيلى ، ويتوسع في معنى هذه الكلمة<sup>(٣)</sup> » .  
فإن لم نجد لفظاً يستخدمه ، نطرب إلى فكره اللفظ فترجمها في كلمة أو عدة كلمات ، كما  
وصع لكلمة Musée اسم حراة المستعربات ، وهي ما احترماله اليوم كلمة المتحف .  
الطريقة الثانية أن يستخدم الاسم العرسى . وذلك حين يعجز عن الإتيان  
باسم عربى يقال له . أو حين يؤثر الراحة وعدم لعناء . وذلك كوقعه من الآلة الموسيقية  
البيانو<sup>(٤)</sup> ( Piano ) وموقعه من بواع دور التمثيل ، مثل ياورمه<sup>(٥)</sup> ( Panorama )

(١) حبيب إبراهيم ص ٦٨

(٢) الصدر السبق ص ٥٩

(٣) حبيب إبراهيم ص ٩٧

(٤) و (٥) المرجع السابق منه .

وهو محل تنظر فيه ، فرى المدينة لى تريد تصويرها ، فى صورة مصر ترى كأنك  
على منارة السلطان حسن مثلاً ، والرؤية تحتك ، وباقى المدينة ، وكسمورمه <sup>(١)</sup>  
(Cosmorama) وفيه صورة بلدة ثم أخرى وهكذا . ودورمه <sup>(٢)</sup> (Diorama)  
وفيه صورة دار ، و (أوراورمه) <sup>(٣)</sup> وفيه صورة أعظم وسائر ما يحتوى  
عليه ، مصوراً على مذهب الإفرنج ، فالتفرج فيه يمكنه أن يطالع علم الفلك .  
و (أورورمه) <sup>(٤)</sup> وفيه صورة بلاد الفرنج ، وموقعه من مصر أنواع العربات مثل  
رولاحة <sup>(٥)</sup> Roulege ، وهى عربة معده لوسى الأمتعة من باريس إلى البلاد البعيدة  
وكوكو <sup>(٦)</sup> oucou ، وهى عربة صغيرة للسفر إلى المحال القريبة من باريس .  
وفيا كر <sup>(٧)</sup> Fiacre ، وهى عربة فيها مقعد فيه سدتان متقابلتان بسعدان ستة  
أنفس ، ولها حصانان ، و (كبريوله) <sup>(٨)</sup> ، وهى عربة فيها مقعد فيه سدة واحدة  
تسع ثلاثة أنفس و (الدخس) <sup>(٩)</sup> ، وهى عربة توسى الناس للسفر ، و (الأميوسه)  
Omnibus <sup>(١٠)</sup> ، وهى عربة كعرة عمومية ، وكاستخدامه كلمة (وايور) <sup>(١١)</sup>  
Vapeur فلم تكن كلمة قطار معروفة لديه ، وكلمة (أوريه كوميك) <sup>(١٢)</sup> Opera  
Comique ، لتمثيل الممثل المضحك ، وكلمة Boulevard ، ويجمعها على بلوارات  
وقد عرفها بقوله « إن هذه المدينة (باريس) مشقوقة وبحتطة صفوف أشجار  
مرصوفة على سمت الخطوط المتوازية ، لا يخرج بعضها عن مص أبداً ، وبكى مواها  
طوبى شعرا ، وبكى أى عمل ، وهى موزعة فى أيام الحر ، تستظل المار بها من حر  
الشمس . . . فيوجد فى باريس (بلوارات) حرجة كالسور المدينة و (بلوارات)  
داخل المدينة <sup>(١٣)</sup> » . وكلمة اشواليه (Chevalier) وقد فسرناها بأنها تعنى القارس  
فى فيه <sup>(١٤)</sup> . وكذلك لم يسمع مصطلحاً بديل كلمة كوليج (Collège) ، وإعما

(١) و (٢) و (٣) المرجع السابق منه .

(٤) مجلس الإبريز ص ٩٧ .

(٥) و (٦) و (٧) و (٨) و (٩) و (١٠) - حج - ص ١٢٥

(١١) ضاهج الألباب المصرية ص ١٢٦

(١٢) مجلس الإبريز ص ٩٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٥١ .

(١٤) المرجع السابق ص ٧٩ .

عرفها بأنها مدرسة تنم فيها لإسنان العلوم المهمة ، ويحجمها على ( كوليجات )  
ويشبهها على ( كوليجات )<sup>(١)</sup> . ولا يدل كلمة الكونسرواتور Conservatoire ،  
وشرح معناه أنه يحزن أو المحط أو محو دين ، ويوسع في هذا المثل جميع الآلات  
خصوصاً الهندسية<sup>(٢)</sup> . ولا يدل كلمة بنطرافة Pontographe وهي آلة ينقل  
منها كل شيء من أنواع الرسم وإن لم تكن لتناقل معرفة عن الرسم<sup>(٣)</sup> ، ونقل  
إلى العربية هذه الكلمات : أرسنة الطيا<sup>(٤)</sup> Aristocratie ، وديموقراطية<sup>(٥)</sup>  
Demeratie ، ومورخي أو مونركي<sup>(٦)</sup> Monarchie ، ويعني بها نظام الحكم  
الملكي ، من غير أن يصح لها مصطلحاً كذلك .

ومما يلحظ به في هذه الكلمات الفرنسية وقد اشتق منها ، هذه  
كلمة عربية portante ومعناها مدة الحجر العسقي أربعون يوماً ،  
أو أكثر أو أقل - عربيها ردة واستخدمها بلفظها ( الكرنيمة<sup>(٧)</sup> ) ، واشتق  
منها ملاحضات ( سكرن<sup>(٨)</sup> ) ، وأتى بالمصدر ، فقال ( السكرنة<sup>(٩)</sup> )

ومما سمي أن يوجه إليه النظر أن رفاعة في كثير من الأحيان يستخدم اللفظ  
الأحصى ، حتى بعد أن يضع مصطلحاً عربياً ؛ فتراه مثلاً ، وقد سمي Les  
Journaux و la gazettes . اورب<sup>(١٠)</sup> اليومية ، والتذاكر<sup>(١١)</sup> اليومية ، -  
لا يفتن استخدام كلمة حوربال ، وكارطة ، معدة ومجموعة جمع مؤنث سالما ، فيقول  
( حوربال ) و ( كارط ) ، ويستخدم الجمع الفرنسي للكلمة الأولى ، فيقول  
( حورب<sup>(١٢)</sup> ) . وكحل الرقص يسمى وصمه كلمة البال<sup>(١٣)</sup> Le Bal وفيه كثيراً  
ما يستخدم اللفظ الفرنسي مفرد ومجموعاً ، وأدخله في شعره ، فقال :

وملعب ( بال ) بالحسد مدمم عيون عوايه تعارل بالفتك<sup>(١٤)</sup>

- |                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| (١) جمع - من ص ١٤١        | (٢) مرجع سابق ص ١٣٧        |
| (٣) مدون هندسة ص ٣        | (٤) عربات شام ص ٢٠ - ٦٢    |
| (٥) مصدر سابق ص ٧٦        | (٦) المصدر السابق ص ٩٣ .   |
| (٧) حبيب لإبرير ص ٣٢ .    | (٨) المصدر السابق نفسه .   |
| (٩) مصدر سابق ص ٣٢ .      | (١٠) المصدر السابق ص ٨١ .  |
| (١١) مصدر سابق ص ١٤٤      | (١٢) المصدر السابق نفسه .  |
| (١٣) المصدر السابق ص ٩٧ . | (١٤) الكواكب النيرة ص ٢٣ . |

و بعد أن سمي La Chambre des Paires ديوان الشورى لأولى<sup>(١)</sup> تعود إلى تسمية الديوان باسمه الفرنسي فيقول ديوان الشورى<sup>(٢)</sup> ، بل شق من الكلمة الفرنسية فيقول مرسة ( العربية<sup>(٣)</sup> ) .

و قد يؤثر في الاستعمال لفظ لأحصى على العربي ، حتى لا يكاد يستعمل المصطلح العربي ، وذلك ككلمة ( الإبلانية<sup>(٤)</sup> ) ، يستعملها ، وقد وضع لها مصطلحاً هو علم السيرة أو رسالة السداد ، وهي مأخوذة في مرسية من مادة Elire ومنها Eligibilité ؛ وكلمة ( السكورة ) تعني الانحجاب ، وهذا لاستعجاب السكورة ، وهي مأخوذة من المادة مرسية السابقة أيضاً ، فإنه لا يكاد يستخدم سوى الكلمة لأحصى حتى قد عرّبها<sup>(٥)</sup> في جدول أمارة ، مما يوحي بأنه يود إدخالها في اللغة العربية نسخها ، و قد هذا من المبتدئين ، مع سابق عهد العرب به ، لم يسمع رفاة له . استخدام كلمة بامة ، لأحصى هذه اللفظة بمباينة الإمام ؛ وكلمة كراثيره<sup>(٦)</sup> Gratère التي اصطلح على أن يضع لها فوهة البركان ، وتلك اللفظة الفرنسية من أعمار مدرسة في جدول أمارة<sup>(٧)</sup> ، وكلمة بوليبيقة<sup>(٨)</sup> Polypique فيه وضعها مصطلحاً هو من<sup>(٩)</sup> سيرة . ولكنه لا يكاد يستخدم إلا كلمة بوليبيقة وما شق منها .

و لم يصر رفاة على مصطلح في له ، فلا يجداء سوى الاسم العربي إلا مصطلحه : ديوان رسل<sup>(١٠)</sup> الديوان ، الذي وضعه مسمياً به La Chambre des Deputés على ما أرحح .

كما أوجه النظر إلى أنه قد استخدم بعض السكربت الفرنسية ، حيث يمكنه أن يستخدم اللفظ العربي ، مثال ذلك استخدامه كلمة مراية<sup>(١١)</sup> ( Sérail )

(٢) مصدر - من ص ٧٣

(٤) مرجع - من ص ١١

(٥) حبيب - من ص ٢٩

(١) تحصيل الإبرير - ص ٧٥

(٢) مصدر - من ص ٧٦

(٣) لغويات شامة قسم ٢ من ص ٦٤

(٤) لغويات شامة قسم ٢ من ص ٨٩

(٥) مذهب لأليات نصرة من ص ٣٥٠

(٦) تحصيل الإبرير من ص ٧٦

(٧) تحصيل الإبرير من ص ٩٥



وقد دخلت العامية \* وفي استطاعته أن يستخدم كلمة قصر ، واستخدامه كلمة بطرون<sup>(١)</sup> السفينة ( Patron ) وفي استطاعته أن يستخدم كلمة ربان أو رئيس . واستخدامه كلمة فاميلة ( Famille ) في قوله :

ومد رهب الأفراح قلت مؤرخاً - يبيع الملا ناهيل ( فاميلة ) الملك<sup>(٢)</sup>  
وفي استطاعته استخدام كلمة عائلة . وكلمة ( فابريقات<sup>(٣)</sup> ) Fabriques ، وفي استطاعته أن يستخدم معامل أو مصانع . وكلمة بوكسه<sup>(٤)</sup> ( Boxer ) وفي إمكانه أن يستخدم ملاكمة .

والآن أعرض بعض ما اختاره رفاة من مصطلحات متنوعة مبدئياً قد يعين لي عليها من الملحوظات .

## مصطلحات أدبية

نضع هنا الأنماط التي اختارها رفاة \* وما يمثلها بالفرنسية ، وكيف نطق بها رفاة ، وما قد يكون لنا من ملحوظات :

الاصطلاح	الاسم الفرنسي	نطق رفاة به	ملحوظات
الآثار القديمة	Antiques	الأنتيكات <sup>(٥)</sup> أنتيكة	

(١) مد س فون نتجاره ص ٧٣

(٢) كواك سيرة ص ٢٣

(٣) مخبص إمبرير ص ١٧١

(٤) قلاند لفاخر ص ٥٣ .

(٥) أنوار بوفيق أصل ص ٢٢٧ و ٤٩ .

الاصطلاح	الاسم الفرنسي	ينطق ردهة به	ملحوظات
آلة تعديل الرياح		إيتومتر .	به تقاس قوة الرياح (١)
إشارة الأخبار (٢)	La Télégraphie	التلغراف .	المصطلح الثاني جاء به بعد الأول بوقت طويل
أو			
السلوك البرقية (٣)			
الأقاليم المجتمعة	Etats - Unis	يتاروني .	أكثر استخدامه للاسم
أو		أو	الفرنسي
الإيالات المجتمعة		يتارونيا . (٤)	
أو			
الأقاليم المتحدة			
أيام الرقاع (٥)	Carnaval.	كر نوال . (٦)	
بريد	Poste	الموسطة (٧)	
التذاكر اليومية	Journeaux	جورنال	أحياناً يجمع الجرنال على
	Gazettes	كارطيات (٨)	جورنو كالفرنسية (٩)
حاهلية اليونان	Mythologie	الميثولوجيا (١٠)	
وخرافاتهم			
حمل النار	Volcan	بركان (١١)	فل ردهة إن أصل بركان
			بلكان أو ولكان (١٢)
حراثتي (١٣)	Chirurgien	طبيب ردهة . الاسم الفرنسي	بؤثره . يستخدمه يوم من كلمة جراح

(٢١) المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٤) جرنال شادية ص ٥

(٦) مباح ألاب ص ٣٥٠

(٨) تحصيل الإبرير ص ١٥٦

(١٠) المصدر السابق ص ١٦٤ .

(١٢) المصدر السابق ص ٢٩ .

(١) تحصيل الإبرير ص ١٣٧

(٣) مباح الألاب ص ٣٢٧ .

(٥) تحصيل الإبرير ص ٩٥ .

(٧) تحصيل الإبرير ص ١٢٥

(٩) تحصيل الإبرير ص ١٤٤

(١١) المصدر السابق ص ٨٨ .

(١٣) المصدر السابق ص ١٢٢



الاصطلاح	الاسم الفرنسي	نطاق رفاة	ملحوظات
دewan الموعود	L'Academie Francaise	كلمته	وتمتد منه مدرسة (٢) معنى، واستخدمه رفاة كثيراً الكلمة نفسها
رسول البلد		معنى (٤)	"فرنسي ممددة ومشه ومجموعة على الأكمام (٣) بجانبه روعة ممدداً الحركات (١٠) وثديه وحجمه على راحته.
رقم	Numéro	شراء (٦)	استخدمه روعة نفس كلمة مستقرة (١)
ساعة كثره	Pendule	مدول (٨)	
ساعات سلاص (٩)	Empereur	لم سطق الاسم	
السيال الكه باني	Electricite	لا كثر - (١٠) الفرنسي	سماها في الصفحة نفسها حددية المصطلسية.
الشرطة	Constitution	م مطلق الاسم الفرنسي	بمروعة بشرية الدستور ويقول روعة بن معنى الكلمة في اللغة اللاتينية : ورقة . ثم نسومع فيها فصف على استحقاق المكنون فيه لأحكام المقدم (١١)
صبيان القهوة (١٢)	Les garçons	لم معنى الاسم من	

- (١) مجلس الإمبراطور من ١٣٨ .  
(٢) مرجع سابق من ١٣٨ .  
(٣) مرجع سابق من ١٣٨ .  
(٤) مجلس الإمبراطور من ١٦٩ و١٧٤٠ ثم بعد ذلك من ٧٨ .  
(٥) مجلس الإمبراطور من ١٢٥ .  
(٦) قانون محاربه من ٧٢ .  
(٧) مجلس الإمبراطور من ٨٨ .  
(٨) مجلس الإمبراطور من ١٦٨ .  
(٩) مجلس الإمبراطور من ٧٣ .  
(١٠) مرجع سابق من ٤٣ .  
(١١) مرجع سابق من ٣٥ .  
(١٢) مرجع سابق من ٣٥ .

الاصطلاح	الاسم الفرنسي	مع روجه به	ملحوظات
علم الخيل	Mécanique	الميكانيكا	آلات الهندسة وحر الأنقل (١)
علم السعارة	littre	إيدجية	فهرها رفاعة رسالة البدان (٢)
من الأرمان	Chronologie	علم حور ووج (٣)	
من السياسة	Politique	بولتيقة (٤)	
من النحو	Grammaire	إعربير	عرفه رفاعة بأنه من تركيب الكلام (٥)
الفنون الطريفة أو مسطرفات الفنون (٦)	Les Beaux - arts	لم يطق بالاسم الفرنسي	
لاعب (٧)	Acteur	لم يطق بالاسم الفرنسي	
مجلس الشوره الأولى	Chambre des Pairs	ديوان الير (٨) أو شمردي بر (٩)	شرح رفاعة اختصاص هذا المجلس بأنه تجديد قانون مفقود أو إبقاء قانون موحود ، ومن وطيفته نمصيد حقوق التاج (١٠)
محاكم ممتزجه (١١)	Tribunaux mixtes	لم يطق بالاسم الفرنسي	

(١) تخلص الإبرير من ١١ و ١٣٩

(٢) المصدر السابق من ١١

(٣) لتعريفات شافيه من ٥

(٤) تخلص الإبرير من ٦

(٥) المصدر السابق من ٩٥

(٦) المصدر السابق من ٧١

(٧) مجلة روجه لغارف

(٨) منهاج الألباب من ٣٥٠

(٩) المصدر السابق من ١٣٧

(١٠) المصدر السابق من ٧٥

(١١) ترجم سابق به

— مدد أحسن —

الاصطلاح	الاسم الفرنسي	صيغة رده	ملاحظات
محل الأكل	Restaurant	وسطراطوراي	يجمعها على وسطراطورات <sup>(١)</sup>
محل الرقص	Le Bal	البال	لو استخدم هنا وفيما قبله اسم المكان كان أولى من كلمتين وهو ما فعلناه اليوم إذ قلنا: المظم والرقص .
محل التصيرة	Banque		يجمعها على بنوكه <sup>(٢)</sup> ولو استخدم اسم المكان وهو ( مصرف ) لكان سابقا بوضع هذا المصطلح الذي استخدمه اليوم .
محل المكاتب	Boîte aux Lettres.	لم ينطق بالاسم الفرنسي	ترجئنا اليوم أدن وهي : صندوق الرسائل .
مدرسة كليات العلوم	École Polytechnique.	مدرسة بوليتكنيكا	يدرس فيها الرياضيات والطبييات <sup>(٣)</sup> .
مشورة العلوم <sup>(٤)</sup>	Institut	أنسطينوط <sup>(٥)</sup>	سمّاها رفاة مرّة أخرى : دار العلوم
مكحلاتي <sup>(٦)</sup>	Oculiste	لم ينطق بالاسم الفرنسي	لاحظ أنه استخدم الكلمة العامية بدل العربية وهي الكتحال .
ميدان <sup>(٧)</sup>	Place	لم ينطق بالاسم الفرنسي	ترجمه بالموضع ثم قال : يعني الميدان

(٢) دون حجارة من ٢٠١  
(٤) حصن الإبرر من ٢١ .  
(٦) و (٧) المرجع السابق من ١٣٤

(١) حصن الإبرر من ١١٠  
(٣) مناهج الألباب من ١٤٢ .  
(٥) المرجع السابق منه .  
(٨) المرجع السابق من ١٠٣ .



مصطلحات	الاسماء	الترجمة	ملاحظات
مترن تكاثف الهواء	Baromètre	بارومتر	أصل رفاة كان يريد إدخال الكلمة الفرنسية في اللغة العربية كما يبدو من وضعها في قاموس كلياته (١) وسمى هذه الآلة في كتاب المدن (٢) : ميزان الهواء
ميزان حر • ميزان لرطوبة (٣)	Thermomètre	ترمومتر (٢) مقياس بالاسم الحرسي	
المطر والمكروه (٥)	Microscope	ميكروسكوب	
وزير الأمور الخارجية (١)	Ministre des Affaires - Etrangères	م س ط ق ر د ع ت ه	وضعه في مقابلة رئيس أمدى بإدولة عثمانية .
وزير الأمور الداخلية (١)	Ministre de L'interieur	» » » »	وضعه رفاة في مقابلة ( السخدا ) الذي كان مستعملا بمصر
وزير الحرب (٨)	Minis. de La Guerre	» » » »	وضعه في مقابلة ( ناظر عموم الجهادية ) الذي كان مستعملا بمصر .
وزير الخزانة (٥)	mi - des - Finances	» » » »	وضعه في مقابلة ( الخازن دار ) الذي كان مستعملا بمصر .

(١) فلائد المعجم ص ١٦

(٢) ص ٢٩

(٣) فلائد المعجم ص ١٣ و فضاء ص ٢٩

(٤) حبيب (١) ص ٢٢ .

(٥) فلائد المعجم ص ١٨ (٦) ٧ و ٨ و ٩ حبيب (١) ص ١٢

ومما سترعى النظر أن أكثر مصطلحاته الأدبية ، وكثيراً من الألفاظ الفرنسية التي عرّبها ، كانت في كتابه تحليص الإبرير ، وذلك طبيعي ، لأنه قد واحة بهذا الكتاب الحياة الفرنسية الجديدة ، بكل ما فيها من علم وحضارة فاصطر إلى الاستعانة بجميع الوسائل للتعبير عما رأى .

## مصطلحات جغرافية

أغرم رفاعة بالجغرافيا ، وقام بتدريسها ، وترجم فيها ، وأشرف على كثير مما ترجم فيها ، وكان من بين ما ارتصاه من مصطلحاتها ما يلي :

المصطلح	التعريف به
اعتدال	زمن تساوى الليل والنهار <sup>(١)</sup> .
أفق	دائرة عظمى ، تقسم الكرة بسعين مساويين ، أحدهم شمالي ، والآخر جنوبي <sup>(٢)</sup> .
اقتران	نقطة طاهرية ، عليها يتلاقى بحان ثمانان ، أو كوكبان سياران <sup>(٣)</sup> .
إقليم	يطلق: ١ - على اختلاف مزاج الهواء ، أى على اختلاف الحر والبرد . و ٢ - على القسم من الكرة الداخلة في منطقة من المناطق الخمس . و ٣ - على قطعة من الولاية أو المملكة <sup>(٤)</sup> .
أنف	لسان من الأرض داخل في البحر ، وأقل ارتفاعاً من الرأس <sup>(٥)</sup> .

(١) التعريفات الشافية ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

المصطلح	التعريف به
انقلاب	وجود الشمس في أثنى بعدها من خط الاستواء (١).
أوج	النقطة التي يكون بها الكوكب في أقصى بعده من الأرض (٢).
بحر محيط	أو 'وقيوس' ، وهو المختلط 'سكرة لأرضية' (٣).
بحيث حريره	حركة من كتبتين : 'حداها بحيث' ، بمعنى 'قرب' ، والأخرى 'حريرة' ، أي تكاد أن تكون 'حريرة' (٤) ، وهي ما سميته اليوم شبه 'حريرة' ، والمصطلح ترجمة للاسم العربي 'Bresqu' de' ، وسميته 'رفاعة' باسم آخر ، هو 'حريره متعنه' (٥).
بحيرة	متسع عظيم من الماء الرأكد ، أو القاصر الجريان (٦).
برج	لسان من الأرض بين بحرين ، ويوصل بين أرضين (٧).
ركان	حل السار (٨) ، ورتضى 'رفاعة' لها 'مريب' الاسم الإفرنجي.
بعد أبعاد	أقصى بعد الكواكب وذوات الأذنان عن الشمس (٩).
بعد قرب	أقصى قرب الكواكب وذوات الأذنان من شمس (١٠).
بوعار	ويسمى حلقاً وممبراً ، وزقاقاً ومضيئاً (١١).
تابع	يطلق على النجوم التابعة للسيارة ، وتسمى 'سيارة السيارة' ، أو 'الأقار' (١٢).
تمام القمر	جدي صور القمر ، وهي إذا وَّحه القمر للأرض سطحه تمامه مستقيماً (١٣).
تيار	حركة المياه التي تظهر للسان أمها مهرب أمامه (١٤).

- (١) التعريفات الشافية ج ٢ ص ٦٥ .  
 (٢) المرجع السابق منه .  
 (٣) المرجع السابق منه .  
 (٤) المرجع السابق منه .  
 (٥) المرجع السابق منه .  
 (٦) المرجع السابق منه .  
 (٧) المرجع السابق منه .  
 (٨) المرجع السابق منه .  
 (٩) المرجع السابق منه .  
 (١٠) المرجع السابق منه .  
 (١١) المرجع السابق منه .  
 (١٢) المرجع السابق منه .  
 (١٣) التعريفات الشافية ص ٦٩ .  
 (١٤) المرجع السابق منه .

المصطلح	التعريف به
حرر	حركة المياه للانحسار عن الأرض بعد المد <sup>(١)</sup> .
حريرة	قطعة من الأرض يكتنفها الماء من جميع الواحي <sup>(٢)</sup> .
جنوب	أحد الجهات الأربع الأصلية <sup>(٣)</sup> .
حون	قطعة من البحر داخله في الأرض <sup>(٤)</sup> .
حضيض	نقطة قرب الكوكب السيار من الأرض <sup>(٥)</sup> .
حلق	معبّر ضيق بين جبلين <sup>(٦)</sup> .
خط الاستواء	إحدى الدوائر العظمى من الكرة ، وبشعب الكره نصفين : شمالياً وجنوبياً <sup>(٧)</sup> .
خط نصف	دائرة عظمى تقاطع خط الاستواء <sup>(٨)</sup> .
النهار	
خليج	بحر عظيم عميق من الماء ، محفور بالصاعدة ، للجمع بين بحرين ، وقد يراد به الجون <sup>(٩)</sup> .
دوات الأدباب	أحرام مناوية مظلمة تنفسها ، مستنصبة بديرها <sup>(١٠)</sup> .
الرأس	جرف من الأرض ، يدخل في البحر <sup>(١١)</sup> .
الرؤجوم	النجوم السواقط <sup>(١٢)</sup> .
ريج	تموج الهواء على وجه محسوس <sup>(١٣)</sup> .
زقاق	يطلق على البوغاز <sup>(١٤)</sup> .

(١) المرجع السابق من ٧١ (٢) المرجع السابق منه.

(٣) المرجع السابق من ٧٣ (٤) المرجع السابق منه

(٥) و (٦) و (٧) المرجع السابق من ٧٤ .

(٨) و (٩) المرجع السابق من ٧٥ .

(١٠) المرجع السابق من ٧٦ (١١) التعريفات الشافية من ١١

(١٢) المرجع السابق من ٨٩ .

(١٣) المرجع السابق من ٧٧ (١٤) المرجع السابق منه .

المصطلح	التعريف به
سلسلة جمال	جمال متوالية متحدة القواعد (١).
سمت الرأس	هو النقطة القائمة الحجرية لرواس (٢).
سن	حل شامخ قاعدته غير متسعة، و ينتهي رأسه بطرف كالسلة (٣).
سهل	أرض منسعة حالية من المعصب والوحدات (٤).
سياره	أحرام سماوية، تدور حول الشمس (٥).
شمال	إحدى النقط الأربع الأصلية (٦).
صحراء	أرض باسنة لا ررع بها ولا أنيس (٧).
صوره سكواك	عدته كواك مستحصرة في صورة آدمي، أو حيوان، أو غير ذلك (٨).
صور القمر	أحوال القمر المتغيرة المترتبة على استوائه بالشمس في أوضاعه المختلفة، باسمية به مع الأرض، وهي أربع: مسورة الهاق، والربع الأول، والكمال، والربع الأخير (٩).
طول المكان	هو المسافة بينه وبين خط نصف النهار (١٠).
عرص	هو بعد المكان من خط الاستواء (١١).
فصل	هو جزء من السنة، مختار بالحر أو البرد (١٢).
م	هو المجل الذي يصب منه النهر في البحر، ويسمى فوهة (١٣).
قطب	كل من طرفي المحور الذي تدور عليه الكرة (١٤).
كرة الهواء	الهواء الذي يكون كالتلاف للأرض (١٥)، وهذا المصطلح ترجم

(١) ارجع سابق من ٢٨

(٢) ارجع السابق منه (٣) ارجع السابق منه .

(٤) و (٥) و (٦) ارجع سابق من ٨٠ .

(٧) و (٨) ارجع سابق من ٨١ .

(٩) التعريفات الشافعية من ٨٢ .

(١٠) و (١١) ارجع سابق من ٨٢ (١٢) ارجع السابق من ٨٤ .

(١٣) و (١٤) ارجع السابق من ٨٥ . (١٥) ارجع السابق من ٨٩ .

المصطلح	التعريف
مجمع حرائر	رفاعة الكلمة الفرنسية أطموسفير <sup>(١)</sup> Atmosphère . اصطلاح في مقالة كلمة لإفرنجية Archipel ولكنه نقل تعبير الكلمة لإفرنجية ، ويدخل في قاموس الجغرافيا ، فيقول : أرحيل أو أرشيل <sup>(٢)</sup> .
محور	قطر الكرة الذي تدور عليه ، وصرفه يسميان القطبين <sup>(٣)</sup> .
مد	ارتفاع مياه البحر ويصف به <sup>(٤)</sup> .
مدار	دائرة متوالية بعيدة عن خط الاستواء بثلاث وعشرين درجة ويصف <sup>(٥)</sup> .
مقاطر	هو المكان الذي تكون مقادير على الاستقامة لكان آخره بحيث لو فرض خط مستقيم ، بها يكون قطراً <sup>(٦)</sup> .
مسيل	هو جانب الحمل ومسار ، وطى على ، الذي يسمونه المسيل <sup>(٧)</sup> .
مسطحة	جزء من الكرة داخل بين دائرتين متوالتين ، أو بين دائرة متوالية ودائرة الاستواء أو مبط <sup>(٨)</sup> .
مسطحة فلك	جزء من كرة ، شتم على اثني عشر رجا لي عطفاها الشمس في كل سنة <sup>(٩)</sup> .
الروح	هو شمس بين حدين ويطلق على المسيل <sup>(١٠)</sup> .
وادي	أرض خصبة مسكونة في صور ، عده <sup>(١١)</sup> .
ولاية	قطعة عظيمة من الأرض ، محكومة في أمده ، كما واحد ، وتسمى إالة <sup>(١٢)</sup> .

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ و ص ٢ ص ٦٣ .

(٣) و (٤) و (٥) المرجع السابق ص ٩٠ .

(٦) و (٧) المرجع السابق ص ٩١ .

(٨) و (٩) المرجع السابق ص ٩٢ .

(١٠) و (١١) و (١٢) المرجع السابق ص ٩٥ .



وقبل رفاة بعض الألفاظ الأجنبية في المصطلحات الجغرافية ، مما قبله كلمة  
(إدراغرافيا) <sup>(١)</sup> Hydrographie ، يدلّها على العلم الذي يبحث فيه عن حريان  
النهار والأنهار ، صغيرة أو كبيرة .

وقبل كلمة (قسمغرافيا) <sup>(٢)</sup> Cosmographie ومعنىها الجغرافيا الرياضية ،  
وهي معرفة الكرة الأرضية والسموات والنسبة بينهما <sup>(٣)</sup> . وقبل الكلمة  
(أوبوغرافيا) <sup>(٤)</sup> بمعنى العلم الذي يبحث السماء والحوادث السماوية . وكلمة  
(طوبوغرافية) <sup>(٥)</sup> Topographie وهو أحسن من الجغرافية ، فهو اسم للتخطيط  
الصحيح الذي يبين بلدة محصورة ، أو خطاً محصوراً أو نحو ذلك .

ولعله وحده في هاته الكلمات شهما من كلمة الجغرافية Geographie التي  
استعملها اللغة العربية ، وحررت على قولها .

وارتضى كذلك كلمة أطلس Atlas وهو مجموع خرائط جغرافية ، أو رسالة  
جغرافية منضم إليها عدة خرائط <sup>(٦)</sup> .

وكلمة پاس <sup>(٧)</sup> Pas بمعنى مضيق ، مع وجود عدة ألفاظ عربية تدل على معناه ،  
سبق أن ذكرناها .

وقد سبق أن رأينا ردة بقل بين الاصطلاحات الجغرافية اسمين فرنسيين ، هما  
أرشيل وكرايتير لغوه البركان <sup>(٨)</sup> .

هذه ، وأكثر ما ارتضاء رفاة من المصطلحات العربية الجغرافية ، لا يزال  
مستعملاً عندنا إلى اليوم ، وإذا كان بعضها قد عرف قبل رفاة ، فله فضل إحيائه ،  
وتحديده ، وتعميد السبيل إلى استخدامه .

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ .

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٥) مبادئ الهندسة ص ٨ .

(٦) العرشات الشافية ج ٢ ص ٨٥ .

(٧) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٨) راجع ص ٢٧٧ و ص ٢٦٥ .

## مصطلحات قانونية

وحدد ردة في معارفه الفقهية القديمة ، مميهاً ، يستقي منه ، للتعبر عن مواد القانون المدني والتجاري ، الدين دم نترجمهما ، فكثيراً ما نسمع في هذه الترجمة كلمات : العقد ، والإيجاب ، والقبول ، والوصية ، والحسنة ، والكفالة ، والتقصير ، وأهذية التصرف ، وبيع الرشد ، وأصول البيت وحواسنه ، ولعصاة ، والأرحام ، والحجب ، وغير ذلك من ألفاظ أمده بها الفقه الإسلامي<sup>(١)</sup> وهناك بعض مصطلحات أرى ما رافعة ، وقد اجتهد في أن يلتزم في اللغة العربية ، ما سقى جميع ما يحتاج إليه القانون من مصطلحات :

المصطلح	التعريف به
السفحة <sup>(٢)</sup>	( الكميلة )
سند الرجوع <sup>(٣)</sup>	( كميو )
شركة خاصة مستغنية	تتخذ لأحد على الخاصة في لأرباح ، بحسب الشروط التي وضع عليها التراضي بين الشركاء <sup>(٤)</sup> .
شركة المساهمة المحدودة	وهي لا تكون كل شريك ضامناً لأزيد من القدر الذي دفعه من المال في الشركة <sup>(٥)</sup> .
شركة المضاربة	( Société Commandite ) وهي المتقدمة من شريك واحد ، أو عدة شركاء ، مسئولين ومتضامنين ، وهو الجانب الأول ، مع شريك أحد أو عدة شركاء ، دافعين للمال ، وهو الجانب الثاني <sup>(٦)</sup> .

- (١) راجع قانون لدى مرسى . (٢) ديون تجارة ص ٤٠ .  
(٣) المرجع السابق ص ٥٦ . (٤) المرجع السابق ص ١٣ .  
(٥) المرجع السابق ص ٢٠ . (٦) المرجع السابق ص ٧ و ٨ .

المصطلح	التعريف به
شركة المفاوضة	( Société Collective ) وهي الممثلة بين اثنين فأكثر بقصد التجارة على وجه اشركة بينهم ، المرص الرأغ <sup>(١)</sup> .
شركة الوحيه	( Société Anonyme ) وهي غير المتسبة لأسماء الشركاء ، وإنما تسمى بموضوع غرضها <sup>(٢)</sup> .
كفالة	( السكورتاه <sup>(٣)</sup> ) Sécurité .
جمع سحر <sup>(٤)</sup>	( بورسه التجارة ) La Bourse .
مراد حسرات شري	أن يحذر الشري الأول على دفع ما ترتب على مطاله في فرق النش ، من الحسرة والأرباح والنفقات ، ويسميه رفاعه : صفقة المنبون <sup>(٥)</sup> .
لموت الحكمي	لا سمي به لمرسيون الموت الدني ، وهو أن يكون حكم الحى عندهم كحكم الميت ، في كثير من الأحوال <sup>(٦)</sup> .
سكر ( كطفه )	هي الممارسة الاستحقاقية ، المرعها بالبروتستة <sup>(٧)</sup> Protol .
و... <sup>(٨)</sup>	( سمانرة القود ) .
و... <sup>(٩)</sup>	( قومسيونير ) Commissionnaire .

وقد سبق أن بنا ما كان لفاعه من فصل في مقدرة على التعبير في وضوح ودقة ، عن مواد القانون وأحكامه .

(١) قانون التجارة من ٧ و ٨

(٢) المرجع السابق من ٧ و ٩ و ١٠

(٣) المرجع السابق من ١٠٠

(٤) المرجع السابق من ٧٠

(٥) قانون التجارة من ٥٦

(٦) المرجع السابق من ٣١

(٧) المرجع السابق من ٢٠

(٨) تخلص الإبريز من ١٨٣

(٩) المرجع السابق من ٣٦

## مصطلحات هندسية

دفعت الظروف رغبة إلى أن يكون مترجماً مدرسة المدفعية ، فترجم في علم الهندسة كتاباً ، استعان في وضع مصطلحاته ، ببعض من كان تلتك المدرسة ، ممن له اليد الطولى في الرياضيات ، وقد تم رغبة بين يدى كتابه ، معها يتضمن تفسير بعض ألفاظ اصطلاحية ، منها :

المصطلح	التعريف به
أسطوانة	جسم فاعده دُرَّان متوازيان ، وسطحه الظاهر منحني . وقسمها إلى قائمة ومائنه .
امتداد	هو الفراغ المشغول بأحسام محدوسة بالعمل أو بالوهم ، كبره كانت أو صممه .
جسم	هو ما احتوى على الأبعاد الثلاثة : الطول والعرض والعمق .
خط	مالس له ، لا بعد واحد هو الطول ، وهو أنواع . مستقيم ، وممكسر ، ومنحن ، ومركب ، وأقبي ، ورشي ، وشعاعي ، ومائل ، ومستدير ، ومستقيم ، ومماس
خطوط متوازية	خطوط مرسومة في مستوى واحد ، لا يمكن تلاقيها أبداً .
دائرة	هي سطح مستو منته بحظ منحني ، جميع نقطه على بعد واحد من نقطة الوسط المسماة مركزاً ، وهي صغرى وكبرى .
زاوية	هي انحراف خطين متلاقيين في نقطة ، تسمى رأس الزاوية وهي : حادة ، وقائمة ، ومنفرجة .
سطح	هو الذي لا يحتوي إلا على بعدين فقط ، وهما الطول والعرض ، وهو أنواع كثيرة عددها .
شبيه المنحرف	هو ما كان فيه ضلعان متوازيان

المصطلح	التعريف به
شقة كروية	جزء من سطح الكرة ، واقع بين نصفي دائرتين كبيرتين متقاطعتين .
العمود	هو الخط المستقيم ، الذي يدا ثلاث مع مثله ، لا يميل عليه من جهة أكثر من الأخرى .
قطر الدائرة	هو المستقيم الذي يقطع دائرة ، مرة أخرى .
قطر الكرة	هو الخط المستقيم الذي يمر بمركز الكرة ، ويتبع من طرفيه محيطها .
قطعة كروية	هي جزء حجم الكرة الواقع بين مستويين متوازيين هما قاعدتاها .
قوس	هو قطعة من المحيط منحصره بين طرفي الوتر .
كتب الأضلاع	هو ما كانت أضلاعه ورواياه متساوية .
الكرة	هي جسم منه سطح منحني ، جميع نقطه على بعد واحد من نقطة الوسط المسماة مركز .
متساوي	هو كل شكل استقامت أضلاعه ومتساوي .
الأضلاع	هو ما كانت أضلاعه المتساوية متساوية .
مديان	هو كل شيء ، استقامت أضلاعه ومتساوي ورواياه .
مثلث	هو ما ركب من ثلاث روايا وثلاثة أضلاع .
مخروط	هو هرم قاعدته دائرة ، وسطحه الجنبتي منحني ، ومنه قائم ومائل .
مربع	هو متوازي الأضلاع الذي زواياه قائمة وأضلاعه متساوية .
مستطيل	هو ما كانت أضلاعه المتساوية متساوية ، وكانت جميع زواياه قائمة .
مضلع غير منتظم	هو الذي لم تتساو أضلاعه ورواياه .
معتق	هو ما كانت أضلاعه متساوية ، ولم تكن إحدى رواياه قائمة .

المصطلح	التعريف
مشور	هو ما أحيط بسطوح متوالية الأصلاع ، وكان طرفاه محدودين
نقطة	شكليين مستقيمي الأصلاع متساويين ومتواريين ، ومنه قائم ومائل . هي التي ليس لها شيء من الأبعاد الثلاثة .
نقطة التماس	هي ما اشترك فيها المحيط واحط المستقيم المماس له .
حرم	هو جسم ذو قاعدة واحدة ، محاط بمثلثات ، وهو صلبها مجتمعة في نقطة الرأس .
وتر	خط مرسوم في الدائرة ، ويمتد إلى المحيط من غير مرور بالمركز .

ولا ريب أن كثيراً من هذه المصطلحات كان معروفاً قبل رفاعة ، ولكن كان له فضل البحث عنه ولاهتداء به ، ولا يزال حل هذه المصطلحات مستعملاً إلى اليوم .

وقبل رفاعة بعض الكلمات العربية ، ولم يصع لها مصطلحاً عربياً ؛ منها (بولييدرة) <sup>(١)</sup> Polyédre ، وعرفها بأنها تطلق على كل جسم له عدة سطوح مستوية ، وعندما أعيد طبع كتاب مبادئ الهندسة منقحاً لم تدخل فيه هذه الكلمة ، وقد وضع المجمع اللغوي لها مصطلحاً ، هو : كثير السطوح <sup>(٢)</sup> . ومنها كلمة (تترايد) <sup>(٣)</sup> Tétraire وعرفها بأنها جسم منتظم ، سطحه مركب من أربعة مثلثات متساوية ، ذات أصلاع متدوية أيضاً .

\*\*\*

هذا ولا بد أن يكون رفاعة قد حاهد وهو يترجم في الطب والحرب ، أن يجد مصطلحات طبية وحربية ، ولكن لم أعثر على مترجماته في هذين العيين .

\*\*\*

(١) مبادئ الهندسة ص ٢

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية اللسكي ج ٣ ص ٨٧ .

(٣) مبادئ الهندسة ص ٣



ومن كل ما سبق يبدو فصل رفاعة في وضع المصطلحات ، فبرغم أن كثيراً من مصطلحاته الأدبية لم يمتس — في الأدهان إلى ضرورة العمل الحدي ، وتضاهي الجهود ، لمواجهة هذا السيل الخارف ، من ألقاط الحصاره والممران ، وفام هو على قدر صافته ، سدّ حرء من هذا الفقر الذي دمر به اللغة ، ودعا غيره إلى أن ينهض بمثل ما نهض هو به ، حتى يجتمع من هذه الجهود بناء مشيد للغة العربية الفصيحة ، لنى دافع عنها ، ورآها العروة التي لا انفصام لها ، بين الشعوب العربية . ويبدو فصله كذلك في شرحه كثيراً من الألفاظ الغريبة ، شرحاً يمهّد السيل إلى وضع مصطلح لها ، وبإقدامه على وضع بعض هذه المصطلحات خلق في تلاميذه ، ومن جاء بعده ، ثقةً بأنفسهم ، في اختيار اللفظ المناسب لتعبير عن الفكرة الحديثة ، كما أنه أحيا ، باستعماله ، كثيراً من المصطلحات العدمية ، فوصل بذلك ما صي اللغة المجيد ، بمستقبلها الباهر المأمول .

## استعماله للعامة

مع تعصب رفاعة للعربية الفصحى ، لم تفعل كسه ، ولا سها تخليص الإبرير من الألفاظ العامية ، وقد لحظ ذلك من وراء هذا الكتاب من الإبرير<sup>(١)</sup> ، فأبدي عليه ملحوظة بعد ألقاطه أحياناً عن ألقاط الفصحى ، كما سبق أن قلنا ذلك ، ولعل رفاعة أراد أن يوصل معلومته إلى قارئيه بأسهل صريف ، ودليلنا على ذلك أن ما أتى به من مصطلحات أدبية ، كان يذكرها غالباً مقترنة بالعمارة الفرنسية ، حتى لا يتعب قارئه في البحث عن معنى هذا الإصلاح .

واللغة العامية لغة لا تنال من أين استقت مفرداتها ؛ فهي تأخذها من العربية حياً ، كما ترى ذلك في كلمة (الأود<sup>(٢)</sup>) ، بالهال مكان الصاد ، ولمردي في العربية أوصة<sup>(٣)</sup> . وقد تأخذها من لركية كرمه<sup>(٤)</sup> بمعنى تقويم ، أو الفرنسية

(١) راجع تخليص الإبرير من ١٥٤ (٢) المرجع السابق من ٤٥ .

(٣) هي بك صعر بأوى به الإبرير - شرح قاموس ج ٥ من ٦

(٤) تخليص الإبرير من ٢١ .

كالمقابلة<sup>(١)</sup> من الكلمة الفرنسية *compagnie* ، وقد تأخذها من غير ذلك من اللغات .

ورعنا كان من الخير أن يذكر بعض ما استخدمه رفاة من الألفاظ العامة ، لنرى مقدار ما أفدناه من تقدم في معرفة مفردات الفصحى ، ومقدار شتتها بهذه الكلمات العامة .

لما استخدمه رفاة : الاساليب العسكرية<sup>(٢)</sup> — الألاية<sup>(٣)</sup> : الموسيقون ، ألاي<sup>(٤)</sup> — الأود<sup>(٥)</sup> — وحي عسكري<sup>(٦)</sup> — أورط سادة<sup>(٧)</sup> — ماشكاس<sup>(٨)</sup> — باش وكيل<sup>(٩)</sup> — محشش<sup>(١٠)</sup> — رابع<sup>(١١)</sup> — رطيل<sup>(١٢)</sup> — ربيعة<sup>(١٣)</sup> — بفتة<sup>(١٤)</sup> — نوليسة التأمين<sup>(١٥)</sup> — بياده<sup>(١٦)</sup> — ترسانات<sup>(١٧)</sup> — التياو<sup>(١٨)</sup> — حامكية<sup>(١٩)</sup> — حجابات المارة<sup>(٢٠)</sup> — الخروجات السنوية<sup>(٢١)</sup> — الخرافيش<sup>(٢٢)</sup> — حرمجة<sup>(٢٣)</sup> — اخواجه<sup>(٢٤)</sup> — حوچه السميحة<sup>(٢٥)</sup> — دكة<sup>(٢٦)</sup> — الزافة<sup>(٢٧)</sup> — ررنامات<sup>(٢٨)</sup> — ررنامه<sup>(٢٩)</sup> — الزعرير<sup>(٣٠)</sup> — السرايات<sup>(٣١)</sup>

(١) مائة لألف من ٢١٩

- |                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| (٢) القانون المدني ج ١ ص ٢٣  | (٣) حصص الإمبر من ١٤٣ .    |
| (٤) القانون المدني ج ١ ص ٢٦  | (٥) حصص الإمبر من ٤٥       |
| (٦) القانون المدني ج ١ ص ٨   | (٧) المرجع السابق من ٢٦    |
| (٨) المرجع السابق من ٢٤      | (٩) مرجع السابق من ٨٦      |
| (١٠) خلاص الإمبر من ٦٩       | (١١) مدون مدني ج ١ ص ١١٧ . |
| (١٢) أنوار مودني خلاص من ١٣٣ | (١٣) حصص الإمبر من ٩٣ .    |
| (١٤) لمصدر السابق من ٩٣      | (١٥) مدون مدني من ١٠١      |
| (١٦) قانون مدني ج ١ ص ٢٦     | (١٧) مراجع لألف من ٢٢٠     |
| (١٨) الكوكب ليرة من ٢٢       | (١٩) مائة لألف من ١٣٧ .    |
| (٢٠) حصص الإمبر من ١٧٢ .     | (٢١) القانون التجاري من ٥  |
| (٢٢) حصص الإمبر من ٣٤        | (٢٣) فلائد الفاخر من ٧ .   |
| (٢٤) خلاص الإمبر من ٩٩       | (٢٥) قانون مدني ج ١ ص ١٧ . |
| (٢٦) خلاص الإمبر من ١٧٩ .    | (٢٧) المرجع السابق من ٥٩ . |
| (٢٨) مرجع السابق من ١٤٥      | (٢٩) مرجع السابق من ٢١ .   |
| (٣٠) مقدمه ودية من ١١ .      | (٣١) مائة لألف من ٢٥١      |

- سوارى<sup>(١)</sup> — الشلبة<sup>(٢)</sup> بمعنى التطرف — شورية<sup>(٣)</sup> — شيت<sup>(٤)</sup>  
 — الصرماتية<sup>(٥)</sup> — الصوبجية<sup>(٦)</sup> — طرفات الشداي<sup>(٧)</sup> — العرمحي<sup>(٨)</sup>  
 — العيافة<sup>(٩)</sup> — العارفات<sup>(١٠)</sup> — القاملة<sup>(١١)</sup> — قطان السفينة<sup>(١٢)</sup> —  
 قبودان<sup>(١٣)</sup> وشتوم، أو طيفة قبودانية السع<sup>(١٤)</sup> — قرفولات<sup>(١٥)</sup> — القرار<sup>(١٦)</sup>  
 — فراره<sup>(١٧)</sup> — فشة<sup>(١٨)</sup> — قبايا<sup>(١٩)</sup> — القهوجية<sup>(٢٠)</sup> — كتيحات<sup>(٢١)</sup>  
 — الكراخانات<sup>(٢٢)</sup> — الكرنية<sup>(٢٣)</sup> — الكرقية<sup>(٢٤)</sup> — لوقندات<sup>(٢٥)</sup>  
 — الليان<sup>(٢٦)</sup> — الماسورات<sup>(٢٧)</sup> — محكة<sup>(٢٨)</sup> — محاسحي<sup>(٢٩)</sup> —  
 محدأ<sup>(٣٠)</sup> — محرمحي<sup>(٣١)</sup> — معدحي<sup>(٣٢)</sup> — معوفة<sup>(٣٣)</sup> — ملاية  
 العرش<sup>(٣٤)</sup> — الموة<sup>(٣٥)</sup> — امبرى<sup>(٣٦)</sup> — مينة<sup>(٣٧)</sup> — استندان نامة<sup>(٣٨)</sup>  
 — بيانين<sup>(٣٩)</sup> — عساكر وردان<sup>(٤٠)</sup> — ورشة<sup>(٤١)</sup> — بكرتن<sup>(٤٢)</sup> —  
 البوراشي<sup>(٤٣)</sup>

- |                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| (١) قانون المدوح ١ من ٢٦     | (٢) تحصيل الإيرد من ٩٨         |
| (٣) المرحع السابق من ٩٠      | (٤) المرحع السابق من ٩٣        |
| (٥) المرحع — من من ١٢٤       | (٦) المرحع السابق من ١٢٣       |
| (٧) المرحع السابق من ٩٠      | (٨) المرحع السابق من ٥٩        |
| (٩) المرحع السابق من ٩٨      | (١٠) مدهج الألباب من ٢٨٨       |
| (١١) الكوكب من ٥             | (١٢) قانون التجارة من ٧٤       |
| (١٣) قانون المدوح ١ من ١٧    | (١٤) مدهج الألباب من ٢٤٧       |
| (١٥) تحصيل الإيرد من ١٧٢     | (١٦) المرحع السابق من ٩٠       |
| (١٧) المرحع السابق من ٩١     | (١٨) المرحع السابق من ١٧٢      |
| (١٩) مدهج الألباب من ٢١٩     | (٢٠) تحصيل الإيرد من ٣٥        |
| (٢١) مدهج الألباب من ١٢٦     | (٢٢) المرحع السابق من ٢١٩      |
| (٢٣) تحصيل الإيرد من ٣٠      | (٢٤) المرحع السابق من ٣٢       |
| (٢٥) مدهج الألباب من ١٢٦     | (٢٦) المرحع السابق من ٣٥٩      |
| (٢٧) قانون المدوح ١ من ١١٧   | (٢٨) مدهج الألباب من ١٢٧       |
| (٢٩) تحصيل الإيرد من ١٥٦     | (٣٠) المرحع السابق من ١١٥      |
| (٣١) قانون التجارة من ٨٧     | (٣٢) مدهج الألباب من ٢٥٥       |
| (٣٣) تحصيل الإيرد من ١١٨     | (٣٤) المرحع السابق من ١٠٨٨     |
| (٣٥) مدهج الألباب من ١٢٦     | (٣٦) أنوار توفيق الخليل من ١٣٣ |
| (٣٧) القانون المدوح ١ من ١٧١ | (٣٨) المرحع السابق من ٢٩       |
| (٣٩) سكواك سرة من ٢٣         | (٤٠) تحصيل الإيرد من ١٧٣       |
| (٤١) المرحع — من من ١٤٣      | (٤٢) المرحع السابق من ٣٢       |
| (٤٣) قانون المدوح ١ من ٢٦    |                                |

وستطعم أن تنس ما عدت عليه اللغة العسقي من الألفاظ العامية في لغتنا  
الدارجة ، إذا نحن واراها هذا المعجم الدعي ، عما أصبحنا نتحدث به بدل هذه  
الألفاظ ، وهذا إن دلّ فيما يدل على مقدار البطء في تقدمنا الملبور ، فلا يزال  
كثير من هذه الألفاظ محرى على ألسنتنا .  
ومع أن ردة رأي أن يؤلف بالثمة العامية كتب المافع العمومية والصالح  
المصلحة ، كما سبق أن ذكره ، لم يدع إلى أن يستعين بها عندم بكون قاموساً لهونا .

### وضع معجم

رأى ولاد الأمر أن تدل على صعوبة نقل المعارف الفرنسية إلى العربية ثم ، إذا  
وضع قاموس عربي فرنسي ، وكان ردة نفسه يشمر بهذه الحاجة الماسة ، فكان  
يعتد حيداً إذا ركب ترجمته في بعض التعسير ، « بأن اللغة الفرنسية لم بعض  
ختمها إلى الآن بقاموس شاف مترجم (١) »

وقد رأت أن يهضر ردة بهذا العبء ، بعد عودته من فرنسا ، متخصصاً في  
الترجمة ، فأمره إبراهيم باشا بترجمة قاموس ، وعيّن له أحد القواميس لترجمته ،  
ولكن ردة لم يسمح له ظروفه ، بالقيام بأداء هذا العمل العسقي ، وعاقته عنه عوائق ،  
منها ما كلفه من شغل في أي عمل ، مدحيته إلى مصر ، ومن الواجب فيمن  
أعد لهذا العمل أن يتفرغ له ، وأن نهياً له دار كتب بقم بها ، وأن عدّ تلك  
الدار عما هو ضروري من كتب اللغة وقواميسها ، كما أنه يحتاج إلى مساعد فرنسي  
يستشير به كما عم عليه الأمر ، واستنهم ، كما حال بينه وبين ذلك اعتقاده بأن وضع  
الألفاظ الاصطلاحية ، يحتاج إلى أن يصم إليه حمر ، يعاونه ، في وضع هذه  
المصطلحات ، ولذلك فال ردة معتدراً من عدم قيامه بهذا العبء : « بل هذا  
الشغل هو شغل نحو عشره أنقار ، حتى يكون مستوعباً ، ومستوعباً للألفاظ

(١) المعادن الناصية ص ٣ .

الاصطلاحية<sup>(١)</sup> . ولو أن عملاً كهذا لم يمدح في النهضة ، لحفظ كثيراً من جهود المترجمين ، ودمع عنهم كثيراً من الغناء .

وإذا كان رفاة لم يوفق إلى وضع قاموس فرنسي عربي ، فإنه قد وضع معاهم صغيرة في مفتاح أو حناء بعض كتبه التي ترجمها : ككتاب التعرّسات الشافية ، وفلاذد المفاخر ، ومبادئ الهندسة ، والمعادن النفيسة ، في كل واحد منها معجم ، يجمع ما ورد في الكتاب من الألفاظ غريبة ، لم يعرفها العربية من قبل ، ومن هذه المعاجم الصميرة وكنهه ، تسبب جهود اللغوية التي بدلها بين تعريب ، أو وضع اصطلاح ، وتبين كذلك أسس أي كان يراه ، للماء اللغة العربية . ويمكن أن تلخص هذا النهج فيما يلي :

١ — ما عرّفه من الأبواب التي عددناها فيما مضى ، تدخل اللغة العربية على مدى الأيام ، ونصم جهودهم إلى جهود غيره ، يمكن وضع قاموس يشتمل على غريب الألفاظ المستخدمة ، قل في ساقية فلاذد المفاخر : « لما كانت هذه الألفاظ في الأغلب أعجمية ، لم ترن إلى الآن في كتب اللغة العربية ... عرّسها بأصهل ما يمكن السطو عليها على وجه التقريب ، حتى أنه يمكن أن نصير على مدى الأيام دحيلة في لغتنا ، كغيرها من الألفاظ المعربة عن اللغتين اليونانية ، ولو وضع المترجمون بطر ذلك في كل كتاب ترجم .. لانتفى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ، ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستخدمة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب .. فإن هذا مما يعيد التسهيل على الطلاب ، وله تحصيل الإعانة على فهم كل علم أو كتاب » ، ومتى صارت دحيلة في لغتنا ضمت إلى قاموس اللغة العربية ، وأصبح من حقها استخدامها ، كما استخدمنا ما دخل اللغة العربية من الألفاظ التي دخلت العربية في القديم .

٢ — وضع المصطلحات وكان رفاة كثيراً ما يردّد حاجة اللغة العربية إلى وضع هذه المصطلحات ، وسام هو — كما رأينا — في ابتكار بعضها ، وإحياء البعض الآخر ، واستخدام رفاة للألفاظ الأجنبية ، إلى حد الكلمات العربية

لا يعنى أنه يسميع استعمال الكلمتين ، ولكنه يجمع بينهما ، ليست معنى الكلمة العربية ، حتى يستغنى مع الزمن بالعربية .

٣ — ويرى أن تأتي كلمات على مثال ما أتى العرب منها ، فقد رأيناه يأتي بكلمة مفرس<sup>(١)</sup> أى مقول بالفرسية ، على مثال معرب أى مقول بالعربية .

٤ — ومن وسائل تنمية اللغة عنده أنه يستخدم المصدر الصناعى كالساذجية<sup>(٢)</sup> والمفدورية<sup>(٣)</sup> والقيمة<sup>(٤)</sup> ، ويستخدم العمل المطاوع كثيراً ، مثل ينهصم<sup>(٥)</sup> ، وينفسد<sup>(٦)</sup> ، ونحج<sup>(٧)</sup> ، واعدم<sup>(٨)</sup> ، وينعقد<sup>(٩)</sup> ، وينصنع<sup>(١٠)</sup> ، وانحبس<sup>(١١)</sup> ، ومصدر العمل المطاوع ، والمشتقات منه ، مثل : منفسدة<sup>(١٢)</sup> ، وانصاخ<sup>(١٣)</sup> ، وانجبان<sup>(١٤)</sup> ، وانصام<sup>(١٥)</sup> (بمعنى صار حماً) . وإذا كنت أوافق على استخدام العمل المطاوع شروطه ، وعلى الإكثار من استخدامه ، وأراه أحمل في أحوال كثيرة من استخدام النوى المجهول ، فإني لا أستطيع استعمال المصادر الصناعية . مادامت المصادر الأصلية وعمره ، فلا تلجأ إلى المصادر الصناعية إلا إذا اضطررت إليها . وتبلغ اللغة العربية أوج ضججها ، يوم تهضم الألفاظ العربية المستحدثة ، وبصبح لها قاموس يضمها ، ويوم يصح لكل علم معجمته الذى يجمع مصطلحاته ، فيكون هناك معجم حمراى ، وآخر فلسفى ، وآخرها هندسى ، إلى ما سوى ذلك من قيمة العلوم ، ومن يدري فقله كان يريد معجماً للأعلام أيضاً — ويوم توضع المصطلحات الأدبية ، لأدوات الحصاره ومظاهر العمران .

ومنهج رعاة فى عرض الكلمة فى معامحه ، أنه يصطفاها صطفاً دقيقاً ، ثم يعرف

- |   |                              |
|---|------------------------------|
| (١) قلائد الفاخر من ٥٥ .                | (٢) سياحة أميركا من ١٥ .     |
| (٣) القانون المدنى الفرنسى ج ١ من ١١٤ . | (٤) المصدر السابق نفسه .     |
| (٥) تخليص الإبريز من ١٠٩ .              | (٦) المصدر السابق نفسه .     |
| (٧) المرجع السابق من ١١٢ .              | (٨) القانون التجارى من ١٠٥ . |
| (٩) القانون المدنى الفرنسى ج ١ من ٧٧ .  | (١٠) المعادن النافعة من ٩ .  |
| (١١) تخليص الإبريز من ١١١ .             | (١٢) المصدر السابق نفسه .    |
| (١٣) القانون الفرنسى المدنى ج ١ من ٥٣ . | (١٤) المعادن النافعة من ١٠ . |
| (١٥) المصدر السابق من ١١ .              |                              |



بها تعريفاً واضحاً موجزاً ، وهناك مثالا ما كتبه عن منتسكيو ، قال : « هو بضم  
 اليه . وسكون النون ، وكسر التاء ، وصم الياء ، بعدها واو ، اسم مؤلف عظيم في  
 السياسات والفلسفة . من مشاهير الفرساوية ، ألف كتابا ، وسمّاه روح الشرائع ،  
 وألف أيضا كتابا آخر ، وسمّاه المراسلات الفارسية ، فروح الشرائع مشتمل  
 على أحكام جميع الأمم ، وأصول آدابهم ، وقوانينهم ، وأسبابها ، ومسبباتها ، وأما  
 المراسلات الفارسية ، فيها أسسه تيران ، يشنع فيه على عوائد المشاركة والمغاربة ،  
 ليظهر مدم كلّ وعصامده ، وفيه كتاب آخر يسمى سب عظم : دولة الرومانيين  
 واقتراسها ، يذكر فيه دولة الرومانيين من منشأها إلى آخرها ، تقتضي قوانين  
 السياسات ، فوجود مثل هذا الخبر في اللغة الفرساوية ، تمدح به بين أقرانها  
 من الأمم الإفرنجية <sup>(١)</sup> . »

وهو يؤثر في قاموسه الترتيب لطجاني ، يدي ببطر إلى أول حروف الكلمة  
 وما يليه ، وقد اسع هذا الترتيب في جميع ما أتى به من معاجم .  
 وسع بهج زواعة في وضع هذه المعاجم بمص لاميده ، كما نرى ذلك مثلا في  
 كتاب : بداية القدما . وهداية الحكماء ، وكتاب تاريخ ملوك فرسا ، وكتاب  
 بنحو الملوك الألساء ، وفي كل منها معجم يعرف عما في الكتاب ، من أسماء  
 أشخاص وأماكن وعبرها ، كما فعل أستاذهم ، فقادم وسدد خطاهم .

## عقيدته الدينية

— ١ —

بمجرد رفاة ، كما يقول ، وكما يقول مؤرخوه ، من الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومع ذلك لم يكن شيعياً ، يؤمن بما كان الشيعة يؤمنون به ، من أحقية علي في الخلافة بعد رسول الله ، قبل أبي بكر وصاحبيه ، بل كان بعضهم يرى في علي أكثر من شر ، وأكثر من خليفة <sup>(١)</sup> . أما رفاة فكان سني الذهب ، يرى <sup>(٢)</sup> أبا بكر أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين ، وأحقهم بالخلافة من بعد رسول الله ، وأما قول الرافضة : « إن أبا بكر عص علياً باطل ؛ لأن في ذلك قولاً بإجماع الصحابة على العلم ، حيث مكثوا أبا بكر من الخلافة ، وحشاهم من ذلك فإنهم حماء الدين (رضي الله عنهم) ومن دعم منهم أن علياً رضي الله عنه لم يبايعه ، أو بايع على كره منه فباطل أيضاً ؛ لأنه إن كان امتنع من مبايعته مع العلم أنه على الحق فحرام ، ولا يظن ذلك بعلي رضي الله عنه ، وإن كان مع العلم أنه على باطل ، فذلك محال ؛ لأنه لم يكن في رعه أنه على الباطل ، بدليل أنه لم يشهر سببه ، ولم ينمه ، بل كان مؤدباً بين يديه ، ومؤثراً بأوامره ، وقد كانوا (رضي الله عنهم) لا تأخذه في الله لومة لائم <sup>(٣)</sup> »

ويرى عمر أفضل الخلق بعد أبي بكر والأنبياء والمرسلين ، ومن بعده عثمان <sup>(٤)</sup> ، وقد نظم عقيدة السنيين هذه الشيخ الدردير ، في مظلومته في التوحيد ، حيث قال :

وخيرهم من ولي الخلافة وأمرهم في الفضل كالخلافة

(١) راجع نهاية الإيجار ص ٣٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦٤ .

ويرى رفاة أن هذه العقيدة لا يصرفها ريادة حب على ، المفروض في قلب كل  
عوى سى ، لا يبينه ويقيم من حلة الدم ، ما دام ذلك الحب ، لا تؤدي إلى انقراض  
من قلبه من الخفاء .

وينتأسه الحدث عن الخلفاء الراشدين ، يعتقد رفاة أن نصب الإمام واجب  
على الأمة بالشرع . فمن الواجب على أهل الحل والعقد ، وهم العلماء ووجوه  
الناس ، أن يحذروا بما يقوم بمصالحهم ، وينفذ أحكامهم ، ويقيم حدودهم ، ويجهز  
حيوتهم ، فإن حثروا هذا الإمام ، سقط الأئمة عن باب الأمة ، وإلا أثم المسلمون  
جمعاً<sup>(١)</sup> . فهو يرى منصب الخلافة من صاحب الدينية ، ومما ذكره له من الحقوق  
ومواجب ، لا يفصل رعاة بين السلطة الدينية ، والسلطة الزمنية ، لأنه يعتقد أن  
سلطة الزمنية ، يجب أن تستق من سلطة لدية ، وتستق منها ، فالدين كان إلى  
عهده مصدر التشريع .

ومما كان يعتقد رفاة القضاء ، وقدر ، ومن أجل ذلك سعى على الغربيين  
بكار بعضهم للقضاء ، وقدر ، وعد هذا الإسكار من العقائد الشيعة<sup>(٢)</sup> ، وحرره  
إيمانه بذلك إلى إيمانه بالخط ، فقد كان يرى « الخط أحدى لصاحبه من المحج ،  
وأهدى في طرق مآربه من نجوم الدجى<sup>(٣)</sup> » — وإلى وحوه بسيم الأمر كله لله ،  
« فيجب على العاقل التمسيم في جميع الأمور ، وتلقى المقادير بالرضا والقبول ... »<sup>(٤)</sup>  
عنه أن قسمة الخطوط في سابق الأزل لحكمة يعلمها ، لا تندس ولا تعير في ذلك ،  
وسمت الأمر لمولايك الفاعل المختار ، التصرف في ملكه كيف يشاء ، بالاختيار ،  
فلا عتب ولا ملامة<sup>(٥)</sup> ، وليس معنى ذلك أن رعاة يعتقد أن السماء تخطر دهباً  
أو قصة ، بل لا بد من تعاطي الأسباب ، ودهك لا يباي التوكل ، ولا سافر القضاء

(١) مصدر - من ص ٣٠٩

(٢) محسن الإمبر من ٥٨

(٣) مجمع لأشاع من ١٩٠

(٤) راجع - من ص ١٩١

والقدر<sup>(١)</sup>؛ فلا يد من الأحد بالحرم في سائر الأشياء ، ولا يسمى للآسان أن يحيل الأشياء على المقادير ، أو يحتاج بها قبل الوقوع ، فمن دلائل المعجز كثيرة الإحالة على المقادير<sup>(٢)</sup> . ويدو لي أن القصد ، والقدرة لدى يؤمن به رفاعة ، هو علم الله بما يجري في هذا العالم ، هذا العلم الكامل الذي لا تقونه صغيرة ولا كبيرة ، من غير أن يكون له تأثير في أعمال العباد ، ومن أجل هذا كان المرء مطالبا بتفلس الأسباب التي تصل به إلى مأربه .

— ٣ —

وكان موقعه موضع السلم بمحزرات الرسول الكريم احذرة للمادة : فيؤمن بشئ صدره الكريم حقيقة<sup>(٣)</sup> ، وإنَّ الشمس تأحرت حين دعا النبي ربه أن يؤخرها ، وأن القمر قد اشقَّ فلقين : فلقه دون الجبل ، وفلقه حده<sup>(٤)</sup> ، وأن الخدع قد حنَّ إليه عندما فارقه إلى المير ، حتى سمع منه صوت كصوت الإبل<sup>(٥)</sup> ، وأن الحصى قد سسح في كفه<sup>(٦)</sup> ( صلوات الله عليه ) ، وغير ذلك من معجزاته ، فيؤمن رفاعة بأن هذه الخوارق قد نمت حقيقة ، لا أمها أرض إلى شئ .

وكما كان يؤمن بمحزرات الرسل ، يؤمن بكرامات الأولياء ، فكل ما كان معجزة لبني كان كرامة لولي ، لا فرق بينهما إلا التحدى بالنسوة ، وعقد رفاعة مطبأ<sup>(٧)</sup> ، برهن فيه على أن كرامة الأولياء من المكاتب ، وقال : « ولم ير في كل عصر وأوان أولياء وعلماء<sup>(٨)</sup> » .

وهذه العقليّة المصدقة بالخوارق ، هي التي اصطدمت في أوروبا بالعقليّة التي لا تصدق بها ، ولا تؤمن بما لا يوافق العادة<sup>(٩)</sup> ، وتعتقد أنه لا يمكن تحلف الأمور الطبيعية أصلا<sup>(١٠)</sup> .

- |                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) المرجع السابق من ٣٤٥ .    | (٢) تخلص الإبريز من ٥٨ .         |
| (٣) نهاية الإيجاز من ٩١ .     | (٤) المصدر السابق من ٣١٢ .       |
| (٥) المصدر السابق من ٣١٣ .    | (٦) المصدر السابق منه .          |
| (٧) الرشيد الأمين من ٣١٠ .    | (٨) المرجع السابق من ١٣٢ و ١٣٣ . |
| (٩) تخلص الإبريز من ١٩ و ٢٤ . | (١٠) المرجع السابق من ٥٧ .       |

كما أنه رأى العربيين من الفرق التي تعتبر التحسين والتقبيح العقليين<sup>(١)</sup>،  
 معندهم كل عمل بأذن فيه العقل صواب<sup>(٢)</sup>، وكل ما لا يقره خطأ وقبيح .  
 أما ردة فيعتقد أنه لا حس ولا فيج إلا بالشرع ، ولا مدخل للعقل تحسيناً  
 وتقبيحاً<sup>(٣)</sup> ؛ ولهذا لا يسوع للأمر « أن يحكم في التحريم والتحليل بما يلائم  
 مراحه ، مما يخالف الأوصاف الشرعية المقولة عن الأئمة المجتهدين ، ولا عرة  
 بالاستكراه القسائي ، والاستحسان الطبيعي ، والأخذ بالرأى من غير دليل  
 شرعي ، بل يعتمد متولى الأحكام على فتاوى العلماء ، وأقوال المجتهدين في الدين ،  
 فإن الإمامة هي تحلف النوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، فتقف عند حدود  
 الله تعالى ، المصدة قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم<sup>(٤)</sup> » .  
 ولسكنه مع ذلك يعتقد من ناحية أخرى « أن الشرع لم يرد فيه ما يخالف  
 العقل البتة<sup>(٥)</sup> » ، إذن « فالتكريم ورد به الشرائع هو الذي كل دمه ، ووقف  
 فهمه ، بسب طرته من الطرق علم المقولات ، ثم لا يتقنه ولا يحققه ، فتختبط  
 عليه الأمور ، وتلتبس ، ولا يهتدى بشئ<sup>(٦)</sup> » .  
 ومن أجل ذلك يرى أن كتب الفلسفة — وهي عشوة بكثير من الصلوات  
 المحالفة لسائر الكتب السماوية ، والتي يقيم أصحابها عليها أدلة بمسر على الإنسان  
 ردها — إنما لا تجوز دراسته ولا الخوض فيه ، إلا بعد التمكن من الكتاب  
 والسنة ، حتى لا يفتتر بذلك ولا يفتر اعتقاده ، وإلا صاع يقينه<sup>(٧)</sup> .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

(١) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرشد الأمين ص ١٢٣ .

(٤) المرشد الأمين ص ١٢٣ .

(٥) نهاية الإيجار ص ٣٩٧ .

(٦) مصدر السابق نفسه .

(٧) تجميع لإبرير ص ١٣١ .

## آراؤه الاجتماعية

فسم رفاعة الفصيلة ثلاثة أقسام : شخصية ، ومبرية ، وأهلية ، فالأولى هي ما ينبغي أن يتصف بها كل إنسان ، لتكون وسيلة لحفظه ومادة لصونه ، والثانية « هي سلوك الطريقة النافذة ، في العمل الجمية المائلة ، التي تقيم في منزل واحد ، كالاقتصاد في النفقات ، ور الوالدين ، وحسن العشرة مع الأرواح ، وحسن تربية الأولاد ، ومحبة الإخوة بعضهم لبعض ، وأداء حقوق السيد لحادمه ، والحادم لسيد ، أما الفضائل الأهلية أو الاجتماعية فكثيرة ، ولكنها ترجع إلى أصل واحد ، هو المدل والإنصاف المستلزم جميع فضائل الجمية<sup>(١)</sup> » .

وبجاء الجمية التآسبية وتقدم أعمالها ، مداره الخلق الكريم « ولا أضمر على الجمية من فساد الأخلاق ، فإنه يشأ عنه السكر ، وعدم الاستقامة ، لأن المني المتكبر مثلاً ، يدهل في شوة بدنه عن أن المال حيال رائل ، فيحسر ، ويحمر ، لتكر على غيره ، ويظن أنه بعيد عن صروف الدهر فيقع فيها<sup>(٢)</sup> » ؛ وبعد عن الاستقامة التي هي قوام جميع الفضائل المدنية ، لأنها حسن السلوك في التعامل ، وأداء حقوق العباد ، والمرء المتهاون في حقوق الجمية المدنية ، بعد عديم الاستقامة ، لا يعرف ما يجب له وما يجب عليه ، في حق الجمية التي يعيش فيها ، فاستقامة الإنسان احترام حقوقه ، باحترام حقوق غيره ، والحصول على منفعته بالوفاء بمنافع غيره<sup>(٣)</sup> .

ورأى رفاعة أن جماع مكارم الأخلاق الاجتماعية منحصر في قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، لأن الرجل الصالح المستقيم لا يقتصر على الكف عن فعل الشر ، بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف ، فالاستقامة تنهى عن الشر ، والصالح يأمر بالخير<sup>(٤)</sup> ، ومن ذلك

(١) مباح الألباب ص ١٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٣ .



تبين أن الرجل الاجتماعي عند رفاة . هو العادل ، النصف ، المستقيم ، الصالح .  
 أما العلاقات التي يجب أن يسود المجتمع . وتتوطد بين أفراد الشعب ، فقد وجد  
 في قوله صلوات الله عليه : « لا تحاسدوا ، ولا تخاصموا <sup>(١)</sup> ، ولا تباغضوا ،  
 ولا تداروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو  
 المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ( ويشير إلى  
 صدره ثلاث مرات ) ، بحسب امرئ . من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم  
 على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه <sup>(٢)</sup> » . وحدث في هذا القول مثلاً من الأمثلة  
 العليا ، للعلاقات التي يجب أن يسود بين الناس ، وذلك مصى بشرح الحديث شرحاً  
 تفصيلياً .

ولما كان من أعضاء المجتمع ، من لا يستطيع الكسب ، لمرضه ، أو شيخوخته ،  
 كان من الواجب إنشاء مؤسسات ، نهض بسد حاجة هؤلاء ، وإقيام بشئونهم ،  
 وهما يرى رفاة أن الدولة وحدها ، لا تستطيع القيام بذلك المص ، ولهذا ينبغي أن  
 يعميها على أداء هذا الواجب ، جمعيات الأعيان وأهل البسرة ، وقد شاهد رفاة في  
 أوربا جماعات البر ، تقوم بمحاجات الناس والمورين ، ورأها أقدر على الدوام ،  
 وأهض مما عيها من الأعيان ، فمادى بإنشاء هذه الجماعات ، بدلاً مما كان معروفاً  
 بمصر يومئذ من الصدقات الشخصية ، التي لا تبال لها ولا دوام ، قال رفاة في هذا  
 الصدق : « وما يسعى ، إعانة ولي الأمر على مصاعفة الحال الخيرية ، من أرباب جمعيات  
 الأعيان ، وأهل البسرة ، لتكثير وسائل البر والتقوى : كتكثير المارسات التي  
 رصد على البرص وارضى العاجرين عن المعالجة في بيوتهم ، وكتركيب مارسات  
 ترصد على الأطفال ، الذين يلتقطونهم من الطرق والأبناح ، وعلى الشيوخ المتقدمين  
 في السن والعميان ، والبله والمجانين ، وأرباب المعاهات العاجرين ، وكالحال الخيرية ،  
 واشركات السلفية ، أي المتعلقة بالبيع والشراء على سبيل السلم ، تسهيل الأخذ  
 والمطاء ، وقطع دابر الربا ، وإعانة المهووفين من القرض برأ الفضل ، وإعانة المعسرين

(١) أي لا يحسب بعضكم على بعض أن يريد في البيع يحدد غيره وهو محرم جماعاً لأنه  
 عن خداع .

(٢) ما هي الأبواب ص ٩٦ .

والفلسين ، من التجار المتعطلين عن الأشغال ، لحصول خادنة خيرية ، أوجبت الكساد وسوء الحال ، وبالجملة فإن مصاد التكافؤ والندارس والرباطات والشركات المباحة شرعاً ، وكل ما فيه مصلحة - مشروعات خيرية - لا تستطيع أن تقوم بها الدولة وحدها ، أو إنسان محصور وحده ، ويد الله مع الجماعة ، فلا بد في إيراد هذه المصالح الخيرية من جمعية أغنياء ، ترصد عليها الإرصادات ، وترتب لها الرواتب اللازمة الداعية للاستغلال ، فهذه صدقات خيرية ، من جهة شركات ما بية ، يقتسمون أرباحها ، ويحجرون شكرها ، لجمعية فعل الخير بالاستراث فيبيلة في بلاد ، بخلاف الصدقات الشخصية ، وإرصادات الأهلية يرصدها الواحد في الغالب كاسيل والصهرنج والكتب ، فإن هذا يتحدد بمصر كثيراً ، ولا يتأسس له ما به يكون الدوام والاستمرار <sup>(١)</sup> .

ورفع ردة صوته . نادياً بحق العامل في أن يبدل الحراً ، يناسب ما منه من الجهد والماء ، ودحس حجة هؤلاء الذين يزعمون أن من حق المالك أن يستحوذ على محصولات أرضه ، وألا يكفى . العامل ما يستحقه من المكافأة ، فقد بين رفاعتي كنهه . أثر العمل في جلب الثروة ، وأنه أقوى من حصونة الأرض <sup>(٢)</sup> ، وإذا صح ذلك فمن الظلم على الآخر ، ولا يبدل حديث : الزراع للزراع على حوار هذا العن ؛ كما لا يحيره ظن أن المالك قد دفع رأس ماله في الزراعة وأنفق عليها ، فهو الأحق بالاستحواذ على المحصولات الحسيمة ، والأولى ربح أمواله العظيمة ، وأن عمية لصلاح وعية ، يعتمد على رأس المال ويستند إليه ، وذلك كله محض معالطة ، فعمل الأخير هو المنتج ، وولاه ما ربح الأرض هذا الربح العظيم ، فمحاولة المالك تقليل أحده مستعلا ردهم أهل الملاحة على العمل ، إحداه له ، لا ثمر بحمة الأخير للمالك ، والإيداء بموع شرعاً <sup>(٣)</sup> . ويحيل إلى أن ردة دفاعه هذا ، يريد أن يشرك العامل مع صاحب الأرض في عملها ، ولكنه لم يبين ما يخص العامل من هذا الإنتاج .

(١) مناهج الألباب المصرية ص ٤٤ .

(٢) مناهج الألباب ص ٨٩ .

(٣) سرجع سابق ص ٩٥ و ٩٦ .

وعقد رفاة فصلا<sup>(١)</sup> مطولا ، مدح فيه السعى والعمل ، وذم البطالة والكسل ، ولا غرابة أن يعقد هذا الفصل ، بعد أن بين قبيحة العمل في جلب الثراء ، الذي هو أساس سعادة الأمة ، ولذا كان يؤدبه رؤية هؤلاء الكسالى ، القادرين على السعى ، ولكنهم يؤثرون السؤال على الأعمال ، ويلحون في الطلب ، ولعل في نشره قانون الشجاعة ، الذي سنه العريسيون ، ما يوحى برصاء عن سن مثله ، لكافة هذا الداء الويل .

وكان رفاة متعائلا بمستقبل الوطن ، ويرى الزمن القادم أفضل من الماضي حصارة ومديية ، « فلا بدنى لأبناء الزمان أن يعتقدوا أن زمن الحلف ، تحرر عن مسائل السلف ، وأنه لا ينصلح الزمان إدار عرصة للتف ، فهذا من قبيل البهتان ، فالفساد لا اعتقاد ذلك ، لا فساد الزمان<sup>(٢)</sup> » .

وتلك العقيدة المتعائلة هي التي دفعت رفاة إلى تأليف كتبه في الاجتماع ، يصير أمته فيها بوسائل النهضة وأسباب الرقي ، وفي التربية يريد أن يأخذ بيدها إلى نبوؤ مكاتبها الذي كان لها في القديم ، والذي طالما أشاد به رفاة ، وحث على وطنه على عادته ، وكان رفاة يرحو أن سيأتى يوم يتحقق فيه المجتمع المصرى ما يصبو إليه من آمال في المجد والارتقاء .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤١ .

## مبادئه في التربية والتعليم

عُرف رفاة التربية بأشها من تسمية الأعماء الحسية والعقلية ، وطريقة تهذيب النوع البشري ، ذكرأ كان أو أنشئ ، على طلق أصول معبومة ، تستعيد منها العبي هيئة ثابتة يتبعها ، ويتخذها عادة ، ونصير له دأناً وشأناً وملكة<sup>(١)</sup> .

ويرى أن تغذية الطفل على ثلاثة أضرب : الأول بمدته بالطعام ، ليمو جسمه ، والثاني بمدية خلقه ، تتمويده لتطبيع بالطبع الحميدة ، والآداب والأحلاق ، والثالثة تغذية عقله بتعليم الممارف وألوان المعلوم<sup>(٢)</sup> . فالتربية ألون ثلاثة : تربية جسمية ، وتربية خلقية ، وتربية عقلية .

ومهمة التربية عند رفاة تهذيب خلق ، وتسمية العقول ، وتحسين الإدراك ، وليس من مهمتها خلق الدكاء ولا الأمانة ، لأن ذلك من الصفات العريية الطبيعية ، فإذا وكل إلى مربى عدة أطفال محتجبين دكاء ، لا تستطيع التربية الموحدة أن تسوى بينهم في الدكاء ، بل يختلف دكاؤهم باختلاف استعدادهم العريي ، والدكاء الكامل إذا صحبته التربية الرشيدة ، كان عظيم النجاح ، فإن صحبته التربية المتوسطة ، كان يسير النتيجة ، لا يبلغ صاحبه الدرجة المنشودة<sup>(٣)</sup> .

وإن أثر تربية الأفراد تربية حسنة هو الهوض بالهيئة الاجتماعية ، لأنها مكونة من هؤلاء الأفراد ، فالأمة التي حسنت تربية بعبها ، هي الأمة السعيدة التي يرقى بها الوطن ، ويتشأ مكائته السامية ؛ أما سوء التربية ، فإنه إذا انتشر في أمة أفضى بها إلى المدم<sup>(٤)</sup> .

وأول ما يجب أن يعنى به مربى الطفل أن يحجو الأثرة من نفسه ، « لأنها حصلة جامعة لجميع الميوب دالة على دناء النفس ؛ لأن صاحبها مقصور المهمة على

(١) المرشد الأمين ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٦ .

17  
Cenpa  
S. J.

منفعة نفسه ، لا يمدد نعمة في شيء على إخوانه ونساء جنسه ، وهي منبع الحرص والطمع<sup>(١)</sup> ، وأن يحفظه منذ صغره المقائد الدينية ، وبفديته بلبان الأحكام الشرعية ، فيبغى أن يعلم الصغير ، دكراً أو أنثى ، من مبدأ أمره إقامة الدليل على وجود الله ، ووجوداته ، وواق صفاته الواجب معرفتها<sup>(٢)</sup> ، وهكذا يجب أن يسير التربية الدينية حساً إلى حب مع تربيته المعاشية ، ليجمع بين معرفتهما<sup>(٣)</sup> .

وسعى لمن يربي الفتى ويتعهد شئونها ، ألا يمس عجزه ولا تحميف ، تلك الصفة التي احتضت بها دون الرجل ، والتي تزين بها ، وهي صفة الحياء والخوف والوجل ، فإن المرأة لم تخلق لتخوض شجاعة الرجل ، ولكن لتحمل الرجل على الشجاعة<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

يقسم رعاية التعليم ثلاث مراحل : التعليم الأولي الابتدائي ، والتعليم الثانوي التجهيزي ، والتعليم الكامل النهائي .

فالتعليم الأولي - يكون فيه أهل المملكة على حد سواء ، فهو عام لجميع الناس ، يشترك فيه أبناء الأعيان والعلماء ، دكوره وإناثهم . ومنهج هذا النوع من التعليم دراسة قراءه والكتابة ، ضمن تعليم القرآن الشريف ، وأصول الحساب ومبادئ الهندسة والنحو .

وهذا التعليم الأولي ضروري لساير الناس ، يحتاج إليه كل إنسان كاحتياجه إلى الحر والد . ومتى تلقاه أفراد الأمة حسن حال الهيئة الاجتماعية ، وارتقى ، أرباب الحرف الصناعية ، فإن الصانع مثلاً ، إذا علم هذه المبادئ سهل عليه قراءة كتب مهنته أن يخجد صنعته ، ويدخل فيها تحسينات جديدة ، وأن يقيد جميع ما يراه ويسمعه ، فيرى ويسير في عمله إلى درجة الكمال .

وواجب المعلم في هذه المرحلة أن يهيج أقصر الطرق في تعليم الطالب ، حتى

(١) ص ٧ و ٨ .

(٢) ارجع السابق ص ١١ و ١٢ .

(٣) ارجع سابق ص ١٣ .

(٤) ارجع سابق ص ٤٩ .

لا يضيع عليهم وقت طويل ، هم أحوح الناس إليه في تعلم مهنة يكسبون منها .  
هذا التعليم الأولي ، هو الذي وضع خططه رفاة وصديقه آدم ، في عهد سعيد  
باشا ، ولكن لم يقدر لها تنفيذ رعايتهما ، كما سبق أن ذكرنا<sup>(١)</sup> .

وأما التعليم الثانوي ، مدرسته أعي مما قبله ، وهو الذي يكون به تمدين جمهور  
الأمة ، وكسبها درجة الترقى في الحضارة والعمران ، وعمومه كثيرة ، منها العلوم  
الرياضية بأنواعها ، والجغرافية ، والتاريخ ، والمنطق ، وعلم المواليذ الثلاثة ،  
والطبيعة ، والكيمياء ، والإدارة الملكية ، وفنون الزراعة ، والإشياء والمخامرات ،  
وبعض الألسنة الأجنبية ، التي تعود نفعها على الوطن ، ولأهمية هذا النوع من  
التعليم ينبغي للحكومة أن ترعى الأهالي فيه ، وشوفهم إليه . والأفضل أن يكون  
تعليم المهن على اختلاف ألوانها ، بعد الانتهاء من هذه المرحلة من التعليم .

والتعليم العالي هو الذي يشتغل الإنسان فيه بعلوم مخصوصة ، ينحصر فيه ، بعد  
تحصيله علوم المبادئ ، كعلم الفقه ، والطب ، والعلوكي ، والحجراتي ، والمؤرخ ،  
من كل علم يحب تعلمه وحب كفاية ، ويريد صاحبه أن يحول في أصوله وفروعه ،  
حتى يكون كالمجتهد فيه .

— وإذا كان رفاة يرى من الواجب تعميم التعليم الأولي ، بين أبناء الشعب جميعاً ،  
وترعيب الشعب في التعليم الثانوي ، ورأيه في التعليم العالي وحب الاقتصاد فيه ،  
لأنه معد لتكوين أرباب السياسات . الرئاسات وأهل الحل والعقد في الممالك  
والحكومات ؛ فيجب أن يكون عدد تلامذته محصوراً ، والآباح الانتساب  
إليه لا لصاحب الثروة واليسار ، بحيث لا يصير تفرعه للمعوم المالية بالملكة<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وينبغي لولي الأمر أن يتأمل حال الصبي ، ليرى ما هو مستعد له من الأعمال ،  
فيعلم أنه مخلوق له ، فيوجهه التوجيه الصالح ، ولا يحمله على غير ما هو مستعد له ،  
فإنه إن حمله على ذلك لم يفلح فيه ، وفاته ما كان مهيباً له<sup>(٣)</sup> ؛ فالتربية الصحيحة

(١) راجع ص ٥٥ .

(٢) استرشد آدمي ص ٦٢ و . بعدها

(٣) المرجع السابق ص ٩٨ .



هي تلك التي تلائم استعداد الطفل ، وتنميه ، وتأخذ بيد ، حتى ينضج ويصل إلى الأوج ، ولكل فرد استعداد خاص به ، يظهر آثاره عليه <sup>(١)</sup> . ولا رننا نحن إلى اليوم ننادى بهذا النداء الذي يهيب ، لكل امرئ ، وسيلة النوع ، ولا يكلفه من العمل ما لا يتفق مع مواهه وميوله .

وكأني رفاة يريد أن يوجه التلاميذ على حسب استعدادهم وجهتين : وجهة عمية طرية ، والأخرى عملية مداعية ، ومهدين الاتجاهين نهض الأمة ، فل رفاة : « يحب على مدّر المدن ، أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تحميه ، ثم يقسم عيائه بالناس ويطرده إليهم إلى قسمين : أحدهم في سديد الناس وتقويتهم بالعلوم العسكرية ، والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية ، فكل من هاتين العنيلتين عليه مدار العمل <sup>(٢)</sup> » .

وعى رفاة بالحديث عن تربية أبناء الملوك ، وإعدادهم لما ينتظرهم من القيام بأعمال الدولة ، ورأى أنهم يحتاجون إلى أن يتعمدوا جميع ما يتعلمه أبناء الوطن ، من العلوم الأولية ، ولا سيما علم اللسان ، كما يحب على مربيهم أن يعنوا بتعليمهم ما يلزم في تمكينهم من العلوم الإدارية ، وأصول السياسة والرئاسة ، ليحسنوا التدبير ، عندما توكل إليهم مقاليد الأمور ، ويحب أن يوكل أمر تربيته إلى أرباب الفصائل الحربيين ، المتصفين بالأخلاق الحميدة ، والآراء السديدة ، والخازين لأصول العلوم السياسية وفروعها ، ولا يلبى أن نفوض تربية أبناء الملوك لأرباب الدفاعة ، ولا لأرباب الدع والأوهام ، ولا لأصحاب الأطماع ، لأن المدى منهم تسرى ، فتعبد طباعهم ، وتقل رفاة ما اعتاده الأوروبيون في تربية أبناء الأسرة المالكة ، من اختيار المعلم الماهر ، والرحلة إلى الممالك الأجنبية لشاهدة أحوالها ، والاطلاع على سياستها وأحوالها ، لاقتباس الصالح من نظمها ، واجتناب الضار الفاسد ، هذا إلى وجوب ممارسة السياسة عملياً <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) المرجع السابق ص ٧ .

(٢) منهاج الألباب ص ٧٨ .

(٣) الرشيد الأمين ص ٩٦ وما يليها .

وأطال رفاعة في بيان أثر التنافس في نهضة الفرد والجماعة ، ومدحه ، وأطال في مدحه ، « فهو صفة نفسانية ، نعمت طالب العلم على أن يجتهد كل الاجتهاد ليقف فوق الأقران ، أو يساويهم ، وأن يستقرى » ، ويبحث عما يفعلونه من الحسن والطيب ، والملائم ، ليشارك الأقران فيه ، ويرجع فيه محوذة فهمه ، ودقة نظره ، فالتنافس عيرة محوذة ، وعطلة معهودة ، محرورة في جميع العفوس الزكية . . . . . فيتحرى صاحبها استسهاال المضاعف ، وركوب متون الأخطار والتعاب ، وأن تنقل همته من الثرى إلى الثرى ، ليصعد بالمعارف مكاناً قصياً <sup>(١)</sup> » ، « فالتنافس يجهد بناية الحماسة والشدة ، ويحدث في اجتهاده عاة الحدة ، ويسلك في بلوغ أمله المناهج الشريفة ، والمناهج الميعة <sup>(٢)</sup> » ؛ « فالتنافس من حسن تبدل أعماء الجمعية ، ومن أكل فصائلها النفعية . . . وربما ظهر سادى الرأى أن التنافس رفيق الطمع ، وشقيق الحمد ، وأن التمسك به غير سالك في السبل الأسد ، مع أنه ليس فيه شىء من هاتين التشتين ، بل منه وبينهما بون بعيد في الأثر والعين ؛ إذ ليس المرض من التنافس حصر العقل في صاحبه ، ولا الاحتصاص بمكاسبه ومواهبه ، بل مجرد التقدم في المعارف ، والدخول مع الأقران في ميدان السباق ، ليمادر كل منهم ، بالسعى والحقاق ، فهذا يحسن حال المعارف الشريفة ، وتبلغ درجة الكمال <sup>(٣)</sup> » . ولم يس رفاعة أثر الرحلة في كسب العلوم ونمو المعارف ؛ فالمرحل يلقى علماء محتمين ، يستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة ، وقد يظن أنه بلغ درجة كبيرة من العلم ، فإذا قابل نفسه هؤلاء الأخلاء احتقر نفسه ، ومضى يستريد من العلم ، وقد يصل إلى المدارس الكبيرة ، فيجتمع بها ، وهو يرى في رحلته اختلاف أحوال الناس ، فتقوى معرفته بالرؤية أكثر من السماع <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

أما صلة المعلم بتلميذه ، وصلة هذا بعممه ، وما يسمى أن يكون عليه كلاهما

(١) المرشد الأمين ص ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٤ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المرجع السابق ص ٨٩ .

فقد حدثنا عنها رفاة حرة مستفيضاً ، ومن أنه من الواجب أن تكون صلة حب وإخلاص ، فالتلميذ يدعو لأستاذه ، كما شرع في قراءه درس ، وتكراره ، أو مطالعته ، في حضور أستاذه أو في غيبته ، وإذا فرغ من الدرس دعا لأستاذه أيضاً ، ويدعو الأستاذ للتلميذ كما دعا له <sup>(١)</sup> .

وحق العلم أن يجرى متمليه محرى بيه ، فإنه لهم في الحقيقة أشرف الأبوين ، فيؤقرهم كما يوقر أولاده ، ويؤورونه كما يوقرون آبائهم <sup>(٢)</sup> .

وعلى المرء أن يختار من العبارات التي تؤدي بها المعنى ما هو واضح مفصل ، في مستوى تلاميذه ، وأن يعاملهم بالرفق والشفقة ، وأن يحثهم بإرشادهم ، ويهتفهم بالصالحهم ، ويصبر على حقائبهم وسوء أدبهم ، وعذرهم في فلة أدبهم في بعض الأحيان ، فإن الإنسان معرض لمنقصان ، ولا شيء إذا كان حديث السن ، وعاليه أن يصرفهم عن الرذائل إلى الفضائل بلطف في المقال ، وتعرض في الخطاب ، وتعرض أبلغ من التصريح <sup>(٣)</sup> .

وأتأما ما عمله معلمو القرآن الكريم وشدة عطفهم ، ومربيهم للأولاد الصغار المبتدئين في التعليم ، فهو خروج عن حد الشرع ، ويترب على ذلك أن الأولاد يمتنعون عن الكتابة والقراءة ، لما ربه من ذلك ، فهو عاملهم بالرفق والحيلة في التعليم لما امتنعوا عن ذلك ، ومع هذا أحرار رفاة للأب أن يصبر الله لتدريبه وتأديبه <sup>(٤)</sup> . كما يسمى المعلمين أن يادبوا لتلاميذهم بالعلم في بعض الأوقات ويكون لعماء حبيلا غير متعب لهم ، ليستريحوا من عناء الدرس ، وأن يتألقوا قلوب طلبتهم وتلطفوا بهم ، ويحرصوا على التعليم ، ويحثوهم عليه ، ويسهروهم على فصيلة ذلك ، ليكون سبباً لنشاطهم ، وأن يحسوا لهم ما يحسون لأنفسهم ، ويكرهوا لهم ما يكرهون لأنفسهم <sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٨ .

(٥) درشد لأمس ص ٢٣٢ .

وأما ما طلب من المتعلم فأمور كثيرة : منها أن يكون متأدباً مع الله ، ومع  
مرتبته ، متواضعاً لأستاذه ، محباً له ، معتقداً فيه ، سامعاً لقوله ، بل أن يكون  
معه منزلة العبد من مولاه ، وأن يكون متأملاً في جميع الأوقات ، في دقائق  
العلوم ، وأن يستاد ذلك ، وأن يكون مستفيداً في جميع الأحوال والأوقات من  
جميع الأشخاص ، وأن يبعد الفتور عن نفسه فإنه آفة العلم<sup>(١)</sup> ؛ وفصل رفاعة  
أخلاق العلماء ، فمد منها التواضع ، والزهد في طلب الرياسة ، والاعتراف بعلم  
الممتازين ، وعدم الحقد عليهم ، والتمس عثراتهم ، وانتقادهم ، وسعى له ألا يمدح  
نفسه ، ولا يمدح الناس له وثائهم عليه ، وأن يكون مثلاً من الأمثلة  
الكريمة في الأخلاق الحميدة من الزهد في الدنيا ، والسخاء ، وطلاقة الوجه ، في  
غير خروج إلى حد الخلاعة ، والصبر والتقوى ، وأن يكون مكثراً من الخشوع  
والوقار ، متجنباً للصحت ، والإكثار من المراح ، لا يلبس الملابس الرثة  
المكروهة المتدلة ، وأن يكون تاركاً للشهرة ، وليحذر كل الحذر من الحسد ،  
والكر ، والرياء ، والمجب<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وأوصى رفاعة في طلب العلم بما نقله عن الإمام الشافعي وهو ألا يخرج الطالب  
من علم إلى غيره حتى يحكمه ، فإن اردحام الكلام في السمع ، مضرة في الفهم ،  
ولكن سداً منه بالأنم<sup>(٣)</sup> ، وتأخذ العلوم عن أسانئتها ، ويحذر من الاستعادة  
من الكتب إلا في علم الحدث ، لئلا يكون هناك قول ضعيف ، ولئلا يقع في  
التصحيح والتحريف<sup>(٤)</sup> .

ويرى فائدة المطارحة والناطرة أقوى من فائدة مجرد التكرار<sup>(٥)</sup> ، ويرى  
تقسيم الدرس أقساماً أسهل لحفظه ، وأوسع في الدفن من حفظه جملة ، قال في  
منظومة تأديب الأطفال :

(١) المرجع السابق ص ٣٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٩ . وما بعدها

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٣٨ .

يحسن حفظ اللوح للصنير . على مرار ، بل والكبير :

يرسح في الدهن ، وليس يتجنى حربه بالتقسيم ، وأقبل بصحا<sup>(١)</sup>  
ونقل رفاة في كتابه : مناهج الألباب المصرية<sup>(٢)</sup> رأياً في تأديب الصغار ،  
كان نقله له فراراً له ، وروى عن صاحب الأخلاق ، أن أول ما ينبغي أن يتفرس في  
الصبي ويستدل به على عقله الحياء ، وفيه يدل على أنه قد أحس بالقصيح ، ومع  
إحساسه به هو يحذره ويتحسبه ، ويحرف أن يظهر منه ، ويدل على أن نفسه  
مستعدة للتأديب ، صالحة للتماية ، والأولى بمثل هذه النفس أن تبقه دائماً على حب  
الكرامة ، ويتدح الأحيار عنده ، ويرى عنده شرف النفس والإيثار ، ويطالب  
بمحط محاسن الأحرار والأشعار ، ويحذر من الطر في الأشعار السخيفة ، فإن  
هذا الباب مفسده للأحداث حداً ، وإن طالب الطامل أصول الأدب في بعض  
الأوقات ، فالأولى ألا يوح ، ولا يكشف بأنه أقدم عليه ، بل يتعامل معه تعامل من  
لا يحظر سألته أنه قد نجاس على مثله ، ولا يهجم به ، ولا سيما إن ستره الصبي ،  
واحتد في أن يحفى ما فقهه على الناس ، فإن عاد فليوئخ عليه سرّاً ، فإنك إن  
عودته التوبيخ والمكاشمة ، حملته على الوحشة ، وحرضته على معاودة ما كان  
استقبحه ، وهان عليه سماع الملامة في ركوب القبح . ويستمر رفاة في نقل رأى  
صاحب الأخلاق الذي يدعو فيه إلى تمويد الطفل الحشونة وانتشع .

\*\*\*

كان رفاة يترف بمصل الأهرم عليه في ثقافته ، ويراها حنة علم داية الثمار ،  
وروضة فهم يامة الأهرار<sup>(٣)</sup> ، ولا يحب أن يكن له في صدره هذا الإحلال ، فهو  
لمنى مهد أمامه الطريق إلى الاعتراف من الثقافة الغربية . وهو لذلك حرص كل  
الحرص ، على أن يصل هذا المعهد العتيد ، إلى الدرجة التي يستطيع أن يؤدي فيها  
رسالته على أكمل الوجوه ، وهو من أجل ذلك يرى من الضروري أن يعنى  
الأهرم بالعلوم الحكيمية ، وسائر المعارف البشرية المدنية ، وهذا إلى حب عايشه

(١) مناهج الألباب المصرية ص ٧٧ .

(٢) ص ٦٩ .

(٣) خمس جزر ص ٣

بالعلوم الشرعية والعربية ، وقول رفاعه في ذلك : « غير أنه ( أي إسماعيل ) حفظه الله وأقامه ، ولو أنه أعلی مسار الوطن ورفده ، لم يستطع إلى الآن أن يعم أوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الأزهر الأور ، ولم يحدب طلابه إلى تكميل عقولهم بالعلوم الحكيمه ، التي كبر معها في الوطن لس بشكر ، نعم إن لهم اليد البيضاء في إيقان الأحكام لشرعية العملية والاعتقادية ، وما يجب من العلوم الآلية ، كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالسطو واوصع وآداب البحث والقولات وعلم الأصول المعتبر ، ومثل هذا فيعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنفس التفاضلون . غير أن هذا وحده لا ينفي للوطن نقصا الوطر ، والكامل بقيل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر . »

« ومدار سلوك هذه الرشاد والإصابة ، موط بعد ولي الأمر بهذه العصابة ، التي ينبغي أن يعيى إلى ما يجب عليها من شر السمة الشريعة ، ورفع أعلام الشريعة المبيغة ، معرفة سائر المعارف الشريعة اندسية ، التي لها مدخل في تقديم الوطنية ، من كل ما يخدم على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية ، فيه بإصنامه إلى علوم الشريعة والأحكام ، يكون من الأعمار الساقية على الدوام ، وتقدم بهم في اتباعه الخاص والعام ، حتى إذا دخلوا في أمور الدولة يحسن كل منهم في إبداء المحاسن المدية قوله ؛ فإن سلوك طريق العلم السافع من حيث هو مستقيم ، ومهجه الأبرح هو القويم ، يكرن بالنسبة للعلاء سلوكه أقوم ، وبنقيه من أفواهم أتم وأظلم ، لاسي وأن هذه العلوم الحكيمه العملية ، التي يظهر الآن أمها أحدية هي علوم إسلامية ، نقلها الأجاب إلى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم رل كتبها إلى الآن في حرائن مالوك الإسلام كالدحيرة ، بل لا رال يشبث بقراءتها ودراستها من أهل أوربا حكاء الأزمنة الأخيرة<sup>(١)</sup> . » فلو نشئت من الآن فصاعداً نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم المصرية التي حددها الحديو الأكرم عصر ، بهدقه عليها أوفر أموال مملكته يماروا بدرجة الكمال ، واسظموا في سلك الأقدمين من تحول الرجال ، وري ، يعملون بالاحتياج إلى مساعدة الحكومة ، والحال أن



الحكومة إنما تساعد من يلوح عليه علامات الرغبة ، والفيرة ، والاجتهاد ...  
وكل من سار على الدرب وصل ، وإنما تكون المكافأة على تمام العمل <sup>(١)</sup> .  
ولكن دعوة رفاة إلى إدخال العنود المصرية في الأهرام لم تصادف قبولاً في  
عصره .

ومع دعوته إلى إدخال العلوم المصرية في الأهرام ، كان يرى أن تقتبس  
مدارس الحديثة من المدارس الأحسن لمشاة في مصر ، ولهذا كانت روضة  
المدارس ، وطررها رفاة ، ينشر أخبار المدارس الأحسن <sup>(٢)</sup> ، ونسوه بجهودها  
في التعليم ، ويروى رفاة مع هذه المدارس ، ويكتب في الروضة تقريراً عنها ،  
وعن نظمها ويقف في حفلتها خطيباً <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

ونقل رفاة في كتابه تخيص الإبر <sup>(٤)</sup> طريقة أهل باريس في تعليم أطفالهم  
القراءة والكتابة ، وكيف يبدؤونها بكتب عظيمة الحروف ، لتثبت صورها في أذهان  
أطفالهم ، ثم يأتون بعدها بعدة ألفاظ لقوية ، من الأسماء والأفعال يحفظونها ،  
ويطلقون بها كما يسع ، حتى تخرج لغتهم من العصر صادقة الخودة ، ثم يدكرون  
عده حمل سهلة لتقبل ، تناسب الصغار ، ثم يتدرجون إلى أوصاف الحيوانات المروعة ،  
ولا سيما تلك التي تعلق الصغار بالملب بها ، ثم ينتقلون إلى سد صغيرة في سلوك  
الأطفال وطاعة الوالدين ، ثم إلى سد في علم الحساب ، حتى إذا انتهوا من ذلك بدؤوا  
في قراءة كتاب أهم منه . ويتعلم التعميد في النهار عدة دروس ، بين تاريخ ورسم ونحو  
وحفراية وحط وغيرها . وأغلب الظن أن رفاة كان يريد أن يقتبس من هذا  
النهج ، في التأليف وتنوع البرنامج .

هذا ، ومما هو جدير بالذكر ، أن رفاة كان يقدر مهنة التعليم حق قدرها ،  
ويحل ما نرى من أمره حتى أقدم كتب في كتاب المرشد الأمين <sup>(٥)</sup> : « إن خير  
الأمس وخير من يعيش على الأرض الملون » .

(١) مرجع السابق . (٢) راجع لعدد السادس والعاشر من سنة الأولى .

(٣) راجع لعدد السادس من سنة الأولى من روضة المدارس .

(٤) ص ٣٦٦ . (٥) ص ١٤٦ .

## رأيه في المرأة

نظر رفاعة ، ورأى المرأة « من أحمل صبح الله التقدير ، قربنة الرجل في الحلقة ، والمعينة له في تدبير أمره ، والحافظة لأطفاله ، و الساهرة على العناية بتدبير أمورهم ، والماسحة بيدها همومهم وآلامهم <sup>(١)</sup> ، ولكنها تتأثر عنه بحسب ألبس وألطف شكلا ، لا يؤهلها لأن تشاركه الأشغال الشاقة ، كالحرث والحرب والركض <sup>(٢)</sup> ، ونية حسمها على الرقة واللين ، توجب كونها ألطف من الرجل صمًا وأرق حاسة ؛ فإذا انحرفت عن ذلك ، كان انحرافها ناشئًا من ظروف التربية والبيئة <sup>(٣)</sup> ، ولهذه المية الرقيقة أيضًا ، كان من صفاتها الشفقة والرحمة والعطف والحنان والرفق واللين ، وكان عندها استعداد لأن تنفرد عن عوائد الرجال الحسنة كالعصب والحقد والبغضاء ، والشقاق ، و إنما أعظم ما يهين العيرة ، التي لا تكاد تحملونها واحدة <sup>(٤)</sup> . واعتاض المرأة عن بيتها الضعيفة بقوة عقلها ، وحدة إحساسها وإدراكها ، وذلك مما سدى بعض الأحيان مسد المعارف التي تحملها ، وتحمل حياة الأسرة مقبولة محتملة <sup>(٥)</sup> ، قل رفاعة : « فإذا كانت الأنثى مع عقلها العريضة ذات معارف كافية ، وظرائف شافية ، رادها عقلها كمالا على ما تعرفه ، و بما فيها من الذكاء تدرك حقائق الإنشاد ودقائق الكميات ، ورهق التوجيهات والتوجيهات ، ومؤول المعنى الذي يسمعه بأحسن التأويلات والتوريات ، وتقدير على التمييز والتعريض والتورية ، في الخطابات والمحاورات <sup>(٦)</sup> » ، ولهذا رأى رفاعة أن تعلم الأدب حسن في الرجال والنساء جميعاً ، ولكنه في النساء أحسن ، لما يهين من الرقة الطبيعية والمحاسن المصوية <sup>(٧)</sup> .

(١) المرشد الأمين ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٤) المرشد الأمين ص ٤٠ و ٤١ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٦) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٧) المرجع السابق ص ٤١ .

وقرر رفاعة في كتابه المرشد الأمين<sup>(١)</sup> ما للمرأة من الأثر في دفع الرجل إلى  
 العمل ، وتطعمه إلى عهد ، وتمسكه بغيره لأخلاق ، « فإن الرجل يتمي دائماً بنجاح  
 أعماله ، وصلاح أشد ، وثمره مشروع ، ليمجيب زوجته أو غيرها ، لتشهد له  
 بالقوة والشجاعة والبراعة ، ثم طمع أطار الرجل في نجاحه وفلاحه وكسبه واعتنامه ،  
 برياض روحه بحسنة ، ودواب قرائته من النساء ، فهل من ميدان يسلكه الفتى  
 من ميادين العجائب ، وحلته ساق فيها الشهم أفراده من حلقات الاعتبار ،  
 إلا ويلاحظ فيها الفرح ممن يهواها ، فيجابه دائماً مقرون باستحسان النساء ، وربما  
 كن معصداً لحاسنه ، ومهيجات لتشيط حوده وسماحته ، فإن الشهم يفرح كل  
 الفرح ، وسر كل السرور ، وتقر عينه متى بلعه استحسان ربات الحجال ،  
 لما صدر عنه من منتجات الأعمال ، فهو يحب دائماً أن تكون له منزلة في قلب من  
 يهواها من النساء ، فيتشبت دائماً بتختم الأخطار ، لنوع الأوطار ، فتجده إذا  
 تحرى الصدق والأمانة ، أو حصل على كمال المعرفة لما فيه من ملكة الذكاء والعظمة  
 أو نظم القضايد الطيابة الرامة ، أو اكتسب الصيرة في الحروب ، أو اخترع شيئاً  
 في الصنائع والعمون طلق المزعوم ، أو راع في الأحكام الشرعية ، والصناعة  
 القصائية ، أو أحسن الفتيا ، في الدرجة العليا ، أو أقن علم السلوك والأخلاق ،  
 أو سار حسن سيرته بمدوح صيته في الآفاق ، فلا تصدق لهجته ، ولا تلوح  
 بهجته ، إلا إذا كان عند النساء مكانة عليّة ، وعقيدة قوية ، فشهادتهن له شهادة  
 عادلة ، واعتقادهن فيه بحسن العمل تركية فاضلة ، وهذا ما يحمله على كمال الاجتهاد ،  
 وأن يراول تحصيل الناف الحيدة ليذكر مراده ، ويسكن من قلوب النساء في  
 صميم القواد . »

ويقرر كذلك ما منحته المرأة ، من قوة تأثيرها بما يحصل للرجل من فرح  
 ونجاح ، أو ألم وسكة ، وذلك القوة غريزية فيها ، وهي من أحل ذلك تقسم مع  
 الرجل السعادة والشقاء ، واليسر والعسر ، ويشعر الرجل عند الصيق بمعطف المرأة

وحسبها ، فكأنها بهذا الخلق الحميد نفس منكبة ، ملهمة بالأنطاف الحفية <sup>(١)</sup> ، كما خصها الله سبحانه عتاع المعش ، ومباشرة فراش المرضي ، من الأرواح والأولاد وغيرهم ، وتحفيف الآلام والأسقام ، وجعل لها مقدرة على إحقاق التأثيرات الوجدانية ، وهي تقدر في ذلك على ما يعجز صناديد الرجل عن الصبر عليه <sup>(٢)</sup> .

ولما كانت المرأة مخوفة للرجل ، وحب عليها منذ الصغر أن تتمرن على تحمل أعبائه وأثقاله ، وأن تكون مستعدة للصعج عن حبله ، فسلكت معه مسلك الحلم واللين والرفق ، فذلك أعود عليها بالنعمة من سوء الخلق والعتاد <sup>(٣)</sup> .

— وربما كان رفاة أول من نادى بتحرير المرأة من رقة الجهل في المصر الحديث ، في كتابه المرشد الأمين ، يدعو إلى أن تنال الفتاة حظها من العلم ، كما ينال الفتى ، مدعماً رأيه بأموور شتى :

أولها : ما للتعليم من أثر قوي في إسماعيل بيت الزوجية ، وحسن معايشة الأرواح ، فالتعلم يحل التناسل والتحاسن بين الزوجين ، ويحمل المرأة أهلاً لمشاركة الرجل في الكلام ، وتبادل الرأي ، وسعدها عن سجع العقل والطمش ، الذي ينتج من معايشة المرأة الخاهلة لامرأة مثلها ، وإن حصول المرأة على العلوم والعارف ، وثقافتها المتارة أحمل صفات الكمال ، وأرفع قدرها عند الرجل من الحال .

ثانيها : أن آداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيراً في أخلاق أولادها ، فأنشأ الصغيرة إذا رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب ، وضبط أمور البيت ، والاشتغال بتربية أولادها ، أحست أن تعلمها في ذلك على عكس ما إذا رأتها مقبلة على ربتها وترحها ، وبصاعة وقتها في هدر الكلام ، والرباربات التي لا فائدة منها ، فإن البيت شئت مصيابة لوقتها ، منصرفه عن النهوض بينها .

ثالثها : أن العلم يهيئ للمرأة سبيل العمل ، فتعاطى من الأعمال ما تتعاضد به الرجال على قدر قوتها وطاقتها ، إذا دفعها الحال إلى ذلك ، وهذا من شأنه أن يشعلها

(١) المرشد الأمين ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق قه .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥ .

عن البطالة ، فإن فراغ يدها من العمل ، يشغل لسانها بالأباطيل وقلوبها بالأهواء ، « فاعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من المفصلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجل ، فهي مدممة عظيمة في حق النساء ، فإن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائفة في حديث حيرائها ، وفيما يأكلون ، ويشربون ، ويلبسون ، ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها ، وهكذا <sup>(١)</sup> » .

رابعها : أن التجربة قد قصب في كثير من البلاد ، أن نعم تعليم البنات أكثر من ضرره ، بل إنه لا ضرر فيه أصلاً .

خامسها : أنه قد روي في كتب الأحاديث روايات كثيرة عن النساء ، وقد كان في زمن رسول الله من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء .  
ونعيرص رفاة لمن ينكر على المرأة حقها في تعلم القراءة والكتابة ، فأبان أنه قد كان من أرواحه ، صواب الله عليه من يقرأ ويكتب ، كحفصة بنت عمر ، وعائشة بنت أبي بكر ، ولم نعهد أن كثيراً من النساء قد ابتدئ بسبب آداب ومعارفه ، مع أن كثيراً من الرجال أصلهم التوغل في المعارف ، وترتب على علومهم ما لا يحصى من الضلال <sup>(٢)</sup> .

سادسها ودعوة رفاة إلى تحرير المرأة من الجهل ، ترجع إلى ما قبل تأليف كتابه ، فإنه كان عضواً في مجلس ديوان المدارس سنة ١٨٣٧م ، وهذا المجلس قد قدر ما لتعليم المرأة من الفضل في النهوض بالمجتمع المصري ، فاقترح إدخال تعليم البنات في مصر ، ولكنه لم يحرح الاقتراح إلى حيز العمل في عهد محمد علي ، لأن المجتمع المصري لم يكن يملك يومئذ تعليم النساء في المدارس ، فاكتمل محمد علي بمدرسة الولادة ، لتخريج طائفة من القابلات المتعلقات <sup>(٣)</sup> .

وسل أن يعكر إسماعيل باشا في إنشاء مدارس للبنات دعا ، رفاة أولياء أمور الفتيات إلى تعليم بناتهم ما يليق بهن من القراءة وأمور الدين ، وكل ما ينفعهن

(١) المرشد الأمين ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها وما بعدها .

(٣) عصر محمد علي ص ٤٩٤ .

من حيطة وتطير<sup>(١)</sup> ، فإن سمحت الظروف للمرأة أن تتعلم ، كما فكر إسماعيل ،  
فلتتل حظها من العلم كالعتى ، وهو ما حارب به في كتاب المرشد الأمين .

\*\*\*

→ هذه الدعوة التي حاربها رفاة حمل نواها من بعده قاسم أمين ، وقد تربي  
الرحلان تربتهما النهائية في فرنسا ، ورأيا المرأة العربية وتقدمها ، وبكاد الرحلان  
يتفقان في أن التربية العمية للعتاة ، يجب أن تشبه التربية العمية للعتى ، فقد كتب  
رفاة موضوعاً في كتابه المرشد الأمين ، عبوه بقوله : « مطلب أنه يحسن عدم  
الفرق في تعليم البنين والبنات أصول المعارف الحسنة للتربية على حد سواء »<sup>(٢)</sup> ؛  
وفصل قاسم أمين في كتابه : المرأة الجديدة<sup>(٣)</sup> مدحه في أن الصواب ألا تنقص  
تربية المرأة عن تربية الرجل

ويعتقد في أن للمرأة أن تتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجل ، عند مساس  
الحاجة إليه ، ولذا كان من الواجب أن يجهز للنهوض بمثل هذا المبدأ<sup>(٤)</sup> ، ويعتقدان  
أن بعض المهام تصلح للمرأة وتمجدها ، كالحيطة والتطير . يقول قاسم أمين :  
« يوجد حرفتان أود أن تتوجه نحوهما تربية البنات عندما ، الأولى صناعة تربية  
الأطفال وتعليمهم<sup>(٥)</sup> ... والحرفة الثانية هي صناعة الطب<sup>(٦)</sup> ... وكذلك يمكن  
للمرأة أن تشتمل بجميع الأعمال التي فوائدها الترتيب والتنظيم ، ولا تحتاج إلى قوة  
العضل والأعصاب كالسجارة<sup>(٧)</sup> » .

وبوقف رفاة في دعوه إلى النهوض المرأة عند حد تعليمها ، أما قاسم أمين فلم  
يقف عند هذا الحد ، بل نادى بأن تكون للمرأة من الحرية ما للرجل ، فله كما له ،  
أن يحتلظ بمن تشاء ، وضرب مثلاً لقوائد هذه الحرية بالمرأة العربية فقال : « كان

(١) مناهج الألباب المصرية ص ٦٦ .

(٢) المرشد الأمين ص ٦٦ .

(٣) ص ١٥٦ وما يليها .

(٤) المرشد الأمين ص ٦٦ والمرأة الجديدة ص ٩ .

(٥) المرأة الجديدة ص ١٠٥ .

(٦) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٧) المصدر السابق ص ١٠٦ .



١٠٠ من حرية المرأة العربية أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الروح ، ورأى غير رأى  
 الروح ، وأن ينتمى للحرب غير الحرب الذي ينتمى إليه الروح ، والرجل في كل ذلك ،  
 يرى أن روحه لها الحق في أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها ، وأن  
 تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في طهرها ، ومع كل ذلك ترى طعام بيوت  
 هؤلاء العربيين قائماً على قواعد متبسة ، وري هؤلاء الأمم في عو مستمر ، ولم يحل  
 بهم شيء من المصائب التي يهددها أولئك الكتاب والمفكر من قومها ، الذين  
 أطلوا الكلام في شرح المصار التي تنتج عن إطلاق الحرية للنساء ، فكثيراً  
 ما سمعنا منهم أن اختلاط الرجل بالنساء ، يؤدي إلى اختلاط الأسس ، وأنه متى  
 اختلطت الأسس ، وقعت الأمة في الهلاك <sup>(١)</sup> .

أما موقف ردة من الاختلاط ، فإنه لم يتحدث عنه في كتابه ، وإن كان يفهم  
 صمماً أنه يبيحه لضروره ، عندما تضطر المرأة إلى العزل في ميدان العمل كالرجل ،  
 وهو ما أباحه لها رعاة ، كما أنه أدى بحجابه بمرل العرسى المسوق ، ربه المرأة  
 الشفعة ، وبكل محصورها الأس <sup>(٢)</sup> ؛ فدل رعاة كان سيج الاختلاط في دائرة  
 محدودة ، وعند له وره ، أما في غير ذلك « لطريق المغيبة عن الفير ألا يدخل  
 عليها الرجل ، وهي لا تخرج إلى السوق <sup>(٣)</sup> » والمفهوم من مجموع كلامه أنه  
 لا يريد الاختلاط <sup>(٤)</sup> .

١٠١ ولم يدع قاسم أمين إلى تعليم المرأة وحريتها بحسب ، ولكنه دعا إلى تخفيف  
 الحجاب ورده إلى أحكام الشريعة الإسلامية <sup>(٥)</sup> ، التي أباحت للمرأة كشف وجهها  
 وكفيها <sup>(٦)</sup> ، وقد رأى « أن العربيين قد علوا في حاجة التكشف للنساء ، إلى درجة  
 يصعب معها أن تصون المرأة من التعرض لثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة  
 الحياء ، وقد علينا نحن في طلب التحجب والتخرج من ظهور النساء لأعين الرجل ،

- (١) المصدر السابق ص ٦٨ .
- (٢) تحليل الإبريز ص ٨٧ .
- (٣) المرشد الأمين ص ١٤٩ .
- (٤) المرجع السابق ص ١٠٥ .
- (٥) تحرير المرأة ص ٨٣ .
- (٦) المصدر السابق ص ٧٥ .

حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات ، أو متعة من المتعيات ، وحرمتها من كل  
المرأى العقلية والأدبية . . وبين هذين الطرفين وسط هو الحجاب الشرعى الذى  
أدعو إليه (١) .

لم يتعرض رفاة لحجاب المرأة ، ولم يدع إلى إلغائه ، وإن كان يرى أن عفة  
النساء لا تنأت من كنهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والحسنة ،  
والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشرع فى المحبة ، ولا انتقام بين  
الزوجين (٢) .

للمرأة

هـ وشن قاسم أمين حرباً شعواء ضد تعدد الزوجات ، فلم يحرمه إلا فى حالة  
الضرورة الطلقة ، أما فى غيرها فهو حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية ، وهو علامة  
تدل على فساد الأخلاق ، واحتلال الخواص ، وشره فى طلب اللذائذ (٣) .

أما موقف رفاة من ذلك موقف المحير ، شرط المدلل بين الزوجات ، وإن كان  
الأفضل الاقتصاد على واحدة ، إذا لم يدع الحاجة إلى غيرها ، وما أورده من بعض  
القصص يوحى بشقاء من يؤثر تعدد الزوجات (٤) .

(١)

وتعرض قاسم أمين للطلاق ، وأفرج له طاماً بحد من سوء استخدامه ،  
حتى لا يضرص الأمره وأفرادها بالاسهيار وانتشرد ، ولم يتعرض لذلك رفاة .

ومن تلك المواربه يبدو أن دعوه رفاة ، كانت دعوه محدودة إلى تعليم المرأة  
تعليم يراده أولاً وبالذات إسماعد الأسره ، أما دعوه قسم أمين فدعوه شاملة يرا  
مها إسهاص المرأة ورفع مستواها الاجتماعي ، تمهيداً لمساواة كاملة بين الرجل والمرأة  
حتى فى الحقوق السياسية ، عديم نهياً المرأة لاستعمال هذه الحقوق (٥) ، فلا عجب إذا  
لم تثر دعوه رفاة تلك الصلجة ، التى آثارتها دعوه قسم أمين ، فإيه مهم يكن من أص  
المخالفين به فى شأن تعليم المرأة ، فإن صوتهم لا بد أن يحفت أمام صوء العلم ، وما

(١) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٢) تلخيص الإبرير ص ٢١٣ .

(٣) تحرير المرأة ص ١٥٧ .

(٤) ارشد الأميين ص ١٤٩ .

(٥) المرأة الحديثة ص ٧٩ .

يسلم به الناس من فضله وفوائده في المجتمع ، ولهذا وجدت فكرة تعليم المرأة من ذلك الحين ، زحياً من الطبقات العالية ، فأحدث الأسر الكبيرة تعلم سائرها في المارل ، على يد معلمين ومعلمات ، فظهرت طبقة من سلالة البيوت الكبيرة ، نالت حظاً وافراً من العلم والثقافة ، ومن هذه الطبقة ، بنيت الكاتبة الشاعرة عائشة هانم بيمور ، كريمة إسماعيل بيمور باشا ، من كبار الحكام في عصر عباس وسعيد وإسماعيل<sup>(١)</sup> .

كانت دعوة قسم أمين تجديدية شاملة ، يراد بها نقل المرأة من حياة راكدة ألقها ، وألقها الشعب ، إلى حياة عاملة مشاركة محدثة ، وكان في دعوته إلى التحرر من الحجاب ، وإلى حرية المرأة ، وإلى تعديل نظم الزواج والطلاق ما أثار عليه كثيراً من هموس المحافظين ، مما دعا إلى مقابلة دعوه بما قولت به من اصطدام وصجة .

\*\*\*

ولكي نكمل رأي رفاة في المرأة ، راه يوافق الجمهور ، الذي لا يرى السلطة والملك والخلافة ، مما يحور أن يكون لامرأة ، واحتلفت تعديلاته ذلك ، ثمرة يقول : « النساء في العالم لا يستطعن أن يتعلمن هذه المعارف الحكيمة المهمة في المملكة والسلطنة والخلافة ، حيث إن الخلافة التي هي الإمامة العظمى ، خلافة النبي ﷺ كانت من حصائص الرجال ، وكذا بياناتها في الحفظ الحسيمة<sup>(٢)</sup> » ، ومرة يقول : « ولعل وجه عدم تولية النساء القضاء والإمامة والناصب العامة كونهن عورة ، لا يقدرن على محافظه الرجال في الوفاء بمروض المناصب العمومية<sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

(١) عصر محمد علي من ١٨٤٤ .

(٢) المرشد الأمين من ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق من ١٠٥ .

## نظراته السياسية

نثر رفاعة نظراته السياسية في كتب له عدّة ، فتراها في كتاب تحليل  
الإبرير ، والمرشد الأمين ، ومناهج الألان المصرية ، وأنوار توفيق الحليل ،  
يقصد في بعضها إلى عرض نظراته قصداً للحديث عن السياسة ، وحيثاً يأتي  
تتميقات على ما يرويه من سياسة الدول ، ومن ذلك كله يستطيع أن تبين آراءه  
السياسية .

— كان رفاعة داميلاً فطرياً إلى النظم الحرة ، والحياة السياسية المقيدة بالقوانين ،  
ويدّ لنا على ذلك أمران : أولهما أنه ترحم دستور فرنسا الذي كان معمولاً به ، عندما  
كان في باريس ، وما أدخل عليه من تعديلات ، وكأنه نترحمته لهذا الدستور ، يرفع  
أمام بني وطنه مثلاً يقتدى به ، في الحياة السياسية المثالية ، ولا سيما أنه ترحم هذا  
الدستور ، مدياً رأيه فيه ، إذ قال : « ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرنسا ليس  
مطلق التصرف ، وأن السياسة العرساوية هي قانون مقيد ، بحيث إن الحاكم هو  
الملك ، بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها أهل الدواوين <sup>(١)</sup> » ،  
وبدو هذا الإنحياز من تعليقه على مواد هذا الدستور ، فعلق على المادة الأولى  
منه ، وهي التي تنص على أن سائر العرسس مستوون قدام الشريعة بقوله :  
« معناه : سائر من يوحد في بلاد فرنسا ، من رفيع ووصيع ، لا يحتلون في إحراء  
الأحكام المذكورة في القانون ، حتى إن الدعوى الشرعية تقام على الملك ، وينعد  
عليه الحكم كغيره ، فانظر إلى هذه المادة الأولى ، فإنها لها سلطان عظيم على إقامة  
العدل ، وإسعاد المظلوم ، وإرضاء خاطر الفقير ، بأنه كالعظيم ، نظراً إلى إحراء  
الأحكام ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الحكم عند العرساوية ،  
وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندم إلى درجة عالية ، وتقديمهم في

الآداب الحصرية<sup>(١)</sup> « ؛ وعلّق على المادة الثامنة الخاصة بالمساواة في الضرائب بقوله : « وأما المادة الثاية فيها محض سياسة ، وتكفي أن يقال إن العرّاد<sup>(٢)</sup> ونحوها لو كانت مرتبة في بلاد الإسلام كما هي في تلك البلاد لطأت النفس . . . ومن الحكم المقررة عند قدماء الحكماء : الخراج عمود الملك<sup>(٣)</sup> » ؛ وعلى المادة الثالثة التي تنص على أن كل واحد من العربيين متاهل لأحد أي منصب كان ، وأي رتبة كانت ، فقال : « وأما هذه المادة فلا ضرر فيها أبداً ، بل من مزاياها أنها تحمل كل رسل على تهذيب نفسه ، حتى يقرب من منصب أعلى من منصبه ، وهذا كثر مآثره ، ولم نعرف تدهوراً على حدة واحدة<sup>(٤)</sup> » . وعلّق على المادة الثامنة الخاصة بحرية الرأى والمشر ، فقال : « وأما المادة الثامنة فيها تقوى كل رسل على أن يظهر رأيه وعلمه ، وسائر ما يحيط به مما لا يعرف غيره ، فيعلم الإنسان مآثر ما في نفس صاحبه ، خصوصاً الورود السماوية بالخرناب والسكرانطاب<sup>(٥)</sup> » . وعلّق على المادة التاسعة التي تدفع سائر الأملاك والأراضي حرماً ، فلا يمتدّ أحد على ملك آخر بقوله : « وأما المادة التاسعة فيها عين العدل والإنصاف ، وهي واحدة لصسط حور الأقوياء على الضعفاء<sup>(٦)</sup> » . وقال تعليقاً على المادة الخامسة عشرة ، وهي التي تنص على أن السلطة بتولاها الملك ومجلس النواب ومجلس السلا ، : « وفي مادة الخامسة عشرة سكتة لصيغة ، وهي أن تدوير أمر العائلات لثلاثة مرات ، المرتبة الأولى الملك مع ورثته ، والثانية مرتبة البرية المحامية للملك ، والثالثة مرتبة رسل العائلات الذين هم وكلاء الرعية ، والمحامون عنهم حتى لا ينظم من أحد ، وحينئذ كانت رسل العائلات قائمة مقام الرعية ، ومتكلمة على لسانها ، كانت الرعية كأنها حاكمة نفسها ، وعلى كل حال فهي

(١) تجميع الإبريز من ٨٠ .

(٢) الضرائب — عصر محمد علي من ٤٨٠ .

(٣) تجميع الإبريز من ٨٠ .

(٤) المرجع السابق من ٨١ .

(٥) المصدر السابق من ٨١ .

(٦) المصدر السابق من ٨٢ .

مأمرة للعلم عن نفسها نفسها ، وهي آمنة منه بالكلية <sup>(١)</sup> .  
 وثانيهما ، تاريخه لتلك الثورة التي شنت في فرنسا سنة ١٨٣٠ م ، عقب انبعاث  
 هذا الدستور ، وقد أطلال الحدث عن تلك الثورة ، التي شهدتها في باريس ، فإنك  
 تلمس في هذا التاريخ ، والتعليق على الثورة ، ملع عطفه عليها ، وإيمانه بمداتها ؛  
 وقد قرر رفاعة أن أساس هذه الثورة ترجع إلى رعة الملك شارل العاشر في مخالفة  
 الدستور ، والعودة إلى التصرف المطلق ، والتعرض لحرية الرأي ، قال رفاعة يصف  
 بعض مقدمات هذه الثورة : « من القوانين السالفة في الكلام على حقوق المساواة  
 في المادة الثامنة ، أنه لا يجمع بين ما في فرنسا من أن يظهر رأيه ، ويكتبه ، ويطعمه ،  
 بشرط ألا يضر ما في القوانين ، فإن أضر به أبريل ، مما كانت سنة ١٨٣٠ م ، وإذا  
 بالملك قد أظهر عده أوامر ، منها لهن عن أن يظهر الإنسان ، رأيه وأن يكتبه ،  
 أو يطعمه إلا بشروط معينة ، خصوصاً ( لسكراتات ) اليومية ، فإنه لا بد في طمها  
 من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة ، فلا يظهر منها إلا ما يريد إظهاره ، مع  
 أن ذلك ليس حق الملك وحده ، فكان لا يمكنه عمله إلا بقانون ، والقانون لا يصع  
 إلا بإجماع آراء ثلاثة : رأى الملك ورأى أهل ديوان المشورة ، بمعنى ديوان البر ،  
 وديوان رسل الممالك ، فصع وحده ما لا يقد إلا إذا كان صعه مع غيره ، وغير  
 أيضاً في هذه الأوامر شيئاً في جمع اختيار رسل الممالك ، بمعنى في الذين يختارون  
 رسل الممالك ليعتوها في باريس ، وفتح ديوان الممالك قبل أن يجتمع ، مع أنه  
 كان حقه ألا يفتحه إلا بعد اجتماعهم ، كما فعله في المرة السابقة ، وهذا كله على  
 خلاف القوانين <sup>(٢)</sup> . »

وأدلى رفاعة برأيه في موقف الملك من الثورة ، وأنه لم يقابلها بما تنفق مع  
 الكياسة والسياسة والرياسة ، مما يدل على أن رفاعة كان يحصل أن يهيج الملك  
 نهجاً دستورياً ، وأن يرد إلى الشعب حقوقه التي اعتصبها ، قال : « فما استند  
 الأمر ، وعلم الملك بذلك وهو خارج ، أمر بحمل المدينة محاصرة حكماً ، وحمل قائد

(١) تجميع لإبريز ص ٨٢

(٢) تجميع للإبريز ص ١٧٠

شكيلة ملحق  
١



المسكر أميراً من أعداء العرساوية ، مشهوراً عندكم بالحيانة لمذهب الحرية ، مع أن هذا خلاف الكياسة ، والسياسة والرياسة ، فقد دلهم هذا على أن الملك ليس حليل الرأي ، فإنه لو كان كذلك ، لأظهر أمارات المعو والسماح ، فإن عفو الملك أتق لملك ، ولما ولى على عسكره ، لا جماعة عقلاء أحبابه وللرعية ، غير مبنوصين ولا أعداء ، ولكن أراد هلاك رعيته حيث أرلهم عنزة أعدائه ، مع أن استصلاح العدو أحرم من استهلاكه ، ويحسن قول مصهم :

عديك بالحلم ، ونالحيا ، وارقق بالندب ، الإعضاء

إن لم تقل عثره من نعال يوشك أن يصيبك الجهال

فما د عليه ما فعله بنقيض مراده ، وسطر ما نواه لأصداده ، فلو أعم في إعطاء الحرية ، لأمة بهذه الصفة حرة ، لا وقع في مثل هذه الخيرة ، ورل عن كرسية في هذه المحنة الأخيرة ، لاسية وقد عهد العرساوية بصفة الحرية وألقوها ، واعتادوا عليها ، وصارت عندكم من الصفات النفسية ، وما أحسن قول الشاعر :

وللفاس عادات ، وقد ألقوا بها لها سى يرعونها ، ومروض

من لم يعاشرهم على العرف عندكم فداك ثقيل عندكم ونيض<sup>(١)</sup>

وعلق الراقى على رأى ردة نقوله : « فتأمل في هذا الكلام ، وبدبر معانيه ، وادكر أنه كتب سنة ١٨٣٠ م ، تحدا أنه كلام عليه طامع المادى ، الدستورية المصرية ، تتمشى فيه روح الحرية والديمقراطية ، ولا يصدر إلا عن نفس أشرت روح الأبهة والشعور بالحقوق القومية ، ولولم يكن رفاة بك مثل هذه الصفات ، لما صدر منه هذا القول ، بل أعاب الوطن أنه كان يصرب صفحاً عما شاهده في باريس من ثورة الشعب على الحكم الاستبدادى ، وما كانت هذه الثورة تترك في نفسه من أثر ، سوى استنكار قيام الرعية على ولى الأمر<sup>(٢)</sup> » .

وتأمل تعظيم رفاة للافايت أحد الداعمين عن الحرية ، فقد وصفه بقوله : « هذا الرجل شهير بأنه يحب الحرية ، ويحامي عنها ، ويمتظم مثل الملوك ، بسب

(١) تخليص الأمير من ١٧٢٢ .

(٢) عصر محمد على من ٨٣٠ .

اتصافه بهذا الوصف ، وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد في الوليتيقة<sup>(١)</sup> « مما يدل على تعظيم رقاعة الحرية وأبطالها .

والآن نعرض بعض ما عرضه رقاعة من الآراء :

### النظام العمراني :

يحتاج العمران في انتظامه إلى قوتين عظيمتين : إحداهما القوة الحاكمة التي عليها قوام الدين والدنيا ، وهي قطب مدار الأعمال ، وبدونها يحتل نظام العالم ، فلو لا هذه القوة ما قدر العالم على شرعه ، ولا الحاكم على تنفيذ حكمه ، ولا الصانع على صناعته ، ولا التاجر على تجارته ، ولو لاها لا تقطعت السبل ، وتعطلت الثغور ، وتغالب الناس ، وطمع بعضهم في بعض ، واستولى الأقوياء على الضعفاء ، وتمكن الأشرار من الأحيار ، والثانية هي القوة المحكومة ، وهي القوة الأهلية ، المحررة لكل الحرية ، والمتمتعة بالنافع العمومية<sup>(٢)</sup> .

### السلطات الثلاث :

والقوة الحاكمة العمومية أمر مركب ، نسمت منه ثلاثة أشعة ، تسمى أركان الحكومة :

١- القوة الأولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها . والثانية قوة القضاة . والثالثة قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاة بها .

فهذه القوى الثلاث ترجع إلى قوة واحدة ، هي القوة الملكية المشروطة بالقوانين ، لأن القوة القضائية إنما هي في نفس الأمر راجعة للملك ؛ لأن القضاة يواب ولي الأمر ، كما أنه هو الذي ينسب إليه تقنين القوانين ، حيث يتوقف على أوامره تنظيمها وترتيبها ، وإجراء العمل بموجبها<sup>(٣)</sup> .

(١) تجميع الإبرير من ١٧٤١ .

(٢) مناهج الألبان المصرية من ٣٤٨ و ٣٤٩ .

(٣) المرجع السابق من ٣٤٩ .

## الملك :

ولى الأمر ، وهو رئيس أمته ، وصاحب النعوذ الأول فى دولته ، ولكن رعاة لا يعيل إلى النظام الملكى الاستبدادى ، بل يرى أن يتصرف على موجب أحكام شرعية ، أصول معسوبة مرعية ، فهو يتقيد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب قوانين (١)

ولملك حقوق وعليه واجبات : فمن حقوقه أنه خليفة الله فى أرضه ، وأن حسابه على ربه ، وليس مسئولاً أمام أحد من رعاياه ، وإعنايته برفق ولين إلى ما عسى أن يكون قد غفل عنه ، من رحل الشرع والسياسة ، أكبر رقيب عليه ضميره ، فهو قاص لا يقبل الرشوة ، فإذا فعل الملك ما لا يوافق أمته ، عاقبته نفسه ، لأن نور الحق يسطع فى القلب (٢) ؛ فالذمة حكم عدل ، يفر من الظلم والخور ، وهى عنوان الخوف من الله ، فى كونها تحمل الملوك على العدل (٣) .

ومما يحملهم على العدل أيضاً ، ويحاسبهم بحاسبة معنوية رأى العام ، أى رأى عموم أهل مملكتهم وغيرها ؛ فإن الملوك يستحقون من اللوم العمومى ؛ وأنت ترى من هذا كيف عرف رعاة للرأى العام قوته ، « فالرأى العمومى سلطان قاهر ، على قلوب الملوك والأكابر ، لا يتساهل فى حكمه ، ولا يهرل فى قصائه ، فويل لمن عبرت منه القلوب ، واشتهر بين الموم بما يعصه من الميوب (٤) » .

وعرف رعاة للتاريخ قوته فى حمل الملوك على العدل ، فإن المؤرخ يذكر للأمة أخبار ملوكها ، فينت محاسنهم ومثالبهم لأعقابهم ، ولذا يخاف الملك حكم هذا التاريخ ، فيؤدى واجبه أحسن أداء (٥) .

أما ذلك الواحد فإن يذكر فى كل وقت وحركة وسكنة أنه سبحانه وتعالى قد احتاره لرعاية الرعية ، وجعله ملكاً عليهم ، لا مالكا لهم ، وراعياً لهم ، أى

(١) المرجع السابق من ٣٥٣ .

(٢) المرجع السابق من ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق من ٣٥٥ .

(٤) المرجع السابق منه .

(٥) المرجع السابق منه .

ضامناً لحسن غذائهم حسناً ومعنى لا آكلأ لهم . وأن أول واجب عليه وضع الأشياء في مواضعها ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، والمساواة في الإنصاف بغير ان القوايين <sup>(١)</sup> ، كما أن من واجبه أن يحسن اختيار كبار معاويه <sup>(٢)</sup> ، وأن يتعهد حتى ترضى عنه جميع رعيته <sup>(٣)</sup> .

والرعية طبقات متكاثرة ، ويسمى للملك أن يحسن تربيتهم على اختلاف طبقاتهم ، ويهذب أخلاقهم بالآداب الحسنة ، وأن يحمل أرباب الزراعة والتجارة والمهارة على تأدية حرفةهم جميع حقوقها ، وينهاهم عن استنفاد اذهب والعصاة فيما لا يحل ، كالأواني والأطواق واللجم والمناطق ، لئلا يصيب عليهم أمر المعاش <sup>(٤)</sup> .

ولملك على رعيته الطاعة الكاملة ، وإذا ظهر له عدو لزمهم معاوته ، « وإذا استقرصهم أقرصوه ، وإذا استعان بهم أعانوه ، وإن عدل فيهم مدحوه ، وإن ثقل عليهم شئ من أحكامه صبروا ، إلى أن يفتح الله لهم باب هدايته للخير ، وإرشاد دولته للمدل وروال الصبر ، ويسألون الله تعالى أن يرزقه بطانة ، أهل حكمة وشجاعة وشفقة وعدالة <sup>(٥)</sup> .

ومن المرایا ( الملوكية ) ما يسمى حق الصفح عن الجائين . أى أن له الحق في الصفح عن العقوبة المترتبة على الخاني <sup>(٦)</sup> ، واللائق في حقه ألا يتحاور الحد في حالتى العفو والعقاب ، « حفظاً لناموس الشريعة ، وصوناً لحدود الله من التمطيل ، ومحافظة على إبقاء قوة السياسة الشرعية الصامدة للأمن العام ، ومسعاً للتحررى ، ونمذى الناس بعضهم على بعض <sup>(٧)</sup> » . وصفح الملك عن الخاني لا يكون عالماً إلا في ديب الخوض في الناموس الملوكي لا في حق من حقوق العباد <sup>(٨)</sup> ، وصفح

(١) مناهج الألباب ص ٣٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٦٨ .

(٦) المرجع السابق ص ٣٦٨ .

(٧) المرجع السابق ص ٣٥٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٣٥٩ .

إلّا عن الخاني يحو المقوية ، ولا يحو الذب (١) .

### الحقوق المدنية :

وصحها ردة نأها حقوق أهلى الملكة الواحدة بمصهم على بعض ، وهى الأحكام التى تنور عليها المعاملات فى الحكومة ، وهذه الحقوق فى كتب الفقه ، هى : المعاملات ، والأسكحة ، والمرائض ، والوصايا والحدود والجنايات ، والدعاوى ، والبيئات ، والأقضية .

والحقوق المدنية هى حقوق أهل العمران بمصهم على بعض لمعط أملاكم وأموالهم ، ومساعدتهم ، ونفوسهم ، وأعراضهم ، وما لهم ، وما عليهم .

### الحرية :

هى رخصة العمل المباح من دون مانع غير مباح ، ولا معارض محطور ، ويتصف كل فرد بأنه حر ، إذا كان يباح له أن ينتقل من دار إلى دار ، ومن جهة إلى جهة ، بدون مصابغة مصابق ، ولا إكراه مكره ، وأن يتصرف كما يشاء فى نفسه ، ووقته ، وشعله ، فلا يعمه من ذلك إلا المانع المحدد بالشرع أو السياسة ، مما تستدعيه أصول مملكته المأدلة . ومن حقوق الحرية الأهلية ألا يجبر الإنسان على أن يبقى من بلده ، أو يماوت فيها ، إلا بحكم شرعى أو سياسى مطابق لأصول مملكته ، وألا يصيب عليه فى التصرف فى ماله كما يشاء ، ولا يحجر عليه إلا بأحكام بلده ، وألا يكتم رأيه فى شئ ، بشرط ألا يحل ما يقوله أو سكته فواين بلده (٢) وقسم ردة الحرية خمسة أقسام : حرية طبيعية ، وحرية سلوكية ، وحرية دينية ، وحرية مدنية ، وحرية سياسية .

فالأولى ما خلقت مع الإنسان ، وطبع عليها ، فلا طاقة لقوته البشرية على دفعها ، من غير أن يمدد دافعها طائلاً : كالأكل ، والشرب ، والنسج ، مما يشترك فيه

(١) المرجع السابق ص ٣٥٨ .

(٢) المرشد الأمين ص ١٢٧ .

جميع الأفراد ، ولا يستغنون عنه مما لا ضرر فيه على الإنسان نفسه ، ولا على  
إخوانه ، فلا يجوز مثلاً التخمّة ولا أكل السموم .

والثانية هي حسن السلوك ، ومكارم الأخلاق ، والسير بما تقتضيه ذمة  
الإنسان ، ونظمته إلى نفسه .

والحرية الدينية هي حرية العقيدة والرأى والمذهب ، ومثل ذلك حرية المذهب  
السياسية .

والحرية المدنية هي حقوق المباد والأهالي معصم على مصر ، فكان الهيئة  
الاجتماعية نصامت وتواطأت على أداء حقوق بعضهم لبعض ، وأن كل فرد من  
أفرادهم ضمن للناقين أن يساعدهم على فعلهم كل شيء ، لا يخالف شرمة البلاد ،  
والأيعارصوه ، وأن يسكروا جميعاً على من يعارضه في إحراء حرته ، شرط  
الابتعادى حدود الأحكام .

والحرية السياسية هي تأمين الدولة لكل أحد من أهاليها على أملاكه الشرعية  
المرعية ، وإحراء حرته الطبيعية بدون أن تتعدى عليه في شيء ، فهذا يباح  
لكل فرد أن يتصرف فيما يملكه جميع التصرفات الشرعية ، فكان الحكومة  
هذه ضمنت للإنسان أن يسعد فيها ما دام متحسناً لإضرار إخوانه <sup>(١)</sup> .

والحرية هي الوسيلة العظمى لإسعاد أهل المملكة ، فكل عضو منهم يحرص  
له أن يتمتع بجميع مباحات المملكة ، والتضييق عليه فيما يجوز له فله بدون وجه  
مرعى ، بعد حرمانه له من حقه ، فمن منعه من ذلك دون وجه ، سلب منه حق  
تمتعه المباح ، وهذا كان معتدياً على حقوقه ، ومحالاً لأحكام وطه <sup>(٢)</sup> .

ويسبغى للحر أن يصرف حرته في إكرام وطه ، وإخوانه ، ورئس دولته ،  
فلا يعد تكليف الحكومة له بمهاد الأعداء ، أو إغاثة الحكومة على مصارفها ،  
من التمدى على حقوقه ، بل هذا من واجباته لوطنه ، وهو في الحقيقة حماية للحرية <sup>(٣)</sup> .  
ولا يتصف الوطنى بوصف الحرية ، إلا إذا كان منقاداً لقانون الوطن ، ومعيثاً

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٣) المصدر نفسه .



على إحيائه ، فبقياؤه لأصول بلده ، يستلزم ضمناً ضمان وطنه له التمتع بالحقوق المدنية<sup>(١)</sup> .

وأعظم حرية في المملكة المتمدة حرية الملاحاة والتجارة والصناعة ، وقد ثبت بالأدلة الراهية أن هذه الحرية من أعظم المنافع العمومية ، ولا يباح التضييق إلا إذا وجد ملوك المملكة أن رعاياهم ليسوا أهلاً لها ، لعدم استكمال التربية الأهلية وعدم<sup>(٢)</sup> .

### المساواة :

صفة طبيعية في الإنسان ، تجمله في جميع الحقوق البلدية كإحوايه ، لا فرق بين الشرف والمشروف ، والرئيس والمرءوس ، وحيث اشترك بنو الوطن في الصعاب الطبيعية ، لا يمكن أن ترفع هذه التسوية من بينهم في الأحكام الوضعية ؛ ومن حيث إنهم يستوون في الحقوق ، نتج من ذلك أنهم إذا وقعوا جميعاً في خطر عام ، وجب عليهم أن يتعاونوا في إزالة هذا الخطر ، لما في إزالته من منفعتهم العمومية ، وإذا وقع لوطنهم حادث ، وجب عليهم أن يسوا امتيازاتهم المصوية ، ويرجعوا إلى صفة التسوية ، وكل ملة تتخذ أصل قانونها التسوية في الحقوق ، ويدومون على مراعاة هذه التسوية ، فإن حرمتها توصل على أساس متين ، وتكون راسخة القواعد ، وتقوى على الدافعة عن بلادها ، ونحوى حقيقة وطنها ، وتدفع حور من حاوره من المالك ، وهذه هي الأمة القوية الشوكة ، في الداخل والخارج ، والمهابة عند الجميع .

والتسوية في الحقوق تمكن الإنسان شرعاً من فعل ، أو بيل ، أو منع جميع ما يمكن سواء من حيوانه أن يفعل ، أو بناله ، أو يمنع منه شرعاً ، هكل إنسان يتصرف في أملاكه وحقوقه تصرفاً كتصرف الآخرين ، أي ما كانت في المملكة صفته : شرقاً أو ضعة ، ومن البديهي أن استواءه في حقوقه مع غيره ، يستلزم استواءه مع ذلك الغير في الواجبات ، لأن التسوية في الحقوق ملازمة للتسوية في

(١) المرشد الأممي ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩ .

الواجبات ، فكما أن الإنسان يطلب أن يستوفي ماهوله ، فعليه أن يؤدي ما عليه .  
ومن أدى واجباته ، استوفى حقه من غيره ، وكان دأبه ذلك انصف بصفة العدل ،  
وهي صفة تبعث الإنسان على الاستقامة في أقواله وأعماله ، وأن ينتصف لنفسه  
ولغيره ، حتى جملة بعض الحكماء قاعدة لجميع الفصائل ، وأبه أساس التمدن وأصل  
عمران الممالك التي لا يتم حسن تديرها إلا به <sup>(١)</sup> .

وقد أثنى رفاعة أعظم الثناء على الأمة العربية لالتزامها قانون العدل ، حتى في  
موقفها من محاكمة خصوم حريتها ودستورها <sup>(٢)</sup> .

### النظام النيابي :

وكان رفاعة معجناً بالنظام النيابي ، رآه في فرنسا ، وعرف وطبيعة النواب هناك ،  
وأنها « امتحان القوانين والسياسات والأوامر والتدبير ، والبحث عن إبراد  
الدولة ، ومدحولها ، ومصرفها ، والسرعة في ذلك والمهارة عن الرعية في المكوس  
والفرد ( الضرائب ) وغيرها إسهاداً للظلم والخور <sup>(٣)</sup> » وعادة هذا المحدث أن يعمل  
كل شيء فيه رأي أكثريته <sup>(٤)</sup> .

ولشدة إعجابه بهذا النظام الدستوري عد أكبر عمل للحديث بمناخيل ، إنشاء  
مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ م ، فقد قال ، بثنى عليه : « ليس من ملوك  
مصر من تفتخر به الأهالي مثل افتخارهم بالحديث الأكرم ، حيث إنه تأسس في  
أيامه فواعد عدلية لا تخصي ... ولولم يكن له من المآثر إلا كونه محل الأهالي على  
أن يستشيروا عنهم نواباً ذوي فكرة أليمة ، ليتدأكروا في شأن مصالحهم المريعة ،  
لكفاه ذلك شرفاً ومجداً ، وعراً وسعداً ، حيث صار مستولياً على أمة حرة الرأي  
باستشارتها في حقائق الترانسب والتشطيات التي يراد تجديد لها لأحدهم ، كما أن له  
الفخار في أنه لا يضيع حقوقهم ، حيث جعله الله أميناً عليها ، فهذه الوسيلة القوية

(١) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٢) تخليص الإبريز ص ١٨٢ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٧٤ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٩ .

يتمكن من أداء ما وحب عليه في حق الرعايا ، مع كونه يتمدح بالحكم على رعايا  
أحرار ، يتمتعون بحقوقهم ، ويحطون عزائهم ، وبهذا يكون على يقين من التسلم  
المنوي على النفوس والأرواح ، وأن يدرك بمساعدتهم إليه ، في إسعادهم لوضعهم  
تمام الجاح <sup>(١)</sup> .

ومن النظم السياسية ، المجالس البلدية ، وسها نستطيع كل ناحية أن تستقل  
تحسين نظامها من حيث حصائصها البلدية ، وحال أهلها ، واستبدادها بحفظ  
مصلحتها الخاصة بها ، تحت ظل الحكومة ، وحمد رفاة لإسماعيل كذلك تأسيسه  
نظام هذه الدوائر البلدية ، فقال مرة أخرى : « فالحمد لله الذي وفق حديد مصر  
الأكرم ... بتأسيس نظامات الدوائر البلدية ، التي على تحرير رعب أهالي النواحي  
من شبه الاستعباد ، فإن هذا لا محالة قوام الإنصاف والمدالة ، فإن من ملك  
أحراراً طامعين ، كان خيراً ممن ملك عبيداً صرّوعين ، ولا شك أن قلوب الرعية  
هي حرائن ملكها ، فما أودعه فيها فهو مستودع في أنحاء مسالكها ، ولا يكون  
الملك العظيم القدر إلا ناهل دونه عطموه ، ولا تقوى قوته إلا برحال أطاعوه <sup>(٢)</sup> » .

### السياسة :

فن السياسة هي الأصول والأحكام التي بها إدارة الملكة ، قال رفاة :  
« وسمى فن الإدارة ، وتسمى أيضاً علم تدير الملكة ، والبحث في هذا العلم ،  
ودوران الألسن فيه ، والتحدث به ، والمناذمة عليه في المجالس والمحافل ، والمحوض  
فيه في الماريشات ، كل ذلك يسمى ( بوليتيكة ) أي سياسة ، ويسمى إليه ، فيقال  
بوليتيقي أي سياسي ، فالبوليتيكة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلاقاتها  
ودروابطها <sup>(٣)</sup> » .

(١) مناهج الألباب المصرية ص ٣٢٣ .

(٢) مناهج الألباب المصرية ص ٤٣٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٠ وما يليها .

## الاشتغال بالسياسة :

يسمى رفاة على منهج التعلم في مصر قصورها من ناحية تعليم مبادئ الأمور السياسية والإدارية ، ومعرفة تيجتها ، فهو يرى أن مبادئ العلوم الملكية السياسية مهمة بالنسبة لأبناء الأهالي ، مع أن تعليمها أيضاً لهم مما يناسب المصلحة العمومية ، فدراستها تطلع أبناء الشعب على أسرار المرافق العمومية التي تعود على الجمعية ، من حسن الإدارة والسياسة ، في مقابلة ما تدفعه الرعية من الأموال والرجال للحكومة ، وتطلعهم على أسباب إجحاف الحكومة على الأهالي أن تحرم وطنها نفسها خدمة شخصية في الخدمة ، وأسباب إلزام الأهالي بدفع حصة من أموالهم للدولة ، أو أن يتنازلوا عن شيء من أملاكهم لمصلحة العمومية ، كتوسيع الطرق وما أشبه ذلك ، فإذا ارسل في أذهان الصبيان من صغرهم أصول هذه السياسات وفروعها ، وفهموا الأسس والاسسات سهل عليهم عند الكبر تصديدها .

وهل هذا التعليم إلا إيقاف أهل الوطن على معرفة حقوقهم وواجباتهم ، ليحفظوا على تلك الحقوق ، ويدفعوا من يعتدي عليها ، ولهذا يرى رفاة أن تكون لكل ناحية معلم لعن السياسة ؛ لأن لهذا التعليم تأثيراً معنوياً في تهذيب الأخلاق ، وبه يفهم بنو الوطن أن مصالحهم الخصوصية الشخصية لا تتم إلا بتحقيق المصلحة العمومية التي هي مصلحة الوطن ، فتؤمن نفوسهم بأن الفوائد الخصوصية ليست مضمونة الحصول إلا في ضمن الفوائد العمومية .

وإذا كان تعلم السياسة ضرورياً لكل فرد في الأمة ، فهو أشد ضرورة لمن يستخدم في عمل حكومي ، ولا سيما هؤلاء الذين يتولون مناصب المشيخة السنية ، فهذا يستدعي سبق معرفة بأسسها ، وإلا ترتب على استخدام الجاهل بها من الأضرار ما لا يحصى .

وحتم رفاة حديثه عن ضرورة دراسة السياسة والعناية بها بقوله : « من البديهي أن للإنسان حقوقاً ، وعليه واجبات ، فطلبه لحقوقه ، وتأديته لواجباته على الوجه الأكمل ، يقتضيان معرفة الحقوق والواجبات ، ومعرفة متوقعة على

فهمهما ، وفهمهما عبارة عن... السياسة<sup>(١)</sup> ؛ ولعل رغبة رفاعة قد حققها ووراة  
المعارف في عصرنا هذا ، بتدريسها مبادئ التربية الوطنية في مدارسها ، ليعرف أبناء  
الوطن حقوق وطنهم وعليهم وواجباتهم نحوه ، وإن كنا لا زلنا نطمح في المزيد .

## بعض الأقوال فيه

ترجم لرفاعة ترجمة مطولة السيد صالح محدي بك ، أحد تلامذته ، وكان معجباً  
به أيما إعجاب ، ومما كتبه عنه في هذه الترجمة قوله : « الأديب الأريب العلامة  
التيث الثقة الحجة في كل علم ومن ... تفرّد بما حازه من المعارف ، حتى استظل  
منها وطنه تحت ظليل طائها الوارف ، وذلك بما حازه من رسوخ قدمه في العلوم  
العربية ، وفي محاسن المعارف الأوروبية الأخمدية ، فقد ترجم هذا الأستاذ الشهير إلى  
اللغة العربية من الرسائل ما انتفعت به سائر الأمصار ، وشهدت بأهميته لرفع  
مخبي العرفان من السكت النافعة الخليفة التي كان صارفا فيها نقد عمره النفيس ، في  
كل لحظة من لحظات حياته ، وله من المرمات في علوم الطب والهندسة والحساب  
ما يعجز عنه سواء ، وتواليه وتراجمه في التوحيد والنحو والمقالات والحط  
والرسائل القديمة من الموطوم والثور والآداب والسياسة والأحلاق والتاريخ  
والخفراية وفي العسكرية وغير ذلك من العلوم والفنون — كثيرة<sup>(٢)</sup> » .  
وترجم له علي مبارك في كتابه الحطط الحديثة<sup>(٣)</sup> ، ودعاه الأمير الجليل ،  
وهل عنه . « إنه ما كان يفتقر عن الاشتغال بالترجمة أو التأليف ، وكانت مجامع  
الامتحانات لا تزهو إلا به » .

ومن ترجمة لويس شيخو اليسوعي في كتابه<sup>(٤)</sup> له : « وكان رفاعة بك لا ينقطع  
يوماً عن التأليف أو الترجمة ، وقد رأينا كثير التصرف في ترجمة كتبه ، إلا أنه

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ وما يليها .

(٢) حلية الزمن ص ٢ .

(٣) ح ١٣ ص ٥٣ .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر ح ٢ ص ٨ و ٩ .

سبق أهل وطنه بتعريب التأليف العربية قبل اتصاله بتقدمه .  
 وقال عنه السكندري ورميله في كتاب الوسيط<sup>(١)</sup> : « هو الكاتب الشاعر  
 الأديب المترجم ، شيع الترجمة ، وإمام النهضة » .  
 وقال عنه الأمير عمر طوسون في ترجمته<sup>(٢)</sup> تلك الحملة التي جعلها في صدر  
 كتابنا : « هو أحد أركان النهضة العلمية العربية ، بل إمامها في مصر » .  
 وقال الأستاذ حسن السندى عنه في ترجمته<sup>(٣)</sup> : « مسحة من منح صاحب  
 مصر محمد علي باشا الكبير — على مصر ، ويد من أيديه المر على لغة العرب ،  
 وحياة الأدب ، فلولا محمد علي ما عرف الناس من أمر رفاة بك إلا أنه ذلك  
 المحاور المروى بين أساطين الأزهر ، ولولا رفاة بك ما عادت مصر إلى سالف  
 عهدها وسابق مجدها ، وصارت كمة العلماء ، ومهبط الكتاب والشعراء ،  
 وما فاءت اللغة العربية إلى عصرها الأول عصر رفعتها في حقل العلوم والآداب ،  
 فهو بما نقله إليها من نضال الكتب وأغلق الأسفار ، قد شيد بيئتها ، ودعم  
 أركانها ، وهو وإن كان قد صرب في فون العلوم والآداب بكل مهدها ، إلا أنه  
 احتصن من ذلك نفع التاريخ وتحقيقاته ، وتغير صحاحه من معتلاته ، بحيث كان فيه  
 الحجة التي لا تدفع ، والدليل الذي لا يرد ، أما الإبقاء فقد كان فيه بحيث لا ينظر  
 في أي قالب من التعبير جاء معناه ، وفي المظهر طهر الإحهاد بين المعاني ، ومع  
 هذا فقد حرج رحالاً انفسموا حرور البيان ، واقتحموا ميادين البلاغة والبيان ،  
 فكانوا كالأنجم الزهر ، في سماء ذلك العصر » .  
 وقال عنه محمد الصادق حسين بك<sup>(٤)</sup> : « أبو نهضنا الحديثة غير مدافع ،  
 ولا مبارع ، فعله شيع علمائها وأستاذ مترجمها ، وزعيم معلمها ، وقوة مؤلفها ،  
 وأمرر كتابها مادة ، وأثبتهم بيماناً ، وأحهم لوطنه ، وأسقمهم سماً إلى نواحي  
 بقصه ، ووصفاً لوسائل الرفع من شأنه . رفاة من أولئك الأعداد ، ذوي العقول

— (١) من ٣٢٧

(٢) البعثات الطبية من ٤٧ .

— (٣) أعلام البيان من ٩٠ .

(٤) السياسة الأسبوعية — السبت ٢٨ مايو سنة ١٩٢٧ من ٢٠ .



المنجاة الذين يوحدون وحاجة بلادهم إليهم حذ ماسة ، يوحدون ليسوا فراغا  
ليس من السهل تصور سده لولاهم » .

وهو صفة خير الدين الزركلى بأنه من أركان نهضة مصر في العصر الحديث <sup>(١)</sup> .  
وقال عنه الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك <sup>(٢)</sup> : كان يحمل بين حنفيه نفساً  
عالية وروحاً متوثية ، وعزيمة ماضية ، ودكاً حاداً ، وشعماً بالعلم ، وإخلاصاً  
للوطن وبنية . . . استروح بسيم الثقافة الأوربية ، فرادت معارفه ، واتسعت  
مداركه ، وبعدت بصيرته ، لكفه احتعط بشخصيته ، واستتمسك بدينه وقوميته ،  
فأخذ من المدنية العربية أحسنها ، ورجع إلى وطنه كامل الثقافة مذهب العقواد ،  
ماضى العريضة ، بجميع العقيدة ، سليم الوجدان . . . ملأ البلاد مؤلفاته ومعارفاته ،  
ونحرح على يديه حيل من حيرة علماء مصر ، وحمل مصباح العلم والعرفان ، يصى .  
به أرحاء البلاد ، وسير به المصائر والأدهن ، وظل يحمله نيفاً وأربعين سنة ،  
وانتهت إليه الرعاية العلمية والأدبية في عصر محمد على . وامتدت رعايته إلى  
عصر إسماعيل » .

وقال عنه الأستاذ أحمد عمرت عبد الكريم <sup>(٣)</sup> : « درس في الأزهر صدر  
شبابه ، وقرأ كتبه ، وعالج فصاحا العلم والفقه والكلام ، وفكر بمقول شيوخه ،  
وأحسن إحصائهم ، وطر إلى الحياة طريقتهم ، ثم رحل إلى باريس شيخاً معماً ،  
فالتفت أمامه آفاق من التفكير جديدة ، ولاك لسانه لغة أجنبية ، وقرأ كتباً  
جديدة أظهرته على علوم جديدة ، ورأى نظماً في الحكم جديدة ، وطرائق في  
السلوك الاحتمالية جديدة ، وعلى الجملة رأى علماً جديداً ، ولكفه لم ينس عالمه الذي  
نشأ فيه ، ونزى في حجره ، ورصع من لونه صيلاً وفنى وشائناً ، وهما تظهر قيمة  
رفاعة بك وحطه ، كإمام من أئمة النهضة العلمية في مصر : فقد مزج بين هاتين  
الثقافتين مزجاً نديماً ، وأخذ بالجميل والعقيد منهما ، وأصبح بذلك علماً على بصو

(١) الأعلام من ٣٢٣ .

(٢) عصر محمد على من ٤٧٠ .

(٣) التليم في عصر محمد على من ٣٣٨ .

الفكر ، وبغاذ البصيرة ، وقوة التجديد في إيمان ورفق » .

وقال عنه الدكتور إبراهيم عبده<sup>(١)</sup> : « لم يكن لعلماء الكبير بطير في آثاره ، فهو صربي جيل المعلمين ، والترجمين ، والصحفيين ، وهو صاحب الهبة في الإنشاء والترجمة ، وهو أول من فكر في المرأة وأنشأ عنها الفصول في الصحف والكتب ، وله مؤلفات ضخمة في عدة علوم ، بعضها تأليف وبعضها ترجمة ، وقد استحق الطهطاوي أن يوضع في مقدمة رجال الفكر في الشرق ، وأن يذكر كعلم من أعلامه الصحفية القميين بالذكر والإعجاب » .

ومما قاله عنه كارادي ثو<sup>(٢)</sup> Carra De Vaux « من أشهر شهاب العشرات ، مؤرخ ومؤلف عدة كتب عربية ، وقد حلف لنا بوجه خاص عن أمددة التي قصاها بباريس طالباً — ذكريات ساحرة ، حذيرة أن توضع في موارنة ، مع رحلة السفير التركي محمد أمدي ، لعائنتها وحمل تفصيلاتها ؛ وقد تحدث في هذه الذكريات بصدق ، وسداجة أحيانا ، حاد الطاء ، بطرائه الفلسفية والدينية بالشمع ؛ ومن الطريقة التي تحدث بها عن المسرح ندعنا ننسى لأول وهلة ، فقد كان المسرح بالنسبة إليه وإلى بني وطنه مجهولاً تمام الجهل ، ورغم ذلك فالوصف الذي جاء به مع سداحته وصف رجل دقيق الملاحظة ، لا يخلو من فلسفة . . . ورغم تدن هذا الكاتب المبقرى وعقيدته ، فهم فلسفة ورسا في القرن الثامن عشر ، وتأثر بأراء العقليين تأثراً ربحاً كان أكثر مما ينبغي » .

وقال كليب إيوار<sup>(٣)</sup> Clement Huart عنه : « أما مؤلفاته الاشتكارية فكتاب رحلته وإقامته في فرنسا ، ومخطوماته الحماسية الوطنية المصرية » .

ومما قاله عنه موريس شيمول Maurice Chemouli في دأره المعارف الإسلامية<sup>(٤)</sup> : « كان رفاعة أحد كبار كتاب العربية في القرن التاسع عشر ، وقد ارتبط اسمه بالهبة القيمة ، في الحركة الأدبية والعلمية للشرق الحديث ، ونفسيته

(١) أعلام الصحافة العربية ص ٤٩ .

(٢) Les Penseurs de L'Islam. V. P. 236

(٣) Littérature Arabe P. 407

(٤) Jome 3. P. 1235

البحانة ، ودكانه النادر ، حلف لنا عملاً جديراً بالتقدير ، نعالج مختلف النواحي ، من تاريخ وحفريات ، وقواعد نحو ، وحقوق ، وأدب ، وطب ، وغير ذلك . ولكي نقدر النور العظيم الذي قام به ، يجب أن نذكر أنه في فجر هذا القرن الأخير ، كان العالم العربي بقطر في شبه نوم ، منعصلاً من أوربا المتفتحة بحجبات سميكة ؛ ولم يكن في هذه الظلمة التي تلت هذا العصر سوى ضوء خافت شعث الأهرار ، مفضل أعماله وبشائعه ، ومحفل الفتيان والمرحبين الذين رين بهم البلاد ، تمت هذه المعجزة ، بإذاعة العلوم الأوربية ، وفتح أبواب الشرق للأفكار الحديثة ، وتهذيب عقول معاصريه ، وإيقاظ حماسهم الرائدة ، وتهيئة المستقبل ، ومن المستطاع تقدير ما هم من جهد ، إذا تذكرنا أنه قام هو وتلاميذه بترجمة ما يقرب من ألفي كتاب إلى العربية والتركية ، ومن ناحية أخرى ، بتوسيع المحيط الضيق للغة القديمة الموروثة بإحياء ، وإمداها بمفيض من الألفاظ الجديدة ، فسمح للمقلية العربية بالتجديد ، وأن يعم نوره الإسلام في الوقت الحاضر .

## تخليد ذكراه

إن رجلاً كرامة ، خدم بلاده في حب وإخلاص ، وكرس جهوده على أن يجلب لها النور ، ويضع بين يديها وسائل الهدى ، ويمدّها بأسباب النهوض ، جدير بأن يعمل على تخليد ذكراه اعترافاً بما فعل المجهدين ، حتى يحفر بهذا التخليد هم العاملين ، ويحملهم يؤمنون بأنهم خالدون في قلوب بني وطنهم .  
وإني أقدم باقتراحات عدة نرى بهذا التخليد :

أولها ، وضع جائزة باسمه ، بطفر بها من ينال أكبر درجة في الترجمة بكلية الآداب ، تذكراً للمترجم الأول في عصر النهضة الحديثة .

وثانيها ، أن يطلق اسمه على إحدى قاعات كلية الآداب ، وإحدى قاعات كلية الحقوق ورشة مدرسة الألسن ، ولتسكن قاعة كلية الآداب تلك التي يدرس فيها فن الترجمة ، وقاعة كلية الحقوق تلك التي تدرس فيها الشريعة الإسلامية ، فقد كان

في مدرسة الألسن — كما ذكرنا — قسم تدرس فيه الشريعة ، ويتخرج فيه القضاة ،  
ويدرس فيه رفاة ، ولعلته أنف بمض كتبه .

ثالثها ، لوحة رخامية تنقش عليها صورته الكريمة ، وتوضع بدار الكتب  
المصرية ، اعترافاً بالجميل لن أمدتها هو وتلاميذه بمئات المؤلفات والترجمات .

رابعها ، وضع صورة ريتية كبيرة في قاعة المحمى المعوى ، فقد قام الرجل بقدر  
ما استطاع — بمجهود مشكور ، بتلويح اللغة ، بعد أن أحللت حقبة طويلة إلى النوم  
للملوم الحديثة ، والمصطلحات الجديدة .

خامسها ، أن يسمى باسمه شارع في طهطا مسقط رأسه ، وشارع في العاصمة .  
سادسها أن تقوم الوزارة بطبع بعض كتبه طبعاً متقناً على أحدث طرق النشر ،  
واقترح أن يكون ذلك الكتاب رحلته إلى فرنسا ، لأن شخصية رفاة شجلى في  
هذا الكتاب أعظم الجلاء .

## الخلاصة

بدأ رفاة حياته طالباً أرهنياً ، وكان من الممكن أن تنتهي هذه الحياة ، كما  
تنتهي حياة الطالب الأهرى ، مدرساً بالأهر أو إماماً . أما بدرة النبوغ في  
التأليف - وقد ولدت معه - فكان من المحتمل إما أن تموت تحت وطأه تكاليف  
الحياة ، أو أن تتجه اتجاهاً أرهنياً خاصاً ؛ فتؤلف متناً ، أو تصنع شرحاً ، أو  
تعيب حاشية ، من غير أن يكون لذلك كانه إلا أسأل الأثر ، ولكن هذه النمسية  
الطموح ، لم تكد تجد أبواب العلم قد افتتحت أمامها ، حتى أفلت على يساعه  
العدة نهل منها ونمل ، صمم ، وهو في معربه ، أن يعيد عهد الحصاره العباسية ،  
ينقل علوم العرب إلى اللغة العربية ، وقد منح إلى حد كبير في نقل بعض كتب  
تلك العلوم ، وأشرف على نقل الكثير منها ، وكان من أوائل الرؤاد الذين ببها  
الأدهان إلى وحوث سمية اللغة وإزائها ، أما أهم ما عمله بعد عودته فالترجمة ،  
وانتقل من ذلك انتقالاً طبعياً إلى التأليف . وكان من أهم خصائصه أنه يهب نفسه  
للعمل الذي تُلقى عليه أعناؤه ، تدرساً أو تليفاً أو ترجمة ، وإذا كان تحت أخطاء  
في منهجه في التأليف ، فاعيب في ذلك عيب العصر ، الذي لم يجد أمامه من النماذج  
ما يححو تلك العيوب . وحرص رفاة حياً على عمل أفراده بقدر ما أهلتهم ظروفهم  
واستعداداتهم ، ولا ريب أن تلك الكتب التي ألفها أو ترجمها هو وتلاميذه ، هي  
التي مهدت الطريق ، وهدت من جاء بعده رفاة ، فاستمد من بحره ، ورفع الساء  
الذي وضع رفاة أساسه .

وسد بابي أرحو أن أكون قد أقيت بعض الصوء على هذه الشخصية ، التي  
عاشت للعمل ، ووهبت حياتها للوطن ، ورأت جهادها في سبيل مجده واجباً ،  
ودعت بني مصر إلى أن يبدلوا في سبيلها كل جهد يرفعها إلى مكانها القديم .  
جزاه الله عما قدم أفضل الجزاء .

أحمد أحمد بدوي

٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩

## مراجع البحث

إبراهيم عبده (الدكتور) :

- ١ - أعلام الصحافة العربية - مطبعة التوكل بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- ٢ - تاريخ الوقائع المصرية - المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٩٤٢ م .
- ٣ - تطور الصحافة المصرية - مطبعة التوكل بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م .

إبراهيم مصطفى الشهور بالبياع الصغير :

- ٤ - سياحة الهند ( مترجم ) - مطبعة بولاق سنة ١٢٦٥ هـ .

أحمد الإسكندري ومصطفى عتاني

- ٥ - الوسيط في الأدب العربي وتاريخه - الطبعة الثانية .

مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٩ م) .

أحمد أمين بك (الدكتور) :

- ٦ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث - القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

أحمد حسن الرشيدى :

- ٧ - الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية - مطبعة الحوائك بالقسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ .

أحمد حسن الزيات :

- ٨ - تاريخ الأدب العربي - القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

أحمد عبيد الطوطاوى :

- ٩ - الزوص الأهرى في تاريخ بطرس الأكبر (مترجم) بولاق سنة ١٢٦١ هـ .

أحمد عزت عبد الكريم :

- ١٠ - تاريخ التعليم في عصر محمد علي - نشر بمكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٨ م .

١١ تاريخ التعليم في مصر : في عصر عباس وسعيد وإسماعيل :

مطبعة النصر بمصر سنة ١٩٤٥ م



إدورد فنديك :

- ١٢ — اكتفاء القنوع : ما هو مطبوع — مطبعة التاليف بمصر سنة ١٣١٣ هـ  
( ١٨٩٦ م ) .

أمين سامى باشا :

- ١٣ — التعليم في مصر - مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٥ هـ ( ١٩١٧ م )  
١٤ — تقويم الليل - المجلد الأول من الجزء الثالث - مطبعة دار الكتب  
المصرية سنة ١٣٥٥ هـ ( ١٩٣٦ م ) .

بطرس الستاني :

- ١٥ — دائرة المعارف — الجزء الثامن — مطبعة المعارف بيروت سنة ١٨٨٤ م  
جاك تاجر :

- ١٦ — حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر . طبع دار المعارف بمصر  
حورجى زيدان :

- ١٧ — تاريخ آداب اللغة العربية — الجزء الرابع — الطبعة الثمانية —  
مطبعة الهلال سنة ١٩٢٧ م .

- ١٨ — عملة الهلال — السنة الثالثة ص ٤٤١

- ١٩ — مشاهير الشرق — الجزء الثاني .

مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م .

حسن الجبيلى :

- ٢٠ — رهان البيان وبيان الرهان ، في استكمال واحتلال دولة الرومان —  
مطبعة المدارس الملكية بالقاهرة .

حسن السندوبى :

- ٢١ — أعيان البيان — مطبعة الجالية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

حسن قاسم :

- ٢٢ — تاريخ ملوك فرنسا — بولاق سنة ١٢٦٤ هـ

خليعة محمود :

٢٣ — إتحاف الملوك الأسا بتقدم الجمعيات في أوربا — بولاق سنة ١٢٥٨ هـ

٢٤ — إتحاف ملوك الزمان بتاريخ إمبراطورية شارل كان — بولاق ١٢٦٦ هـ

٢٥ — تنوير المشرق بعلم المنطق — بولاق سنة ١٢٥٤ هـ .

حليل محمود :

٢٦ — كنز البراعة في مبادئ فن الزراعة .

خير الدين الزركلي :

٢٧ — الأعلام — المطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ ( ١٩٢٧ م ) .

رفاعة الطهطاوى بك :

٢٨ — أنوار توفيق الجليل في أحبار مصر ووثيق بني إسماعيل . بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

٢٩ — التحفة المكتبية لتفريب اللغة العربية - مطبعة المدارس سنة ١٢٨٦ هـ .

٣٠ — تلخيص الإبريز إلى تلخيص ماريز — بولاق سنة ١٢٦٥ هـ .

٣١ — تعريب قانون التجارة — بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

٣٢ — تعريب القانون العرساوى المدنى — بولاق سنة ١٢٨٣ هـ .

٣٣ — التعرصات الشافية لمريد الحفراية — بولاق سنة ١٢٥٤ هـ .

٣٤ — الجغرافيا العمومية — الجزء الأول والثالث — بولاق .

٣٥ — جمال الأجرومية — بولاق سنة ١٢٨٥ هـ .

٣٦ — رسالة البدع المقررة في الشيع اشتد ره — شرب روضة المدارس

مسلسلة اشداء من العدد ١٣ ، الصادر في ١٥ رجب سنة ١٢٨٧ هـ .

٣٧ — قصيدة وطنية في مدح إسماعيل باشا : الطبعة الكاستلية سنة ١٢٨١ هـ ( ١٨٦٥ م ) .

٣٨ — قصيدة مصرية وطنية أولها : يا حند مصر لكم ثمار ... بولاق سنة ١٢٧٢ هـ .

٣٩ — قصيدة مصرية وطنية أولها : يا سعد أنحف مسمى بصا الصباح .. بولاق سنة ١٢٧٢ هـ .

٤٠ — قصيدة مصرية وطنية أولها : هيا تتحالف يا إخوتاني ... بولاق  
سنة ١٢٧٢ هـ.

٤١ — قصيدة وطنية مصرية أولها : يا حرمنا قم لنا سود ... بولاق  
سنة ١٢٧٢ هـ.

٤٢ — قلائد الفاخر في غرب عوائد الأوائل والأواخر — بولاق ١٢٤٩ هـ.

٤٣ — القول السديد في الاجتهاد والتقليد — مطبعة وادي النيل بالقاهرة  
سنة ١٢٨٧ هـ.

٤٤ — الكواكب البيرة في ليلى أفراس المرير القمر — بولاق ١٢٨٩ هـ.

٤٥ — مبادئ الهندسة — بولاق سنة ١٢٥٨ هـ.

٤٦ — مبادئ الهندسة — مراحة رعى أمدي — بولاق سنة ١٢٧٠ هـ.

٤٧ — محاضرة في المبادئ : السنوات ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ هـ.

٤٨ — المرشد الأمين للسنة والبين — مطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٨٩ هـ.

٤٩ — المعادن النافعة تقدير معاني خلائق — بولاق سنة ١٢٤٨ هـ.

٥٠ — مقدمة وطنية مصرية — بولاق سنة ١٢٨٣ هـ.

٥١ — مساهم الآداب المصرية في مساهم الآداب المصرية .

مطبعة شركة الرضا بولاق سنة ١٣٣٠ هـ ( ١٩١٢ م )

٥٢ — مواقع الأفلاك في وضع تلك — المطبعة السورية بيروت ١٨٦٧ م

٥٣ — نظم العقود في كسر المود — مطبعة دونده دوبري — باريس

سنة ١٢٤٢ هـ.

٥٤ — نهاية الإنجاز في سيرة ساكني الحجار — مطبعة المدارس الملكية

سنة ١٢٩١ هـ.

٥٥ — الوقائع المصرية .

سعد عام :

٥٦ — سياحة في أمريكا — بولاق سنة ١٢٦٢ هـ.

سليمان رشيد الحلي الزباني :

٥٧ - كبر الخوهر في تاريخ الأهر - القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ .

صالح محدي بك .

٥٨ - حلية الرمن عماد حادم الوطن - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم

١٠٢٦ تاريخ .

٥٩ - ديوانه - بولاق سنة ١٣١١ هـ .

عبد الرحمن الجبرتي :

٦٠ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار - المطبعة الشرفية بمصر سنة

١٣٢٢ هـ .

عبد الرحمن الرافعي بك :

٦١ - عصر إسماعيل - حران - مطبعة المهمة بمصر سنة ١٣٥١ هـ .

( ١٩٣٢ م ) .

٦٢ - عصر محمد علي - الصفة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ ( ١٩٣٠ م ) .

عبد الرحيم البرعي :

٦٣ - ديوانه - مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٢٣٨ هـ .

عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي :

٦٤ - معاهد التنصيص على شواهد التنخيص - بولاق سنة ١٢٧٥ هـ .

عبد الله حسين :

٦٥ - الصحافة والصحف - مطبعة النصر بمصر سنة ١٩٤٨ م .

عبد الله حسين المصري :

٦٦ - تاريخ الفلاسفة - مطبعة الحوان بالآستانة سنة ١٣٠٢ هـ .

عبد الله أبو السعود :

٦٧ - الدرس المختصر الممد في علم الجغرافيا الحديث - مطبعة وادي النيل

بمصر سنة ١٢٨٦ هـ .

٦٨ - نظم الآلي في السوث فيمن حكم فرنسا من الملوك - بولاق

سنة ١٢٥٧ هـ .

على عبد الواحد وافي (الدكتور) :

٦٩ — لمحة في تاريخ الأدهم — الطبعة الثانية سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

على فهمي رفاعه باشا :

٧٠ — تخميس قصيدة الشهاب محمود — مطبعة مصر سنة ١٣٠٩ هـ .

على مبارك باشا :

٧١ — المخطط الحديده نصر القاهرة الجزء الثالث عشر — الطبعة الأولى

ببلاق سنة ١٣٠٥ هـ .

عمر الدسوقي :

٧٢ — في الأدب الحديث — الجزء الأول — مطبعة الرسالة بالقاهرة ، سنة

١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)

الأمير عمر طوسون :

٧٣ — الميثاق العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسميد .

مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية سنة ١٩٣٤ م .

ابن فرح :

٧٤ — من غرامى صحيح — مجموع منشون — مطبعة التقدم العلمية بمصر

سنة ١٣١٩ هـ .

فنون Fénélon :

Les Aventures de Télémaque. — ٧٥

Paris : Librairie Hachette

فيلب دى طرازي :

٧٦ — تاريخ الصحافة العربية — المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١٣ م .

قاسم أمين :

٧٧ — تحرير المرأة — طبعة ثانية على نفقة إبراهيم قاسم صاحب المكتبة

الشرقية .

٧٨ — المرأة الجديدة — مطبعة الشعب بمصر سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

قسطنطين إلياس عطارة :

٧٩ - تاريخ تكوين الصحف المصرية - مطبعة التقدم بالإسكندرية سنة

١٩٢٨ م .

كارا دي فو Carra De Vaux :

٨٠ - Les Penseurs de L'Islam - Tom 5. Paris 1926. -

كلنت إيوارت Clément Huart :

٨١ - Littérature Arabe .

Paris : Librairie Armand Colin .

لاروس Larousse :

٨٢ - Nouveau Petit Larousse Illustré. -

Paris. Librairie Larousse.

القسم التاريخي الجغرافي .

لاسون وتيفرو G. Lanson et P. Tuffrau :

٨٣ - Manuel Illustré d'histoire de la Littérature Fran-

çaise.

Librairie Hachette.

لويس شيخو اليسوعي :

٨٤ - الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت سنة ١٩٢٦ م .

محمد حسين هيكل باشا ( الدكتور ) :

٨٥ - تراجم مصرية وغربية - مطبعة السياسة - ديسمبر سنة ١٩٢٩ م .

محمد بن داود الصنهاجي ( ابن آحروم ) :

٨٦ - متن الأجرومية - مجموع المتن - مطبعة التقدم المعية عصر

سنة ١٣١٩ هـ .

محمد شفيق غربال بك :

٨٧ - تقديم كتاب تاريخ التعليم في عصر محمد علي .

الناشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٨ م .



محمد الصادق حسين بك :

٨٨ — السياسة الأسبوعية — السنة الثانية — العدد ٦٤ من ٢٠ .

محمد الصبان :

٨٩ — مطبوعة في مصطلح الحديث — مجموع التون — مطبعة التقدم

العلمية بمصر سنة ١٣١٩ هـ .

محمد عبد الفتاح :

٩٠ — تحفة القلم في أمراض القدم — بولاق سنة ١٢٢٨ هـ .

محمد فؤاد شكرى ، وعد المقصود العنان ، وسيد محمد خليل :

٩١ — بناء دولة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٣٦٧ هـ

( ١٩٤٨ م ) .

محمد فريد شكرى ( الدكتور ) :

٩٢ — تاريخ المعونات العلمية — مطبوع على الآلة الكاتبة سنة ١٩٣٨ م .

عكسة ورايه اعمار رقم ١٢٠٧ — ١٢٠٨ تاريخ .

محمد مصطفى البياع :

٩٣ — مطالع شمس السر في وفائع كركلوس الثاني عشر — بولاق

سنة ١٢٥٧ هـ محمود سمهان .

٩٤ — الصحافة — الطبعة الأولى — مصر سنة ١٣٥٨ هـ ( ١٩٣٩ م ) .

محمود بن عمر الزعشرى .

٩٥ — أعجب المحب في شرح لامية العرب — الطبعة الثانية — مصر

سنة ١٣٢٤ هـ .

مصطفى سيد أحمد الزرايى :

٩٦ — قرة العفوس والعيوب سير ما توسط من القرون -- بولاق

سنة ١٢٦٢ هـ .

مصطفى سيد أحمد الزرايى ، ومحمد عبد الرارق ، وعد الله أبو السمود .

٩٧ -- بداية القدماء وهداية الحكماء -- بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

موريس شيمول . Maurice Chemoul :

Encyclopedie De L'Islam - Tome 3 - P. 1233. — ٩٨

Paris. Picard Editeur.

نجيب المقيي :

٩٩ — المستشرقون — دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٧ م .

يوسف إلياس سرقيس :

١٠٠ — معجم المطبوعات العربية والعربية — مطبعة سرقيس بمصر سنة  
١٣٤٦ هـ . ( ١٩٢٨ م ) .

يوسف فرعون :

١٠١ — الكثر المختار في كشف الأراضي والمعادن — مطبعة الطونجية  
بطرة سنة ١٢٥٠ هـ .

١٠٢ — التوضيح لأحكام الشريعة السطرية — بولاق سنة ١٢٤٩ هـ .

يوسف محمد دسوقي ، ومحمد كامل دسوقي :

١٠٣ — الصحافة — مطبعة جريدة الصباح بمصر .

١٠٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الملكية — الجزء الثالث - المطبعة الأميرية

بولاق سنة ١٩٣٧ م .

فهرس الكتاب



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ولده	٨٦	مقدمة	٣
تلاميذه	٨٧	<del>مصر</del>	٤ ✓
مما يوه	٩٢	طوطا	٦
جهوده في التأليف والترجمة	٩٣ ✓	نسه	١٠
مؤلفاته	٩٩ ✓	نشأته الأولى	١٢
في علم الكلام	١٠٠	<del>والأخير</del>	١٣ ✓
في الفقه	١٠٠	إمام في الجيش	١٧
في النحو	١٠٣	<del>في الفلسفة</del>	١٧ ✓
في علم الحديث	١٠٦	عودته	٣٤
في البلاغة والأدب	١٠٧	في مدرسة الطب	٣٥
في الهندسة	١٠٨	في مدرسة المدفعية	٣٦
في التاريخ	١٠٨ ✓	في مدرسة الألسن	٣٨ ✓
أنوار توفيق الجليل ، في	١١٠	قم الترجمة	٤٤ ✓
أخبار مصر ، وتوثيق بني		في السودان	٤٦ ✓
إسماعيل		في عهد سعيد	٥٥ ✓
نهاية الإبحار في سيرة	١١٦	في أيام إسماعيل	٥٨ ✓
ساكن الحجاز		تجملته الصحيح	٦١ ✓
في السياسة والاجتماع	١٢٢	وفاته وراثته	٧٣
والاقتصاد		صغاته	٧٤ ✓
تخليص الإبريز إلى تلخيص	١٢٤ ✓	رتبه	٨٣
باريز		زوجه	٨٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أدبه	٢١٣	مناهج الألباب المصرية ، في	١٣٤
شعره	٢١٤	مباح الآداب المصرية	
مقالاته	(٢٤٢)	في التربية	١٣٩ ✓
خطه	(٢٤٥)	المرشد الأمين للسكك والسيارات	١٤٠ ✓
لحاته في اللغة والأدب	٢٤٧	منهجه في التأليف	١٤٩
جهوده اللغوية	٢٥٥	مترجماته	١٥١ ✓
اكتسب	٢٥٦	في الجغرافية	١٥١
الترجمة	(٢٥٩)	الجغرافية العمومية	١٥٣
وضع المصطلحات	٢٦١	التعريفات الشافية لمريد	١٥٩
مصطلحات أدبية	٢٦٦	الجغرافية	
مصطلحات جغرافية	٢٧٣	في التاريخ	(٦٢) ✓
مصطلحات قانونية	٢٧٩	في السياسة والاحتراع	١٦٦ ✓
مصطلحات هندسية	٢٨١	فلاند الماخرف في غريب عوائد	١٦٦
استعماله للأمانة	٢٨٤	الأوائل والأواخر	
وضع معجم	٢٨٧	في الصحة والطب	١٧٣
عقيدته الدينية	(٢٩١)	في الفنون الحربية	١٧٤
آراؤه الاجتماعية	(٢٩٥)	في المعادن	١٧٤
مساهمته في التربية والتعليم	٢٩٩	في الهندسة	١٧٦
رأيه في المرأة	(٣٠٩)	في القانون	١٧٨
نظراته السياسية	(٣١٧)	القانون المدني العرسي	١٧٩
بعض الأقوال فيه	٣٣٠	قانون التجارة	١٨١
تخليد ذكره	٣٣٤	في الأدب	١٨٢
الخلاصة	(٣٣٩)	نظم العقود في كسر العود	١٨٤
مراجع البحث	٣٣٧	مواقع الأفلان في وقائع تملك	١٨٨
		ما أشرف على ترجمته !	١٩٥

## كتب المؤلف

### المطبوع :

- ١ - شاعر بني حمدان .
- ٢ - روضة الطهطاوى بك .
- ٣ - من بلاعة القرآن .
- ٤ - ديوان المعتمد بن عباد . ( جمع وتحقيق ، مع الأستاذ حامد عبد المجيد )

### تحت الطبع :

- ٥ - الحياه العفوية ، في عصر الحروب الصليبية ، عصر والشام .
- ٦ - ديوان التتسى في العام العربي وعند المستشرقين .  
( مترجم عن العربية ، مؤلفه المستشرق الدكتور بلاشير )
- ٧ - ديوان أسامة بن منقذ . ( تحقيق ، مع الأستاذ حامد عبد المجيد )
- ٨ - المطرب من أشعار أهل المغرب .  
( تحقيق ، مع الأستاذين : إبراهيم الايدري ، وحامد عبد المجيد )

— ٥٥٥ —

[ تم طبع كتاب « روضة الطهطاوى بك » في مطبعة  
لجنة البيان العربي بالقاهرة في يوم الأحد ١٧ رمضان  
سنة ١٣٦٩ الموافق ( ٢ يولية سنة ١٩٥٠ ) . والحمد لله  
أولاً وآخراً ]

مركز محفوظ المولى

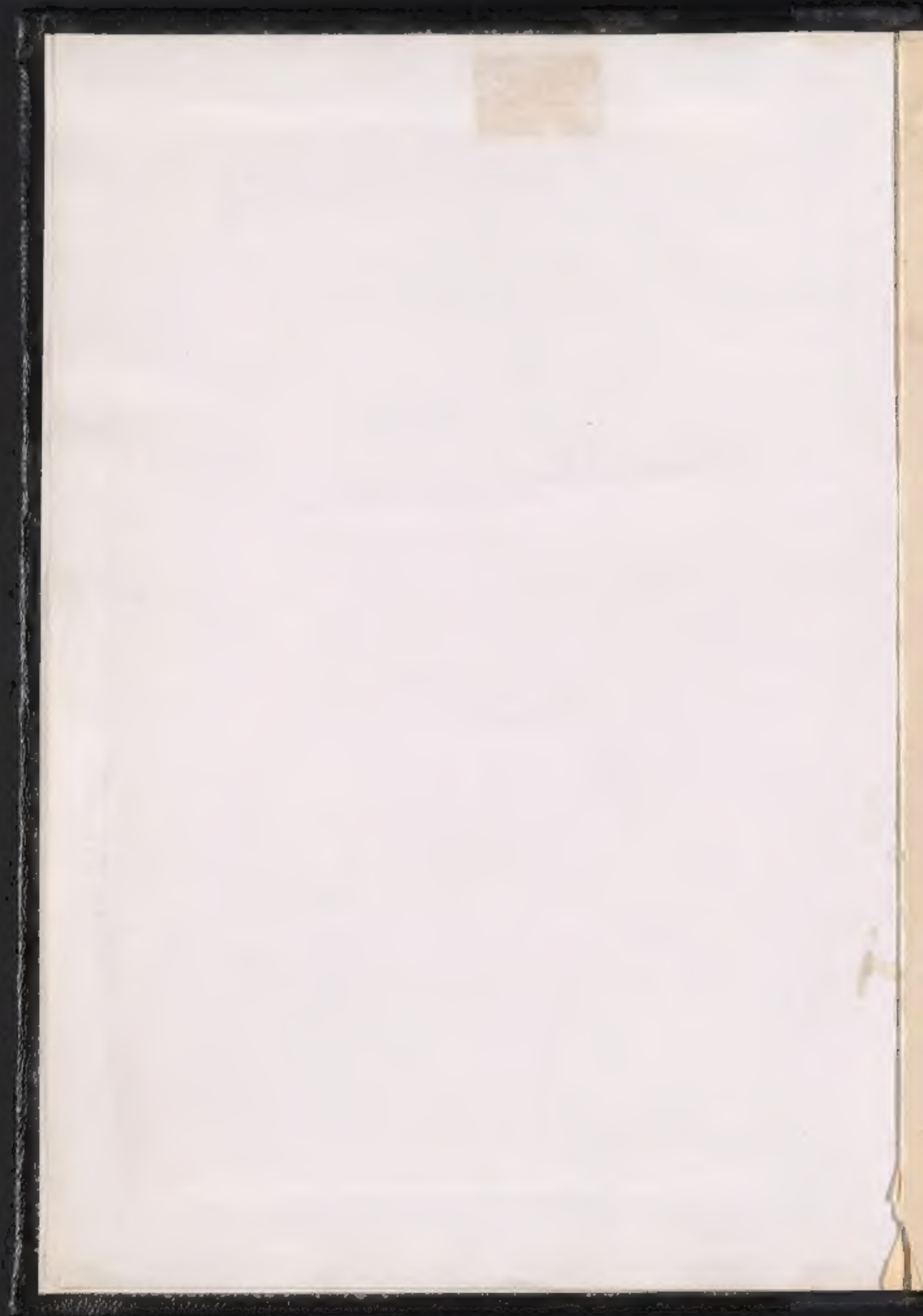
لمدير الفني للنسخة

## قائمة مطبوعات اللجنة

- ١ - سأنوكت . . . : الأستاذ عباس محمود العقاد . ٢٥
- ٢ - أثر شرق في الغرب . . . : الدكتور فؤاد حساس . ١٥
- ٣ - قصة الامراء والاسلخ : الأستاذ محمد عاطف الرفوفى . ٢٥
- ٤ - مشكلا ، اجتماعه . . . : الأستاذ محمد مصطفى إبراهيم . ٢٠
- ٥ - الحنة . . . : . . . : حسن محمد حوى . ٢٠
- ٦ - البرل عن العرب . . . : . . . : " حسن أبو رباح " . ٢٥
- ٧ - عائشة أم المؤمنين . . . : . . . : لاسه راحة بسطا . ٢٥
- ٨ - غلظة القآية . . . : . . . : الأستاذ عباس محمود العقاد . ٣٠
- ٩ - أحداث الصحاح . . . : . . . : الشيخ محمد محمود سمير . ١٥
- ١٠ - أطال الشرق . . . : . . . : الأستاذ محمد عطيه لا شى . ١٥
- ١١ - أم لسانه . . . : . . . : محمد محمد روى . ١٥
- ١٢ - الزاهد المتوحشه . . . : . . . : دكتور عبدس . محمد حسن . ١٠
- ١٣ - بها معنى . . . : . . . : الأستاذ دوى . عبد حوى . ١٠
- ١٤ - صرخة في واد . . . : . . . : الأستاذ محمود عبيد . ٣٠
- ١٥ - الصحفة والرجف . . . : . . . : الدكتور الأستاذ عبد الله حسن . ٢٥
- ١٦ - ولاده . . . : . . . : الأستاذ على عبد مطام . ١٥
- ١٧ - اللعب والعمل . . . : . . . : دكتور على عبد الواحد وى . ٨
- ١٨ - من كل مع قطره . . . : . . . : الأستاذ حسن محمد حوى . ٦
- ١٩ - عبد الله بن قيس الرافيات : الأستاذ على محمدى صف . ١٥
- ٢٠ - الاستعمار الفرنسى . . . : . . . : الأستاذ أحمد رمى . ١٥
- ٢١ - الوزراء العاسيون . . . : . . . : محمد أحمد روى . ٢٠
- ٢٢ - سحر لمطور . . . : . . . : محمد على الشهاب . ١٢



- ٢٣ - أكسير الحياة ... : الدكتور محمود محمد سلامة ... ٢٠
- ٢٤ - دراسات في علم النفس الأدبي : الأستاذ حامد عبد القادر ... ٣٠
- ٢٥ - التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض :  
الأستاذ محمد رفعت أحمد بك ٥٠
- ٢٦ - مسلم بن الوليد ... : الأستاذ حسن علوان ... ٢٥
- ٢٧ - الإسلام والديمقراطية ... : معالي محمد علي علوية باشا ... ٥
- ٢٨ - فقه اللغة ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ٥٠
- ٢٩ - علم اللغة ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ٥٠
- ٣٠ - كيمياء المعادن ... : دكتور محمود يوسف الشواربي ١٠٠
- ٣١ - طب الطبيعة ... : الأستاذ محمد عاطف البرقوقي
- ٣٢ - أحلام اليقظة ... : تأليف دكتور ج. ه. حرن  
رحمة إبراهيم حافظ ...  
ومراجعة كي المهندس بك ..



11 DEC 2001

